Copyright © King Saud University

٢١٤
م ٠ ى
٥٢٣٣

مشرب العام والخاص فى كلمة الاخلاص ، تأليف
البوسى ، الحسن بن مسعود ـ ١١٠٢ هـ .
كتب فى القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا .
١٥٤ ق ٢٤س ٢١×١٦ سم
نسخة حسنة ، خطها مغربى ، طبع
الاعلام ٢:٢٢٧ الازهرية ٣ : ٣١٤
١ ـ أصول الدين أ ـ المؤلف
ب ـ تاريخ النسخ .

King Saud University 1957
Copyright © King Saud University

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات" /

الرقم: ٥٢٣٣ ف ١٤٢٧/١١/١

العنوان: شرح العلم والى من منظومة الاخوان

المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي

تاريخ النسخ: الثاني عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ١٥٤ ق ١٦×٢١ سم

ملاحظات:

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المتوحد في عظمته وكبريائه، المتفرد في جلاله وعلى علائه، الذي بهرت
العقول بوارق سنائه، وكلت الالسن عن واجب ثنائه، وظهرت آيات الالوهية في ارضه
وسمائه، وتحيرت لعجائب اصفيائه، بمشاهد صفاته واسمائه، والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد خاتم انبيائه، ومبلغ انبائه، صلاة تتكرر مر الدهور ممتدة لعلائه،
وممن براع حظوته وشفعوا لشفعائه، والرضى عن آله الطاهرين وصحبه المكرمين مدى
ايام الدهر وآنائه، وجميع عباد الله الصالحين واصفيائه المفلحين الى يوم لقائه،
اما بعد فهذه ان شاء الله تعالى جملة مفيدة في تفسير الكلمة المجيدة وهي كلمة
الاخلاص التي جعلت ترجمة على الايمان في حق العام والخاص، وقد كانت هذه الكلمة
المشرفة نشأ فيها نزاع بين المتأخرين من زمان ابي محمد عبد الله بن محمد الهبطي وذلك في المنفي
المستثنى منه اهو المعبود بالحق ام غيره ثم لم يزل الى الآن يشور فيها بين الطلبة النزاع، ويقع الرعاع
والنزاع، وربما انجر ذلك الى مقال تشنيع، ومنكر تشنيع، وتضليل وتشنيع، فاردت
ان ابين ان شاء الله معناها، والنص مبناها، على حسب ما تطاول اليه باعي القصير، وانتهى
اليه طرفي الحسير، متبريا من الحول والقوة في الايراد والاصدار، وما الحول والقوة الا بالله تعالى
الذي بيده ازمة الاقدار، **واشترط** فيها الشيخ شرطين **احدهما** ما لابد منه للمكلف فيها من
الاعتقاد بحيث اذا اخل عنه وقع بمهواة الكفر او كاد، **والثاني** ما ينبغي له ان يعتقده
منها من الوجه الكامل بحيث اذا سقط عنه زال عن نفسه الخصوصية الى الحضيض السافل

وتحسب

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
شؤون المكتبات
Saud University

وبحسب الاعتبار الاول نسمي هذه العجالة إن شئنا مناهج الخلاص من كلمة
الاخلاص وبالاعتبارين جميعا نسميها إن شئنا معتصر ب العام والخاص من
كلمة الاخلاص وكان سبب الانتهاض اليه والتأني عليه بعد مشيئة الله السابقة
وربوبيته العادية السابقة امورا احدها وهو اولاها واعلاها ان هذه الكلمة
المشرفة هي عنوان الايمان وسبب الفلاح والامان وهي عصمة من الكفران والنجاة من الهلاك
والخسران فوجب الاعتناء بفهمها والمحافظة على رسمها ثانيها انها اجل الاذكار
وفردها اعظم الافراد كما سيظهر إن شاء الله اذا وقع الاطلاع بفضل من فضلها وبيان شعوب
علمها فيتأكد على كل موحد الاعتناء بها والاعتراف بفضيلة منصبها ثالثها اسعاف الراغبين
وتلبية الطالبين فانهم ما زالوا يلحون على هذا المأرب ويتشوفون الى هذا المطلب رابعها
رجاء ان يقع الانتفاع وتعظم مادة الانتفاع فان الاختلاف في هذا الاصل الكبير كبير وزعزعة
مثل هذا الاساس خطره شهير خامسها التبرك بهذا الذكر الشريف ورجاء الدخول بذلك في زمرة
اهل التعريف مع ما يرجى من ذلك من حصول ثواب وفتح ابواب سادسها اعانة مسلم
وكفاية مهم ومن الله تعالى اسأل التوفيق والعون ومنه استمد العصمة والصون وهذا
اوان الشروع في المقصود باسم ربنا الملك المعبود فنقول قد تم مرام انا اشرنا
في الكلمة المشرفة الى غرضين فلاجرم انا رتبنا الكلام عليها في مقصدين المقصد الاول
في تفهيم معناها وتبيين فحواها على ما يجب اعتقاده على جميع المومنين وهو مجمع مباحث
المتكلمين الثاني في الاشارة الى ما يتلمح فيها بعد ما ذكر من اللطائف وهو منتظر اهل
الحقائق والمعارف. الكلام في المقصد الاول ولابد من مقدمة بين يدي التقسيم بما
يحصل إن شاء الله التسهيل والتيسير وفيه عشرة فصول الفصل الاول
اعلم ان الحكم التصديقي وهو مرجع الاخبار كلها قد علم انه اثبات امر او نفيه اما
المحكوم عليه فقد يكون موجودا عينيا في الاثبات والنفي معا نحو ابو حنيفة عالم ابو حنيفة
ليس بجاهل وقد يكون معدوما مقدرا في الذهن فقط ولا حصول له في الخارج اصلا وذلك في النفي
فقط نحو الشريك ليس هو بموجود وكذلك في الاثبات المشبه بالنفي وهو ان يكون المحكوم به
امرا عدميا يصح ان يوصف به المعدوم نحو الشريك مستحيل والشريك معدوم ونحو من زئبق ممكن

Copyright © King

واجتماع الضدين معقولا ومفهوما ونحو ذلك **ولاجل** عموم هذا القسم اعني ما اشتمل النفي حكم
النفي اما الكون نفيا في اللفظ وليس اثباتا الا في العبارة كقولنا الشريك مستحيل وجبل من
ياقوت معدوم فان معنى الاول انه ايس وجوده ومعنى الثاني انه لم يوجد واما الكون منافيا
له كقولنا جبل من ياقوت ممكن معناه ايس وجوده وعدمه وهذا صادق على المعدوم كهذا المثال
وعلى الموجود ايضا وهو باعتبار الاول ايس النفي حكمه بحسب الوجود فلم يكن ايجابا في ما
صح الكلام العلماء من اهل المنطق ان الموجبة تقتضي وجود الموضوع بخلاف السالبة **وما**
يقال من ان الموجبة تقتضي وجود موضوعها ذهنا لا محالة فمع الاطلاق ولا حاجة الى تاويل ولا تخصيص
فضعيف لان السالبة تقتضي هذا الاقتضاء ايضا فلم يكن فرق بينها وبين الموجبة حينئذ لو لابد
من الوجود الذهني اذ ما من محكوم عليه الا وهو موجود في الذهن عند الحكم عليه سواء وقع
الحكم باثبات او نفي ولا عبرة بحكم الجاهل بالموضوع والغالط والهاذي مثلا **فان قيل**
هذا انما هو على القول بالوجود الذهني واما على انكاره فالسالبة لا وجود لموضوعها اصلا
بحال **قلنا** مشترك بينهما فان من ينكر الوجود الذهني ينكره على كل حال فالموجبة ايضا
لا يكون لموضوعها وجود في الذهن والغرض انه في تلك الامثلة ونحوها غير موجود في الخارج فلا
وجود له ايضا بحال على ان الحق هو القول به وسنشير بعد اليه **و**اما المحكوم به فلا يكون
موجودا عينيا اما في النفي فلاستحالة تسلط النفي على موجود في الاعيان وهو ظاهر واما
في الاثبات فلان اثبات الشيء للشيء في باب التصديق يقتضي ان يكون الشيء المثبت عارضا للمثبت
له ووصفا من اوصافه وهو باعتبار استقراء موارده وتعقل الجزئيات بالفكرة السليمة انما يكون
كليا ولا شيء من الكلي موجود في الاعيان من حيث هو كلي **و**ما ذكرنا في الاثبات جار في السلب
ايضا لاتحادهما معا ان النفي والاثبات متناقضان لا يردان الا على محل واحد من الزوايا وهذا
اجمع لا استدلال واقطع **و**سيزداد بيانا بعد ان شاء الله تعالى ولاجل ما ذكر من ان السلب لا يتسلط
على الموجود يقال عليه انما ذلك في السلب المطلق وهو سلب وجوده واما في السلب المضاف
اعني سلبه هو عن شيء وهو محل الكلام فصحيح **و**لاجل هذا وقع في المنطق ان الجزئيات لا تحمل
ولا يخبر عنها نعم قد يوجد في التراكيب العربية من الجزئيات الحقيقية او الخارجية ما يقع محمولا
وذلك ان مراجع الرجوع الاخبارات اللفظية غير المعتبرة في القضايا الماخوذة في العلوم
المتعلقة

خبر عموم من قوله ولاجل كون

خبر عن ما يقال

المستعملة في الاقيسة والقواعد نحو هذا زيد ونحو ذلك مما وزيد نحو هذا الذي هو ذلك البيان الذي في
جملته متلائم ان الاخير كلي بالتحقيق وجزئي فيه عارضة زائلة وامثلة وايضا المنطلق هو زيد والفاتح
هو عمرو والتاويل على وجهين احدهما ان يجعل الكلي هو المجهول سواء تقدم او تأخر والجزئي هو
الموضوع تقدم او تأخر فلا فرق بين قولنا القائم هو زيد وبين قولنا زيد هو القائم بل القائم هو
المجهول سواء تقدم او تأخر الوجه الثاني ان يقع التاويل في الجزئي بان يراد بالكلي مصروفه
المقصود وبالجزئي صاحب ذلك الاسم الواقع على الجزئي فمعنى قولنا القائم هو زيد ان الشخص
الذي له القيام هو زيد اي هو المسمى بزيد وحينئذ يصير المجهول كليا لان كونه مسمى بكذا او صاحب
اسم كذا كلي كما لا يخفى والتاويل الاول ضعيف لانه خلاف المفهوم من الكلام اذ المطلوب في قاعدة
الحكم هي ان يجعل المعلوم المستقيم موضوعا والمجهول المسئول عنه محمولا اذ المجهول هو المطلوب
بالسؤال والمحكوم عليه عند الاستدلال ومعلوم انه كما يجوز ان يكون الجزئي هو المشعور به
ويجعل الحكم عليه كذلك يجوز العكس وهو ان يستقيم الكلي من حيث وصفه محمودا فالعلم به
ويجهل اسمه الذي يعين الجزئي المراد منه وبذلك الاسم يخرج عن غمرة الابهام والاحتمال الى فضاء
العيان مثلا يعلم انه قد دخل الدار متفاخرا وابر راي الامراء هو وعفرا استقيم الداخل بوجه ما وطلب
تعيينه فيقال الداخل هو زيد ولا ريب ان الثاني هنا هو المجهول فهو المحمول واما الوجه الثاني
فهو اقرب الى الصواب وهو اختيار السكاكي ومن تبعه **فان قلت** هذا انما يتجه على رأي
الكوفيين القائلين ان المعرد الجامد يتحمل الضمير على كل حال اما على رأي البصريين القائلين انه لا
يتحمله الا المشتق فلا اولى بالمشتق **قلت** يحتمل ذلك وبه يتأيد المذهب الاول
وان كان عند جمهورهم ضعيفا ويحتمل ان يجاب بامرين **الاول** ان يقال ان التاويل المذكور انما هو
لتصحيح الاخبار المعنوي والحمل الحقيقي وهذا المعنى لا يتوقف عليه مجرد الاخبار الظاهر
والكلام العربي المتعارف وهو ملحوظ البصريين فلا يلزم ان يلتفتوا الى التاويل بالمشتق ليقع
تحمل الضمير **الثاني** ان يقال لا نسلم ان التاويل المذكور يوجب كون الخبر مشتقا بالتاويل لان ذلك
مبني على قولنا المنطلق زيد معناه المنطلق هو المسمى زيدا وليس هذا متعينا بل يجوز ان يكون
معناه المنطلق هو الذي يقال له زيد كما في قوله تعالى يقال له ابراهيم ولا نسلم وجود الاشتقاق في
هذا ولا تحمل الضمير وبعد كتبي هذا رأيت سعد الدين في المطول قال لا نسلم وقد يسبق الى الوهم

Copyright © King

أن تأويل زيد بصاحب هذا الاسم مما لا حاجة إليه عند من لا يشترط في الخبر أن يكون مشتقا وهو الصحيح
عند مذهب البصريين وجوابه أن الاحتياج إليه إنما هو من جهة أن السامع فرع في ذلك الشخص
بعينه وإنما المجهول عنده اتصافه بكونه صاحب اسم زيد وهو وهذا الكلام إنما هو لإفادة
هذا المعنى وأما عند المنطقيين فهذا التأويل واجب قطعا لأن الجزئي الحقيقي لا يكون محمولا
البتة فلا بد من تأويله بمعنى كلي وإن كان في الواقع منحصرا في شخص انتهى ورد عليه أن مذهب
البصريين هو أنه لا بد أن يكون من الخبر ما هو جامد فقطعا بهم يقسمون الخبر إلى مشتق يتحمل الضمير
وإلى جامد والتأويل الذي جاء به إن كان يتوقف عليه صحة الإخبار بالجملة وأنه يصير به الخبر مشتقا
بطل هذا التقسيم الذي عند البصريين إذ لم يبق لهم جامد يعتبر وأنه غير متحمل للضمير ولزمهم الرجوع
إلى قول الكسائي وغيره من الكوفيين أن الخبر كله متحمل للضمير فعلى قول من أجاب به غير دافع
للبحث عن أن كلام السعد رحمه الله في معنى آخر واعتبار غير هذا الذي يعترض به وذلك أنه
استشعر بالحتا يقول إنما تأويل زيد بمعنى صاحب اسم زيد على رأي الكوفيين محتاج إليه إذ لو لم
يتأول ذلك التأويل ونحوه لم يمكن أن يتحمل الضمير وأما على رأي البصريين فلا حاجة إلى هذا
التأويل من أن الاسم عندهم يكون جامدا أو لا ضمير فيه أصلا ومع ذلك يصح أن يكون خبرا فأجاب بأنه
وإن لم يحتج إليه عند البصريين محافظة على الضمير ولا إقامة المنصب لما عرفت بهما عند الكوفيين
فقد احتيج إليه لغرض آخر وهو صحة المعنى إذ المجهول هو الاسم لا المسمى كما مر وهو
صحيح ورد عليه عند ذلك ما ذكرناه آنفا وهو أنه إن كان يصير بهذا التأويل متحملا للضمير كما عند
الكوفيين فقد لزم على البصريين من جهتهم بهذا التأويل الكلام لا غاية بالتقسيم وإن كنتم تقولون
إنه لا يتحمل ضميرا ولا يصير مشتقا ولا يعطى حكمه بهذا التأويل فهذا لا يتمشى إلا على أحد الوجهين الذين
ذكرناهما قبل والله الموفق وقال في شرح المفتاح ما نصه وإنما أول يعني السكاكي زيدا بصاحب
اسم زيد لأن الجزئي الحقيقي لا يصح حمله على شيء بل هو أبدا محمول عليه المفهومات الكلية ويشتهر بذلك
تأملك في المعاني مع قطع النظر عما يوهمه الألفاظ على أن مذهب الكوفية أن الخبر يجب أن يكون
مشتقا أو في معناه انتهى وقال السيد الجرجاني في حواشيه على المطول إن زيدا مثلا ذات
متأصلة ينتزع منها معان كلية تحمل هي عليه ولا يحمل هو على شيء منها يظهر ذلك بأن رجوع
إلى الفطرة السليمة وأما تسليم زيد عما عداه فهو صحيح لكنه ليس بمحل حقيقة وما وقع في معنى

كتب

Saud University

كتب الميزان من الجزئي الحقيقي مقول على واحد وكلي على كثيرين فكلامه ظاهر انتهى و اراد بالميزان
المنطق يعني انه قد يذكر فيه ان الجزئي الحقيقي محمول على واحد فقط كقولك هذا زيد بخلاف
الكلي فانه يحمل على كثيرين اما متفقين لكونه نوعا نحو زيد وعمرو وخالد وما اشبه انسان
او مختلفين لكونه جنسا نحو الادمي والفرس حيوان و اراد بقوله ظاهر انه اتضح فيه على ما توهمه
من الغلط وتقتضيه ظواهر العبارات كما وقع في عبارة السعد ولو نظر الى الباطن وتاملت
الحقيقة بصادق التامل لعلم ان حمل الشيء على الشيء انما هو ان يكون المحمول وصفا للمحمول عليه
وهذا المعنى مفقود في زيد اذا اعتبر هو بنفسه فلم يكن فيه حمل الا بحسب الظاهر وهذا هو
الذي قدمنا تقريره في صدر الكلام وعبرنا عنه بالاخبار اللفظية و بالجملة فالذوق السليم شاهد
صدق ان الجزئي لا يحمل على غيره حملا معتبرا يدخل في المباحث العقلية وانما هي اخبارات لفظية مع ضرب من
المعنى خارجي ومثل ما تقرر في امثلة الاثبات من هذا الحمل يتقرر في امثلة السلب نحو ما هذا زيد
وما انت زيد على ان للقايل ان يقول هذه الاخبارات التي حملت الجزئيات الحقيقية فيها يجعل ما ذكرنا
من الاخبارات اللفظية الخارجة عن القواعد المستفادة من الاحكام المنطقية ويجعل قول الحكماء
ان الجزئي الحقيقي لا يحمل مصروفا الى غير هذه القضايا و قد قال السعد في شرح الشمسية في
الجملة الفعلية نحو قام زيد ان القواعد المنطقية لا تتناولها و حينئذ تبقى قواعد الحكماء سالمة
ويبقى الاسم الجامد مبقى على حاله من غير تكلف تاويل ولا تطلب اشتقاق كما يقول البصريون
فان قلت هذا الوجه يكثر المعنى مقتضيا للتاويل وهو يقتضيه كلام من ان ذات
المسمى معلوم والمجهول انما هو كونه صاحب الاسم المذكور فلا بد من التاويل قلنا
ذلك انما هو عند المتاول في زعمه وليس على الاخر ان يسلم ذلك اليه بل له ان يدعي ان المطلوب هو
الشخص المسمى بذلك الاسم وذكر الاسم انما هو عنوان عليه ودليل اليه كما ان سائر المسميات
انما تتعين من اسمائها اما في نحو هذا زيد وانت عمرو فظاهر لان الاشارة والخطاب انما هو الى الشخص
ووقع التعيين عنه بعلمه الذي يمتاز به وكما انه عند كونه موضوعا نحو زيد عالم المراد منه ذاته
والاسم دال لتاديته كذلك في العكس من غير فرق وكما انه يمكنك فيما لو كان محمولا نحو هذا زيد
ان تعبر عنه بقولك مثلا هذا هو المسمى بزيد وتريد ذلك الشخص لا مفهوم المسمى الكلي كذلك
يمكنك فيما لو كان موضوعا نحو زيد عالم ان تعبر عنه بقولك المسمى بزيد عالم والمراد ايضا ذلك

Copyright © King

الشخص المعهود وكما كان زيد ههنا اسما خاصا وان اسماه وهو يخرج تحت التعيين عند المسمى
عن حدوده اجماعا كذلك هنالك ولهذا واصطلاح نحو المنطقيين فكذلك ان المطلق اذا جعل
بعض الشخص المفرد به الاطلاق وكما قال السكاكي في ايضاح المراد به الشخص المفرد هذا الاسم
غير انه لما جاز ان يتوهم السامع ان الواقع عليه الاطلاق والواقع عليه الاسم شخصان متغايران اخبر
بان هذا الشخص هو هذا بعينه لا شخص اخر ولا مرية في صحة هذا الاخبار وافادته ان معلومية
الشخص لا يوجب معلومية النسبة اعني التي متعددة عند تعدد العبارات وهذا اشار بهاي الاخبار
لا يقال ان كان تشخيص استعمال الانقلابي شخصا واحدا وانه يكرر الا الشخص الواحد على ما هو
المعنى وفي ذلك يبعد معلومية الاطلاق ام زائد عليه لكونه حاجة كرا على ما ذكرتم لانا نقول اسم
ذلك لو من تعلق العلم بالتشخيص خارجا بتحصيل اتحادهما اما اذا وقع في الذهن استشعار
مسمى عبارة او عبارتين مختلفتين من الجانبين فطعا ان يكون المسمى في الخارج واحدا او متعددا ولذا
علم المسمى من احدهما وجهل من الاخرى فلا باس ان يقال مسمى هذا اللفظ هو مسمى هذا لا مختلفان
وهذا مثل ما يقع في ابتداءات النطقية ومن الفواعد الضرورية والقضايا الاولية
ان النسبة مسبوقة بالتشخيص ولا يقع الحكم حتى يتصور الطرفان وهذا كله واضح ثم اعلم
ان ما ذكره السكاكي واتباعه من التاويل في نحو المنطقيين لا يخلو عن تعريض واجمال انه يبلغ بتلك
الامثلة حقها من التحري فيما تسعه من الاحتمال بعد ذلك بسمع الجاهل ما فهمه فيحسبه ضربة لازب
وتغتره نصب عينيه في جميع الهزل والجد هذا واذ قد تمهدت الضرورة بصحة ان يقال الحيوان امثلا
بعض المنطقيين ولو اريد بالمطلق الشخص كما قلنا ولو لم يقع التبعيض ضرورة فان الشخصية
لا تبعض ولا تنفرد [illegible] فلا بد من تحري تلك المثال ونحوه بان يقال ان [illegible] واللام في نحو المنطلق
اما ان تكون للعهد واما ان تكون للجنس مع بقاء الاحتمال واما ان تكون للاستغراق فان كانت للعهد
والمعهود شخص معلوم متلازم لك هو محل التاويل السكاكي ولذلك نبهنا عليه في صدر كلامنا
بالوصف المعهود والشخص المقصود وان كانت للجنس لم يعد الشخص الا المقصود هو المفهوم
الكلي والماهية المعقولة غير انه يحتمل ان يراد به في نفس الامر بعض الافراد او جميعها او الماهية
من حيث هي هي على ما هو المقرر في القضايا المهملات فان اريد الاول صدقت القضية لمطابقة
الموضوع للمحمول وهي يقال بعض المنطقيين وبعض الانسان عمرو ومثاله وان اريد جميعها كذبت

لاحتمال

Saud University

بالشيء الذي جعل البعض الواحد على أمر كثير في دار واحد وقد يستعمل ذلك في المبالغات حيث يراد اجتماع
الكثير في الواحد باحتوائه على خصوصيته كما قال أبو نواس

ليس من الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وقال الآخر

لو جئته لرأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والأرض في دار

وقال السلامي

فبشرت آمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقد وقع فيه الاخبار بالجمع عن الواحد للمبالغة وعكسه مثله وهو مقلوبه وإن لم يرد الماهية كذلك أيضا لأن الماهية الذهنية يستحيل أن تكون هي الشخص الخارجي نعم قد يكون ذلك في علم الجنس لأن تشخصه عندهم يجعله جزئيا في الذهن دون الخارج وإن كانت لا تشخص أو لا يعتبر التشخص أيضا لأن المراد جميعه وهو كاذب أيضا كما قدرناه إلا أن يراد المبالغة وقد مر ذلك وإن كان المحكوم كليا فإن كان من الأمور النسبية التي تدل عليها الأفعال فلا شك في صحة جعله وإن كان ماهية متقررة فالظاهر أنه لا يصح جعله وإنما يجري فيه ما جرى في الجزئي من السابق ذكره لأن العلة التي ذكرنا هنالك من كون المجعول وصفا للمجعول عليه مفقودة هنا أيضا ولذلك قال السكاكي في مبحث هل وأن بها من بين اختصاصها بالفعل ما نصه وقد نبهت فيما قبل على أن الاثبات والنفي لا يتوجهان الى الذوات وإنما يتوجهان الى الصفات انتهى وأشار بقوله نبهت فيما قبل الى ما ذكره في القصر حيث تكلم على تحقيق القصر في النفي والاستثناء فقال ما نصه وتحقيق القصر في الطول هو أنك بعد علمك أن أنفس الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها وتحقيق ذلك يطلب من علوم أخر انتهى وقال سعد الدين في هذا المحل من شرح المفتاح أنه نقل عن المصنف أن أنفس الذوات التي يمتنع نفيها هي الأجسام لأنها على ما قيل لا تحتمل النقصان لامتناع الخلاء ولا الزيادة لامتناع التداخل وهذا مع كونه مبنيا على ما أسس الحكماء لا يجري نفيا لأن القصر الواقع في الأعراض خارج عنه والقول بأن الأعراض قد تقاس على الأجسام مما لا يلتفت إليه لأن علة الحكم أعني امتناع النفي ليست بمشتركة وذكر بعضهم أن المراد بالذوات حقائق الأشياء سواء كانت جواهر أو أعراضا وهي عند المعتزلة ثابتة بأنفسها ليست مجعولة بجعل جاعل ولا يمكن توجه النفي إليها بل إنما ينفى عنها الوجود وما يتبعه من الصفات كما حقق في علم الكلام وهو أيضا باطل لأن المصنف قد صرح في مباحث هل بأن النفي والإثبات لا يتوجهان الى

الذوات وانما يتوجهان الى الصفات ق ولا شك ان تعقل الاشياء في انفسها بلا جعل جاعل انما يقتضي استحالة
توجه النفي والاثبات اليها بمعنى جعلها متحققة في الواقع او ثابتة فيه ق واما الحكم بانتفائها او ثبوتها
ولا استحالة فيه ثم يكون الحكم بالانتفاء كاذبا فلا يتصور لذلك لاكن الحكم بالثبوت صادق والصواب
ان يقال المراد بالذوات ما يستقل بالمفهومية وهو الذي يصح ان يعلم ويخبر عنه ق وبالصفة ما لا يستقل بها
من مباحث النعت ق ولا شك ان النفي والاثبات انما يتوجهان الى النسبة الحكمية التي لا تستقل
بالمفهومية يعلم ذلك من علوم فيه جهة موارد السلب والايجاب بان تقول اذا رجع العاقل الى وجدانه
فهم له ذلك فانك اذا تصورت معنى زيد او انسان ولم تتصور معه شيئا من الوجود او غيره ولا نسبته
اليه لم يكن منك هناك نفي ولا اثبات قطعا انتهى الغرض منه ق وقد وقع نحو هذا الكلام عند
الفنري في حواشيه ق ولما انتهى الى المحل زاد عقبه ما نصه وان تصورت مفهوم الوجود
او القيام بالغير ولم تلاحظ بينهما نسبة فلا امكان لنفي ولا اثبات ايضا وان لاحظتها فاما ان تجعلها ملحوظة
بالذات من حيث انها نسبة الوجود او القيام الى احدهما فلا يمكنك ايضا اثباتها ولا نفيها ثم يمكنك
ان تجعلها محكوما عليها او بها فتقول نسبة الوجود الى زيد واقعة او تقول هذه النسبة نسبة
الوجود الى زيد واما ان تجعلها الة لملاحظة الطرفين وتلاحظها من حيث انها حالة بينهما فحينئذ
يمكن اثباتها ونفيها فظهر ان الحكم بالنفي والاثبات يمتنع ورودهما على الذوات بل لا يتواردان الا على
الصفات التي هي النسبة الحكمية من حيث انها ملحوظة بين الطرفين و الة لتعرف احوالها انتهى ق وبه تم
البيان واتضح المعنى المراد ق وقد تلخص من هذا كله ان جميع المفاهيم والعمومات المستقلة بالفهم
من حيث هي كذلك وعلى هذا فهي ذلك ولا شيء من الخارجية سواء **الفصل**

الثاني ان توجه النفي الى نكرة فعم الحكم جميع افرادها ابتداء وغير انها ان كانت مع من كما هي
نحو ما جاءني من رجل او مقدرة نحو لا رجل في الدار اذ معناه لا من رجل كما ظهر ذلك في نحو قول الشاعر

فقام يزود الناس عنها بسيفه ... وقال الا لا من سبيل الى هند

فذلك نص في العموم اي دال عليه بالقطع بحيث لا يحتمل الوحدة فلا يمكنك ان تقول ما جاءني من رجل
بل رجلان ولا رجل في الدار بل رجلان لان النفي يقتضي على القطع انه لم يأتك ولم يوجد فيها فرد ما صدقا
من رجال فما ثبات الرجلين بعد ذلك يناقضه وان لم تكن من موجودة بل لا ظاهرة ولا مقدرة فهو كما هو في
العموم اي دالة عليه دلالة راجحة وتحتمل مع ذلك الوحدة فاذا قلت ما جاءني رجل احتمل ان يراد

بل

Saud University

به انه ما حصل المجيء لشيء من الافراد اصلا وهو العموم واحتمال ان يراد انه ما حصل للواحد ولكن حصل لازيد
كاثنين مثلا والوحدة هي المنفية فقط وهذا الاحتمال ضعيف والاول هو المتبادر بحسب وضع اللغة ويجب
الحمل عليه والمصير اليه حتى يقوم دليل على غيره ولذلك شاع في المنطق اتخاذها اساسا كلية من غير
احتياج لذلك الاحتمال وهذا كله واضح مشهور وانما يبقى النظر في انه هل النفي متسلط اولا على الماهية
العقلية وانما انتفت الافراد استتباعا ام متسلط على الافراد مباشرة والمقصود حاصل على كل حال اما
اولا فلان انتفاء الماهية يقتضي انتفاء كل فرد من افرادها ضرورة ان الماهية اعم وانتفاء الاعم يوجب
انتفاء الاخص واما ثانيا فظاهر **فان قلت** اما على الاول فالمقصود حاصل والنفي
شامل اذ قد انتفت الماهية وافرادها واما على الثاني فهو قاصر لان انتفاء الافراد لا يوجب انتفاء الماهية
ضرورة ان انتفاء الاخص لا يوجب انتفاء الاعم **قلنا** المقصود انما هو الافراد ولا حاجة بنا
الى اعتبار الماهية لان هذه الامثلة التي نذكرها في هذا المقام ونحوها انما المطلوب فيها انتفاء الافراد
وان لا وجود لشيء منها اصلا ولا حاجة للتعرض للماهية العقلية اصلا نعم ان تعرض الخطاب النفي حصل
انتفاء الافراد بتبعيتها وهو المقصود وان جمعنا على المقصود اولا فذاك ومما يتضح منه ذلك
ان تعلم ان الماهية يستحيل ان توجد في الخارج من حيث هي ماهية وانما توجد في ضمن افرادها حتى انا
لو تعرضنا لنفيها بحسب الوجود الخارجي لم يكن معناه الا نفيها بحسب هذا الوجود الضمني وهي
الحصص الخاصة في الافراد فقد انتهى الامر بالاخرة الى نفي الافراد اذا وقع انتفاؤها على العموم
علم ان هذه الماهية لا وجود لها خارجا اصلا وصار انتفاؤها بمنزلة الشيء المنتفي عند انتفاء شرطه
او لزومه الخاص فهو به ولم يبق للنفي محل فيها الا بحسب وجودها الذهني وهذا امر لا سبيل الى اعتباره
لانه خارج عن المراد **فان قلت** اذا نفيت الافراد بقي امكان ان يوجد غيرها ضرورة ان نفي
جزئيات لا يتعدى الى غيرها والمراد التعميم ولا يتيسر الا بحسم المادة بنفي الماهية
قلنا هذا سؤال ينشأ عن الوهم الركيك والتأمل التام في الماهية فرق بين ما انها
انه لا سبيل الى نفيها بحسب الذهن لا يمتنع ان يحضر فيه تصورا وتعقلا فلو كان النفي في الافراد موقوفا
على نفيها كان مستحيلا وان اريد نفيها بحسب حصصها الخارجية فهذا الاخير شائع في دفع الاحتمال الموهوم
فان من يجوز وجود افراد اخر يجوز وجود حصص اخر لان هذه الافراد بغير التشخص توقع وجود
افراد اخر فيها فطاح التعميم واقع بحسب ارادة المتكلم ان ضيق بزمان من الازمنة الثلاثة تقيد به وجاز

Copyright © King

وجودها في غيره ان كان مما يتغير بالزمان فتكون الكلية ماضوية او حالية او مستقبلة وان لم يتغير بزمان
اصلا فهو عام اجزاءا وازمنة اما مطلقا بغير ان صرح بالزمان واما المستثنى امالا ان سكت عنه بناء على ان عموم
الاشخاص يستلزم عموم الازمنة والاحوال والبقاع وهو المختار وحينئذ لا معنى لاحتمال وجود افراد
اخرى غير المنفية اذ ليس ثم غيرها لان معنى النفي العام هو الاخبار بانه لا وجود لشيء من الافراد اصلا
في شيء من الازمنة فلو وجد شيء منها كانت تكذيبا لهذا النفي العام وليس معنى النفي اعراضها حتى
يقدر جواز وجود شيء اخر بعدها وسيأتي ايضاح هذا المعنى بعد ان شاء الله وان اريد ان نفي الافراد
لا يفيد استحالة وجودها اذ انتفاؤها وانتفاؤها لا يفيد وجوب انتفائها المفيد استحالة وجودها **فجوابه**
ان هذا مشترك فان نفي الحقيقة ايضا لا يفيد ذلك وانما يرجع فيه الى الجهة القضية من ضرورة او امكان
او دوام او اطلاق والجهة قد يصرح بها وقد تفهم من خارج ولا يثبت شيء من ذلك الا بدليل وان لم يكن وربما
فنفي الشيء لا يقتضي استحالة وجوده لانه مجرد دعوى محتملة النفي كما يتسلط على المستحيل يتسلط
على الجائز الذي يقع ولو صرح بجهة الضرورة فيجب تسليمه ايضا لانه مجرد دعوى حتى ينظر الى الدليل
فان اقتضى الدليل وجوب الانتفاء كان الوجود مستحيلا نحو قولنا لا شريك لله تعالى وان اقتضى
جواز الانتفاء بحيث لم يكن الا حصول الانتفاء ولم يكن وجوبه كان الوجود جائزا نحو لا جبل ياقوت
في الارض **الفصل الثالث** في صيغ النفي العام من ان النفي متسلط على الماهية
او على الافراد فيتوهم ان ذلك على ظاهره ما لم يتامل ما تقرر في الفصل قبله من ان الذوات لا يقع عليها نفي
ولا اثبات وحينئذ يعلم انه ليس على ظاهره فلابد من تقدير فقد قلنا انه قد نفيت هذه الماهية او نفيت
الافراد فذلك على حذف مضاف في المعنى اي نفي وجود ذلك فمصب النفي هو الوجود غير انه لابد ان تعلم
انه قد يدخل النفي على الفعل نحو ما جاءني رجل وما رأيت رجلا وما مررت برجل فمثل هذا النفي
متسلط على الحدث المدلول للفعل كالمجيء والرؤية والمرور في هذه الامثلة وقد يدخل على النكرة
فان ذكر المحمول نحو لا رجل قائم ولا كريم من الولدان مصبوح ولا شيء على الارض باقيا ولا وزر مما قضى
الله واقيا ونحو ذلك فالمحمول هو المنفي بحسب الحدث المفهوم منه كالحدث المفهوم من الفعل
سواء وان لم يذكر المحمول نحو لا حول ولا قوة الا بالله فالنفي متسلط على الوجود المفهوم من الخبر
المقدر اي لا حول موجود والمراد حينئذ نفي وجود الحول لا نفي ماهية الحول على ما تقرر في
تعميم النفي على انه يمكن ان يقال ان مصب النفي في كلام هو الوجود فنفي المجيء مثلا هو نفي

وجود

Saud University

وجود المجيء ونفي الرؤية هو نفي وجود الرؤية وعلى هذا فقس والوجه فيه ان الاشياء التي يحكم بها
لا تخرج عن الوجود واللاوجود فاذا اثبت الشيء فقد وجد المثبت وجوده واذا نفي فمعلوم ان وجود المنفي
وجوده ولهذا ذهب جمهور الاوائل الى ان الرابطة هي الوجود والمحمول الوجود قد يكون رابطة
كما في قولنا زيد قائم وقد يكون هو المحمول كقولنا الجوهر موجود والرجل الفقير اي موجود ولابد ان تعلم ان
للشيء وجودا باعتبارات اربعة وجود بحسب الاعيان ووجود بحسب الاذهان ووجود بحسب
العبارة ووجود بحسب الكتابة والمراد بالوجود في الاعيان وجوده في الخارج وفي نفس الامر
والمراد بوجوده في الاذهان وجوده بحسب التصور والتعقل وذلك ان الشيء اذا فهم او فرض حصلت
منه صورة معنوية في مرآة النفس وذلك هو معنى تصوره اي ادراك صورته اي مثاله المنطبع
في مرآة النفس والحلول على حصول هذا المثال الوجود كما سمي حصول ذاته في الخارج وجودا والمراد
بالوجود في العبارة هو وجوده في الكلام بحسب الدالة عليه لا بحسب حلول ذاته ولا مثاله والمراد
بالوجود في الكتابة هو وجوده كذلك في الحروف المنقوشة بحسب الدالة عليه قال المكتوب يدل على
الملفوظ والملفوظ يدل على ما في النفس وما في النفس يدل على ما في الخارج وهذا الوجود العيني
اذا فهمت هذا فاعلم ان الوجود متى اطلق وجب ان يراد به الوجود العيني لانه الاصل ولانه الثابت
للشيء بحسب ذاته ومتى قلنا نفي وجود الشيء على الاطلاق فالمراد به وجوده العيني نعم اذا قيد
صح كان يقال مثلا ان هذا الشيء ليس له وجود ذهني فيكون كلاما صحيحا وان كان كاذبا عند القائلين
بالوجود الذهني وقد علمت ان تعرض في نفس الخلف في الوجود الذهني واثبته الحكماء وجماعة
كثير من المتكلمين ونفوا اثباته وهو الصحيح دليله وانتفى سبيله وبيانه انا نجد ضرورة في انفسنا علما
بما لا وجود له في الخارج كالممتنع وسائر المعدومات وقد حصل في انفسنا حصولا علميا ولا نعني بالوجود
الذهني الا ذلك وهذا الامر ضروري ولهذا ذهب بعض ائمة النظار الى ان انكار الوجود الذهني انكار للعلم
الضروري وقد استدل عليه بادلة متقاربة في المعنى **منها** انا نحكم على ما لا تحقق له في الخارج الا
باحكام ثبوتية كقولنا اجتماع النقيضين مخالف لاجتماع الضدين واجتماع الضدين مستلزم لاجتماع
النقيضين الى غير ذلك والحكم الايجابي يقتضي ثبوت امر لآخر وكيف يثبت الشيء لما ليس ثابتا هو فلا
بد ان يكون للموضوع ثبوت واذ لا يكون في الخارج كما هو المفروض فهو في الذهن **ومنها** انه لو لم يعتبر
الموجود الذهني لما صدقت قضية حقيقية ابدا لان الحكم حينئذ يكون قاصرا على الافراد الخارجية ولا يتم

Copyright © King

المعدوم كيف وقد لا يكون للحقيقية فرد خارجي كما في قولنا كل عنقاء حيوان **قلت**
وإذا لم تتصور الحقيقية بعدم فردها الذهني لا المذكور في الدليل الأول والحدي **و**لهم على هذا المطلب
أدلة أخرى ترجع إلى ما ذكر خاصة هذين الوجهين ولا حاجة إلى التطويل بها **و**قد أورد صاحب المواقف
في الوجه الأول سؤالا **و**هو أنه يلزم أن يصدق قولنا المعدوم المطلق الذي لا وجود له أصلا لا ذهنا
ولا خارجا لا يعلم ولا يخبر عنه يعني لكون الإخبار عنه موقوفا على وجوده بأحد الوجودين لكنه مخبر
عنه بقولنا لا يخبر عنه فهذا تناقض **وأجاب** بأن حاصله سالبة فإن معناه أنه ليس
في المعدوم المطلق ما يعلم أو يخبر عنه لا بمعنى أن ثم أمرا يصدق عليه في نفس الأمر أنه معدوم مطلق ويصدق أنه
لا يعلم ولا يخبر عنه وإذا كان سالبة فالسالبة لا تقتضي وجود الموضوع بخلاف الموجبة **قلت**
وفي هذا الجواب نظر لأن ظاهره أن السالبة لا تستدعي تصور المحكوم عليه فيصح الحكم السلبي
على ما لم يتصور ولم يشعر به أصلا وهذا أمر تشهد البديهة ببطلانه واقتضاء وجود الموضوع الذي
اختصت به الموجبة عن السالبة إنما هو بحسب الوجود العيني دون الذهني ولا يتوقف
الحكم على الشعور بالمحكوم عليه أمر ضروري **و**قد مر ثم شاع القول بأن الحكم على الشيء فرع تصوره من
غير تفريق في هذا بين الحكم الإيجابي والسلبي **و**إذا علم هذا فإن كان يكون المعدوم المطلق
المحكوم عليه بأنه لا يعلم ولا يخبر عنه مشعورا به متصورا وحصول الشيء تصورا هو معنى
وجوده ذهنا وحينئذ لا ينفع الجواب بأنه حكم سلبي **و**إنما الجواب هو أن المعدوم المطلق
موجود ذهنا بحسب مفهومه لأن عدم الوجود ذهنا هو من جملة المعقولات التي توجد ذهنا
بالضرورة لأنا قد تصورنا عدم الوجود ذهنا فذلك هو وجوده الذهني وقولنا فيه أنه ليس
بموجود ذهنا ولا خارجا إنما هو بحسب مصدوقاته إذ لا شك في أنه من الجائز أن يكون شيء معدوما لا وجود
له في الخارج ثم لم يحضر في أذهاننا أيضا فلم يكن له وجود ذهني لكونه لم يحضر في أذهاننا أمر
مبهم حاضر في أذهاننا فيعلم أن مفهوم العدم المطلق موجود في الذهن فيصح الحكم عليه
بقولنا لا يعلم ولا يخبر عنه وهذا الحكم واقع على مصدوقه الذي لم يحصل له وجود ذهني ولا خارجي
لا على هذا المفهوم الذهني العدم المطلق الذي تصورناه على ما هو القاعدة المعروفة في الحمل
أن الحكم واقع على ذات الموضوع لا على العنوان فافهم **واعترض** أيضا بعض المتكلمين من
المانعين الوجود الذهني كالإمام الرازي فقال لا نسلم أنا نتصور ما لا وجود له في الخارج

أصلا

Saud University

اي ان كل ما نتصوره فله وجود وان كان غائبا عنا الحس فان يكون قائما بنفسه كالمثل المعلقة التي
يقول بها بعض الحكماء زعما منهم ان لكل موجود شخصي في عالم المثال الحسي من معقول ومحسوس وكالمجردة
الافلاطونية فان افلاطون زعم انه لابد لكل طبيعة نوعية من شخص مجرد باق ازلي ابدي وقد
زعم ايضا ان صور معلومات الله قائمة بنفسها او بان يكون قائما بغيره كما يقول الحكماء بان صور
الكائنات مرتسمة في العقل الفعال ورد هذا القول وابطال الكلام في المعدومات ومعنى
قيامها بنفسها ضرورة واما ثانيا فلانه كذلك ان اريد بان ترتسم في العقل الفعال وجودها بهويتها
لزم ان يكون للمعدوم هوية وهو واضح البطلان وان كان المراد ارتسام صورها فيه بتعقله اياها
فهذا هو معنى الوجود الذهني المدعى لا هذا الاعتراف بان لتلك المعدومات صورا ترتسم في القوة
العاقلة سواء كانت تلك القوة هي التي لنا او لغيرها واحتج المنكرون للوجود الذهني
بامور وذلك ان الاساس الذي اثباته هو تعقل الاشياء وان ذلك فانما بحصولها في الذهن حصولا معنويا
كما هو الوجود الذهني فاقتصر المانعون على ابطال هذا التعقل بوجوه الاول لو كان
تصور الشيء مستلزما لحصوله في العقل لزم من تصور الحرارة والبرودة مثلا ان يكون الذهن حارا
باردا لان قيام الحرارة به يقتضي كونه حارا قطعا وكذا البرودة لان حصولهما بالحائط وراء الوجدان
ولانهما ضدان لا يجتمعان الثاني انه يلزم من تعقل الجبل العظيم بعنانه الكلي ان يحصل في الذهن
بعظمه بل السماوات والارض وغير ذلك وانه محال الثالث انه يلزم من تعقل المعدومات
وجودها في الخارج لانها حينئذ تكون موجودة في العقل الموجود في الخارج والموجود في الموجود
في الشيء موجود في ذلك الشيء كالماء يوجد في الكوز الموجود في البيت والجواب
ان هذا كله مبني على غلط وهو اعطاء الصورة حكم الهوية والمثال حكم الممثل وذلك من عدم فهم
الوجود الذهني والوقوف على محل النزاع فان وجود الشيء المناط هو وجوده العيني الذي
يترتب آثاره وتظهر افعاله واما وجوده الذهني فهو وجود مثالي وشبه مرآة وامثال الظل
الشجرة من الشجرة فالوجود الذهني بمنزلة الظل فان الذي يحصل في النفس لو تحقق خارجا لكان هو
الوجود العيني وكذا ظل الشجرة لو تجسم لكان هو تلك الشجرة وكما ان لوازم الشجرة ككونها تثمر
وتورق وتمانع بين ما بين الاجسام ونحو ذلك غير لوازم الظل فكذلك لوازم الهوية الخارجية
غير لوازم الصورة الذهنية فحرارة النار انما هي لهويتها الخارجية لا للصورة المعقولة في النفس

Copyright © King

ولو لزمته الحيرة في التعبير لان منها في العبارة وفي الكتابة ما يتعين للاشارة والخطاب وما احسن
قول القائل لو كان من قال نارا احرقته فمه لما تلفظ باسم النار مخلوق
وكذا علم الجبل مثلا انما هو لصورته لا لصورته وكذا ظاهرة الموجود في الموجود في الذهني انما هو اذا
استقر الوجود في الذهن بل يتحقق مثلا لو فرضنا ان ما هو المعدوم موجود في الذهن وجودا معقولا
غير متاصل والذهن موجود في الخارج بوجود متاصل وان سميتهما او بالتغاير وهذا كله واضح وقد
تحصل من هذا ان كل معقول له وجود ذهني سواء كان موجودا مع ذلك في الخارج ام لا وسواء كان
وجوده واجبا او جائزا او مستحيلا وقد علم ان الكلي له اقسام ستة لانه اما ان لا يوجد شيء من افراده
التي يعقلها بحسب التصور اصلا او لا يوجد منها الا واحد فقط او اكثر من ذلك فهذه ثلاثة اقسام وفي كل
قسم قسمان فالمجموع ستة من ضرب اثنين في ثلاثة **القسم الاول** من الثلاثة وهو الذي لا يوجد منه فرد
شيء اصلا اما ان يكون مستحيل الوجود او ممكنه الاول كالشريك لله تعالى فانه كلي يقبل بحسب
تصوره ان يكون في الخارج افراد كثيرة لكن دل الدليل على استحالة ان يوجد من هذه الافراد شيء الا
فهذا القسم يتوجه فيه النفي العام ولا يتصور فيه الاثبات ولا الاستثناء شيء منه بعد النفي فتقول
لا شريك لله تعالى ولا تقول لا شريك لله تعالى الا كذا اذ لا يوجد شيء من هذا الجنس فان قلت مثلا لا شريك
الا الاصنام والا الاملاك او الا الكواكب لانها معبودة مع الله تعالى كان هذا الاستثناء منقطعا غير
صحيح لان المراد بالشريك من يشارك الله تعالى في الالوهية بجميع اوصافها الجلالية والجمالية وهذه
المعبودات من دونه لا تشاركه تعالى في الالوهية لعدم وجود هذا المعنى لها فانها اجسام
محدثة تتصف بالكمالات ولا تتنزه عن النقائص وانما مشاركتها في امر عارض لها وهو العبودية
وهذا لا يوجب التماثل في الحقيقة كما ان الحوادث كلها تشاركت في الوجود ولم يوجب لها ذلك
مماثلة للبارئ تعالى لان هذا امر عارض وليس هو نفس الحقيقة مع انه لم يبلغ الوجود من وجه بين
المعبود بغير حق لو قيل لا شريك واريد مطلق من شارك في شيء ما لصح الاستثناء وليس من هذا
القسم بل هو من قسم ما وجد له افراد كثيرة كما سياتي بعد **الثاني** كجبل من ياقوت وبحر من
زئبق فانه ايضا كلي ولم يوجد منه شيء مع جواز وجوده وهذا يتوجه فيه النفي العام كالاول
لا من جهة الاستحالة ومن جهة هذا الامكان ولا يصح استثناء هذا ايضا اذ لا شيء يستثنى
القسم الثاني وهو الذي وجد منه فرد واحد فقط اما ان يمتنع وجود غيره **الاول** كالشمس

وانه

بأنه كوكب نهاري وإذا أخذ الكوكب النهاري هكذا مقطع النظر عن الخارج وجد كليا يقبل أن يوجد منه
أفراد في الخارج كل منها كوكب نهاري ولكنه اتفق أن لم يوجد منه شيء مع جواز وجود أفراد وأكثر
وهو الشمس المعهودة فهذا أيضا يتوجه فيه النفي العام مع الاستثناء لذلك الفرد الموجود وإلا
لم يصدق النفي على عمومه فتقول لا كوكب نهاري إلا الشمس ولا يكذب هذا النفي بالهلال يرى أحيانا بالنهار
أو بنجوم تبدو بالنهار بسبب ظلمة العجاج أو غيره كيوم حليمة لأن شيئا من ذلك ليس هو الكوكب النهاري
المعهود عند الإطلاق ولا يشارك الشمس في معناها وإن شاركها في اسم بعض وهو بعض الأشياء وعم بين
الاشتراك الأمر **الثاني** كلا إله إلا الله إذا عنيت به مفهوم المعبود بالحق وهذا المستحق كان يعتبر هذا المفهوم
أيضا كليا لأنه إذا تصور مع قطع النظر عن الخارج والقاطع عن أدلة الوحدانية يقبل أن توجد منه أفراد
يصدق على كل منها أنه إله مستحق للعبادة فإن هذا المفهوم وحده لا يمنع الشركة ولا يستقل بأدلة
الوحدانية لو استقل بذلك لاستغنى بذلك عن أدلة الوحدانية لكن لم يوجد من هذا الكلي إلا فرد
واحد ولا يصح وجود غيره لقيام البراهين القاطعة على استحالة وجود غيره وهذا الفرد الموجود
منه هو الله تعالى خالق العالم جل وعز وتفرد في ملكه وهذا القسم أيضا يتوجه فيه النفي العام
مع استثناء الفرد الموجود وإلا لم يصح النفي **فتقول** لا إله إلا الله أي لا معبود بحق أي لا مستحق
للعبادة إلا الله تعالى وهو كالقسم قبله إلا أن ذلك أيضا جهته إمكان وهذا جهته الضرورة ولا
ينتقض هذا النفي أيضا بالأصنام والأوثان والشمس والقمر المعبودة عند عباد هذه الكفرة لأن المراد بالإله
هو المعبود بالحق ولا شيء مما عبد من دون الله تعالى بمعبود بحق بل كلها معبودة بالباطل إذ هي
كلها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئا والمعبود بالحق إنما هو الله تعالى وحده فلا إله إلا هو تبارك
الله رب العالمين **القسم الثالث** وهو ما له أفراد موجودة إما أن تكون أفراده متناهية أم لا
ولا يتوجه النفي في مثل هذين القسمين لكذبه بوجود الأفراد إلا على نية نفي الكمال
وشبهه فيأتي بعد إن شاء الله تعالى **الفصل الرابع** إذا دخلت لا على اسم جنس
نفي بها النفي كل ما يشاركه في ذلك الاسم لا غير سواء كان يحمل عليه حمل مواطأة أو حمل اشتقاق
فالأول أي حمل المواطأة إما حمل جنس نحو لا حيوان أو فصل نحو لا ناطق أو ما يلحق به حمل النوع نحو
لا إنسان أو حمل الصنف نحو لا رجل ولا تحسب أن الجامع في هذه الأمثلة وقع بلا تكرير في هذه الأمثلة
موضوعا لأمر شأنه أن يحمل على أفراده حمل مواطأة ولا تكرر من الفعلين فإذا قلنا مثلا لا رجل

يعني في قول النابغة يصف
السيوف: تخيرن من أزمان
يوم حليمة • إلى اليوم قد جربن
كل التجارب

في الدار وكان هذا النفي صدقا علم انه لا وجود لشخص من افراد الرجال في الدار لا لزيد ولا لعمرو ولا لغيرهما
لان زيدا مثلا وان كان علما شخصيا ولكن هو الرجل لان رجلا نكرة والعلم والنكرة متلازمان لا يصدق
عليه رجل ويحمل عليه فيقول زيد رجل فهو حينئذ من افراد الرجل المنفي نفيا موجب انتفاؤه وكذا غيره
من افراد التي يصدق عليها رجل ولا يقتضي وجود المرأة في الدار لانها ليست من هذا الصنف كما لا يقتضي
وجود حمار او ثور او غنم ولهذا لا يصح الاستثناء ويكون متصلا الا اذا استثني شيء من
افراد الرجال بان يقال لا رجل الا زيد ولو استثنيت امرأة او حمارا كان منقطعا ولو في العموم شخصا في الدار
ثم قلت مشيرا الى بعض افراد الرجال هذا رجل لانا نرجع الى قولنا اخبرنا انه لا رجل في الدار فان وجدناه كاذبا فصرفنا
لان في ذكرنا نفي الرجولية لذلك الشخص وعلمنا انه ليس رجلا اذ لو كان رجلا لكان قول القائل
لا رجل كاذبا لما ذكرنا لان نقيض الكلية السالبة موجبة جزئية لا يجمع معه لا يكذب وعلمنا ان ذلك الشخص
لو فتشنا لوجدناه اخر يثبت بدون الرجال او غيره ذلك من الاجسام ولا نقول في هذا الشخص انه نفيت
عنه الرجولية بدلالة لا رجل لان الرجل هو المنفي لا الرجولية الا لو قيل لا رجولية في الدار ليكون
نفيا للرجولية عن الاشخاص الموجودة هنالك نعم يلزم من نفي الرجل نفي الرجولية قطعا
بالضرورة فانه لو كان لشيء هنالك رجولية لكان رجلا ولو كان رجلا لبطل قولنا لا رجل وكذا يلزم بطلان
كونه رجلا كذلك وهو واضح واما الثاني فهو حمل الاوصاف العارضة اما خاصة نحو ضاحكا او عرض
عام نحو ماشيا فمعنى ان هذا ايضا يكون خاصة عند اعتبار الحيوان في الرتبة فاذا قيل لا ضاحك في
الدار انتفى به ان يوجد الضحك بالقوة جميع افراد الانسان لانهم كلهم يصدق عليهم ضاحك وان كان
خارجا عنهم عارضا لهم واما نحو لا عالم فان اريد به نفي افراد العلم فهو من القسم الاول لانه حمل مواطاة
وان اريد نفي افراد العلماء فهو حمل اشتقاق وهو من هذا القسم وكذا قولنا لا اله فهو من هذا القسم
لان الاله بمعنى المألوه كما سيأتي فهو مشتق وان لم يعتبر هذا الاشتقاق فهو من قسم لا رجل وعلى
كل حال فينتفي به كل جزئي من افراد الاله التي تقدر في الذهن في الواحد المستثنى ويقال في الصنم مثل
ما قرر في المرأة في المثال السابق فيقال الصنم لا يكون الها اذ لو كان الها لانتقض قولنا لا اله
ولا نقول ايضا انتفت الالوهية عن الصنم بقولنا لا اله بطريق المطابقة لان المنفي هو الاله لا الالوهية
الا لو قيل لا الوهية لغير الله تعالى ليكون نفيا للالوهية عن الصنم وشبهه نعم يعلم ايضا من نفي
الاله نفي الالوهية بطريق الضرورة لانه لو كان لشيء غير الله الوهية لكان ذلك الشيء الها ولو كان

الها

Saud University

لا هالا انتفى قولنا لا اله الا الله فان قلت ممنوع انتفاء الالوهية من انتفاء الاله والرجولية
من انتفاء الرجل لان كلا من الالوهية والرجولية جزء من مفهوم الاله والرجل وقد علم في القواعد المقررة
ان انتفاء الكل لا يقتضي انتفاء الجزء لكن الجزء اعم من الكل ولا يجب انتفاء الاعم عند انتفاء الاخص بل
الامر بالعكس قلنا الا ان جزء المركب على انحاء بعضها اعم كالجنس وبعضها اخص كالفصل
وما اعم منهما لا يلزم انتفاؤه عند انتفاء المركب كما عرفت واما الاخص فمعلوم ضرورة انه مساو للمركب
لا محالة وانتفاء احد المتساويين يوجب انتفاء الاخر قطعا وما نحن فيه كذلك الا ترى ان مفهوم الاله
مثلا موجود له الالوهية او شيء له الالوهية فالاتصاف بالالوهية جزء اخص الذي هو بمقام
الفصل ومتى انتفت الحقيقة انتفى فصلها قطعا فمتى انتفى الاله انتفت الالوهية ولا يلزم انتفاء
الجزء الاخر الذي هو الوجودية او الشيئية الا ترى انه توجد الموجودات ولا توجد الالوهية وكذا
الرجل معناه شخص له الرجولية فهي اخص وانتفاء الرجل يوجب انتفاءها وهذا واضح واعلم .
انه كما انا اذا قلنا لا عالم في البلد انه ينتفي العلم عن كل شخص وجد هنالك بخلاف النفي اذ لو وجد
لاحدهم علم لكان عالما كذلك اذا قلنا لا علم فانه يلزم ان لا يكون هناك عالم اصلا اذ لو كان هنالك
عالم لكان عنده علم والا لم يكن عالما لان العلم قد نفي على العموم وبهذا تعلم انه متى قلنا لا اله
الا الله نعلم انه لا الوهية لغيره تعالى ولو قلنا ايضا لا الوهية لغيره تعالى لعلمنا انه لا اله غيره
جل امره وتقدس زمان ابدا وازلا والحمد لله وحده

البحث الخامس

ربما سمع العامي قول الائمة قد نفي كذا عن كذا وهذه الكلمة تقتضي نفي كذا وهذا نفي لكذا
فتوهم من ذلك ان النفي عبارة عن اعدام شيء كان او انشاء امر او احداث انتفاء لشيء او تغيير
انقلاب لامر كما يعدم الموجود بالفاعل وكما يسلب الغاصب لباسه بالتدبير وكما يزال الملك عن مالكه
بالحكم وهذا كله وهم قبيح وغلط صريح وانما النفي خبر محض عن الشيء انه لم يكن وانه اسلبت الشيء
كقولك مثلا لا رجل في الدار فليس معنى سلبيته انتفى ولا انك ازلت منه من الدار بل انما اخبرت بهذا
الكلام اعني قولك لا رجل في الدار بعد علمك انه لم يكن ثم رجل اصلا ان كان خبرك عن علم بذلك والا فهو لو
خبرك هو انه لم يكن لان هذا هو شان الخبر ان نسبته خارجية حاصلة بدون الكلام والاخبار بالكلام
دالا عليها وكذا اذا قلنا ان الكلمة المشرفة نفينا بها الالوهية عن الاصنام والاوثان او نفي بها
كون الاصنام الهة فليس المعنى ان هنالك الوهية مستحقة للاصنام حتى نزل الوحي

Copyright © King

وجاءت كلمة التوحيد بالعموم تلك الالوهية هذا ابطال بان الالوهية لو ثبتت لشيء لم تنفك عنه
ولم تنعدم عنه ابدا اذ لا يكون وجودها الا واجبا او الواجب لا يزول وانما المعنى ان الوحي وقع
به الاخبار بان ليس شيء الوهية بوجه من تلك الاصنام والاوثان وغيرها وانما الالوهية لله الواحد
القهار وبالجملة فالخبر انما يعبر بسلب الكل او ايجابا او وقوعه في الحكم او لا وقوعه في الزمن ولا يعتبر ذلك
في الخارج بل انما الخبر من اعلام بشيء كان او يكون او بشيء لم يكن او لا يكون فان كان ما في الخارج مطابقا
لدلالته فصدق والا فكذب فمنشأ الخبر ان لم يوثر في النسبة كما قررنا فهو يوثر تاثيرا اخر وذلك
في اعتقاد السامع فكل من سمع خبرا فانه لا بد ان يتغير به اعتقاده الاول اذا كان عدم شيء لم يكن او بعد
او ضعف منه ان اعتقد ان لا يكون فان رجلا سمع قائلا يقول لا رجل في الدار بعد ان اعتقده وهذا الكلام
فلا بد ان يتغير اعتقاده فينعدم من قلبه اعتقاد وجود الرجل في الدار بقول القائل لا رجل في الدار
لم يعد عدم وجود الرجل افادة تاثير بل افادة دلالة ولكن افاد عدم اعتقاد وجود الرجل وليست
هذه الدلالة والافادة وضعية للكلام وانما هي من الامور التي تكون عنده ويكون السبب فيها سماعه
واعتقاد صحته وهكذا في كل خبر فيقال كذلك في الكلمة المشرفة انها لا تعدم الالوهية عن غير الله تعالى
اذ لا الوهية لغير الله تعالى حتى ينسب لها اعدام وانما تعدم اعتقاد ذلك من قلوب المصدقين بها
فيصيرون الى التوحيد وينسلخون عن الشرك ويتصفون بالايمان والمعرفة فالكلمة المشرفة مع كونها
خبرا محضا دالة على الوحدانية وان لا شريك ولا نظير ولا مثيل لله تعالى فهي مزيلة للاعتقادات الفاسدة
غاسلة للقلوب من ادران العيوب وفي هذا المعنى قال بعض المشايخ الاقدمين رضي الله عنه ان الحق
سبحانه منزه في ازليته وابديته عن الشريك والشبيه والضد والند وانما جاءت كلمة لا اله
مكنسة تكنس غبار الاغيار عن وجوه الاسرار ليصح ان تكون عرشا ليتجلى الله تعالى عليه وهنالك النظر
الى الحواليه وفي الاخبار قال يا داود طهر لي بيتا اسكنه لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني
قلب عبدي المومن التقي وحكى القشيري عن الشيخ ابي علي الدقاق انه قال لا اله لا اله لا اله استصفاء
ومدار على التكرارات لكي اذا قال العبد لا اله صفا قلبه وحضر سره ليكون ورود قوله الله الله على قلب
منقى وسر مصفى وحكى عن بعض المشايخ انه قيل له لم تقول الله الله ولا تقول لا اله الا الله
فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب وسياتي ان شاء الله تعالى الالمام بهذا الغرض الفصل
السادس تعرضت للاشارة الى ان اسم الجنس المنفي في نحو لا رجل في الدار انما تسلط

النفي

النفي ما لم يكن هنالك جنس فيتكرر فيكون هو المنفي نحو لا رجل ولا امرأة **فاعلم** ان الخبر بعد لا
يجوز حذفه في لغة اهل الحجاز ويجب في لغة تميم وطيء وهذا اذا علم بان يكون مثلا كونا عاما محذوفا في
الجواب ان النفي يكون به مغيرا اذا قيل هل من رجل عالم او هل في البلد عالم او هل في الدار رجل فيقال لا عالم او لا رجل اما لو قيل
ابتداء من غير سابق كلام ولا احد يعين شيئا لا رجل موجود غير محمول الخ لا يحصل منه مراد ويكون الكل خبر الا دليل
عليه لا بد من ذكره **نحو قول الشاعر**

ورد جازرهم حرفا مصرمة ... ولا كريم من الولدان مصبوح

مصبوح هو الخبر المنفي وزعم ابن الطراوة انه يجوز ان يكون صفة لكريم على المحل والخبر محذوف اي لا
كريم مصبوح في الوجود وقرر عليه ذلك اثير الدين ابو حيان ولا اشتغال بالبحث في ذلك ليس من
غرضنا وقال ابن مالك في شرح التسهيل واكثر ما يحذفه الحجازيون مع الا نحو لا اله الا الله قال
ومن حذفه دون الا قوله تعالى قالوا لا ضير وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قلت ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ولا عدوى ولا طيرة انتهى ثم ان نفي الجنس قد يكون حقيقيا وذلك
حيث يكون المنفي لا وجود له اصلا نحو لا شريك مع الله تعالى ونحو لا رجل في الدار اذا لم يكن فيها رجل اصلا
وقد يكون حكميا وذلك اذا كان المنفي موجودا ولكنه نزل منزلة المعدوم والمنتفي لعدم عنايته
او نقصان كماله اما في جميع الاوصاف او في بعضها وكما يجوز تعميم النفي بلا استثناء ومع الاستثناء
احيانا في القسم الاول كذلك في الثاني فتقول لا رجل في البلد كذا بمعنى ان ليس ثم رجل كامل الا فلان وجد
الرجال موجودهم كالعدم وتقول لا رجل في البلد الا زيد الذي يكمل الا هو وبهذا تعلم ان لا مانع
من صدق عموم النفي مع وجود المنفي او بعضه لا في القسم الاول اعني الحقيقي فانه لا يمكن صدق ان
نفيا عاما في كلام صادق ثم وجد في الخارج شيء مما يظن انه من جنس المنفي فلا بد ان يخرج على احد
اوجه ثلاثة **الاول** ان يكون الموجود ليس من جنس المنفي وانما التبس به نوع التباس فظن من
ظنه كذلك غلطا وهذا كالاصنام التي ظنها المشركون الهة غلطا فبعد ورود نفي لا اله نفيا
عاما لغير الواحد القهار خالق العالم جل وعلا فالنفي لغير الله تعالى صحيح وكفر المشركين باطل
الوجه الثاني ان يكون النفي انما توجه الى الكمال لا الى مطلق الوجود كما قررناه انفا ومنه
لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي **الوجه الثالث** ان يكون الكلام خرج مخرج الانشاء لا الخبر
المحض فلا يرد به النقض عن اثبات ما تسلطت اداة النفي عليه وحينئذ لا اشكال في صحة وجوده

Copyright © King

اذ لم يقع الاخبار عن عدمه بل النفي عن قربانه وقد ورد من الفاظ الشارع صلى الله عليه وسلم ما يحتمل
هذه الاوجه نحو قوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي ولا نكاح بغير ولي لا شك في وجوده حسا
فيقوى احتمال ان يكون النفي حقيقيا اي لا توجد حقيقة النكاح ان لم يكن الولي اي الاجزاء الحقيقة
الشرعية لا اللغوية وهذا احتج عندهم بقول ان لا نكاح الا بولي وهم الجمهور من المالكية والشافعية
وغيرهم ممن يقول بذلك ويحتمل نفي الكمال اي لا نكاح كامل الا بولي وهذا احتج عند من يصححه بغير
ولي كالحنفية ويحتمل الانشاء اي لا تنكحوا الا بولي وهذا يقتضي ما يقتضيه الوجه الاول لان الاصل
في النهي اقتضاء الفساد وامثلة ما ينظر ومن هذه الاعتبارات في الكلمة المشرفة فستلم به بعد
ان شاء الله وما ذكرناه هنا تنبيه على ذلك **الفصل السابع** فاعدة
الاستثناء الحكم على ما بعد الا الاداة بنقيض ما حكم قبلها فالاستثناء يقتضي النفي للمستثنى والاستثناء
من النفي يقتضي الاثبات للمستثنى فمتى قلنا خرج القوم الا زيدا علمنا ان زيدا لم يخرج ومتى قلنا
ما خرج احد الا زيد علمنا ان زيدا قد خرج وخالف الحنفية في الامرين وقيل في الاخير فجعلوا المستثنى
مسكوتا عنه ومبنى الاعتبار على ان الاستثناء بحسب المحكوم به او الحكم فاذا قلنا الاول فللمستثنى
حكم النقيض لان المخرج من المثبت منفي ومن المنفي مثبت وان قلنا الثاني فالمسكوت لان نقيض الحكم
هو عدم الحكم لا الحكم بعدم ولا غيره وهذا في الاستثناء التام فان كان مفرغا فلا بعد عن
الاتفاق واولى بان يتفق فيه مخالفا للجمهور لان المستثنى فيه ركن في الكلام فكيف يكون مسكوتا
عنه ولذا لا يقدر الا متصلا **واحتج** الجمهور بوجهين **الاول** النقل عن ائمة اللغة **الثاني**
انه لو كان المستثنى مسكوتا عنه لما افادت لا اله الا الله التوحيد لانا اذا قلنا لا عالم الا زيد فزيد
عند ابي حنيفة مسكوت عنه لم يثبت له العلم فكذا المستثنى في الكلمة المشرفة وهو الله تعالى
يلزم على هذا المذهب ان يكون لم تثبت له الالوهية بل هو مسكوت عنه لا يدرى امره وهذا باطل
بالاجماع **واجابوا** عن الثاني بان الكلمة المشرفة انما دلت على ذلك بالعرف الشرعي **اقول**
ان الرد والتسليم مشاهد وعلى صحة ما يقول الجمهور فانك اذا قلت جاء القوم الا زيدا فالسابق
الى الفكرة ان زيدا والقوم متقابلان وان له حكما خالف حكمهم ولا يكفي فيما يفهم من ذلك مجرد التقابل
بكونه مسكوتا عنه لان المسكوت عنه اعم من المحكوم عليه بحسب نفس الامر ولا تقابل بين عام
وخاص ولذا قررنا ان الاستثناء اذا اراد وان ينطبق على قسميه المتصل والمنفصل بانه المخالفة

بالا

Saud University

بلا او احرى اخراجه وبالجملة فالسكوت الذي هو عدم الحكم لا ينكر بالبال الا لا الوضوح بالحكم بان يقال
مثلا حكمت على القوم بالقيام الا زيدا **الفصل الثامن** البعض فيدل على
جزء من زيد وقد يدل على كلي ثم هو اما ان يدل منه العدد الواحد من ذلك الكلي او اكثر والاول اما مع تعيين
العدد بعدد او غيره او بلا تعيين والثاني اما ان يراد به شيء معين ايضا او لا والثاني اما ان يراد بعضه
لا مستغرقا او جميع الافراد حتى لا يبقى منها شيء او لا اما الاقسام كلها سوى هذا الاخير فالدلالة
كلها واضحة وكذا الحكم الواقع بحسبها واما القسم الاخير وهو ان يراد باللفظ الصالح لاستغراق
الافراد بعضها دون بعض فينقسم قسمين **احدهما** ان يكون اللفظ قد جعل دالا على البعض المراد ○
بالحكم مقصورا عليه غير دال على ما سواه الا مجازا ايضا واضح وليس فيه الا التجوز لان اللفظ كان
موضوعا للدلالة على الجميع ثم نقل عن ذلك الى الدلالة على البعض بعلاقة شيء من العلائق كشيئا والكلام
او العرف او العقل او نحو ذلك وهذا القسم هو الذي يعبر عنه في اصطلاح اهل الاصول بالعام الذي
اريد به الخصوص وهو محل المجاز التي تذكر في الصفة **القسم الثاني** ان يجعل اللفظ متناولا
للجميع في دلالته نظرا الى وضعه لذلك ولكن يخرج البعض عن الحكم فلا يتناوله الحكم وان تناوله اللفظ
وهذا هو محل الاستثناء وموقع الاشكال اذ انه يوهم التناقض فانك اذا قلت خرج القوم الا زيدا
فزيد يقال انه اما ان يكون من القوم او لا فان لم يكن منهم لم يصح الاستثناء لاتفاق علماء اللسان العربي
على ان الاستثناء هو الاخراج ولا معنى لاخراج ما لم يدخل وان كان منهم فيقتضي الاسناد الاول انه اتصف
بالخروج ثم الاستثناء يقتضي انه لم يتصف به وهذا تناقض ويلزم ان يكون الاستثناء محالا ويكون
الكلام الواقع هو فيه بالكاذب وقد وقع في كلام الله تعالى وفي كلام رسوله صلى الله عليه وسلم
وهلم جرا من غير نكير فلا بد من تصحيحه على وجه يندفع به هذا التدافع ويسقط التساقط
واختلفوا في تقرير ذلك فمذهب الجمهور انك اذا قلت مثلا علي عشرة الا ثلاثة فالمراد بالعشرة
بعضها وهو السبعة اطلاقا للكل على الجزء غير انه لما كان هذا من المجاز جاء المتكلم بقوله الا ثلاثة
ليكون قرينة على ذلك وصار هذا بمنزلة التخصيص بمخصص منفصل كما يقال مثلا في نحو اقتلوا المشركين
ان المراد بعضهم وهو الحربيون بدليل يخرج اهل الذمة وحينئذ لا تناقض لان الثلاثة الخارجة من العشرة
لم يقع الاسناد بحسبها اصلا فلم تثبت لا الواردة بالعشرة جميع افرادها وليس مرادا وذهب القاضي
ابو بكر الباقلاني الى ان مجموع قولك عشرة الا ثلاثة هو اسم واقع على السبعة وكان العدد المخصوص

Copyright © King

الذي يسمى بالسبعة وضع له اسمان احدهما بسيط وهو لفظ السبعة والاخر مركب وهو لفظ عشرة الا ثلاثة وحينئذ لا تناقض ايضا اذ ليس هنا اثبات ونفي وانما هو اخبار بالسبعة معبرا عنها باللفظ المركب الدال عليه و ذهب اخرون الى ان المراد بالعشرة في نحو هذا المثال هو العشرة باعتبار افرادها كلها ولكن لم يقع الاسناد اليها حتى اخرجت منها ثلاثة فاسند الى السبعة الباقية فالاسناد وان كان وقع قبل الاخراج لفظا متاخر في المعنى وكانه قال له علي عشرة قد اخرج منها ثلاثة فعلى هذا يعبر بالعشرة على الاطلاق بل بعشرة موصوفة بانها اخرج منها ثلاثة فحاصله الاعتراف بالسبعة ولا تناقض وهذا هو مختار المتاخرين و انما العشرة الاقوال الثلاثة ان الاستغراق في بيان الاحتمالات اربعة الاول ان يراد العشرة كلها دالة والاسناد ثم يستثنى وهذا هو التناقض المحض ومنه فلا يصح ان يراد الثاني ان يراد اطلاق ان يراد العشرة من غير ان يقع الاسناد اليها وهو المذهب الثالث ان يراد انتصاف المتاخر ورواية ان يراد العشرة باعتبار ان يكون قد تجوز بها عن السبعة وهو المذهب الاول او الحلول المجموع على السبعة وهو مذهب القاضي و تمسك ابن الحاجب في ابطال مذهب الجمهور باوجه الاول انك تقول اشتريت الجارية الا نصفها فلو اريد بالجارية البعض وهو نصفها على ما قرر في ان المراد بالعشرة السبعة لكان قد استثنى النصف من النصف وهو باطل لانه ممتنع و الثاني انه لو اريد نصفها لزم التسلسل لان المراد بالنصف المستثنى منه حينئذ نصفه وهو الربع ثم يراد ايضا نصفه وهو الربع ثم يراد ايضا نصفه الى غير النهاية وهكذا الثالث انا نعلم ان الضمير في هذا المثال عائد الى الجارية قطعا لا الى نصفها الرابع ان هذا يبطل النصوص كلها اذ ما من لفظ الا ويمكن الاستثناء لبعض مدلوله فيكون المراد هو الباقي فلا يكون نصا في الكل ونحن نعلم ان نحو عشرة نص في مدلوله الخامس اجماع اهل العربية على ان الاستثناء المتصل اخراج بعض من كل ولو اريد هنا بالجارية بعضها وهو النصف لم يكن من كل ولا بعض ولا اخراج قلت وهذا الاخير امثلها ان سلم ان ما اجمعوا عليه مروي على ظاهره اما الاوجه الاخر فلا يخفى ضعفها اما الاول والثاني فلانهما مبنيان على ان الاستثناء اخراج ولا يسلمه الخصوم فانهم اذا قالوا ان المراد بالعشرة السبعة لا يثبتون هناك اخراجا اصلا بل الثلاثة لا تخرج من السبعة قطعا والعشرة كلها ليست مرادة وحينئذ فيقولون المراد بالجارية نصفها ولا يلزم فيه استثناء النصف من النصف ولا التسلسل المذكور اذ لا استثناء اصلا الا في العبارة غاية ما فيه التجوز بالكل ولفظ الجارية على بعضها

وهو

العشرة دالة بالاسناد ثلث الا ان المراد الخ

وهو ملتزم والقرينة قوله الا نصفها وأما الثالث فلأن الضمير يعود فيه هو عائد على لفظ الجارية
لانه موضوع للمجموع او واقع ان المجموع مذكور بعد الكلام ايضا على كل حال لانه عين المراد وكأنه قيل
اشتريت النصف من الجارية ولم اشتر النصف الآخر منها وأما الرابع فلأن امكان الاستثناء شيء لا ينافي
في النصوصية اذ لا يلتفت الى ذلك الممكن ما لم تنتصب عليه القرينة وليس هذا من الالفاظ المعتادة
التجوز بها حتى تكون ظاهرة في حقيقتها والله اعلم وتمسك ايضا في ابطال قول القاضي باوجه
احدها انه يلزم عليه ان يكون اسم مركبا من ثلاث كلمات من غير اضافة ولا نظير لذلك من كلام العرب باجماع
الثاني انه لو قال مثلا اشتريت الجارية الا نصفها لكان قولنا الجارية الا نصفها اسما واحدا على ما
صار اليه وحينئذ فضمير المؤنث العائد على الجارية يكون قد عاد على جزء من الاسم لان الجارية جزء من ذلك
المركب وجزء الاسم ليس باسم فلا يعود عليه الضمير الثالث ما مر من اجماع اهل العربية ان الاستثناء
اخراج بعض من كل الى آخره قلت وهذا اقواها ايضا اما الاول فلازم له ان قال هو اسم
مركب على ظاهر عبارته وان اراد انه يعبر به عن ذلك المعنى وكأنه اسم واحد فلا وعند ذلك فلا يرد عليه عود
الضمير على جزء الاسم بما لا يخفى على انه لو كان مركبا لا يرد هذا ايضا لانه يقال لان الضمير عائد على الجارية
قبل اعتبار التركيب ثم تركب بعد التركيب على حاله ثم رايت بعض الائمة اجاب بقريب من هذا وهو انه قال
انما يمتنع عود الضمير على بعض الاسم اذا لم يكن جزء الاسم اما اذا كان الضمير بنفسه جزء الاسم عائدا
على جزء آخر من ذلك الاسم فلا كما لو سميت رجلا زيد ابوه قائم انتهى وتأويل جوابه هو ما قررناه لحسن
وهو ظاهر وعلى هذه الاعتبارات يعتبر كون الاستثناء تخصيصا او لا فعلى مذهب القاضي ليس
بتخصيص اصلا وعلى مذهب الجمهور تخصيص وعلى المذهب الآخر ذو اعتبارين فهو باعتبار الحكم
وانه للبعض تخصيص وباعتبار الاطلاق وانه للجميع قبل اعتبار الحكم ليس بتخصيص واعلم
انما ذكرناه في هذا وفي التقسيم الذي مر انما هو على ما اشتهر عند ائمة الاصول من الفرق بين العام
المخصوص والعام الذي اريد به الخصوص وان العام الذي اريد به الخصوص لم يدخل فيه المخرج في لفظ
العام ولا في حكمه والعام المخصوص قد دخل فيه المخرج في اللفظ دون الحكم ونقل بعضهم ان مذهب
سيبويه وجمهور البصريين ان المستثنى لم يندرج في الاسم المستثنى منه ولا في حكمه ومذهب
الكسائي لم يندرج في المستثنى منه وهو مسكوت عنه وهذا الثاني هو الذي تقدم نقله عن الحنفية
واعلم ان تحقيق هذه المسألة وغيرها من هذه المباحث مما يليق به وانما قصرنا الاشارة الى

Copyright © King

الفوائد بكرمه وجوده انه المرجو **الفصل التاسع** في تفسير المفردات الواقعة
في الكلمة المشرفة فان فهم المركب موقوف على فهم اجزائه **فاعلم** ان قولنا لا اله الا الله مشتمل على اربع
كلمات الكلمة الاولى لفظة **لا** وهي موضوعة للنفي وتقدم ان النفي هو السلب فهي تدخل على
الفعل وعلى الاسم فان دخلت على الفعل كانت لنفي الحدث المنسوب تقول والله لا خرج زيد وتقول بالله
لا نلت ما اعطانا ولا العنترا التي **و**ان دخلت على الاسم فان كان معرفة كانت لنفي صفته المنسوبة نحو لا زيد
عالم ولا متعلم **و**ان كان نكرة كانت لنفي صفته تارة نحو لا رجل من بني فلان فاضل ولنفي وجوده بنفسه
تارة اخرى نحو لا رجل في الدار وهذه هي الواقعة في الكلمة المشرفة لانها لنفي وجود ما دخلت عليه
غير الواحد المستثنى وهو الحق تعالى **و**ان شئت قلت في اول هذين التضمين ايضا انها لنفي الوجود اي نفي
وجود رجل موصوف بالفضل وهو التضمين وتقدم التنبيه عليه **و**هذا هو الاصل في لا وفي جميع ادوات
النفي ان تكون لنفي النسبة وربما عبر اهل عن ذلك بجعلها جزءا من المحكوم به او عليه **و**قد اعتبر
المنطقيون هذا وسموه عدولا اما في الموضوع او في المحمول او فيهما وقالوا انك اذا قلت زيد هو لا قائم
فالكلام ايجاب واثبات ولا سلب هنالك لان حرف لا صار من جملة المحمول وكانه قال زيد ثبت له عدم القيام
وكذا اذا قلنا لا حيوان جماد فكانك قلت غير الحيوان جماد او الذي ليس بحيوان جماد وصار السلب جزءا
من الموضوع وخرج في كلا التضمين عن سلب النسبة التي يراد بها **و**قد توسع اهل المنطق في هذا
المعنى فجعلوا لا في نحو هذا بمعنى غير ولذلك صارت مع مدخولها تحمل ويحمل عليها وتوغلوا في
ذلك حتى اعطوها من احكام غير اللفظية ان ادخلوا عليها اداة التعريف فيقولون اللاحيوان
جماد واللانسان واللانسان متقابلان ونحو ذلك مع ان دخول اداة التعريف على غير بنفسها ردي **و**قد يحتمل
ان يكونوا اعتبروا لا مع مدخولها كلمة واحدة تقبل التعريف والتنكير وهذا كله غير معتبر في لسان
العرب **اما** ادخال التعريف عليها فظاهر عدم جوازه **و**كذا جعلها جزءا من الموضوع لعدم ورود ذلك
واما ادخالها على المحمول فلا شك انه قد ورد في كلام العرب وتكرر حينئذ كقولك زيد لا كاتب
ولا شاعر والظاهر ان العرب لا يفهمون من نحو هذا التركيب الا النفي ولا يقصدون العدم وحينئذ تقدم في
السلب على الرابطة وتاخره عنها على ما يعتني به اهل المنطق **و**قد ترد في نحو هذا غير مكررة كما قال
الشاعر القرشي

او لا يك لا من تبغي من ديارها • بنو الاوس والنجار حين تعاخ

ويقدر

Saud University

ويغرر في نحو هذا الخبر وتكون لا عاطفة كانه قال اولئك في يثرب لا الانصار بدليل قوله فيها

اولئك قوم من لؤي بن غالب * اذا عرفت لا اصحاب كعب وعامر

وقد صار الكلام حينئذ اثباتا لما يعتبره المتكلمون في عدول المجهول لا من جهة كون السلب جزءا من
المجهول بل لكونه لم يتسلط على النسبة من حيث انها قد جعلت في التقديم في الاثبات به نعم وقع في كلام
العرب الاعتراض بلا بين الجار والمجرور كقولك جئت بلا زاد وغضبت من لا شيء وفي المشهور انه مع ذلك تكون
من خواصها مجرورا وهو عند غالب البصريين حرف الجر ولا انما هي زائدة بمعنى انها معترضة بين متلازمين
وان كان لها نفي المعنى بدونها وعند الكوفيين هو مجرور بها على الاضافة وانما اسم بمعنى غير وحرف الجر
دخل عليها بنفسها وهذا المعنى هو الملحوظ في العدول عند اهل المنطق وقد جاء في بعضهم ما هو من كون
لا قد تكون جزءا من الموضوع او من المحمول قال هذا هو التحقيق لا ما يعطيه كلام بعضهم من ان لا لنفي
النسبة في جميع مواقعها ثم قال هذا وقد نص سيبويه على ان قول القائل لا رجل في الدار ان لا رجل منه
في محل رفع بالابتداء وفي الدار خبر عنه فمجموع لا رجل هو المسند اليه فلو كانت لا لرفع النسبة
لكانت هي النسبة الكائنة بين المسند والمسند اليه فيكون المسند اليه هو رجل وقد نص على خلافه
والمسألة مسألة خلاف انتهى قلت والى هذا التحقيق والتحرير ذهب تلميذه الذاكري
الحامدي وهذا القائل جاء بكلامه هذا في تفسير لا الواقعة في الكلمة المشرفة وكلامه على انه صحيح
في كون لا فيها وفي نظائرها جزءا من الموضوع غير نافية للنسبة اصلا وهذا الذي فهمه من كلام سيبويه
وقع نحوه لابن هشام الانصاري في حواشيه على التسهيل على ما نقل عنه الشمني في حواشي المغني
قال بعد ذكر المسألة ما نصه والذي عندي ان سيبويه يرى في لا رجل ان كلمة لا لا عمل لها الا في الاسم ولا
في الخبر لانها صارت جزء كلمة ولهذا جعل النصب في لا رجل ظريفا كالرفع في يا زيد الفاضل لا على محل الاسم
بعد لا انتهى والذي فهمه النحويون عن سيبويه انها هي ان لا لما ركبت مع الاسم ضعفت عن ان تعمل في
الخبر قال ابن مالك في شرح التسهيل ما معناه هذا القول ما نصه لا شبهها بان ضعفها حين ركبت
وصارت كجزء كلمة وجزء الكلمة لا يعمل فمقتضى هذا ان يبطل عملها في الاسم والخبر لكن عملها ابقي
في الاسم لانه معمول لها وجعلت هي ومعمولها بمنزلة مبتدا والخبر بعدها على ما كان عليه مع التجرد
انتهى وقال الرضي في شرح الكافية ما نصه وارتفاع خبرها بها ان لم يكن اسمها مبنيا عند جميع
النحاة وان كان اسمها مبنيا نحو لا رجل ظريفا فقال سيبويه ارتفاعه بكونه خبر المبتدا ولا رجل

صح ... ذاك المجرور ...

مرفوع المحل بالابتداء وذلك لانه لما صار الاسم المذكور مع لا بمنزلتهما مبنيا وصار دخولها عليه بسبب
بنائه معها فيه شبها استنكروا ان يكون الخبر المنصوب فيها يستحق بسببها اعرابا فبقي على اصله من الرفع
بالابتداء وهو عند غيره مرفوع بلا كما كان اسمها المنصوب بها انتهى وذهب الاخفش ومن تبعه
من النحويين الى ان خبرها مرفوع بها مع البناء كما هو مرفوع بها في غير ذلك وهذا المذهب هو الذي صححه
ابن مالك قال في التسهيل ورفع الخبر ان لم يركب الاسم مع لا بها عند الجميع وكذا مع التركيب
على الاصح وقال في الشرح بعد ذكر مذهب سيبويه ما نصه وغير ما ذهب اليه سيبويه اولى لان
كل ما استحقت لا به العمل من المناسبات السابق ذكرها باق وعليه ما ثبت بسببه ولا يمنع التركيب كما لم
يمنع ان ضرب وزنا بالفعل مع معموليها كشيء واحد ولو كان جعل لا مع اسمها كشيء واحد مانعها من
العمل في الخبر لمنعها من العمل في الاسم فلا يمنع عملها في الخبر وايضا فان عمل لا في الخبر اولى من عملها
في الاسم لان تاثيرها في معناه اشد من تاثيرها في معنى الاسم والاعراب انما جيء به في الاصل للدلالة
على المعنى الحادث بالعامل وانما لم يكن خلاف في ارتفاع الخبر بلا غير المركبة لان مانع التركيب هو كون الاسم
مضافا او شبيها به وكلاهما صالح للابتداء به مجردا عن لا فان الاسم ان صلح للابتداء به مجردا عن لا
وليس كذلك مع عدم التركيب فان نحو لا رجل فيها مراد به لا يصلح للابتداء به لانه نكرة لا مسوغ معها فاذا اقترنت
بلا كانت بمنزلة نكرة ابتدي بها لاعتمادها على نفي انتهى وهذا كله ليس فيه ما يقتضي ان لا خرجت
عن نفي النسبة ولا انها صارت بعض المسند اليه في المعنى اما قول الحفيد انها خرجت فكلام مردود
واما قول سيبويه فالظاهر بل المتعين انه بحث عن الاحكام اللفظية كما هو وظيفة النحوي من غير
تعرض للمعنى الحقيقي ولا للتغيير والاثبات انما تعليل بطلان عملها في الخبر بكونها جزءا او كالجزء فلا
دليل فيه لان لا كانت مع اسمها صارت جزءا بالنسبة الى ذلك المركب وهذا متفق عليه وليس هذا
التركيب موجبا انسلاخها عن معناها الذي هو النفي لان التركيب الموجب لذلك هو تركيب الاعلام
كبعلبك وشاب قرناها حيث يراد بها معنى واحد وهو الدلالة على المسمى فلا تبقى لها دلالة
المفردات بانفرادها واما هذا التركيب فهو كتركيب خمسة عشر وبذلك شبهها النحويون
ومعلوم ان نحو تركيب خمسة عشر لا يبطل دلالة الجزء الاول الا ترى ان كلا من خمسة وعشرة تدل على
معناها وهو العدد الذي وضعت له حالة التركيب وكذلك لا رجل مثلا اجزؤه باقية وهو الرجل يدل
على معناه بلا جزء الاول كذلك وهو ابدا يدل على معناه وهو نفي النسبة الا لا موجب لانعدام

عنه

١٤

عند الأول اعترض فيه بعدوان ولا يصح ذلك كما سنبينه فوجب بقاؤه على الأصل وهو المطلوب وعلى
هذا أيضا يحمل كلام ابن هشام وأنه إنما تكلم في العمل اللفظي كيف وكونها للنفي مما لا يسمع فيه
الخلاف بين النحويين وقد تقدم هنا أنها النافية للجنس وهذا معنى نفي النسبة كما مر وقد مضى
من كلام ابن مالك في احتجاجه على سيبويه أن عملها في الخبر أولى من عملها في الاسم لأن تأثيرها في معناه
أكثر من تأثيرها في معنى الاسم ولا معنى لتأثيرها في الخبر إلا نفيها له وذلك هو نفي النسبة ولا معنى
للاحتجاج بهذا الكلام إلا وهو فيه مسلما عند سيبويه إذ لا يوجد به الدليل من الخصم إلا ما يعتقده
الخصم وقد ذكر أبو حيان في شرح التسهيل مذهب الأخفش السابق وقال إن الذي اختاره المصنف
يعني ابن مالك هو مذهب الأخفش والمازني وأبي العباس ذهبوا إلى أنها هي العاملة في الخبر الرفع
إجراء لها مجرى إن وأنه يجوز أن تقول لا رجل في الدار وامرأة فتعطف على الموضع كما يجوز أن تقول إن زيدا
قائم وعمرو فتعطف على الموضع قال واعترض على هذا المذهب بأن الحرف الذي ينصب الاسم ويرفع
الخبر إذا غير معنى الكلام الذي دخل عليه لم يجز الحمل فيه على الموضع ولذلك لم يجز في ليت ولعل وكأن
فينبغي على هذا أن لا يجوز العطف على الموضع مع لا لأنها غيرت معنى ما دخلت عليه من الإيجاب إلى النفي
فأجاب الشيخ أبو عمرو عن ذلك بأن قال إن لا أحدثت فيما دخلت عليه معنى ومعنى النفي لا ينافي
الابتداء لأن حروف النفي يجوز دخولها على الابتداء نحو ما رجل في الدار وما امرأة وليست لعل وليت وكأن
كذلك لأنها لا يقع بعدها المبتدأ في شيء من كلامهم انتهى قلت انظر في هذا الاعتراض وجوابه كيف
وقع فيه التصريح بأن لا مع التركيب غيرت معنى الجملة وأحدثت فيها النفي وهذا كله واضح مشهور
قد وقع في كلام ابن مالك المتقدم أن من خواص لا أنها جاز الابتداء بها لدخول النفي عليه وفي هذا
الكلام قابل تأولها أنها نافية كما مر ولا خفاء أن مدخولها هو المبتدأ المحكوم عليه أنه ذاك حال
جميع النكرات التي سوغ الابتداء بها ما دخل عليها من نفي أو استفهام أو واو الحال ونحو ذلك
وأما قول سيبويه أن المجموع هو المبتدأ فهو تنزيل وإعطاء للشيء حكم الشيء بحسب ما بان حين تركبت
مع مدخولها وصارت تبعا له في الحكم الإعرابي ولا يلزم من ذلك أن يكون لها دخول في الإسناد والانتفاء
بالمجهول في المعنى وهذا شيء آخر وللإعرابية في إعطاء الشيء لغيرها ما يعطاه معنى ألا ترى أن
نحو كل رجل قائم المبتدأ فيه في الصناعة النحوية هو كل إذ فيه ظهر أثر الابتداء وليس هو الموضوع
المحكوم عليه في صناعة أهل الميزان الملتفتين إلى المعنى وإنما الحقيقي بل الموضوع هو من دخوله

Copyright © King

وإنما هي بحسب البيان ما أريد من ذلك الموضوع ولذلك سميت سورا إذ أخذ على الموضوع ونظائر هذا
كثيرة في الكلام وإذا كان هذا في الاسم الصالح لا يستند إليه فما بالك بالحرف الزائد الذي يسقط
كما في مسألتنا قال وإن أردت أن تستوضح بطلان قول هذا القائل المعترض بظاهر كلام سيبويه حتى يصير
بيانا فاعلم أن لا المركبة مع الاسم هنا في نحو لا رجل في الدار إما أن تكون لنفي النسبة كما قلناه سواء عملت
في الخبر أم لا واشتغال وإما أن لا تكون لنفي النسبة كما يقول هذا القائل وحينئذ إما أن لا يكون لها حظ
في النفي أصلا ولا دخل في الكلام إلا أن المجموع منها ومن مدخولها هو المسند إليه كما قرره أحد أمر كلام
سيبويه وحينئذ يكون معنى قولك لا رجل في الدار ما ظننت أن رجلا هو الموصوف بالفضل أي الحضرة
التي يصدق عليه لا رجل هو الثابت له كونه في الدار وكل من له أدنى شعور يعلم أن حاصل هذا الكلام
ولو أنه هنا تطلب المحكوم عليه فيه وهو لا رجل ثم يخبر له أن لو اعتبر ولو جئت بالاستثناء في هذا
فقلت لا رجل في الدار إلا زيد أو لا إله إلا الله كان إذ هو أو من هو لا خبر في وضعه من يتوهم مثل هذا الإسناد
كالعيار وإما أن يكون اعتبر أنها في معنى غير كما هو رأي بعض العروض وهو مقتضى كونها صارت جزءا من
الموضوع وخارجة عن نفي النسبة وحينئذ يكون معنى قولك لا رجل فاضل أن الذي ليس برجل هو
فاضل ولا يخفى فساد هذا المعنى وخروجه عما يراد له هذا الكلام وفساده من ثلاثة أوجه
أحدها أنه يلزم أن يكون الكلام نفيا أحالا لا تعلق وعلى أن العروض في الموضوع لا يوجب نفيا
لما بل وجوده وعدمه سواء فإذا قلت لا رجل في الدار فكأنك قلت غير الرجل موجود في الدار أو حاصل
فيها وتعني بغير الرجل حمارا أو ثورا أو غير ذلك وهو خرق للإجماع وإنكار لكلام العرب ورد الوجه
الثاني أن قولك لا رجل في الدار يصير فيه حصر معناه أن غير الرجل موجود في الدار وكأنما معنى
هذا أن يوجد الرجل أيضا إذ لو وجد في الدار حمار أو ثور أو امرأة فيلزم من قال لا شريك لله تعالى
أن يكون مراده أن غير الشريك موجود لله تعالى ولا ينافي ذلك أن يوجد له الشريك أيضا إذ ليس
هنا استغراق ولا انحصار في الغير وناهيك بفساد هذا المعنى من طريقه معا الوجه الثالث
أنك لو قلت لا رجل إلا زيد أو لا إله إلا الله لم يصح هذا الاستثناء إذ لا نفي هنالك يطلب فيما أخرج
وتقرير الكلام في قولك لا رجل إلا زيد غير الرجل موجود إلا زيد ولا وجه لهذا الاستثناء أما في الصناعة
فلعدم عموم قبله وأما في المعنى فكان المستثنى وهو زيد في مثالنا كان موجودا فالواجب أن
يعطف بالواو فيقال لا رجل وزيد إذ لا يستثنى موجود من موجود وبهذا عكس التوحيد والكفر

وإن كان

وإن كان زيد غير موجود فمعناه من وجهين الأول أنه خلاف المراد من الكلام بالإجماع ويلزم أن يكون
المستثنى في الكلمة المشرفة غير موجود وهو عكس التوحيد والكفر الصراح الثاني أنه
يجب أن يكون زيد في مثالنا داخلا في الرجل ليصح إخراجه منه فيكون زيد من جنس الرجال والأمر
على هذا القصد فانظر ما تؤدي إليه الأوهام وتحكيم ظواهر الكلام ورفض ما اتضح بالعيان
واجتمعت عليه العقلاء على مرور الأزمان فقد اتضح من هذا البيان أن لا المبنية مع اسمها متسلطة
على نفي خبرها أيا كان وهو المراد بكونها نافية للجنس على ما في تلك الفصول الأربعة وتبقى
أن قضيتها سالبة محصلة لا موجبة معدولة وأنها سالبة كلية لما أنها كذلك عند المنطقيين
والمسلوب في الكلمة المشرفة كل فرد من أفراد الإله المعبود والمثبت من ذلك واحد وهو
المستثنى وهو الله الواحد القهار سبحانه وتعالى وهذا مطلوبنا وسيأتي بيان تمامه إن شاء
الله تعالى **الكلمة الثانية لفظة إله** وهو المنفي المبني مع لا ويقال الإله بالألف واللام
أيضا ووقعت في تفسيره عبارات متقاربة قديما وحديثا ونحن نجلب من ذلك إن شاء الله ما يكون
به البيان **قال في الصحاح** أله بالفتح إلاهة أي عبد عبادة ومنه قرأ ابن عباس ويذرك وإلاهتك
بكسر الهمزة قال وعبادتك وكان يقول إن فرعون كان يعبد ومنه قولنا الله وأصله إلاه على فعال
بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به وقال أيضا
والآلهة الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه
الشيء في نفسه انتهى وقال في القاموس أله إلاهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ومنه لفظ
الجلالة واختلف فيه على عشرين قولا وأصله إلاه بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا إله عند متخذه
انتهى **وقال البيضاوي** في تفسيره الله أصله إله الإله الإله مختص بالمعبود بالحق والإله في الأصل
يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق انتهى **وقال صاحب الكشاف** الإله من أسماء
الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم
اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره انتهى **وحكى
الطيبي** في حواشيه عن بعض الأئمة أنه قال الأعلام متى غلبت بالعلم فلا بد من أن تكون مسبوقة
بالجنسية ثم الجنسية إما أن تكون بالنظر إلى الدليل أو الأمارة أو إلى استعمال العرب أما معنى

Copyright © King

لا استعمال فكما في النجم والصعق واما الدليل فهو ان الدبران والعيوق والسماك وان كانت اجناسا لكنها
بالنظر الى اوزان مخصوصة ومعنى كل واحد منها معلوم كان كل واحد منها جنسا في الاصل بالنظر الى
الدليل قال ونحو هذا المعنى في التفتيش وفيه ايضا اما الدبران فهو فعلان من الدبور واما العيوق فهو
فيعول بمعنى فاعل من العوق واما السماك فمن السموك وعلى هذا فالاله من القسم الثاني واما
الله والنجم فمن القسم الاول وبيان ذلك ان الاله من حيث انه كان اسما لكل معبود حقا او باطلا ثم غلب
على المعبود بالحق فهو مثل النجم والكتاب واما الله تعالى فمن حيث ان المعبود يجب ان يكون خالق الارزاق فام يرا
مقتدرا المتصف بالنهاية واسم الله تعالى جامع لهذه المعاني ومن لا يجتمع فيه كل ذلك لا يستحق ان يسمى
به فيكون الغلبة بحسب الدليل وكذا الرحمن صفة لمن وسعت رحمته كل شيء ومن لم يكن كذلك لا يسمى
رحمانا وليس كذلك الاله عز وجل فهو بهذا الاعتبار من الصفات الغالبة قال والحاصل ان الاله من
حيث الاطلاق والاستعمال من غير اعتبار المعنى من قبيل النجم ومن حيث اعتبار المعنى والاشتقاق
من قبيل العيوق والدبران ثم ومن الصعق لافراد او المعنيين بالتعريف ونحوه انتهى قلت
وهذا التقسيم في مثل النجم والعيوق ظاهر واما في اسم الجلالة ففيه نظر لان العلم الذاتي فيه
بحسب الحال الراهنة اعني بعد ان وقعت الغلبة وصار علما شخصيا فلا معنى لاعتبار الجنسية
فيه لا لا بالاستعمال ولا بالدليل وان نظر فيه من حيث اصله الذي غلب عنه فلا شك ان الاصل الذي هو
الاله جنسية بحسب الاستعمال ولا اشكال وقد تبين من هذه النقول ان الاله يطلق في الاستعمال
على المعبود بالحق وعلى المعبود بالباطل وهذا امر بين لا خفاء فيه واما اصل وضعه فظاهر من كلام
صاحب الكشاف وغيره من المحققين ان كذلك بمعنى انه موضوع للمعبود من حيث هو هو الشامل
للمعبود بحق والمعبود بباطل وهذا واضح من حيث اصل الاشتقاق وبان الاله بمعنى المألوه والمألوه
هو المعبود والعبادة من الطاعة والخضوع والذلة فكل من خضع لشيء وذل له فقد صيره الاها
كما قال تعالى افرايت من اتخذ الاهه هواه وفي الحديث ابغض اله عبد في الارض الهوى وظاهر كلام الجوهري
انه موضوع للمعبود بحق وهو المستحق لان يعبد وانما اطلق على المعبود بالباطل لظن متخذه عليه انه
كذلك وقد تكلم الامام ابو القاسم القشيري في كتابه التحبير في هذا اللفظ واكثر فقال من الناس من
قال معنى الاله انه المعبود ومنهم من قال الذي تجب العبادة له قالوا والدليل على انه من اشتقاقه
الذي هو التعبد قول الشاعر

١٦

لله در الغانيات المده ۞ سبحن واسترجعن من تألهي ۞

اي تعبدي وان العرب سمت الاصنام الهة لما عبدوها قال وهذا ايضا لا يصح من وجوه منها انه لم يزل الاها
ولا يقال كان في الازل معبودا لان المعبود من له عابد وتعذر ذلك في الازل لمحال وان العبادة انما تجب بامر الله
تعالى ما قررنا انه لو لم يامر احدا بعبادته لكان مستحقا لوصفه ولو كان كذلك لم يكن الاها على قضيتهم
وانه لو كان بمعنى الاله انه معبود لكان العابد لعبادته جعله الاها وهذا محال في وصفه ويلزم ان الاله
من تستحق منه العبادة كالجمادات والاعراض وغير ذلك وهذا ظاهر فاما الاله فانه مشتق من الاله
بالتاله هو التقرب الى الله تعالى على ان هذا التفسير في وصفه تعالى على سبيل التقريب لا انه انتهى
قلت وما ذكر من الرد وهو مبني على اعتبار العبادة وجوبها بالفعل الجواب
ان يقال المراد ما يستحق وبالاله هو المعبود اي الذي يستحق ان يعبد ويستحق ان تفعل له العبادة ولم يزل
الحق تعالى وليس المستحق الا لذلك بماله من الكمال والصفات الجلال والجمال الغير المتناهي بل الكلام البلاغة هو
الفعل العقوبة واما كونه لا يعبد كالجماد فالجواب عنه ان المراد هو انه الذي يعبد او تحق العبادة
له وهذا صادق في الجملة وكونه يعبد في كل شيء او البعض دون البعض شيء اخر سلمنا انه كل شيء
ولا نسلم ان الجماد خارج لان المراد بالعبادة ما يرجع الى الذلة والخضوع وذلك في كل شيء بحسبه والكل
في غاية الذل والخضوع لسلطان القهر مبناه على نفسه بالعجز والافتقار والذلة والانكسار قال
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ثم قال القشيري وان قيل لما الزيغ في معنى هذا الاسم اذ لم يصح ما ذكرتم
من الاقاويل قيل اختلفت اقاويل اهل الحق في ذلك والكل متقارب يرجع الى معنى واحد فمنهم من قال
الاله من له الالهية والالهية القدرة على الاختراع ومنهم من قال هو المستحق لصفات العلو
والرفعة ومنهم من قال هو من له الخلق والامر وذلك لانا وجدنا اهل اللغة اطلقوا هذه اللفظة
على من اعتقدوا فيه الاستحقاق والتعظيم وعلمنا بالكلام انها لفظة موضوعة لمن يستحق ما لاجله
يصح التعظيم فكانوا مصيبين في التسمية مخطئين في التعبير وامثال هذا كثيرة كاطلاقهم لفظ الحسن
والقبيح على شيء معلوم في الجملة ثم اخطؤوا في الحكم لبعض الاشياء بانها حسنة وانها قبيحة على
التعيين ونظائره كثيرة انتهى قلت اما الاول وهو ان الاله من له الالهية
بالاشتراك في صفته كما يقال العالم من له العلم والانسان من له الانسانية وانما يبقى النظر في تفسير
الالهية وقوله ان الالهية هي القدرة على الاختراع ان اراد ان هذا رسم بلازم من لوازمها فصحيح لان

Copyright © King

ومالك الحق يلزمه ان يكون قادرا وان اراد ان ذلك هو حقيقة الالوهية فهذا قول طار اليه بعض المتكلمين
ان اخص وصف الواجب القدرة على الاختراع واستدلوا بان موسى عليه السلام لما قيل له وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما وما انما يسأل بها عن حقيقة الشيء فلولا ان ذلك هو الحقيقة لما صح به
الجواب وهذا القول مردود بان القدرة من الصفات الزائدة على الذات ولا تتغير لها وقد تتغير الذات
وما انما يسأل بها عن الحقيقة قد يسأل بها عن مايميز الشيء ولو بخواصه الخارجة ولاسيما اذا عسر على
السائل فهم الحقيقة او تعذر وما نحن فيه يحتمل الوجهين وقوله فكانوا مصيبين في التسمية مخطئين
في التعيين يعني انهم اطلقوا اسم الاله على الصنم بناء على اعتقادهم انه وجد فيه معناه فاصابوا في كونهم
لم يطلقوه الا بحسب معناه لا بحسب مجرد اخذ ولكن اخطأوا في زعمهم ان ذلك المعنى موجود في
ذلك الصنم فان المعنى معقول في الذهن وانما يوجد في الخارج في ضمن الذوات فمن عين من الذوات الخارجة
من وجد فيه ذلك المعنى على الحقيقة واطلق اسم الاله عليه فقد اصاب في التعيين وليس ذلك الا الواحد
وهو خالق العالم تبارك وتعالى ومن عين ذاتا اخرى لذلك المعنى كالصنم والوثن والنجم ونحو ذلك وظن
انه قد وجد فيه معنى الالوهية فاطلق عليه اسم الاله فقد اخطأ في التعيين لانه وضع الشيء في غير
موضعه وهذا اشار المشرك بين عبادة الاوثان والاصنام وهذا الكلام نحو الكلام السابق من كلام
الجوهري ان اسماءهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفس الامر وذلك يقتضي كما مر ان الاله
موضوع للمعبود بحق وانما اطلقته الجاهلية على المعبود بالباطل لظنهم انه معبود بحق على انه قد يقال
بعد لا أنه هذا الكلام على انه موضوع للمعبود بالحق اي المستحق او بمعنى فهو يحتمل ان يكون
المراد انه موضوع لمن هو مستحق في نفس الامر ان يعبد ويحتمل انه موضوع لمن هو مستحق عند عابده
او مطلقه او واضعه سواء استحق في نفس الامر ام لا بعد بعض الاحتمال وعليك هاهنا بالتنبه
للخلاف المتقدم في ان اللفظ موضوع للمعنى الخارجي او الذهني واما ما حكاه صاحب لسان العرب
عن ابي الهيثم من انه لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا وعليه
مقتدرا فمن لم يكن كذلك فليس باله وان عبد ظلما بل هو مخلوق ومتعبد انتهى فهو محتمل لان يريد به
التعيين بحسب الوضع او بحسب غلبة الاستعمال في الواجب الحق وهو الظاهر وبالجملة
فهذا كله محتمل وقول البيضاوي من ان الاله اسم لمطلق المعبود ثم غلب في المعبود بالحق واضح في
مقصده فان قلت ان كان وضعه في المعبود بالحق فما اطلاقه على المعبود بالباطل الذي

تداولته

تراه لغة العرب في شيء منهم اهو من باب الحقيقة ام المجاز فان قلت حقيقة فيتناقض او اشتراك او نقل ولا يقال
بشيء منها وان قلت مجاز فاين القرينة **قلنا** لم ينحصر الاطلاق في الحقيقة والمجاز حتى يشكل ونقول
هذا غلط وقد علمت انه خارج عن الحقيقة والمجاز وذلك ان يطلق اللفظ على غير معناه من غير اعتبار
علاقة تصحح الاطلاق ولا نقل عن معناه الاول هذا او هذا المعنى هو الموجود في الصنم على هذا الغرض
لانه المطلق عليه الاله من غير اعتبار علاقة **فان قلت** ان الجاهل يعتقد ان معنى الموجود في
الصنم فهو انما استعمله فيما وضع له وهذا هو الحقيقة **قلنا** ممنوع بل الحقيقة استعمال
اللفظ فيما وضع له في نفس الامر لا بحسب الاعتقاد واعتقاده ذلك هو الفاسد فانه لم يعتبر علاقة فهل
يكون مجازا ايضا لا ضميمة الى اعتبار العلاقة فيه ان الشيء ويبين نفسه في زعمه وتمام ان تنبيه في اذهان الناس
ان اللفظ موضوع للمعنى الخارجي او الذهني ولا تغفل عنه هذا او في المقام بقية بحث وهو
ان يقال قد ذهب الى ان الاله موضوع للمستحق للعبادة وانه انما اطلقه المشرك على وثنه غلطا ان اردت
بالاستحقاق والعبادة انه لكونه خالقا من احيا واميتا مجازا بلا علاقة فهذا لا يرعيه الاعراب في الاوثان
التي يعبدونها وقد علموا انها عارية عن هذا المعنى ومع ذلك اطلقوا اللفظ عليها قصدا على مرور
الازمان فليس بغلط ولو كان مجازا لنصبوا عليه القراين او صرحوا بالعلاقة او سلبوا اللفظ يوما
ما مع ان الاصل في الاطلاق هو الحقيقة وهم اهل اللسان العارفون بوضع لغتهم فهذا ابطل قولك
وينبغي ان اللفظ لم يوضع لذلك المعنى الخاص الذي ترعيه وان اردت بالاستحقاق اعم من ذلك وهو ان
يكون مستحقا لان يعبد ولو لكونه يستشفع به وينتفع به نوعا من الانتفاع كاستنزال الغيث واستمطار
على عبدة هذا المعنى موجود في الصنم عند عابديه فوجب ان يكون اللفظ مطلقا عليه حقيقة ويبطل
قولك انه موضوع للمعبود بالحق فقط وقد يقال ان هذا المعنى الثاني ايضا غير موجود في الصنم
بحسب نفس الامر لان كل ذلك منه تعالى وما الامر الا من عند الله والجواب انه موجود بحسب التوسط
والتوسل وان لم يوجد بحسب الابداع والاختراع والعرب تعتقد بذلك كما قالوا في التلبية لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
فان قلت هذا توسل بالطاعة على الاعبدة به **قلت** لا ارتباط بين وضع اللغة
وبين الشرع انما المطلوب من الوضع ان يتصور معنى فيوضع له ويكون الاتصاف بذلك المعنى او اكتسابه
مباحا او محرما شيء اخر فتامل في هذا المقام فانه من مطارح الافهام وتقدم ما هو الحاصل

من الكلام الكلمة الثالثة لفظ إلا وهي تكون على وجهين مشهور استعمالها الأول
أن تكون للاستثناء إما من مذكور أو متروك والأول الاستثناء التام وهو إما أن يكون المستثنى من جنس
المستثنى منه حقيقة وهو المتصل نحو خرج القوم إلا زيدا أو ما قام أحد إلا زيد وإما من غير جنسه وهو
المنقطع نحو خرج القوم إلا الحمار وما قام أحد إلا ثورا وينتصب المستثنى بعدها على الأصل في إلا إن
المتصل في حالة السلب يختار فيه أن يكون تابعا للمستثنى منه في إعرابه وذلك على البدلية عند البصريين
وعلى العطف عند الكوفيين نحو ما جاءني أحد إلا زيد يختار فيه رفع زيد على أنه بدل من أحد وقال
الكوفيون بل على أنه معطوف عليه وإلا للعطف من جملة العواطف المغيرة ما بعدها لحكم ما
قبلها في الحكم وكأنه قيل ما جاءني أحد بل زيد ولا يكون بدل في نحو لا إله إلا الله معناه لا إله موجود
أو مستحق للعبادة بل الله تعالى أي هو الموجود أو هو المستحق للعبادة وسيأتي البحث في أي المذهبين
أفضل عند الكلام على الإعراب إن شاء الله تعالى والثاني الاستثناء المفرغ نحو ما جاءني إلا زيد وما عالم إلا
زيد وما زيد إلا عالم ونحو ذلك قالوا ولا يكون إلا متصلا لفقد المستثنى منه من جنس المستثنى وليس
منه لا إله إلا الله بل هذا تام لا الاستثناء من المبتدأ وهو اسم لا والخبر مقدر كما قررناه فيما سلف وسنعيد
البحث فيه إن شاء الله تعالى **الوجه الثاني** في إلا أن تكون بمعنى غير وتقع بعد جمع أو شبهه
منكر أو معرف بال الجنسية نحو لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أي غير الله وفي نحو لا إله إلا الله
معناه لا إله غير الله موجود أو مستحق للعبادة **الكلمة الرابعة** لفظ الجلالة وهو
الله وهو اسم علم للواجب الوجود خالق الكل ورازق الكل من غير خلاف وإنما وقع بعد ذلك في
كونه عربيا أو لا مشتقا أو لا وعلى أنه مشتق ما ذا اشتق اختلاف كثير حتى قال بعض الأئمة إن العقول
كما تحيرت في ذاته تعالى وفي جلاله وعظمته كذلك تحيرت في هذا الاسم ونقدم من كلام القاموس ما رأيته
عشرين قولا وقال الإمام أبو القاسم القشيري في معنى اسمه الله الكلام في هذا الباب من وجوه
منها القول في اشتقاقه وهذه التسمية هل هي مشتقة من معنى أم لا وإن كانت مشتقة من معنى لما
هو وقد اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال إن هذا الاسم غير مشتق من معنى وهو اسم تفرد به الله
عز وجل فهو اسم له خاص كما تكون لغيره أسماء الأعلام والألقاب إلا أنه لا يطلق في وصفه تعالى
اسم اللقب والعلم لعدم التوقيف وهذا آخر قول الخليل بن أحمد ويحكى عن الشافعي رضي الله
عنه أنه قال بهذا القول وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسين بن الفضل رحمه الله وكثير من أهل الحق

من

King Saud University

١٨
49/7

من سلك هذه الطريقة قال إن أهل اللغة يتصرفون في اشتقاق هذا الاسم وما كانوا يستعملونه
في غير الله بل قلما يوجد في كلامهم استعمال لفظ الله قبل الشرع في صفته تعالى فضلا عن صفة غيره
فكانوا يكتبون باسمك اللهم وقد قال الله تعالى هل تعلم له سميا جاء في التفسير هل تعلم أحدا تسمى
الله وهذا من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نزل على صدقه في هذا الخبر حيث أنه لا يسمى
له فقبض الله القلوب عن اجترائهم على الكلام وهذه التسمية في صفة غيره مع كثرة أعداء الدين وشدة
حرصهم وتوفر دواعيهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم في الأخبار ولهذا قال بعض المشايخ كل اسم
من أسمائه يتصف به المتعلق والمتخلق إلا هذا الاسم فإنه للتعلق دون التخلق انتهى من ذكر القول
بالاشتقاق وقيل من وله إليه إذا فزع إليه قال الشاعر

ولهت إليكم في بلايا تنوبني ** فألفيتكم فيها كراما وأمجدا

وقيل من الوله وهو الطرب وهو خفة تصيب من حزن أو فرح قال الشاعر

ولهت نفسي الطروب إليكم ** ولها حال دون طعم الطعام

وأصله على هذين القولين ولاه بمعنى أنه يوله إليه كوشاح لما يتوشح به ووساد لما يتوسد
به فقالوا إشاح وإساد بقلب الواو همزة كذلك قالوا إله بالهمز وقيل من لاه إذا ارتفع وقيل
من أله إذا تحير انتهى ما ذكره القشيري في الاشتقاق ملخصا وتقدم شيء من كلامه وقال البيضاوي
الإله في الأصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من أله إلاهة بمعنى عبد وقيل
من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن
بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره إذ العابد
يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه إذ العباد يولعون بالتضرع إليه
في الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه وقيل إنه كأعاء وإشاح وقيل أصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع عن كل شيء ويشهد
له قول الشاعر

كحلفة من أبي رباح ** يسمعها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح
له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن

Copyright © King

بأنه لا يمنع الشركة وقيل الجواب صوابه في أصله لا لكنه لما غلب بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا
والصعق أجري مجراه في إجراء الأوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه
لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر ولا يمكن أن يدل عليه بلفظ
ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا ولأن معنى
الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول
المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه انتهى الغرض
منه قلت وبعض هذه الوجوه ليس موجودا في كتب اللغة المعروفة والله أعلم بصحته وقوله
لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار أي بها وقع في الزهراوي جاريا على مراعاة أنه تعالى أنه لم يمكن العباد
من رؤيته اختيارا منه تعالى لا أن ذلك وصفه كما يقوله أهل الاعتزال واعلم أن ما نقلنا من الكلام
في اشتقاق هذا الاسم الأعظم وبيان أصله يغني عما وراءه فإن الكلام فيه واسع كثير جمع الرماة ذكرنا
وقد امتنع ابن مالك من كون أصله الإله وهو وجه المنقول في كلام البيضاوي وذكر أشياء في شرح
التسهيل ومن الأحكام أنه قرن ضمها وجود الألف واللام الله تعالى المنفرد به وليس أصله الإله
كما زعم الأكثرون بل هو دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها ما علم منها
وما لم يعلم ولذلك يقال كل اسم من أسماء الله تعالى من الأسماء الكريمة هو من أسماء الإله ولا ينعكس
ولو كان كما زعم من أن أصل الله الإله لا بكونه مرتجلا ولا دليل عليه لكان ذلك كافيا بأن الله
والإله مختلفان في اللفظ والمعنى أما في اللفظ فلأن أحدهما في الظاهر الذي لا عدول عنه معتل
العين والثاني مهموز الفاء صحيح العين والكلام فيهما من مادتين وردهما إلى أصل واحد تحكم وزيغ عن
سبيل التصريف وأما اختلافهما في المعنى فلأن الله خاص بربنا تبارك وتعالى في الجاهلية والإسلام
والإله ليس كذلك ولهذا يستحضر بذكر الله مدلولات جميع الأسماء ولا يستحضر بالإله إلا ما
يختص بالمعبود وهذا بين من قول بعض الأنصار رضي الله عنهم باسم الإله وبه بدينا ولو
عبدنا غيره شقينا انتهى الغرض منه والطالع تقرير ذلك ولا احتياج له فانظره قلت
والرجح الزمخشري مما يترجح به قول الأكثرين وكذا قول الشاعر الماضي
معاذ الإله أن تكون كظبية ... ولا دمية ولا عقيلة ربرب
البيت الزمخشري صاحب الكشاف وجه ذلك كله أن يقال إنه يعرف من عادة العرب أن يقولوا

في النفي والاختيار معا إذ لا إله وباسم الله ووقوع ذلك في الشرع دليل على أنه إن لم يكن أصله وقع
الرجوع إليه اضطرارا إنما يقع نحو ويك المرغم ورد الهمز المبدل أو المحذوف فيه لذلك الى غير
ذلك مما يرجع الى أصله بسببه مع أن التعبير بلا إله أكثر وأيسر بحيث متى تعذر النطق بالاسم في بلا إله
لم يختص هذا بالعرب بل لم يزل استعمال الحرتيين شائعا ذائعا والله أعلم الفصل
العاشر في إعراب هذه الكلمة المشرفة فإن الإعراب هو مظهر المعنى المدلول وقد تيسر للعارف
إعرابها من تعصيبي معدا بها وإنما أردنا الإفصاح لمريد الإيضاح مع التنبيه على ما في ذلك من الاضطراب
والإشارة إلى ما هو الصواب فنقول وبالله التوفيق إن لا نافية للجنس كما مر والمعطف اسمها
مبني معها على الفتح إما لتضمنه معنى من وإما لتركيبه مع لا كتركيب خمسة عشر ونحوه وهذا هو
المشهور وذهب أبو إسحاق الزجاج والسيرافي إلى أنه معرب فتحته فتحة إعراب وإنما ترك تنوينه للتخفيف
وهو رأي ضعيف وأما خبر لا فهو محذوف يدل عليه المقام وكأنه قيل لا إله موجود أو معبود أو
مستحق للعبادة أو نحو ذلك وسنتعرض لما هو الأولى من هذه التقادير إن شاء الله عند الكلام
على معناها وأما اسم الجلالة الواقع بعد إلا فهو بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر من تبع
وهو الأرجح على البدلية من الضمير المرفوع ويجوز النصب على الاستثناء كما في نظائره نحو ما جاءني
أحد إلا زيد وإلا زيدا وهذا الذي ذكرنا قبل من أن إلا للاستثناء في الكلمة المشرفة وكذا فيما يشبهها
نحو لا رجل إلا زيد استثناء تام لأن الخبر مقدر محذوف كالمذكور وقد جوزوا الأئمة في لا اسم إلا علم ○
الواقع بعد إلا الرفع والنصب ووجوه الرفع خمسة أوجه الأول على أن يكون بدلا من
الضمير في الخبر كما ذكرنا وأما من اسم لا باعتبار المحل لا الابتداء الثاني على أن يكون خبر لا الثالث
على أن يكون مبتدأ ومدخول لا هو الخبر الرابع على أن تكون إلا بمعنى غير مع ما بعدها وصفة
لما قبلها الخامس على أن يكون مرفوعا بإله معنيا عن خبره ووجوه النصب بوجهين
الأول أن يكون على الاستثناء كما ذكرنا الثاني أن تكون إلا بمعنى غير مع ما بعدها
وصفة لاسم لا باعتبار عمل لا أما الوجه الأول من وجوه الرفع وهو أن يكون بدلا فهو المشهور
وهو مبني على أن إلا استثناء تام وأن الخبر مقدر كما ذكرنا قبل وقد ضعف البدل في الاستثناء
من جهتين الأول أنه لو قيل مثلا ما جاءني أحد إلا زيد فإن في بكر والبدل الضمير يعود على البدل منه كما في
قولنا أكلت الرغيف ثلثه الثانية أنهما مختلفان بالنفي والإثبات قلت والجواب

Copyright © King

عن الا وان الضمير انما جيء للتنبيه على البعض لرفع اللبس فانك اذا قلت اكلت الرغيف ثلثاه او ثلثه بضمير
ولا ما يقوم مقامه فقد احتمل ان يكون الثلث المذكور ثلث شيء اخر من رغيف اخر او غيره لا ثلث هذا الرغيف
المحدث عنه بعينه فجيء لذلك في الخارج فاجيء بالضمير لبيان انه ثلثه لا ولو هو الضمير الراجع اليه ومعلوم
ان هذا اللبس مأمون بعد عموم النفي لانك اذا قلت ما جاء احد الا زيد فقد علم تسلط النفي على جنس
الناس جميعا بذكر احد وعلم ان زيدا المثبت بعد ذلك هو من جنس الناس وهو من ادخله اولا بالنفي
بحسب اللفظ فلم يتوهم شيء اخر غيرهم ان زيدا منه وانه ليس الا خارجا ولا يحتاج الى الضمير فان
المعنى مفهوم بغير ذلك وكانه قيل ما جاء احد الا زيد من هذا الجنس المحدث عنه بحسب من وضع اللغة فلا استغناء
عن هذا الضمير لما ذكرنا واجيب عن الثاني بانه بدل من احد لا ولي عمل العامل وتغلغله بالنفي
ولا اثبات لا يمنع البدلية لان شأن البدل ان يحل الاول كانه لم يذكر والثاني في موضعه وانا اقول
ان امتناع تخالف البدل والمبدل منه في النفي والاثبات لا بد ان يكون معقول المعنى لا تعبديا فاذا
نظرنا وجهه علمنا انه هو ان البدل هو المبدل منه فلا يمكن نفي احدهما واثبات الاخر كما لا يجوز ذلك
فيما بين النعت والمنعوت وعطف البيان ومبينه ونحو ذلك لان ذلك تناقض وتهافت وهذا
المعنى متوجه في بدل الكل مثلا فاذا قيل جاء اخوك زيد لم يمكن نفي احدهما دون الاخر لان هذا هو
هذا وليس متوجها في بدل البعض لان بين الثاني والاول فيه تغايرا بالجزئية والكلية فيصح نفي
احدهما دون الاخر من غير حصول التهافت اذ ليس هذا هو هذا بعينه فيكون ذلك على وجه
يصح بان يراد بالكل المنفي ما عدا المستثنى او ما عدا ذلك البعض المثبت اخرا ويكون ذلك البعض
مثبتا اولا واخرا فيقع فيه اختلاف بنفي واثبات اصلا وهذا هو معنى الاستثناء فلم يلزم من
تخالفه الكل في البعض الصورة تخالف ممتنع من جهة المعنى وهذا الامر واضح وقد اعترض صاحب المغني
بالوجه المذكور بدون ما لم يلم بجوابه وكانه واردا ان عنده ثم ذكر ما للكوفيين في هذا التركيب
من انها حرف عطف فيما بعدها خلاف ما قبلها كلا الا الاستدراك على ما مر لنا تقريره ثم استشكل
ما رد به عليهم من انحو ما قام الا زيد يلزم فيه ان تكون الا العاطفة قد وليت العامل ولا نظير له
واجاب بانها في تلك في التقدير اذ المعنى ما قام احد الا زيد وكان ذلك منه جنوح الى ما قال الكوفيون
وهو وجه سادس لمن يقع ولا بأس به لا كن الظاهر غيره اعني الاول الذي قدمنا ان البدل لا غبار
عليه والله اعلم واما الوجه الثاني وهو انه خبر فهو مبني على ان الاستثناء مفرغ وان الا خبر بقدر

قيل

قبل الا دال على ... في نحو قوله ما زيد الا قائم وما انت الا زيد وما هذا الا عمرو ونحو ذلك وقد ضعف القول
بالخبرية من ثلاثة اوجه الاول انه يلزم في مثل هذا ان يكون خبر لا معرفة وهي لا تعمل في المعارف الثاني
ان الخبر يجب ان يكون غير المخبر عنه والمستثنى يجب ان يكون خلاف المستثنى منه فتنافيا الثالث
ان المبتدا وهو اسم لا في هذا التركيب عام والمستثنى خاص وكيف يخبر بالخاص عن العام واجيب
عن الاول بان مذهب سيبويه ان لا اذا ركبت مع الاسم معها غير عاملة في الخبر بل هو مرفوع على حالته
الاولى وحينئذ لم تعمل لا في المعرفة قلت وهذا الجواب يلزم منه تسليم ان السؤال وارد
على من يجعل لا مع التركيب عاملة في الخبر وهو الذي صحح المتاخرون وكابن مالك قال في التسهيل ويرفع
الخبر ان لم يركب الاسم مع لا عند الجميع وكذا مع التركيب على الاصح انتهى واما الحق ان يقال الذي يكون
لا لا تعمل في المعرفة عامة انها لنفي الجنس على سبيل التعميم وانما يدخل التعميم في النكرة لا المعرفة
وهذا المعنى ثابت في اسمها المنفي نحو لا رجل في الدار وكذا في خبرها الحقيقي اذا كان هو المنفي
نحو لا رجل في الدار فاذا قلنا لا رجل الا زيد فان جعلنا الا استثناء تاما وقدرنا الخبر في المستثنى منه
هو الرجل والخبر محذوف واسم لا وخبرها كلاهما نكرة وان جعلناه ناقصا ولم نقدر الخبر هو زيد
الواقع بعد الا فالمستثنى منه مقدر وهو الخبر الحقيقي المعنوي وهو نكرة وما بعد الا انما
هو خبر في اللفظ بحسب الصناعة النحوية فلم تتسلط لا في المعنى الا على افراد المطلوب منها الا
على النكرات وعملها في المعرفة بحسب التقدير اللفظي لا محذور فيه وهذا في غاية الوضوح فيقال
للخصم ان كان قولك ان لا لا تعمل في المعارف انما هو لتصحيح النفي التعميمي فلا بد وقد صح ذلك وان
عملت في هذه المعرفة وان كان مرادك انها لا تعمل في الخبر اذا كان معرفة مطلقا من غير اعتبار معنى
ولا تعقل علة وان ذلك هو كلام العرب فمصادرة لان هذا هو المتنازع فيه فان العرب لا تزال تقول
لا عالم الا زيد ولم تصح فقط بامتناع ان يكون زيد خبرا ... لك بامتناعه وبالجملة فقد ابتلينا
في هذه المطالب ونحوها بعبارات مجربة ... على من ابصر عنده متغيرها ... في كل ما عسى
ان يحتج اليه من ... او يسنح له من الاهواء والحوار تتبع تلك العبارة فان صورنا مس
... ومن ... في ما يليه ... وان كان من مواضع ... في الجزئيات التي ترعى ووجب ان
يكون في ذلك مذهب ذلك المصحح ولا يجب ان يغلو فيه الا ان يكون في ذلك اجماع من الجميع فيكون
له حكمه واجيب عن الثاني بان اسم الواقع بعد الا اذا جعل خبرا فالا استثناء ناقص

Copyright © King

ويكون المستثنى منه مقدرا وليس هو اسم لا اذ اخبر عنه بما كان مستثنى منه وهو المقدم لم يخبر عنه
وما كان مخبرا عنه وهو اسم لا لم يستثن منه فلا تنافي ولا تدافع وهو واضح **واجيب** عن الثالث
بان يكون الاخبار بالخاص عن العام ممتنعا صحيح لكن لم يوجد ذلك في نحو لا اله الا الله لانه مسوق لنفي
العموم وابطاله وتخصيص الخبر بواحد من ذلك العام المنفي **قلت** وايضاح هذا المعنى هو
ان تعلم ان معنى كون الخاص لا يكون خبرا عن العام هو انه لا يجوز ان يحمل الخاص على جميع افراد العام اثباتا
وذلك في الكلية الموجبة نحو كل انسان زيد وكل حيوان انسان وكل جسم حيوان الى غير ذلك فهو ممتنع
لاستحالة تكون الشيء الواحد اشياء متعددة او حلول الشيء الواحد في محال متعددة او قيامه بها في آن
واحد **اما** حمل الخاص على العام بغير هذا الوجه فيصح وذلك كنفيه عن جميع افراد العام نحو
لا شيء من الحمار بزيد مع ان هذا في التحقيق ليس بحمل بل سلب وكنفيه عن بعضها نحو بعض الانسان ليس
بزيد وبعض الحيوان ليس بانسان او اثباته للبعض نحو بعض الانسان زيد **و**ما نحن فيه من الاستثناء
هو من هذا الباب لان الاسم المخبر به لم يرد حمله على جميع افراد العام المنفي قبله لا اثباتا ولا نفيا وانما
وانما يثبت للبعض وانتفى منفي مجموع معنى الجملة المذكورة **فان قلت** انا اذا قلنا
لا رجل الا فاضل ولا انسان الا ضاحك ونحو ذلك كان معناه كل رجل فاضل وكل انسان ضاحك فيلزم ان يكون
معنى قولنا لا رجل الا زيد كل رجل هو زيد وهذا هو عين الفساد لانه الكلية الموجبة التي لا يحمل فيها
الخاص على العام فانه لا نفي ولا اثبات ومن نفى ابطل **فالجواب** انه لا غنى عن ملاحظة
المحمول فان كان من المفهومات الكلية التي تصح ان تحمل على افراد كثيرة مع تعدد الموضوع ذهنا وخارجا
نحو لا انسان الا ضاحك وهذا هو الايجاب الكلي في المعنى حيث ابطل النفي وان كان جزئيا واحدا لا يصح
تعدد موضوعه في الخارج وان صح تعدده في الذهن لاستحالة ان يكون الجزئي افرادا فاذا قلنا لا رجل في
البلد الا زيد وقلنا زيد هو الخبر فمعنى الكلام ان الحاصل خارجا من افراد الرجال المتصورة ذهنا في البلد
هو زيد لا غير فمعنى لا رجل في البلد الا زيد ان الرجل الموجود في البلد هو زيد وليس معناه كل رجل هو زيد
لان القضية خارجية كما قررنا والجزئي الواحد لا وجود في الخارج لغير واحد وهو زيد فلا موضع للكلية
على انا لو عبرنا عن هذا بقولنا كل رجل موجود في البلد هو زيد لكان المراد منه صحيحا وان كان اللفظ
مستبشعا وهذه البشاعة انما هي عند الاثبات كما عبرنا اما عند النفي والاستثناء فلا لان ما سوى الواحد منفي
والتحقيق انه يمتنع ايضا لان النفي يقدر ابطاله في كل الافراد المنفية ان ذهنية وان خارجية وانما

الصادقة

السكاكية من ذلك بتقدير الخبر وجعل الاستثناء تاما فمعنى لا رجل في البلد الا زيد لا رجل موجود في البلد
الا زيد ومعنى لا اله الا الله لا اله موجود او معبود بالحق الا الله وهذا هو القول بكون ما بعد الا بدلا
لا خبرا وهو الحق الذي لا ينبغي ان يعدل عنه منصف ذو ذوق سليم وطبع مستقيم اعني فيما كان المحمول
في ذلك مثل لفظنا لا في جميع النفي والاستثناء وقد ذهب بعض المتاخرين الى نصرة القول بالخبرية في الاسم
الاعظم وانكار ما سوى ذلك من البدلية والنصب واحتج على ذلك بان الكلمة المشرفة سيقت لقصر جنس
اجرهم لنفي الالاهية عن كل شيء سوى الله تعالى ولا لحصر اثباتها لله تعالى ولا يتم ذلك
فيها الا بكون الاستثناء مفرغا ليكون ما بعد الا خبرا فيكون هو المقصود بالحكم كما هو شان سائر
الاستثناء المفرغ بخلاف ما لو كان بدلا او منصوبا فانه لا يكون الا اذا كان الاستثناء تاما ومتى كان
الاستثناء تاما كان المقصود بالذات اعطاء الحكم لما قبل الا وتكون الا انما سيقت لمجرد الاستثناء واخراج
ما لم يتناوله الحكم المعطى او لا بما يعطى لما بعد الا حكم الا على طريق المفهوم وان الاستثناء من النفي
اثبات ثم ذلك عند من يعتبره اما من لا يعتبره ويقول انه مسكوت عنه فقد تعطلت عنده الدلالة
وحينئذ لا يكون لا اله الا الله مفيد الاثبات الالوهية لله تعالى فكيف يكون توحيدا هذا معنى كلامه
واعترض ابو عبد الله السنوسي بانه يكون توحيدا بحسب دلالة العرف وبانه لا نزاع في ثبوت
الالاهية لمولانا جل وعز وانما كم مركب في بادئ الامر اذ نفي ما عدا المولى الحق علا هذا هو
المحتاج اليه وبه يحصل التوحيد قلت وهذا هو الحق وبيان ما اشار اليه ابو
عبد الله ان الجمهور ذهبوا الى ان الاستثناء من النفي اثبات وبالعكس وخالف الحنفية في ذلك
فذهبوا الى ان المستثنى مسكوت عنه فاعترض الجمهور بانه لو كان مسكوتا عنه لما استفيد
التوحيد من كلمة الشهادة فاجابوا بانه مستفاد منها بالعرف وقد تقدم تقرير هذا كله فقد
اتفق الناس على ان كلمة الشهادة يستفاد منها التوحيد اما بوضع اللغة كما عند الجمهور واما
بالعرف كما عند الحنفية فالمحذور ينتفي مع اعتبار الاستثناء وجعل ما بعد الا بدلا وما
يكن في هذا من الصلاح ويكسب النفس اليه فضل ارتياح ثلاثة اوجه الوجه الاول
انه قد علم انه قد وقع الجواب من قبل الخصم الغير القائل بكون الاستثناء مسكوتا عن المفرغ بانه
مفهوم فيه الحكم بالعرف العام كما وقع في كلمة الشهادة انما بالعرف الشرعي فقد علم بهذا ان المفرغ
ايضا حكمه حكم التام بلا اشكال وانما خرج عندهم بالعرف فلم يكن ما بقي في العدول عن التام الى المفرغ

Copyright © King

لا لو كان المهم غير الاعلى لغرض المقصود للباحث بالوضع من غير احتياج الى تعيين اما اذا كان محتاجا
الى التعريف فلا فضل له فان التعريف ايضا موجود في كلمة الشهادة وكما اكتفي به هناك فليكتف
به هاهنا لا يقال ان التعريف العام اقوى من الشخصي فلا يلزم من الاكتفاء به الاكتفاء بالثاني
لانا نقول لا نسلم انه اقوى بل ندعي العكس ولذا يقدم الشخصي عند التعارض كما تقرر في محله
الثاني ان هذا الباحث في الالفاظ اللغوية والتراكيب العربية ينبغي ان يتصور معناها ويحقق
موضوعها ثم ينظر الى ذلك ما يقتضيه من الاغراض الدينية من المعاني بان ياخذ منه ما دل عليه بوجه
من وجوه الدلالة ويترك ما لا يدل عليه ولا يتصور ما يريد من المعاني اولا فيبني عليه الالفاظ ويحملها
الدلالة على ذلك من غير ان يلتفت الى انها موضوعة لذلك ام لا او صالحة للدلالة عليه او غير صالحة
فهذا اليسير شان اهل العلم والتحقيق وانه اشتهر هذا فنقول ليس من حق الباحث في الكلمة ان يستدل
لتاويلها بقوله ان المطلوب امران نفي كذا واثبات كذا بل حقه ان يبحث عما هو دلالة اللغوية
بالالتفات الى نوع تركيبها فان وجدها عند ذلك دالة على الامرين المطلوبين عنده فذلك بغيته
وان وجدها لا تصلح للدلالة الا على احدهما او تصلح لاحدهما بالمنطوق وللاخر بالمفهوم فحقه حينئذ ان
يبحث عن وجه العدول عن كلام يدل على الامرين بالصراحة الى هذا الكلام الذي لا يدل على ذلك فلابد ان يجد لذلك
وجها صحيحا يكون هو الاولى او مساويا وحاشا ان يكون في كلام الله تعالى ما ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويكون
ذلك الوجه مثلا الحث ان يكون الاعتناء بالنفي اكثر من الاثبات لكون الاثبات معلوما كما ذكره ابو
عبد الله السنوسي وسنعيده في هذا ان شاء الله وبالجملة فالواجب ان تكون المعاني الماخوذة
من الالفاظ تابعة للالفاظ بحسب دلالتها الوضعية او العرفية لا ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني
المرادة وان لم تصلح للدلالة عليها نعم الالفاظ تابعة للمعاني في ارادة الواضع لها لا في ارادة احد كمل
بعد ذلك فافهم الثالث ان القوم الذين خوطبوا ابتداء بالكلمة عند نزول الوحي وهم العرب
ومن كان مثلهم من المشركين كانوا يعترفون بالوهية الله تعالى خالق العالم لا ينكرونه انما اشركوا
باثبات الهة اخرى يعبدونها فلم يكن ينبغي ان يوضع معظم البحث في اثبات الوهية الله تعالى لان
ذلك كالاخبار بمعلوم والمعنى للاشتغال باثبات ما يعترف به الخصم وانما هو البحث معهم ان يكون
في نفي ما ادعوه من الالهة وابطال ذلك ليتم التوحيد وهو الاقتصار على الاله الواحد ولذلك
وقع في ايات كثيرة التعرض لنفي الالهة الباطلة المتخذة من دون الله تعالى من غير احتياج

الى

الى التعرض لاثبات الواجب الحق كقوله تعالى أإله مع الله **وقوله** تعالى إن الذين تدعون من دون الله لن
يخلقوا ذبابا الآية **وقوله** تعالى إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا الآية **وقوله** تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت الآية إلى غير ذلك من الآيات **وكان** مقتضى هذا النظر أن لا يتعرض
في الكلمة المشرفة لإثبات الله تعالى أصلا ولا يحتاج إلى الاستثناء غير أنه لما سيق نفي الآلهة بالنفي
المستغرق وقيل لا إله وهو نفي لكل إله يقدر فلو سكت عن الاستثناء **وٱقتصر** على هذا النفي العام خيف
أن يسبق إلى وهم السامع قبل أن يتأمل موقع النزاع ومصب النفي أن هذا النفي على عمومه حقيقة وأنه
لا إله أصلا فيقع في التعطيل فقيل إلا الله دفعا لهذا الوهم وتكميلا للإخلاص بما يكمل النفي من تطهير
وتوطئة فإذا أريد من إثبات الواجب الحق دفع الوهم في أن يكتفى فيه بأقل دلالة وأدنى إشارة
تعم فكان الاستثناء كافيا ولو كان يكفي فيه العموم بدل الجمع **وبالجملة** فلا ينبغي أن يكون التعرض لإثبات
الواجب الحق مقصودا بالذات عند منازعة المشركين أما بحسب النظر إلى الصناعة الاستدلالية
فلما ذكرنا من أن التعرض لإثبات ما يعترف به الخصم حشو في المباحثة وتطويل لا حاجة إليه وأما
بحسب صناعة البلاغة في الكلام العربي فلما تقرر في الأصل من أن المبالغة كثيرا ما تكون في النفي المنكر
عليك أن تثبته ولا تتعرض لتوكيده إيهاما لكونه غنيا عن المؤكدات لوضوحه وأن المنكر لو تأمل أدنى
تأمل لأقصر منه عن الإنكار فتعرض بغباوة المنكر وفساد ذهنه وقلة تدبره **وعلى** وزان هذا المطلوب
مما يعترف به أن لا يتعرض لإثباته أصلا لأن التعرض لإثباته إدخال له في حيز الكلام ووركة الخصام وعلى
مقتضى المبالغة أن لا يتعرض لذلك في حق المنكر المعطل إلا التهم لا تثبته وإعلاما أنه لا شيء أوضح
من ألوهية الواجب الحق تعالى ولا أشد غباوة وأعظم عمى وضلالة من المنكر لها بل والمشرك بها
غيرها تعالى الله عما يشركون وقول من يقول إن المقصود من الكلمة المشرفة تمام أن منشأ الغفلة عن
هذا المعنى جح ووضوحه والله تعالى الموفق **فإن قيل** إذا كان المقصود الأعظم إنما هو
الرد على المشركين وإبطال ألوهية الأصنام فهلا وقع التصريح بذلك بأن يقال مثلا لا ألوهية للأصنام
أو لا ألوهية لمن يعبد من دون الله أو الأصنام ليست بآلهة أو نحو ذلك من العبارات بدل قولنا لا إله
إلا الله **قلت** إنما عدل عن ذلك إلى هذا التركيب المشرف فيما يظهر لثلاثة أوجه
الأول إفادة عموم الإبطال على النص إذ فإنه لو قيل مثلا لا ألوهية للأصنام ربما توهم السامع
أن الكلام في الأصنام الموجودة إذ ذاك فيبقى وهم متشوفا إلى ما مضى أو سيوجد أو يقدر

Copyright © King

وان لم يوجد ما حكمه فالتي يقولها لنا لا اله الا الله لا آلهة تنفي كل اله يعبد من دون الله تعالى والكلية تقتضي
العموم فلا يختص ذلك بجن او بنوع او بجنس دون غيره وهذا هو المطلوب مع ما يعطيه هذا التركيب
ويعطيه من المبالغة والقوة والانشاء على المثبت يظهر لك بالتامل مع ملازمة الذوق واستقراء
موارد مثله في كلام العرب **الثاني** ما لا يخفى من استحضار النفي في الاصنام ومعبودات المشركين
بمكان توحيد الله تعالى بالالوهية ونفي ما سواه على العموم انكشف ساحة واسلس وصاحة
الثالث ما في هذا التركيب الكريم من دعوى الحصر والتعرض للنفي والاثبات معا مع ان الاثبات
وان لم يكن هو المقصود الاعظم لكنه مقصود في نفسه ومفيد اذ فيه التنبيه للغافل والتنويه
باسم الحق تعالى وجل **فان قلت** ما اشتهر في هذا التقرير بناء في قول ابي القاسم القشيري
رحمه الله فانه قال في معنى لا اله الا الله ما نصه اعلم ان هذا القول وان كان ابتداؤه النفي فالمراد به
غاية الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القايل لا اخ لي سواك ولا معين لي غيرك اكد من قوله انت
اخي وانت معيني انتهى وانه يقتضي ان المقصود من هو الاثبات خلاف ما تقولون **فالجواب**
انا لا نسلم اقتضاءه لذلك ولا منافاة بينه وبين ما ذكرنا ومحمله عندنا وجهان احدهما انه ليس يريد ان المقصود
من التركيب انما هو الاثبات بل اراد ان ذلك هو مآل الامر وغاية الغرض وهذا صحيح لا نزاع فيه فان القصد
وان كان اولا الى ابطال ما سوى الله تعالى فالقصد بالاخيرة انما هو اثبات الاله وحده لا شريك له
وليس التعرض للباطل لذاته بل للتوصل به الى تخليص الحق واثباته كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ثانيهما ان نظر هذا نظر اهل الذوق المجرد من ارباب الاحوال وهم الذين غابت عنهم المكونات بشهود
مكونها وهؤلاء لا يشهدون مع الله غيره فيحتاج الى ان ينفى او يثبت وعلى تقدير ان يخطر الغير بالبال
فهو خيال منكشف ظاهر الانتفاء فلا حاجة الى نفيه وانما القصد الى ذكر الله تعالى وهذا مقام من لا يلتفت
الى المغالطة والمخاصمة ولا رد على احد وانما هو ناظر الى ما هو الحق في نفسه وهو بين لا اشكال فيه وسنشير
اليه ان شاء الله عند ذكر لطايف الكلمة المشرفة ومبنى كلامنا في هذا الباب على ان القصد ابطال
الوهية ما سوى الله تعالى والرد على المشركين مقام عظيم وبه بعثت الانبياء عليهم السلام وهو مقامهم
ومقام من يليهم من الاولياء ولعلنا نبين الفرق بين المقامين بعد ان شاء الله تعالى والله الموفق لا رب غيره
ولا خير الا خيره **واما الثالث** وهو ان يكون ما بعد الا مبتدا او الخبر محذوفا فهو مبني على ان اصل الكلام

الى

إلا الله فلما أريد الحصر قدم الخبر ليصير محصورا في المبتدأ كما هو شأن قصر الصفة على الموصوف فقيل
لا إله إلا الله كما تقول في نحو زيد عالم ما عالم إلا زيد فالمراد أعلى من ينسب العلم لغير زيد وكذا هنا قيل لا إله
إلا الله رد على من ينسب الألوهية لغير الله تعالى ويكون هذا القصر تارة قصر إفراد وذلك إذا وقع
الرد به على المشرك المثبت مع الله إلها آخر وتارة قصر قلب إن فرض من يخاطب به إلها آخر ولا يثبت
الله تعالى وتارة قصر تعيين إن خوطب به من تردد في تعيين الواجب الوجود وغيره وهذا القول منسوب
للزمخشري ويستقيم معه المعنى الذي ينبغي في الكلمة المشرفة من إثبات الألوهية لله تعالى ونفيها
عن كل ما سواه غير أنه مستبعد في الصناعة لا في الإفادة وقد اعترضه المتأخرون كابن هشام بأن المنكر
من مذهب سيبويه أن النكرة المتقدمة إذا كان لها مسوغ تجري خبرا عن المبتدأ في قوله تعالى إن أول بيت
للناس وبأنه يستلزم بناء الخبر مع لا وهو لا يصح ويلزمه أن لا يجوز النصب فيما بعد إلا وقد سمع وبأنه
ينتقض بنحو قولنا لا طالعا جبلا إلا زيد حيث ينتصب ما بعد لا فإنه لو كان خبرا لم يكن وجه لنصبه
وليس له أن يقول إن لا عملت عمل ليس لأن الخبر إذا تقدم بطل عملها وقد انتقض التعبير أيضا وما بعد
لا معرفة وأجيب عن الأول بأن المسألة خلافية ولا يلزم الزمخشري أن يقول فيها بقول سيبويه وعن الثانية
بأن ادعاء أنه لا يبنى الخبر مع لا مصادرة لأنه المتنازع فيه والعرب نطقت بهذا التركيب ولم تنص على
أن لا وإن أنه هو الاسم فيحتمل **قلت** وفي هذا الجواب بأن هذه الصورة إذا كانت
مشكوكة محتملة فلا بد أن يرد الوجه المعنى الصورة ليقع بذلك بيانها ولا شك أنه لا يوجد في غير هذا
بناء الخبر مع لا وإنما يبنى الاسم فقط فوجب حمل المجهول على المعلوم كيف ومن أفراد هذا النوع بعينه
ما تبين فيه ذلك نحو لا طالعا جبلا إلا زيد بل لا يتحد فيه هذا القسم كله ويتبين نصبه إلا أن يقول
فينتصب وناهيك بهذا دليلا على أنه هو الاسم لا الخبر وعن الثالث بأنا لا نسلم جواز النصب فيما
بعد إلا إذ لا تقول العرب [illegible] لا عالم إلا زيدا ولا عالم إلا الله على أن هذا لازم على كونه خبرا أيضا
قلت امتناع أن يقول لا عالم إلا زيدا بنصب زيد إنما هو إذا كان الاستثناء مفرغا فيكون
ما بعد إلا خبرا أو نائبا عنه أو مبتدأ وذلك موقوف على أربعة امتناع ذلك من العرب [illegible] من كلامهم
أو استقراء تام وما أبعد وجوده وأما لكل من يعرب ما بعد إلا بدلا ويجعل الاستثناء تاما وهم الجمهور
يجوزون النصب وهو القياس في نظائره ولكن الرفع هو الشائع استعماله والسماع من كلام
العرب لا يقتضي أن لا نصب لأن النصب هو المرجوح فلا بد أن يكون قليلا والله وعن الرابع بأن الزمخشري

Copyright © King

قلت أن يقال لم أراد أنه لا لازم في كل تركيب بل إنما ذلك فيما يكثر فيه كالمثال الذي مر فيه
وهو ضعيف لأنه نوع واحد من التركيب ومعاده معنى واحد فكيف يختلف مع أنه لم يختلف اختلافا
كاملا يقطع الإجماع وإنما هو بعضه متبين نحو لا إله إلا زيد وبعضه محتمل نحو لا عالم إلا زيد
فيحمل المحتمل على المتبين وبالجملة فالذي يقتضيه الذوق أن رفع الصفة على الموصوف في نحو زيد عالم هو
أن يقال لا عالم إلا زيد فتثبت زيد عالم وهو خبر مقدم وإذا قيل لا عالم إلا زيد فالصواب الذي أفهم منه هو
أنه نفي لأحد إلا العالم وإثبات لواحد منهم وهو زيد وما سوى هذا لا يخلو عن تعسف والله أعلم بمن هو
أهدى سبيلا وأما الوجه الرابع وهو أن تكون لا بمعنى غير فهو مبني على أن الخبر محذوف مقدر بعد إلا وتقدير
الكلام لا إله غير الله موجود أو مستحق للعبادة وفرارا عن ضرورة المقصود من الكلمة إثبات الألوهية
لله تعالى ومع نفيها عما سواه ولا يصير التركيب على هذا الإعراب إثباتها لله تعالى اللهم إلا على طريق
المفهوم وهو ضعيف قلت وتقدم ما يجاب عن هذا في الوجه الثاني وأما الخامس
وهو أن يكون ما بعد إلا مغنيا عن الخبر فهو مبني على أن الاسم بمعنى الوصف لأن إله بمعنى مألوه أي معبود
وهو مبتدأ وما بعد إلا نائب عن الفاعل يغني عن الخبر وكأنه قيل ما معبود إلا الله كما يقال ما مضروب
إلا الزيدان ورد بوجهين أحدهما أن إلها ليس بوصف ولا يستعمل عمل الفعل الثاني أنه لو كان عاملا الرفع
فيما بعده لوجب أن ينون ويعرب لأنه إذ ذاك مطول قلت ويجاب عن الأول بأنه إنما أعرب
ذلك الإعراب لاعتبار الوصف بمعنى معبود كما في رجال لا يكون وصفا مجموعا ولا بمعنى المؤول بالمشتق
كالمشتق وعن الثاني بأن المطول يجوز فيه التنوين في مثل هذا ورد بأنه لو كان جائز
الجزء لكان جائز الإثبات ولا قائل به وأما الأول من وجهي النصب وهو أن يكون ما بعد إلا مستثنى
فينصب فهو مبني على أن الاستثناء تام كالقول بأن البدل الذي يجوز فيها البدل يجوز فيه النصب
كما في غير أن النصب إذا كان الاستثناء من غير النصب نحو ما جاءني أحد إلا زيد وما مررت بأحد إلا
زيد مرجوح جاز البدل فيه تشاكل الأول والثاني وذلك بخلاف النصب على الاستثناء وإذا كان
الاستثناء من نصب نحو ما رأيت أحدا إلا زيدا فقد استوى فيه التشاكل فلا يكون النصب مرجوحا
وعلى هذا فهو كذلك في الكلمة المشرفة لأن اسم لا ليس بمرفوع ولا مجرور لأن الرفع هو الذي جرى
الاستعمال به والله أعلم وأما الثاني وهو أن تكون إلا بمعنى غير وصفة لاسم لا بحسب محل لا مع الاسم
وهو النصب فهو مبني أيضا على أن الخبر محذوف مقدر بعد إلا والتقدير لا إله غير الله موجود أو معبود

نحو

Saud University

الكلام في المقصد الاول

نحو وما ورد عليه في حالة الرفع بدلا هاهنا والمعنى واحد والله الموفق للصواب واليه المرجع
والمئاب **وقد ان الشروع في المقصد الاول** من الكلمة
المشرفة في تفسير معناها وبيان فحواها قال ايها المعترف اللبيب والفطن النجيب مثلي يغني من جهلك
عن قائلك وامتثال الحكمة بان قائلها بعد تصفح الفصول السابقة والتفحص عن بيانات الكلمة الشريفة
لا يخفى لك معنى هذه الكلمة تزيدي ولا تستنيري ولا كل المطلوب في هذا المقام الا الصواب لما يرد فيه (المشرفة)
من التباس الخطاب بالصواب **فنقول** المقصود من هذه الكلمة هو نفي كل اله يقدر سوى الله
تعالى خالق العالم وافراد الله تعالى بالالوهية فان شئت قلت المقصود هو نفي الالوهية عن كل ما
سوى الله تعالى لتتمحض الالوهية لله تعالى وهذا المعنى يتيسر من هذه الكلمة غاية اما على كون الاستثناء
مفرغا فلانه نزل على حصر الالهية في الله تعالى سواء جعلنا ما بعد الا خبرا او مبتدا او كانه قيل ما
الاله غير الله وما الله الا الله كما يقال ما العالم الا زيد وما عالم الا زيد وكما ان هذا التركيب يفيد
نفيا وانكارا لكل عالم يدعى سوى زيد وفي معنى ذلك انتفاء العلم عن غير زيد وانفراد زيد بالعلم
كذلك قولنا ما الاله الا الله او ما اله الا الله نفي وانكار لكل اله سوى الله تعالى فالله هو الاله
لا غيره وفي معنى هذا نفي الالوهية عن كل ما سوى الله تعالى لينفرد الله تعالى بالالوهية واما
على كون الاستثناء تاما فلانه نزل على نفي كل اله بقدرة الزاهد ويبطل الوهم وعلى اثبات ولم يقف
من هذه الجملة وهو الله تعالى خالق العالم وكانك قلت ليس في الوجود اله او ليس في الوجود مستحق
للعبادة الا واحد وهو الله تعالى كما تقول ليس في الدار رجل الا زيد وهذا ايضا هو كالاول **فان**
قلت اراك تقدر في هذا المقام الخبر بقولك موجودا او معبودا بالحق فاي التقديرين
هو المتعين او هو الافضل **قلنا الجواب** ان هذا تابع لمفهوم الاله ما هو وقد مر
الكلام عليه مفصلا فان قلنا الاله هو المعبود بالحق اي المستحق للعبادة وهذا هو معناه الحق عند
التحقيق فالخبر المقدر حينئذ هو موجود والمعنى لا مستحق للعبادة في الوجود الا الله تعالى ولا معنى
لتقدير بمستحق كما لا يخفى وان قلنا الاله هو المعبود على الوجه الاعم فالخبر المقدر حينئذ هو المعبود
بالحق او المستحق للعبادة وكانه قيل لا معبود يستحق ان يعبد الا الله تعالى اي وكل معبود سوى
الله تعالى فليس بمستحق ولا معبود بحق بل باطلا كالاوثان والاصنام ولا يصح تقدير موجود على هذا
التقدير كما لا يخفى لان المعبودات من دون الله موجودة فلا يصح النفي **فان قلت**

65/9x

Copyright © King

ما هو المثبت في هذه الكلمة وما هو المنفي قلنا أما المثبت وهو ما بعد إلا فهو الله تعالى الواجب
الوجود المستحق للعبادة خالق الكل ورازق الكل وهو علم جزئي موجود لا يقبل العدم أولا ولا آخرا
ولا يصح تسلط النفي عليه بحال ولا يقبل شركة في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى وأما
المنفي فهو الإله الكلي القابل للشركة بحسب تصوره فإن قلت بل هو الحق لا الباطل
لأن الباطل موجود كالوثن والصنم ولا يصح نفيه والكلمة المشرفة كما علمت إنما هي إخبار عن وجود
شيء من أفراد الإله المغايرة لفرد واحد وهو الله تعالى ولا شك أن الذي عدمت أفراده إلا الله تعالى
هو الإله المستحق للعبادة الذي لو وجد لكان مماثلا لله تعالى لكنه لم يوجد بل يستحيل وجوده أما أفراد
الإله المعبودة بالباطل فموجودة كالأحجار والأشجار التي يعبدها المشركون ولا يصح نفي وجودها إذ لا
تماثل الله تعالى ولا تشاركه في ألوهيته وبالجملة فأفراد الإله المعبود بحق منحصرة في مولانا جل وعز مستحيلة
الوجود وعلى ذلك دلت براهين الوحدانية وأما أفراد الإله المعبود بالباطل فجائزة الوجود بل هي
موجودة ولا يلزم على وجودها محال أصلا ولا يصح نفيها بحال إذ نفي ما هو موجود محال فهو كذب وهذا
واضح غير أن العبارة موحشة فلابد أن تعلم أن قولنا الإله الباطل إله باعتبار وكذا الإله الحق وهذا بعد
التنبيه لما قرر في الفصول المعهودة من أن الشيء له وجود ذهني ووجود خارجي وأن معنى كونه مستحيلا
هو أن لا يصح وجوده الخارجي ولا يستلزم ذلك انتفاء وجوده الذهني إذا تقرر ذلك فنقول الإله
الحق هو المستحق للعبادة والإله الباطل هو الذي لا يستحق أن يعبد وهذان المعنيان معا موجودان في الذهن
بالفهم والتصور وكل منهما لا يمنع تصوره من أن يكون له أفراد في الخارج يصدق على كل منها في الأول أنه
مستحق للعبادة وفي الثاني أنه غير مستحق لكن تبين بالبراهين القاطعة أن الأول وهو المستحق للعبادة
لم يوجد في الخارج شيء من أفراده ولم يصح وجوده بحال بل هو مستحيل الوجود إلا فردا واحدا منه وهو
الله تعالى خالق العالم فهذا المنفي حق باعتبار ماهيته المتصورة وباعتبار وجوده الذهني وليس منفيا
من هذا الوجه وإنما هو منفي بحسب وجوده الخارجي وهو بحسب هذا الوجود الخارجي مستحيل
لأنك قد علمت فيما مر أن مناط الاستحالة والوجوب والجواز هو الوجود العيني الخارجي فلم يقع
النفي إلا على المستحيل وهو إله حق أو أكثر يوجد غير الله تعالى فأنت إن شئت سميته مستحيلا باعتبار
عدم صحة وجوده وإن شئت سميته حقا باعتبار ذلك المعنى المتصور منه ثم تقول هو منفي ومستحيل
باعتبار وجوده الخارجي فلا يلتبس عليك الأمر ولا يختلط لك تراجع من كونه حقا وكونه منفيا فإنه

لو

هو الحق لانه هو الثابت

لا ان يريد بكونه حقا الثابت في الخارج كما هو المتبادر واما الحق الثابت في الخارج هو الواحد الاحد المقدس
وهو الله تعالى لا غير . الا كل شيء ما خلا الله باطل ﴿و﴾ تبين بالمشاهدة ان الثاني وهو المعبود الذي لا يستحق
العبادة المعبر عنه بالباطل قد وجد في الخارج الا انه وهي الاصنام والاوثان ونحوها كما وجد
هو في الذهن فكونه باطلا انما هو بحسب ماهيته المتصورة لا بحسب وجوده لا الذهني ولا الخارجي
بانه موجود فيهما ولذلك قلنا انه لا يصح نفيه الا لوجوده فلا يلتبس عليك الامر ايضا من كونه باطلا
مع كونه موجود الشيء بمعنى ما ذكر نقل انه باطل بحسب وجوده لا بحيث لا يصح وجوده اذ لو كان
كذلك لكان هو الحقيق بالانتفاء بل هو من الجائز الواقع كما قررناه اولا وانما الباطل الممتنع الواقع
عليه بمعنى ان ذلك هو معناه والباطل من الاشياء التي يصح وجودها وانتفاؤها وليس الباطل
بهذا الاعتبار مرادفا للمستحيل ولا الحق مرادفا للواجب نعم اذا انظر الى الوجود الخارجي فالباطل
المحض هو المستحيل والحق المحض هو الواجب وانما عبرنا بالمحض لصحة ان يطلق على المعدوم جوازا
انه باطل لا يصح ان يطلق على الواقع جوازا انه حق الا ان يكون هذا وحقيته هذا باعتبار لا مطلقا
﴿و﴾ قد تقرر من هذا كله ان النفي في الكلمة المشرفة متسلط على كل اله يعبد مستحقا للعبادة سوى
الواحد المستثنى من ذلك وهو الله تعالى فهي اخبار عن انه لا وجود لاله يستحق العبادة غير الله
تعالى كما قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى لا تتخذوا الاهين اثنين انما هو اله واحد
وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الى غير ذلك من النصوص
فان قلت انك اذا جعلت المنفي هو المعبود بالحق سوى الله تعالى فقط وان المعبود
بالباطل ليس بمنفي لزم ان تبقى الالهة الكفار ومعبودات المشركين غير منفية فتكون مسكوتا
عنها وفي ذلك تقرير لهم على عبادتها واعتقادهم لالوهيتها وهذا خلاف ما علم من الشريعة واستفيد
من الايات انه رد عليهم اعتقاد الالوهية لغير الله تعالى وانكر عليهم عبادتهم للاوثان ونعى عليهم ما
انتحلوه من الشرك واختلقوه من الافك وبذلك اشمأزوا من التوحيد واشتغلوا عن المقصود واستبعدوا
من ابطال الهتهم وايراد الواحد الحق بالالوهية كما قال الله تعالى عنهم اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب الى غير ذلك **قلت** هذا جهل ركيك ووهم خسيس فان معبودات
المشركين من حيث انها خشب وحجر ونحو ذلك من الاجرام لا معنى لدخولها في النفي ولا للتعرض لها
وذلك لوضوح الحق ان المراد من الكلمة المشرفة اثبات التوحيد وانما ذلك بنفي الشريك

Copyright © King

والجمع المنافاة لا يعقل اشتراكه مع الله القديم في شيء حتى يحتاج الى نفيه فان التوحيد صحيح مع ثبوته فانا لو فرضنا
ولله المثل الاعلى سلطان اقليم كذا او اخر مثلا انما ينقضه ان يوجد هنالك سلطان ثان لا ان يوجد عبيد وخدم
وعمال ونحو ذلك وهذا امر واضح **الوجه الثالث** انه تقرر فيما مر ان الذوات لا يصح توجه النفي
اليها وانما ينفى وجودها ووجود هذه حاصل فلم يكن للنفي اليها سبيل واما من حيث ان تلك المعبودات
الهة عند عبادها فقد وقع تعرض النفي لها غاية التعرض ووقع بالكلمة المشرفة الرد عليهم
في ذلك غاية الرد ووجه التعرض لها انه لما نفت الكلمة المشرفة وجود اله مستحق للعبادة غير
مولانا جل وعز علم ان الاوثان والاصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى ليس شيء منها الها مستحقا
للعبادة اذ لو كان شيء منها الها مستحقا للعبادة لانتقض به النفي لاستغراقه الذي في الكلمة
المشرفة لان الكلية السالبة تنتقض بثبوت شيء مما نفي بها وهذا امر مفهوم لكل عاقل عربي او عجمي
ولذلك جمع الكفار عوامهم وخواصهم ان الكلمة المشرفة رادة عليهم ومبطلة لشركهم وبذلك
امتعضوا واشمأزوا كما قال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون وهذا كما لو قلت في بلد من البلدان لا مذهب في هذا البلد الا مذهب
مالك فان السامع لو اعتقد ان ثم مذهبا اخر كمذهب الشافعي مثلا ينكر عليك ويعتقد ان كان
شافعيا ولا يتوقف في انكاره عليك على ان تقول لا وجود لمذهب الشافعي بل قولك لا مذهب الا
مذهب مالك انكار ونفي لمذهب الشافعي وغيره من المذاهب وكذلك الوثني اذا سمع كلمة الاخلاص
يجحدها ويغتاظ منها ولا يتوقف في انكاره على ان يقال له ليس الوثن باله او لا الوهية للوثن بل قول
لا اله الا الله ابطال لكون الوثن الها وكذا غير الوثن من كل ما عبد من دون الله تعالى وهذا قد بيناه
فيما مر غاية التبيين وانا اذا قلنا لا رجل في الدار لا زيد فانا نعتقد اذا كان هذا الكلام صدقا ان كل
موجود في الدار من شخص انسان او غيره ليس برجل اذ لو كان شيء منها رجلا لبطل قولنا لا رجل في الدار وبالجملة
فالكلمة المشرفة كلمة الاخلاص قاضية بثبوت الالوهية الحقيقية لله تعالى وحده نافية لذلك عن كل
ما سوى الله تعالى حاكمة بان ليس مع الله تعالى اله حق لانه احد وان كل معبود من دونه تعالى من وثن
او نجم او ملك او ظلمة او نور او غير ذلك ليس باله حق وانما هو اله باطل وبذلك وقع الرد بكلمة
الاخلاص على سائر المشركين من وثني وملكي ومجوسي ونصراني وغيرهم لان هؤلاء يزعمون ان مع الله
الهة اخر او الهين مستحقة للعبادة حقيقة الالوهية والكلمة المشرفة قاضية ببطلان

ذلك

ذلك لا نفي الاله على ان الوجود لا اله موجود الا الله تعالى كما قررنا اولا واعلم ان هذا المعنى الذي قررنا في
كلمة الاخلاص من كونها نافية لكل ما يقدر في الوهم من الالهة المعبودة بالحق مثبتة للواحد من ذلك
وهو الله تعالى خالق العالم هو من الوضوح بحيث لا نظر لاحد من المومنين فيه او يلتبس عليه ومع
ذلك قد وقع لاقوام اعاجم عدم الخائضين في هذه المباحث من المتاخرين حتى شنع بعضهم على بعض
تشنيعا وقدح تقريعا ونحن نعتقد انهم كلهم على هدى من ربهم فيما قرروه من الاعتقاد وانما نشا الخلاف بينهم
فيما نظن من اوهام يوجهها الشيطان الى قلوبهم ويطمس بها عيون بعضهم عن محاسن بعض مع قصور
قد يقع في عبارة بعضهم يمنعه ان يبلغ بها ما ينحو اليه او يعجز عما يرد عليه فلا يبلغه طالبه ريثة ولا
يتاتى حتى يعم طريقه ومن ذلك ما وقع بين المشايخ الثلاثة ابي عبد الله الخروبي الطرابلسي وابي
عبد الله محمد بن احمد البسيتني وابي محمد عبد الله بن محمد الهبطي ولا بد ان نرسم لك طرفا من كلام كل
واحد على ما وقفت عليه في تقاييد الهبطي ليتبين الحق من الباطل والجلي من العاطل قال الخروبي
رحمه الله ما نصه ومن الادب ان لا تنفي ولا تثبت عند النطق بحرف النفي الا ما ادعاه المشركون من الهة
سوى الله تعالى وليكن الحق جل جلاله ثابتا عندك في حالة النفي والاثبات والى هذا المعنى اشار
بعض العلماء حيث قال النفي لمن يستحيل كونه والاثبات لمن يستحيل عدمه انتهى واعترضه ابو
عبد الله البسيتني باوجه **الاول** انه مخالف لما اتفق عليه النحاة والمتكلمون من ان لا اله الا الله
الجنس والحقيقة ولا معنى مع لا الا اذا كان كذلك جمع كلي ولا شيء مما ادعاه المشركون بكلي اذ ما يدعونه
ويعبدونه جزئيات خارجية متشخصة **الثاني** انه لو كان كذلك لكان الاستثناء منقطعا ولا قائل
به ولا خلاف في الاستثناء الاتصال **الثالث** انه ليس فيما ادعاه كبير ادب بل الادب ان يكون النفي
شاملا للوجود كان الله يفرد سوى الحق سبحانه على ما قاله النحاة او للماهية لا بقيد على ما قاله
المتكلمون على ما هو معروف في بحثهم مع النحاة حيث يقيدون بالوجود **الرابع** ان في كلامه تناقضا
حيث نقل عن بعض العلماء النفي لمن يستحيل كونه والاثبات لمن يستحيل عدمه فان من يستحيل كونه مفهوم
كلي لا يعم فيما ادعاه المشركون فان سلم هذا الكلام لزمه التناقض وما قاله هذا العالم هو الحق
الذي لا شك فيه انتهى واعترض ابو محمد الهبطي كلامهما معا بكلام كثير فالذي اتى به مما طال البسيتني
ما نصه ووجه المؤاخذة على الامام الخروبي انه سلط النفي على ما ادعاه المشركون وما ادعاه
المشركون ثابت موجود لا يتناوله النفي بالكلية ووجه المؤاخذة عليكم انكم تعقبتم عليه قصر النفي

على ما ادعاه المذكورون فقط حتى انه لو ادخل في جنس ما انه ليعم لكان مسلما عندكم والجواب جنس ما انه
المعبود بحق غير جنس ما انه المعبود بالباطل اذ كل واحد منهما بحده مختص على افراده انتهى ثم الكلام في تقرير
هذا المعنى وان معبودات المشركين لا تدخل في هذا الجنس اصلا قلت واذ فرغنا من الكلام
هؤلاء الايمة فلا بد ان ننتصحهم بعض النصح ونفشي الود عند كل واحد بكلامه بما لا بد منه من الاشارة
اليه والتنبيه عليه معطيا ان شاء الله كل ذي حق حقه ومعطيا الحواشي ايضا حقها فان لحوم العلماء
مسمومة والورع بالحرمة منة معلومة بعد ان تعلم انه ما اتى مثل هؤلاء به كثرة انكار بعضهم على
بعض ومبادرة بعضهم الى تجهيل غيره وتضليله الا من اهمال الالفاظ وما تدل عليه من انواع الدلالات
وقلة الالتفات الى ضروب المعاني المتشعبة من ذهنية وخارجية وجزئية وكلية وقلة استحضار
الفنون المختلفة من معقول ومنقول وقلة البحث ان يوفي كل ذي حق حقه وغير ذلك مما يجب اعتباره
ويتردع مع ذلك بحسن النظر والتامل المخارج لكلام المومنين فكيف بالعلماء الراسخين فان ادنى شيء
يقع للمعترض على غيره ان يحمل لفظا ظاهر الدلالة على معنى فاسد بعيد الدلالة على الصحيح مما يتوقف
ان يحمله على الفاسد فيتم له الاعتراض محتجا بنوعه الاما ذكر ان الحمل القريب الظاهر اولى من البعيد
وما يدري المسكين ان هذا وان كان بعيدا فمعه ظاهر يقويه وهذا الحمل الفاسد وان كان ظاهرا فمعه بعيد
يضعفه ويوهنه وذلك ان ينظر الى حال علماء الاسلام المعروفين بالعلم والدين واتباع سنة السلف
الصالحين ما الغالب والمظنون في اعتقادهم وكلامهم فيعلم ان الغالب والمظنون الظاهر منهم في الجملة
هو اعتقاد الحق وارادة الصواب بل الخير مظنون بكل مومن فكيف بالعلماء فيعلم حينئذ ان بعد
اعتقادهم للفساد يبعد هذا الحمل الفاسد وان كان قريبا وظهور اعتقادهم للحق يقرب هذا الحمل
الصحيح وان كان بعيدا مع السلامة وامتثال امر الله تعالى في التثبت دون ما والع للمعترض ان يوفي كلام
القول والقايل حقه فيقول هذا القول ظاهره كذا وهو فاسد فيجب ان يكون مراد القايل كذا وهو صحيح
وهذا ما دام يجد للصواب محملا وللحق منهجا فان اعوزه ذلك اللفظ من بابه الفساد غير قابل للتاويل
بوجه من الوجوه بعد الامعان في التامل بمقتضى حسن النظر ان يقول سهو وقلم حتى يتبين من خارج او
من سابق الكلام ولاحقه ان ذلك مذهب القايل والله تعالى الكريم يعصمنا من الزلل في القول والعمل
ويجعلنا من اهل الصدور السليمة والمذاهب المستقيمة بمنه وعونه فنقول وبالله تعالى التوفيق
اما كلام الخ وبين موقع الاعتراض منه هو قوله ان النفي انما هو لما ادعاه المذكورون من الالهة

هو

٢٧

سوى الله تعالى فانه يظهر انه اراد الالهة الخارجية عند المشركين من حجر وشجر وملك ونحو ذلك
فاعترض عليه اليستيتني بان هذه الخارجية جزئيات ومدخول لا يجب ان يكون كليا انتهى اخر كلامه
واعترض عليه الهبطي بان تلك الالهة موجودة فلم يصح نفيها فان نفي الموجود كذب قلت
وهذا مبني على ان المراد من قوله لا اله الا الله المذكور مصروفه الخارجي وليس هذا بواجب ان يراد
ولابد ان تعلم انه من الاشياء الضرورية ان كل لفظ واقع على كلي كالانسان والفرس والشجر ونحو ذلك
لابد له من اعتبارين احدهما مفهومه وهو ما يتصور منه كالحيوان الناطق من لفظ الانسان والحيوان
الصاهل من الفرس مثلا الثاني مصروفه وهو ما يقع عليه من الافراد باعتبار وجود معناه فيه كزيد
وعمرو وزينب وهند للانسان فاما الاول وهو المفهوم فهو كلي ابدا نحو هذا وهو متصور
في الذهن سواء كان له وجود في الخارج ام لا واما الثاني وهو المصروف فقد يوجد للكلي منه واحد
وقد يوجد كثير وقد لا يوجد شيء اصلا كالشريك ونحو من ذلك وقد تقدم بيان هذا في بيان اقسام الكلي
الستة ولا معنى لاعادته اذا تقرر هذا فنقول قول الشيخ وغيره لا اله الا الله المذكور يحتمل ان يريد به مصروفه
الخارجي كالشجر والحجر وهذا موقع الاعتراض ويحتمل ان يريد به مفهومه وهو مفهوم الشريك الكلي
او الشركاء فان المشركين على اختلاف نحلهم وتباين مللهم من وثني وملكي وثنوي ومثلث وغير هؤلاء
متفقون على امر واحد هو القدر المشترك بينهم وهو تجويز ان يكون مع الله جل اسمه وتعالت كلمته
من يشاركه في استحقاق العبادة ثم يعتقدوا على هذا التجويز بل حكموا بوجود ذلك غير انهم اختلفوا
بعد ذلك فمنهم من يثبت شريكا واحدا هو فاعل الشر كالثنوية ومنهم من يثبت اثنين كالنصارى في التثليث
وهؤلاء غلاة المشركين القائلون بالشركة في الالوهية الحقيقية ومنهم من لا ينضبط حاله بل يثبت
ما يعقوله مما قام له عليه داع الى الشركة وباعث الى العبادة كغيرهم من الوثنيين والفلكيين
ونحوهم فقد اجتمعوا على اثبات الشريك المستحق للعبادة في الجملة وهذا مفهوم كلي من غير
التفات الى مصروفاته الخارجية في زعمهم ولا شك ان هذا المفهوم الكلي فراغ عن كلهم ولا
اشكال انه هو المنفي في الكلمة المشرفة فيجب ان يكون هو المعنى في قوله لا اله الا الله المذكور كون
فلا يبقى على الشيخ بين اعتراض لا من قبل اليستيتني لان هذا كلي لا جزئي ولا من قبل الهبطي لان هذا منفي
ليس بموجود ولا يصح وجوده فان قلت هذا الحمل بعيد فقوله من الالهة سوى الله
تعالى فان الظاهر ان مراده بالالهة الخارجية المعبودة وقد جاء به بيانا للموصولة فلا يبقى

Copyright © King

يحمل الموصول على الكلي المشترك فتوجه الاشكال **الجواب** انك قد علمت فيما مر ان الكلي اذا لم توجد
له افراد كالشريك للباري لا يتصور له ذلك حقيقة الكلي انه لا يمنع الشركة وعلمت ان النفي اذا تسلط
ابدا على هذا الكلي فهو متوجه الى الماهية ولا الى افراد تبع او الى الافراد على ما قررنا فيما سلف فالالهة المبين
لها الموصول هاهنا ان اريد به القدر المشترك وهو المشارك في استحقاق العبودية وانما عبر
بالالهة لان هذا المشترك تعدد له افراد بل هي موجودة عند الكفرة وكلمة الالهة فلا اشكال
في انه على ما قررنا وان اريد بالالهة الافراد وهي افراد المعبود بالحق مع الله تعالى كما هو الظاهر من
العبارة فلا اشكال ايضا في صحة النفي اذ هي المنفية فان معنى لا اله الا الله انه لم يوجد فرد مستحق
للعبادة الا الله الواحد وهو الله تعالى وهذه الافراد التي قلنا انها هي المنفية ليست هي الافراد
العينية الخارجية المتعينة بكونها شجرا او حجرا او ملكا او نحو ذلك بل هي الافراد الذهنية المتصورة
للكلي وهي المأخوذة في حقيقته ولا وجود لشيء منها في هذا المثال لان المراد بها افراد الاله
المستحق للعبادة المشارك لله الحق في ذلك ولم يوجد شيء من هذه الافراد ولا يصح وجوده اصلا
وانما الموجود واحد وهو الله تعالى خالق العالم الا انه لما غلط المشركون فتوهموا وجودها
في الخارج كما مر جيء بكلمة الاخلاص ردا عليهم اخبارا بانها لا وجود لشيء منها الا واحد وهو
الله تعالى فانتفى ان تلك الافراد منفية وهي التي ادعاها المشركون الهة فتبين ان ما ادعاه المشركون
من الالهة منفي وهذا كلام الحق وهو صحيح **فان قلت** ان كان هكذا ام لم يقول ما ادعاه
المشركون والمطلوب نفي مطلق الشريك لا خصوص ما ادعاه المشركون وايضا فالمطلوب نفي
الشريك سواء ادعاه احد او لا فما فائدة نفي الشريك او نفي الالهة سوى الله تعالى او نحو ذلك
قلت اما اولا فالسؤال مبني على وهم ان ما ادعاه المشركون هو المقصود بالحصر وقد
بينا انه ليس من افراد الاله ما اجمعوا عليه في الحصر من الشريك او الشركاء والا فنفي هذا لم يكن مرادا
مطلقا اذ المقصود من كلمة الاخلاص وان كان الكلام فيها انما هو تحقيق ان لا شريك لله تعالى في الوهيته
وليس ثم شيء هو اعم من هذا كما لا يخفى واما ثانيا فلانه انما ذكر المشركين لما يترتب ان لا ولي ببيان
النفي وتعميمه بذكر جنسه كانه قيل الشريك وهو الذي ادعاه المشركون ثم ليس له افراد غير ما
ادعوه في الخارج كما قررنا بل نوعه كما قال ورقة بن نوفل هذا الناموس الذي نزل على موسى فمعلوم
انه ليس ذلك النازل على موسى بعينه ولكن نوعه على ان المراد به الوحي وايضا فقد بينا انهم اجتمعوا

على

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات
King Saud University

على فرد مشترك فيه الافراد والمراد به التصورية الثانية انما ذكر المشركين لما تقرر عنده ان الكلمة المشروحة
انما سيقت للرد على المشركين لتحقيق التوحيد وذلك حكمة ورودها وسبب الخطاب بها كما لا يخفى
وهذا كله واضح ولو تامل المعترض على الحفيد في قوله ان لا اله المراد به الجنس والحقيقة ولا
ينبغي مع لا الا اذا كان كذلك لعلم ان قولك لا درهم عندي ولا رجل في الدار ولا من في الصوف وغير
ذلك مما لا يحصى كله دخلت فيه لا على افراد توجد في الخارج متكررة جزئية والغاء النفي من حيث انه
يلاحظ المعنى المشترك الجامع وتلاحظ في الذهن افراد في النفي من غير التفات الى ان الافراد
الخارجية ويصح النفي اذا لم يحصل وجود في الخارج ويكذب ان وجد ولو ادعى مدع ان الافراد
خارجية وهو مبطل في دعواه في النفي كما في مسئلتنا وقول المعترض ان في كلام الحفيد تناقضا حيث
انه بكلام ذلك العالم فان من يستحيل كونه معدوما كلي يقال لهذا المعترض من يستحيل كونه
معدوما وله مصدوق جزئي وهو معبود الكفار بحسب وضعه المدعى للكفار كونه مستحقا لان
يعبد مستحيل وهكذا كلام الحفيد به له معدوم كلي ومصدوق جزئي ولم غلبت في كلام هذا العالم رعاية
المعدوم حتى صح كلامه وفي كلام الحفيد رعاية المصدوق حتى بطل كلامه فهلا رعيت المعدوم
فيهما معا او المصدوق فيهما معا فهل هذا الا تحكم او نطق بلا تامل فان قلت المدعى
في كلام الحفيد مضافا الى المشركين فناسب ان يكون خارجيا وهو المصدوق والمستحيل كونه في
هذا العالم مطلوبا فناسب ان يكون كليا وهو المعدوم قلت هذا وهم ساقط فان كلا
من الكلي والجزئي والذهني والخارجي يعتبر مطلقا ومضافا الى العقلاء فان العقل له التصرف
في الكل على حد سواء بل اذا اعتبرت المراتب فالسابق الى العقل الجزئي اولا العقليات حتى
يقع له التفات الى حالها بعد ذلك من وجود خارجي او غيره كما ان السابق الى الحس المحسوسات
حتى يقع له التفات بعد الى ما فيها من المعاني وهذا امر واضح على انه لو وقع تفاوت ما بين العبارتين
لم يكن ذلك موجبا لتقابلهما حتى يحكم في هذه بالصحة وفي هذه بالفساد كما لا يخفى بل الكل قابل
للتاويل وان تفاوت في القرب والبعد فافهم والله الموفق للصواب واما كلام اليستني فوقع
لما عثر اخر منه قوله ليس فيها الالهة يعني الحفيد بن كبير ادب بل لابد ان يكون النفي شاملا لكل ما
يعبد من دون الحق سبحانه لم وجه لما عثر ان الظاهر منه انه يقول ينبغي للحفيد ان لا يقتصر بالنفي
على ما الالهة المشركون من الالهة الباطلة بل يجعل النفي متوجها اليها والى غيرها من كل ما يعبد

Copyright © King

سوى الله تعالى فقد اقتضى هذا ان معبودات الكفار داخلة في النفي ووجه الاعتراض عليه انهما
موجودة فلا يصح نفيهما ومبنى الاعتراض هو ان اليستيتني اراد ان يضم ما وقع عند الحق وبين مس
الجزئيات الخارجية الى كل ما يقدر ليصح النفي فيقع الاعتراض عليه من جهتين احداهما ان تلك الجزئيات
الخارجية موجودة فلا يصح نفيها الثانية ان في هذا اثباتا لما نفاه اولا في اعتراضه على الحق وبين ان الجزئيات
لا يصح ان تكون مدخولة للا من حيث لا انما يكون جنسا كليا فكيف استباح هنا ان تدخل هي
وغيرها ولا يصيرها انضمام غيرها اليها كلية بعد ان كانت جزئية والجواب عن اليستيتني
انه ما اراد ادخال المعبودات الجزئية في النفي من حيث هي كذلك وانما مراده ان المراد به هو الحق وج
عن هذا المسلك ذكر لا التفات الى ذوات المعبودات الخارجية وذلك بان يجعل النفي متسلطا على
كل اله يقدر في الذهن مستحقا للعبادة غير مولانا جل وعز كما صرح به من غير التفات الى ما ادعي في الخارج
وما لم يرد وهذا صحيح لا شك فيه لان المنفي في الكلمة المشرفة متوجه الى كل ما يقدر ويفرض من
الالهة غير مولانا جل وتعالى وهذا المحمل واضح في عبارته اذا لم يكن شرط فيه قوله او لا ليس فيها
ادعاء فيها ادب بل الادب كذا الخ بان يقال انه ان كنت تريد بكلامك قول الحق ومن يكونه ان الجزئيات
الخارجية فكلامه ليس فيه شيء من الادب بل سوء الادب والبطلان والفساد فكيف تقول ليس فيه
كبير ادب فان مقتضى كلامك انه قد اتى بشيء من الادب وفيه والكامل الادب هو ما اتيت به انت
وليس كذلك الا بان تكون نفيت ما عند الى ما عندك وهو محل اعتراض الهبطي وقد يجاب بانه اي
بقوله كبير ادب استبعاد شيء من الادب بل نفيه راسا وكثيرا ما يقع نحو هذه العبارات ولا يراد
ظاهرها والاولى ان يقال ان في كلامه انتفاء او تسليما مطلوبا وكانه يقول سلمنا ان ليس مراد
الحق وبين الادعاء المشركون من الالهة ذوات الخارجية الجزئية بل هو من حيث كونها الهة
ونفي ذلك صحيح الا انه ليس فيه كمال المطلوب وانما كماله نفي كل اله سوى الله تعالى من غير
تعيين لما ادعى وهذا ينرفع عنه اعتراض الهبطي اذ لم ينف الذوات وانما نفي الوصف المدعى
وهو صحيح وحينئذ يرد عليه في قوله ليس فيه كبير ادب ان يقال اذا كان المعتبر هو المعنى الكلي
اي المستحق للعبادة مع الله تعالى الذي ادعاه المشركون نفي على التعميم بان لا وجود لشيء من الهة
الا الله تعالى فهذا هو الحق المطلوب والادب المقصود فاي ادب يفوق هذا حتى يحمله على الكمال
الذي ذكره هو هذا بعينه فقد بان ان ليس يخلو كلام اليستيتني من ضعف وقصور والكمال لله تعالى والله

الموفق

الموجود وأما أبو محمد الهبطي فقد اعترض عليه اليستثني وغيره في قوله إن معبودات الكفار
لا تدخل لها في النفي ومن الناس من يعترض عليه إلى اليوم ويشنعون عليه تشنيعا عظيما حتى
إنهم ربما نسبوه إلى خرق الإجماع وإنكار ما علم من الدين ضرورة وهذا أمر عظيم وبالجملة فقد جعلوا
ذلك من معدود بدع الزمان الشنيعة والهفوات الفظيعة ووجه الاعتراض أن الكلمة المشرفة لا
شك أنها سيقت للرد على الكفرة المشركين وإبطال آلهتهم التي يعبدون من دون الله تعالى وتقرير
أنها لا تستحق أن تعبد وأنه يجب أن تنتفي عن الله تعالى وأن تشاركه في الألوهية وذلك بما اقتضته
هذه الآية من نفي كل إله سوى الله تعالى فهي قاضية بإبطال كل إله يدعون من دونه سبحانه سالبة
عنه وصف الألوهية فمعبودات الكفار كلها باطلة بهذا النفي العام مندرجة في طي ما نفته
هذه الكلمة فكيف يقول الهبطي إنها لا دخل لها في النفي مع أن القول بذلك يقتضي أنها مسلمة
متروكة لم يتعرض لإبطالها وأن الكفار لم يقع الرد عليهم فهم مقرون على ضلالتهم واعتقاد ألوهيتها
وأي زيغ أعظم من هذا الزيغ وفساد أعظم من هذا الفساد والجواب أن هذا الاعتراض
مبني على أن المراد بقوله لا تدخل في النفي أنها من حيث إنها آلهة في اعتقادهم أي مستحقة في العبادة
لا تدخل في النفي بل سلم لهم ما اعتقدوا ولم يتعرض في هذه الكلمة المشرفة لإبطاله ولا الكفر
معاندها من المشركين وأنهم قد قرروا على ما يعتقدون وسلم لهم ما يثبتون من وجود مستحق للعبادة
غير الله تعالى ولو كان هذا هو قول الهبطي لكان إما ذاهبا إلى كفر صراح وذلك أن سلم ما اعتقده
المشركون ورأى صحته وإما ذاهبا إلى إنكار ما علم من الدين ضرورة مع جهل باللغة عظيم وذلك
أن قولنا في الرد على المشركين بآيات أخر لم يقع بهذه الكلمة فإن مدلول هذه الكلمة من إبطال كل إله
سوى الله تعالى وإثبات الألوهية لله تعالى مما علم من الدين ضرورة وهو المدلول لغة لنوع
هذا التركيب وكيف يظن هذا كله بعوام المؤمنين فضلا عن الولي الصالح المجاهد الناصح الشيخ
أبي محمد الهبطي سقى الله ثراه وجعل منه المدد ومن مثواه ولقد بالغ في نصح المسلمين والمبالغة
هنا في الدين ولم يقع في هذا إلا ما هو الحق وإنهم لم يذهب إلا إلى ما هو الصواب المتعين وحمل
كلامه عندنا في قوله إن معبودات الكفار وآلهة المشركين لا تدخل في النفي وجهان أحدهما
أنها من حيث ذواتها أي الحجر والشمس والفلك والنار ونحو ذلك لا تنفى وهذا لا إشكال فيه ويوافق
المخصوم عليه إذ لا إشكال أن الأجرام وكذا الأعراض لا دخل لها في مفهوم العبادة المنفي عنه

كلمة الإخلاص **فإن قلت** هذا أمر واضح فلو كان هو مراد الشيخ بكلامه تعين **فالجواب**
أنه لا شك واضح كما ذكرتم ولكن لما أتوهم من غيره الغلط فيه لم يكتف به من إنكاره وتقرير الإنكار
فيه وذلك موجب للإكثار والإطناب مع أنه في زمن أعجمية غالبة وجهلاً عاماً فبالغ في تبيين الحق وتبيين
الصواب **الوجه الثاني** أنها من حيث وصفها أي كونها آلهة باطلة لا تستحق أن تعبد ولا أن يتقرب
إليها ولا بها لا تنفى أيضاً وهذا أيضاً صحيح لا إشكال فيه لأن هذا الوصف أعني كونها آلهة باطلة لا تضر
ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع موجود لها وقائم بها كما هو موجود في أذهان الموحدين العارفين فلم يصح
تسلط النفي عليه من حيث إجراؤهما أنه موجود وكما لا يصح نفي الذوات الموجودة كذات الصنم
لا يصح نفي وصفه الموجود له ككونه معبوداً بغير حق وفتنة ومضلة وبالإثبات أن المنفي في كلمة
الإخلاص هو المثبت بالإثبات بعدها فلو كان المنفي هو الألوهية الباطلة الموجودة في الخارج لكان
ذلك هو المثبت لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولما علم يقيناً أن المثبت لله تعالى إنما هو الألوهية
الحقية علم أنها هي المنفية عن غيره لا الباطلة وهذا واضح وعلى هذين الوجهين الذين قررنا
ما ترى في كلام العقباني وفي كلام غيره ممن يقرر نفيه من قولهم إن معبودات الكفار لو دخلت
في النفي للزم الكذب أو الكفر وهو صحيح أما الكذب فلازم في الوجهين معاً لأن نفي الذوات
الموجودة وصفاتها الموجودة لها كذب لأنه إخبار بخلاف ما في نفس الأمر وأما الكفر فلازم في
الوجه الثاني كما قررناه من أن انتفاء إثبات الألوهية الباطلة لله تعالى كفر فإذا أحطت هذين الوجهين
الذين قررناهما في معبودات الكفار وفي آلهة المشركين قاطعاً على أنه لم يبق إلا الوجه الثالث وهو
كونها آلهة أي مستحقة لأن تعبد سواء كان ذلك لمشاركتها في الألوهية بعينها وثبوت المثلية
لها كما يقول الثنوية والمثلثة أو لاختصاصها بمزية استحقت بها أن تعبد ويتقرب إليها وبها كما يقوله
الوثنيون ولا شك أن هذا الوصف هو مصب النفي في كلمة الإخلاص والنفي فيه صحيح لأنه لا وجود
له أصلاً لا خارجاً إذ لم يثبت لشيء أنه مستحق للعبادة لا صنم ولا ملك ولا بشر ولا نور ولا ظلمة
ولا غير ذلك وإنما ثبت ذلك لمولانا جل اسمه فهذا الوصف منفي عن غير مولانا جل وعز على العموم
والاستغراق ولا في أذهان الموحدين إذ لا يثبتونه إلا لله تعالى نعم يقع في أذهانهم متصوراً ومنفياً
عن غير الله تعالى وإنما يوجد هذا الوصف لغير الله تعالى في أذهان المشركين وفي اعتقاداتهم وعليهم
وقع الرد بكلمة الإخلاص المقتضية للتوحيد وأن لا إله مستحق للعبادة إلا الله تعالى وعلم

أن

إن كان من الشمس والقمر والفلك والنور والظلمة ونحو ذلك ليس بإله فيستحق أن يعبد وإنما هو مخلوق ذليل
حقير مقهور بقدرة الإله الحق تبارك وتعالى ومشيئته لا يبلغ شيء من ذلك أن يضر ولا أن ينفع إلا بإذن الله
تعالى وقضائه عن أن يكون إلها مما نحاله وجل وتعالى عما يشركون وإن من اتخذ شيئا من ذلك فإنما اتخذ عشر
إفكا وزورا وباطلا وغرورا وهذا الوجه الثالث الذي قلنا إنه معطى كلمة الإخلاص ومن أن هذا لا ينكره
الفهيكي ولا غيره من الموحدين عامهم وخاصهم والحمد لله وإن كان منهم من يعبر من النفي أو قام في غير هذه
العقيدة أما الوحدانية وإن من تلزم تستعمل في من العقائد الواضحة التي هي من وجهة بالنفي
والدم في حق كل موحد وقد علمت من هذا كله أن معبود المشرك كالصنم مثلا له ثلاث اعتبارات أحدها
ذاته وجوهره الثاني وصفه القائم به في الخارج وفي أذهان الموحدين وهو كونه إلها باطلا
معبودا بغير حق مفتقرا إلى الله تعالى الثالث وصفه المدعى له الموجود في ذهن عابده المشرك
ولم يوجد في الخارج ولا في أذهان الموحدين إلا بالنفي ولا يصح وجوده في الخارج الذي لك الصنم ولا لشيء
من المعبودات من دون الله وهو كونه إلها حقا مستحقا لأن يعبد وعلمت أن هذا الاعتبار الثالث
عليه حط النفي في الكلمة المشرفة وبحسبه دخلت الأصنام وجميع آلهة المشركين في النفي
العام ووقع الرد على عبدة الأصنام والأوثان وأرغمت أنوفهم بكلمة الإخلاص وما اقتضته من
81/11 التوحيد التام والاختصاص من أنا جل جلاله بالألوهية والكبرياء والكمال غاية الاختصاص
وانتفاء كل معبود من دونه تعالى بغاية الذكر وعظيم الانتقام وأما الاعتباران الأولان فلم يرد النفي
على واحد منهما أصلا ولا وقع فيه الرد ولا الإنكار أما الأول وهو ذات الصنم فمتفق عليه بين الخصمين
أعني الموحد والمشرك لأن الذات موجودة عند الجميع وأما الثاني وهو الوصف الباطل فمختلف
فيه بين الخصمين فالموحد يثبته والمشرك ينفيه ويثبت مقابله وهو الوصف الحق ولا يصح نفيه على
المشرك ولا الرد عليه فيه إلا لا ينكر من الموحد نفيه وهو الذي يثبته ولا ينكر إنكاره على المشرك وهو
الذي ينكره ويرى أنه وقول الفهيكي وكذا من يقول بقوله إن آلهة المشركين لا تدخل في النفي
الواقع في كلمة الإخلاص إنما هو بحسب الاعتبارين الأولين وليس ذلك هو مراد الفهيكي في كل ما يظهر
ولا يجوز أن يحمل كلامه على الاعتبار الثالث إلا باعتبار عليه ولا عار ينسب إليه وقد اتضح من هذا
أنه ما اعترض على الفهيكي في هذا المحل إلا من نال في بهامه الغفلة وضاقت حوصلته عن تفاصيل
هذه الجملة ولعل سبب الاعتراض عليه والله أعلم أنه قد وقع في معظم كلامه إنكار أن تكون

Copyright © King

في الصفة المشتركة داخلة في عموم النفي وتقرير ذلك والرد على من يقول به من غير أن ينبه على أن الالوهية
واستحقاق العبادة منفية عنه ممن سمع كلامه كذلك يتوهم انه لا يلتفت الى معنى سديد ولا ياوي الى
ركن شديد فينسب فيه الجهل القوم ويصرحه بالهوان غاية السوء والعذر للمصنف في ذلك انه لما
اعتقد في مبادئه انهم يقولون يدخلونها على ما هي عليه من جواز الطلوع الجموع فردوا فيحتمون بها الى
حسن نيته في التكلم وبالغ في التقرير وكان المعنى الثالث الذي هو مطلوب النفي اعني استحقاق
الالهية لا نعدام او اضافة نختص فيه أثار ولا يشك انسان فلذلك لم يشتغل بالاشتغال بالتنبيه
عليه ولا الالتفات اليه وهذا القوم يكره عن هذا الخلط الذي هو فيه خروج ولا كان علي تقرير غيره
خروج ليكون ما طلبنا عليه كلامه في تفسير لفظه وتطلبنا وحل حسن لمذهبه فكيف وقد اوضح في خلل
كلامه الحوالي الا عبرة عليه وبين الصحيح لمن عينيه لو كانت عيون تمتد اليه بما اتى المعترض عليه
لا من تشنيع خصيصا اخرهم سوء النظر ما ينبغي ان يصادفه الشاكر فلذا التدبر وعدم الالتفات
الى كلامه وما احتوى عليه ولا اجل ما الذي غيره المعترض من اثبات الالوهية واستحقاق العبادة
لله تعالى ونفي ذلك عن غيره فرقه هو ايضا غاية التقرير وابان فيه الحق لكل عاقل بصير وها انا
اورد عليك شيئا من كلامه لترى ما ذكرنا راي عين وتبصر الصحيح لمن عينيه قال رحمه الله في صدر
مباحثته لابي عبد الله الهبطي مع الحق وبين ما نصه والمعزم قبل الخوض في كلامه ما ينبغي لذاكر
الكلمة المشرفة من الادب عند ليقصد الى القلب بمعناها حتى لا يسع معه غيره وهو ان يشعر المتلفظ
به قلبه نفي الالهية عن كل موجود سوى الله تعالى واثباتها له تعالى وحده لا شريك له فيها
يكرر ذلك على قلبه ما دام يذكرها على لسانه حتى يتنوع بمعناها قلبه وينمزج لها صدره ويتبع
بعض الله رسوخا كليا ويشعر فيه انتعاشا تاما حتى لا ينطمس ذلك الانتعاش عند فتنة
الفتانين ولا عند سؤال الملكين ولا عند غير ذلك من الاهوال والشدائد الآخروية وبصدق
قوله تعالى ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة انتهى الغرض
منه فانظر رحمك الله في هذا الكلام هل فيه شيء من الصواب وهل للوهم والخطا اليه مسلك
او باب وهل النص فيه لا يجاور وهل الحق الا بما رويت يصح في لا إله هاهنا الا الاحتياج الى النهار
الى دليل وهل قوله نفي الالهية عن كل موجود سوى الله تعالى الا ما يغيره المعترض عليه في
الصفة المشتركة فيهم يختصمون اينما الملا وفيم يختلفون وقال ايضا في جواب له حيث تكلم

انظر هذا التحرير لطالع القاضي المصنف رضي الله عنه وعن هذا المؤلف

على

على شرح الكلمة المشرفة وذكر انها محتوية على اربع كلمات ما نصه وانما الامر الكلمات الاربع النفي
عن عدم لاله الحق بجميع ما سوى الله سبحانه فلا وجود لاله حق سوى الله بل هو معدوم في حق ما
علا له عدم استحالته وعن اثباته لله اي وجوده له وجودا واجبا وانفراده به انفرادا واجبا
وذلك يوجب ان تنحل المشركة فيه بالبراهين القواطع والحجج السواطع انتهى الغرض منه
وقال فيه ايضا ما نصه وهذه الحقيقة المعبر عنها بالواجب الوجود المستحق للعبادة هي الواجبة
لله تعالى المقصورة عليه التي لا يعتريها الرغبة الا كان بمحض الافتراء والكذب وقد تبين لك بهذا
وبما تقدم ان المنفي هو المعدوم المستحيل الذي لا يقبل الوجود بوجه من الوجوه ولا بحال من الاحوال
وتبين لك ان هذه الحقيقة ليست بموجودة لغير الله سواء كان معبودا معه او غير معبود فالمعبود
مع الله بالباطل وغير المعبود مما سواه في عدم تلك الحقيقة على السواء وفي عدم استحقاق
التسمية باسم الاله الحق والله الموفق انتهى الغرض منه وقال في ارجوزة

الاله قد نعتناه لا قل حقا • عن كل من ليس له استحقا
بانه من واجبات الاله • قد انتفى عن غيره يا ساهي

وقال فيها ايضا

ولم لها من جهة القرءان • عن هذه الاصنام قل والاوثان
وانها موجودة حقيقة • مبصرة لسائر الخليقة
لو انتفت بجانب المعاني • ما عبرت في سائر الازمان
لو انتفت لم يجهل العرض • ولم يكن وجودها قد انتظم

فانظر الى كلامه في الاصنام تجد ما ذكرناه وان مراده لا مدح ذواتها لا في وصف الالوهية المدعى
لها الا الذي يستلزم عدمها اذ انتفت في كلامه هو انتفاء ذواتها لا انتفاء الالوهية عنها وهذا
امر بين وقال ايضا فيها

وان تقل ما الذي نعتقد • وما عليه في الحشا نعتمد
ما للاله من الوهيته • قد انتفت عن غيره ما نثبته
لا انها في غيره معدومة • وفي الاله ربنا موجودة

وقال في قطعة اخرى

Copyright © King

ينفي لا اله الموجود غير ربنا * واثباته له بزوال التضاد

وقال في ارجوزة اخرى

خلاف ما يعتقد الكفار * من صنم او وثن او نار
وغيرها من سائر المعبودات * كالشمس والعجل وكل الالهات
بانها موجودة ونحوها * محض ابتداء قاله من قبلها
وانما المنفي بلا تعالى * عنها عبادة بلا استحقاق

الى غير هذا من كلامه مثل هذا وهو كثير وفي جميع ذلك يفهم كلامه ان الالوهية والاستحقاق والعبادة منفية عن كل موجود سوى الله تعالى ومن جملة ذلك الاصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى كما صرح بالاصنام في اخر الابيات وهذا هو الذي يفهم المعترض عليه فكيف يجعل الاحرار ينتصب اليه في هذا زلة او انه لم يكن ينفي الوصف الحق عن اعتقاد المشركين عن الاصنام او انه يرى انها مسكوت عنها لم يقع النفي منها وهل هذا الا وهم ساقط ومشي في الظلمات خابط نعم حكم بان الاصنام لا تدخل لها في النفي وله في ذلك مجال الا وهما الاعتبار الاول وحكم عليها بانها داخلة وله مجال واحد وهو الاعتبار الثالث فكيف ساغ لهذا الجاهل الواهي ان يشنع وينكر على الجماهير ان ذا لمن العجب مع انه لا نزاع ولا خلاف الا ذكر انه يسلم في نفس الامر مقال الاخ ونفس النزاع من جهة الاوهام وعدم التثبت في الكلام وقلة التدرب للعبارات والاحاطة بانواع الاعتبارات نعم قوله في الاصنام في اخر الابيات انما المنفي عنها عبادة بلا استحقاق يحتمل معنيين **احدهما** انه انما نفى عنها الاستحقاق لا انها ولا كونها في ذاتها باطلة وهذا هو الذي قررناه **الثاني** انه انما نفى عنها الاستحقاق والحق لا الالوهية بنفسها اي فانتر [illegible] لاجل ذلك وهذا يقع عليه فيه البحث وسنقرره بعد ان شاء الله فان قلت ان المعترض عليه يستند الى القول بان معبودات الكفار مسكوت عنها لم تنف من الكلمة المحتوية لها ابدا ولا ابطال قلت فقد رايت كلامه وصرحه بانها قد نفيت الالوهية والاستحقاق والعبادة عنها في جملة الموجودات سوى الله تعالى وكيف يطلب الاثر بعد عين * خذ ما رايت ودع شيئا سمعت به * في طلعة الشمس البيت * وعلى انه صرح بانها مسكوت عنها فهو صحيح ومحله الوجه الاول من ما قررناه ان النفي لم يتسلط بحسبها وانها غير منفية بحسبها وهذا هو معنى كونها مسكوتا عنها لا انها اذا لم تنف والعرض

انما

انه لم تثبت عموميته وكذا مسكوتا عنها غير متعرض لها لا بحسب المعنى الثالث فانك قد سمعت صريح
كلامه فيه بما عليه جميع الموحدين **فان قلت** انهم يذكرون عنه ايضا انه يقول ان المنفي
هو المثل المماثل المقدر لا غير وهذا يقتضي كون الالوهية منفية عن الاصنام وساير الموجودات
المعبودات من دون الله ويقتضي انه لم يقع الرد على عبادها المشركين وذلك كله واضح البطلان
قلت كون المماثل المقدر هو المنفي هو الصحيح وبه نقول نحن ايضا وانت به تقول ايضا
في المسائل ان كنت موحدا عارفا وقد تقدم في صدر هذا الفصل سؤالا وجوابا ما يغنيك في بيانه
ونحن نزيدك فيه تبيانا لتزداد ان شاء الله ايقانا **فنقول** ان المنفي في الكلمة المشرفة هو المماثل
المقدر واما كونه مماثلا فلان المراد من الكلمة انما هو التوحيد وذلك بنفي الشريك ولا يشارك الله
تعالى الا مماثله في اوصافه والعبادة اذ لا يشاركه جرم ولا عرض ولا نجم ولا شمس ولا قمر من حيث انها
مخلوقات حادثة غير مستحقة لان تعبد **و**بالجملة انما يقال بوحدة الاله ووجود اله اخر لا وجود
مخلوق غير الله كما انا اذا قلنا لا رجل في الدار الا واحد وهو زيد فانما يقال بوحدته ووجود رجل اخر لا
وجود امراة ولا حمار ولا شاة ولا ثور ونحو ذلك ووحدة الله تعالى ولله المثل الاعلى انما يقال بان لا يوجد
معه اله اخر في ملكه او اكثر لا مخلوق من مخلوقاته وهذا واضح جدا واما كونه مقدرا فانا نعني
بالمقدر ما يفرضه الذهن ويتصوره العقل ولا وجود له في الخارج وهذا هو المنفي لان النفي في الكلمة
المشرفة انما هو اخبار عن ان الذي يمكن انه لم يكن اذ هذا هو النفي الصرف والذي لم يكن هو المقدر
لا الموجود وليس معنى النفي انه اخبار عن الذي كان انه لم يكن لانه كان فهذا كان كذبا ولا انه ازالة للشيء
الذي كان واعدام له حصل كما تقدم تقريره هذا كله بابلغ تقرير **و**بالجملة فالمنفي في كلمة الاخلاص انما هو
شريك الله تعالى والشريك متصور مقدر ولا وجود له ولا لشيء من افراده المقدرة في الخارج ويستحيل
وجوده فهو مقدر لا غير وهو المنفي لا غير فعلم ان المنفي هو المماثل المقدر وهو المطلوب فان هذا
المقدر نفيناه نفيا له على العموم بمعنى انه لا يوجد شريك لله تعالى اصلا فعلم انه لم يحصل منه فرد
في الخارج اصلا وان كل ما اعتقد شريكا مع الله من صنم ووثن وملك ونور وظلمة وغير ذلك ليس بشريك
وانما جعل شريكا غلطا والله لا يستحق ان يعبد اذ لو كان شيء من ذلك شريكا مستحقا لان يعبد
للزم ان يكون هذا الشريك المقدر مع الله تعالى قد وجدت افراده ولو وجدت افراده لبطل السلب
العام الذي في كلمة الاخلاص وهو قولنا لا اله الا الله لان الله معه على هذا الفرض الفاسد الالهة اخر

Copyright © King

وهو هذا الشرك المذكور تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقد تبين لك ايها السائل ان نفي الاله المفرد على
العموم والاستغراق يحصل به كل مطلب ويتم به كل مراد من توحيد الله تعالى وارد على المشركين فان
قلت ان معبود المشركين لم يعبدوا مفردا وانما عبدوا موجودا كالحجر والشجر والشمس
ونحو ذلك فلا يصح ان يرد عليهم الا نفي ذلك الموجود ولو كان المنفي هو المفرد لقالوا ان الهتنا غير
مفردة فلا علينا قلت يا عجبا للسؤال بعد هذا البيان وما كنت ترى فيما انا عليه بيان فنقول
الموجود الذي يعبده المشرك كالحجر مثلا لا بد ان ننظر فيه من اي وجه عبده لكونه حجرا كسائر الاحجار ام
لكونه مستحقا ان يعبد بالاول لا والا لو طلب المشرك ان يعبده كسائر المخلوقات التي لا تعبد ولا
تستحق العبادة ما عبده اصلا فتعين الثاني وهو انه عبده لكونه الها مستحقا للعبادة موجودا
في الخارج او مفردا فقط غير موجود فان قلت بالاول وهو انه موجود فقد كفرت واشركت وان قلت
بالثاني وهو انه معبود مفرد غير موجود فقد سلمت انه قد ضم اليه ذلك المفرد الذي نفي الا
في كلمة الشهادة وقد بينا ان المفرد فيها عام فيعم كل افراده وهذا الحجر باعتبار كونه الها مستحقا
للعبادة من افراده فهو منفي اي لا يستحق العبادة وهذا هو المطلوب ولا تقل انه موجود في الخارج
اي باعتبار اعتقاد المشرك لان كلامنا في النفي الذي في كلمة الاخلاص وقد علم ان النفي والاثبات
في القضايا انما معنيهما النسبة الحكمية الخارجية لا الذهنية وصدق الخبر مطابقته لما في نفس
الامر سواء طابق الاعتقاد ام لا وان كذبه عدم مطابقته لذلك فافهم فكون الحجر مثلا الها مستحقا
للعبادة لا وجود له في الخارج اصلا بحسب ما في نفس الامر فهو منفي بحكم العموم الذي في الكلمة
المشرفة واذا علم انه لا وجود له في الخارج علم ان من اعتقده موجودا في الخارج وهو المشرك
مخطئ ضال عن القصد وان اعتقاده ذلك فاسد زائغ والمشرك هو بنفسه يعلم ذلك ايضا لانه
يعتقد ان هذا الوصف موجود للصنم في الخارج لا في ذهنه فقط واذا سمع كلمة الاخلاص وهو
عارف باللسان علم انها تقول لا وجود له في الخارج فعلم انها مكذبة له فيما اعتقد اذا عليه
فان سبقت السعادة من الله تعالى فيه انسلخ عن اعتقاده واستبدل الاعتقاد الحق وهو انه لا
وجود لشيء من الالهة مع الله تعالى كما يقال لك ان يقول المشرك ان لا اله الا الله وان سبقت له
الشقاوة نعوذ بالله من سخطه صمم على اعتقاده وادعى ان الالهة اذ هي ويبقى على شركه وربما
تعجب من نفيها فيقول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب نسال الله السلامة فعلم

ان

ان المقدر هو لا المنفي على العموم والشمول وبذلك حصل المقصود من العلم بانتفاء الالوهية عن
كل معبود سوى الله تعالى وعجبا كيف يتصور غير هذا وليس بين المقدر والموجود واسطة حتى يكتفى
بالمقدر لم يبق الا ان ينفى الموجود وهو كذب وضلال والموجود كما علمت فيما من هو وجود الصنم
ووضعه الفاعل اعني كونه الاها باطلا وقد علمت ما في نفي ذلك من الكذب والكفر فلا يحتاج
الى اعادته وبالجملة فالمنفي في الكلمة المشرفة هو الاله الحق على العموم والاستغراق سوى
الله تعالى وهو كل ما سوى الله تعالى مقدر مع فرض وجوده في الخارج والشيء في بعض يطلب
للنفي ها هنا بعد الحق الا الضلال والله الموفق واذ علمت هذا لم يبق عندك اشكال في المسألة ولا
تردد فيها ولا تحير نعم يبقى لك التحير في اعتراض المعترض غير الفاضل لمن انه لو كان النفي مسلطا على مقدرات
فقط لما وقع الرد على الكفرة ولا ابطال المعبودات ثم ما اقتضى العجب من هذا الاعتراض واشكل الثقة
العامية فان كلام هؤلاء المعترضين يستنشق منه اما اعتقاد ان الموجود ينفى واما عدم تعقل
العمومات والكليات السالبات او عدم معرفة مرجع الايجاب والسلب ومن كانت منزلته واحدة
من هذه المنازل كيف يسوغ له الخوض فيما يحتاج الى تدبر جم ويقعد لمن ليس له به علم واغرب
من هذا ما رايت لبعضهم في اعتراضه على قول الشيخ ان المنفي هو الاله الحق غير الله تعالى قال
ما نصه هو كلام موحش من هذا وجا بنفي الحق واثبات الباطل ولو كان له معنى صحيح لنفع ان ادى
بهذه العبارة الموحشة ثم يقال ان اراد انه حق في نفس الامر فيكون واجب الوجود ومتصفا
بصفات الالوهية فهذا يستحيل التعدد لانه واجب والواجب لا يتصور عدمه وان اراد انه حق 89/14
بحسب الغرض والتقدير فهذا لا يصح ايضا حقا منفيا لانه تناقض لان حقيته تنافي نفيه ولا يجتمع
في غرض واحد حقيته ونفيه وما ادى الى المحال محال وان اراد انه حق بحسب الغرض ثم يكذب ذلك الغرض
وينفي ذلك المفروض لعدم مطابقته للواقع الذي هو نفس الامر فكذلك المفروض ليس بحق في نفسه وانما
هو في نفسه باطل ولا حقية له في الخارج وانما ادعيناه له في ذلك الفرض فهذا يشمل جميع المعبودات
التي ادعيت حقيتها فلا معنى لما قرره وذهب اليه من التفصيل فقد رجع الى ما قلناه ومنه انتهى قلت
فانظر الى هذا الاعتراض وقد تقدم في صدر هذا المختصر تقرير المسألة بما لا يدع على من تاملها ولا يبقى لذي
وهم بعده اشكالا ونزيد ذلك بيانا فنقول قوله كلام موحش هو صحيح كما قدمناه قبل ولكن تعبيرات تكاتبه
ان لا غنى عن تادية المراد وقد قال الجماعة باثبات الحق لا هو وهو مولانا خالق العالم جل وعز واصله وانما

الا يعانق لو نفي الحق نفيا شاملا من غير استثناء اما اذا اثبتنا بعد نفيه فلا كما لو قلت لا يوجد واجب
الا انه لا وهو فرض باطل ولا يلزم منه مستحيل الا اذا كان النفي لا مرادا به اولا واما قوله ان اراد انه حق في نفسه
ولا مرية فنقول ان اراد انه حق في نفسه ولا مرية اي بحسب الوجود الخارجي فليس بواجب الوجود
ولا متصفا بصفات الالوهية بل هو مستحيل فقوله وان اراد انه حق بحسب الفرض والتقدير فنقول
هذا هو المراد فقوله فهذا لا يقع في ضد حقا منفيا لانه تناقض لان حقيته ثابتة في نفيه فنقول
انما ثابت في نفيه لو كان معنى حقيته انه موجود في الخارج وليس بمراد وانما هو حق بحسب التصور
وبعد التصور وقع الحكم بالانتفاء اي بانه لا وجود له في الخارج ولم يقع ذلك الحكم عليه بالاثبات
حتى يقع التناقض فان التناقض هو اختلاف القضيتين بالايجاب والسلب لا اختلاف تصديق
وتصور كما في مسئلتنا فانا نتصور الا انه الحق في الذهن اذ لا يحكم على الشيء ايجابا ولا سلبا الا بعد
تصوره ثم حكمنا عليه بالانتفاء خارجا وليس تصوره انه في الذهن اثباتا له في الخارج حتى يناقض
نفيه في الخارج فقولنا لا اله الا الحق الا اله الباطل كائن في التصورات وليس فيه ابطال التناقض
لان التناقض اختلاف القضايا ولا يدخل في التصور فقولنا منفي او مثبت كائن في التصديقات
وذلك بحسب الثبوت والانتفاء في نفس الامر لا بحسب مجرد التصور الذهني وهذا كله من المبادي
التي لا تخفى على الصبيان فاعتراض هذا المعترض نشأ عن الجهل والغفلة عن الفرق بين تصور الشيء
ووجوده الذهني وبين الحكم عليه بالاثبات او النفي فالمحكوم عليه يتصور في الذهن بماهيته
المعقولة له قبل الحكم عليه حقا كان او باطلا واجبا او جائزا او مستحيلا ثم يقع الحكم عليه
بحسب الخارج فالاله الحق متصور بماهيته الكلية في الاذهان ثم يطلب بعد ذلك وجوده في الخارج
او لا وجوده وعلى وجوده فهل هو واحد او افراد وليس تصوره هو وجوده الخارجي ولا لما نفته
الشرذمة المعطلة للصنع عن الصانع فانهم ما نفوا الا ما تصوروه وقد اتضح لنا والحمد لله
بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة انه وجود واحد منه وهو مولانا صانع
العالم جل اسمه وعدم ما سواه تعالى من كل فرد يقدر عدما واجبا وصار وجود مولانا جل اسمه
واجبا ووجود غيره مستحيلا وقد تقدم في اقسام الكلي ما يغني عن هذا وقوله فلا معنى لها
فيه وذهب انيه من التفصيل الخ ما قرره المعترض وذهب انيه من التفصيل الخ هو قوله
ان لا اله اما الحق وهو المستحق للعبادة واما باطل وهو غير المستحق والمنفي غير الاله
المثبت

المثبت لله هو الحق لا الباطل فان الباطل ثابت لا ينفي لان كل معبود من دون الله باطل ثابت البطلان ولا
يمكن نفيه بكونه باطلا واعتراض هذا المعترض يقتضي انه لابد في هذا التفصيل بان يجعل لا اله النفي
شاملا لاله الحق ولاله الباطل ويلزمه بذلك ان يرفع الرد على المشركين بنفي الهتهم الباطلة واعتقا
د ذلك بان المعبود بالباطل كالصنم من غير عاجز وعلى ذلك يرد النفي ولم يرد انه اله او رد عليه
النفي فلم يرد عليه من حيث انه باطل بل من حيث انه حق في نفس الامر بحسب اعتقاد المشرك
وقد دخل حينئذ في لا اله الحق المنفي فاي معنى لزيادة نفي الباطل ايضا وحيث زاد فلا بد ان
يراد بالباطل في نفس الامر اذ ما في نفس الامر هو مورد الايجاب والسلب ومناط التصديق والتكذيب
عند اهل الحق كما مر وحينئذ يكون معنى الكلام لا اله معبود بحق او بباطل الا الله ومعناه
ليس في الوجود اله حق الا الله وحينئذ فالله تعالى اله حق واله باطل فهو مثل قول القائل
لا كاتب ولا منجم الا زيد معناه ان زيدا كاتب منجم وناهيك بهذا تناقضا وكفرا اعني وحاشا الله تعالى
عن ذلك يكون الاله حقا والاها باطلا فانظر ما الذي ادى اليه هذا الاعتراض الناشئ عن كثرة الوهم
وقصور الفهم والظنون بالمعترض انه ما شعر بهذا اللازم ولو شعر به لكان هو اول بريء منه وان
اجاب عن هذا بان يقول المنفي عندي هو الاله واعني به مطلق المعبود الذي يدخل فيه المعبود بالحق
والمعبود بالباطل ولا كذا في ذلك فيلزم منه ان الله معبود بحق وباطل بل القول على الاجمال لا معبود
الا الله اي فالله معبود وهو صحيح قلنا فانه حينئذ يلزمك امران شنيعان **احدهما** ان يكون
النفي في الكلمة كذبا لانها حاكمة بان لا معبود الا الله وهذا باطل فان المعبودات سوى الله تعالى
كثيرة كالاصنام والاوثان فانها كلها معبودة فلم ينفرد المعبود بالاطلاق بل تعدد وكثر وانما المنفرد الذي
لا شركة فيه المعبود بحق وهذا الذي نفر لاما تعرض انت له **الثاني** ان الكلمة على هذا التقرير
لا تفيد المطلوب ولا توجد بالمرغوب لان المطلوب منها اثبات ان الله تعالى هو الاله الحق وما سواه
باطل وهو التوحيد المكلف به ولم تدل على تقريرك الا ان الله معبود وهذا اعم من المطلوب الذي هو كونه
معبودا بحق ولا اشعار للعام بالاخص وغايته انه معبود والصنم كذلك معبود ولا يدري من يؤمن
به ولا من يكفر به فيبطل هذا التقرير وتعين ما قررنا وهو ان المراد لا معبود بالحق الا الله وهذا معنى
قولنا نفي الاله الحق عن غير الله واثبته لله اي اثبت له الالوهية الحقيقية ولا اشكال فقد علمت
بهذا كله بطلان ذلك الاعتراض واضمحلال شبهته وانهدام شوكته ومن العجب ان هذا المعترض

Copyright © King

وغيره من المعترضين على الهبطي يقررون كلمة الاخلاص بانها مثبتة للالوهية لله تعالى نافية لها عن غيره
تعالى من الاصنام والاوثان وغير ذلك من كل ما يعبد وهذا صحيح الا انا نلزم هذا المعترض على مقتضى
التقرير الزاما يقرر لا محالة الوهية خاصة لازمة عليها بالنار ذنبه والعجب لا نتوجه او تحمله ونقول
في باطل مقتضى تقريره لا اعتراض هذه الالوهية التي اثبتتها كلمة الاخلاص لله تعالى ونفتها عن
غيره كالصنم هي الالوهية الحقية ام الباطلة ولا يسعك ان تقول هي الباطلة والا كان كفرا
بواحا فلابد ان تقول هي الحقية كما هو اعتقاد جميع المسلمين وحينئذ تقول الالوهية الحقية
المنفية عن غير الله وهي المدعاة للصنم في اعتقاد المشرك ونفيتها انت ايها الموحد عن الصنم ان
اردت انها حاصلة في نفس الامر اي في الصنم فتكون واجبة الوجود له فيستحيل انتفاؤها عنه
لانها واجبة الوجود لا يتصور عدمها وان اردت انها منتفية بحسب الفرض والتقدير فلا يصح في نفيها
منفيا لانه تناقض فيلزمه في الالوهية التي نفيتها مثل ما الزم غيره في الاله من ما يجري اذ هما
متلازمان ومتعاسران قلت التامل لا يلتفت عليه نكلا ولا بيلا ولو تامل ما قررناه من الفرق بين التصور والتصديق
ما وقع في هذه المداحض على غيركم فيوقفن ان تتضح من هذا كله ان لا سبيل الى الزام الهبطي القول
بكون معبودات المشركين مسكوتا عنها غير متعرض لها بنفي ولا باثبات على الوجه الذي توهمه المعترض
فان الهبطي مصرح بان كلمة الاخلاص قاضية بانتفاء الالوهية عن كل ما سوى الله تعالى وثبوتها
لله تعالى وحده لا شريك له وهذا كيف يكون معترضا لها بنفي الالوهية عنها وما ذكره من انها
لا تدخل النفي فقد جعلناه محملا صحيحا كما في ذلك كله فلا غبار عليه **واعلم** ان ما قررناه في كلام
الشيخ الهبطي وما حملناه به واعتذرنا له واثبتناه انه يفهم ويستفاد من كلمة الاخلاص وما دلت
عليه من اثبات الوحدانية لله تعالى باثبات الالوهية له تعالى ونفيها عن كل ما سواه تعالى ايا كان على
ما هو عقيدة جملة المومنين عوامهم وخواصهم فهمناه فتحا من الله تعالى وعلما يحضر الخصم بهذا الرجل المعروف
بالخير والصلاح مع ان ذلك جلي واضح من كلامه غير خفي وبعد ان كتبنا هذا كله وكدنا نفرغ من
الكتاب من اخره عثرت على كلام له فيه الاختلاف على صورة اخرى من مخالفيه غير ان فيه والحمد لله
بيان ومصداق ما اعتذرنا به عنه فلله الحمد على ما هدانا الى الحق المبين وجنبنا من احد الظالمين
وجدت ذلك مكتوبا بخط الثقة من خط الولي الصالح الزاهد الناصح ابي العباس سيدي احمد بن علي
السوسي رضي الله عنه ونفعنا به وبامثاله ونص ما في كتاب اخته سيدي عبد الله الهبطي
لبعض

في بعض معاصريه يشكوا اليه ما لقي من بعض العلماء من الشناعة والوقاحة والتنازع في كلمة
لا اله الا الله وان الشيخ الجهوري هو الذي ابتدا الكلام اليه في ذلك مكاتبة وان يشرح للناس المنفي
بلا ويبين المثبت بالا وانه اهتبل لذلك وكانه قبل ذلك كان في غفلة عنه بحيث عن ساعد جره
والقى في ذلك عقائد نظما ونثرا واشتهر بذلك وحمل الناس الى عقائده ثم قال بعد كلام يرى ان النفي
في لا اله الا الله لم يتسلط على ذوات المعبودات بالباطل وانما تسلط على معنى الالوهية المدعى
فيها فشنع عليه منازعه المذكور واغلظ عليه بالقول حتى ادى ذلك الى ان جمع سلطان الوقت
بينهما وتناظرا وكان السلطان يحب ان يغلب منازعه لانه من خاصته فلما تحقق الشيخ الهبطي
خيانة الامير فيه انفصل ببلاده ولحق ببلده في مدة حينئذ بهذا سمعات المختار وقوله في توحيد
الله وانه يزعم ان لا اله الا الله لا تنتفي به الالوهية الا الاصنام ونحوها وتداولت الالسنة ذلك
في تدريس العقائد بعد ذلك انتصارا للمنازعة واستمالة لقلب ذلك السلطان فقل الفقهاء من
علم حقيقة المناظرة وسكت لاجتماع كلمة المنازعين عنه ومنهم من طرا المسالة على ما شنعوا عليه
الى الان نحو ستين سنة وذلك لما ارخ النسلغ المنتصر وروان المناظرة على تلك الصورة وتداوله
في تلك الصورة واعانهم على ذلك ما وقع من انقطاعه على غير عادة الفقهاء وما شيع الاخرون بها
من الا ولو ان امعنا المناظرة فانها وقعت على جواهر الاصنام وذواتها هل تسلط عليها النفي
او لا فالشيخ الهبطي يقول لم يتسلط عليها وانما تسلط على معنى الالوهية المدعى فيها
وذواتها الان موجودة ومنازعه يقول تسلط عليها فمنتهى المذهب من يرى ذلك وان النفي
تسلط على كل معبود بحق او بباطل الا الفرد الذي هو خالق العالم فهو الموجود المثبت وحجة قايل
هذا قوله لا ريب فيه بان الريب موجود من اهل الريب والشك فلو تسلط
عليه النفي لما ارتاب في الوجود احد فالنوا لا عبرة بوجوده لانتفايه في الحقيقة من قلوب اهل
الايمان فيجاب عن هذا بان احكام الاجرام لا تشبه احكام المعاني والجرم في الشاهد نفي عنه
المعاني الكثيرة وهو موجود العين قايم الذات وعلى ذلك المذهب رد الشيخ السنوسي في
شرح صغراه حيث قال فان كان المراد بالكلي الذي هو الاله مطلق المعبود لم يصح تسلط النفي عليه
لما يلزم عليه من الكذب لكثرة المعبودات الباطلة وان كان المراد المعبود بحق ع انتهى وهذا
المعنى هو الذي يفيد نسيج عبد الله الهبطي في عقائده واجوبته نظما ونثرا اجلبا ظاهرا وذلك

Copyright © King

لاشارة الشيخ الخروبي عليه انتهى هذا تمام ما وجدناه من كلام الشيخ سيدي احمد بن علي المذكور [illegible]
ومغزاه وقد وقع فيه مما ترى ان الشيخ الهبطي قائل بنفي الالوهية عن كل ما سوى الله تعالى وان ذلك
هو مدلول كلمة الاخلاص كما يقوله الشيخ السنوسي وغيره وعلى ذلك حملنا كلامه وتأولنا نثره
ونظامه فقد ظهر لك من ذلك ان الزجار المعترض على الهبطي اليوم من التفريع في كلمة الاخلاص
هو ما كان الهبطي يقوله ويعتقده وان من نسب اليه خلافه فقد اخطأ اعتزازا بمن قوله ما لا يقول
ونسب اليه ما هو بريء منه كذبا وزورا من اهل زمانه وليس ذلك بغريب في المعاصرين نسأل الله
تعالى السلامة من اتباع الهوى والنجاة من عاقبة الحسد وجميع الاخلاق السوء واما ما وقع
في كلامه من ذكره ان ذوات الاصنام منفية فمعناه على التنزيل وهو تنزيل الموجود منزلة المعدوم
لعدم فائدته فالصنم بذاته حيث لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع كأنه غير موجود اصلا
كما قال الشاعر: خلقوا وما خلقوا لمكرمة ۰ فكأنهم خلقوا وما خلقوا
وعلى هذا التقرير يقع النفي في كلمة الاخلاص كل معبود بحق او باطل سوى الله تعالى ويكون الجميع
سوى الله تعالى منفيا اما تحقيقا واما تنزيلا فما كان منه معتقدا انه اله حق سوى الله تعالى فهو منفي
على التحقيق اذ لا وجود له لا في الخارج ولا الذهن وما كان منه معتقدا انه اله باطلا كالصنم والوثن
فهو منفي على التنزيل لانه موجود ولكنه في حكم المعدوم لعدم فائدته واعلم ان هذا الاعتبار
في كلمة الاخلاص فرائد نادرة فيما وقع لنا بعض التقريرات في كلمة الاخلاص وذلك قبل ان
نطلع على هذا الكلام وهذا الاختلاف وهو لا يختل معه المقصود من التوحيد اذ حاصله ان لا اله
يعتقد ويعتبر به الا الله وهذا صحيح ولكنه يضعف من جهتين الوجه الاول النظر الى اللفظ
وذلك ان يقال ان المتبادر الى الذهن من الشيء اذا نفي وهو الشائع الرائج هو نفيه ووجوده
حقيقة لا على طريق التنزيل فانه تجوز والاصل الحقيقة وهذا المسلك بالمدلول كله مسلك
واعدم التنزيل ويقع اذا اختلط بهذا فانه فلما يوجد في الكلام لا فيه من الالتباس والاشتباه
الثاني النظر الى المعنى وهو ان يقال ان نفي الوجود حقيقة هو الذي يناسب المقام بخلاف التنزيل
فانه لا يعطي في ما وقع فيها الا انه داخل في باب المبالغات وذلك لا يوجد في المطالب اليقينيات
البرهانيات فان قيل ان نفي وجود الذات رأسا ابلغ في قصر نفي الصفة من نفي الصفة
نفسها قلنا نعم ولكن حيث يقصد ذلك بيانا واضحا اما حيث يحتمل المقام مجرد المبالغة فلا يتحصل

منه

منه الحراء اذ الامر المبالغ فيه يقبل الشدة والضعف ولا ينتهي المرام بوقف عنده فان قلت
انما يكمل هذا الاعتبار من وجه اخر وهو انه اذا عم النفي الحق والباطل يصح الاستثناء لكن لا فائدة
حينئذ يقتضي ان المستثنى حق وباطل تعالى عن ذلك علوا كبيرا قلت لا فائدة لصاحب هذا
الاعتبار فيجعل المستثنى منه ان اعاد ما ادفاعيه الحق والباطل حتى يتناول المستثنى بوجه لا يصدق
عليه انه باطل اذ صدق الجنس ليس صرفا للنوع فتقدير لا اله الا الله عنده لا معبود الا الله والاله
بهذا التقدير هو المعبود اعم من ان يعبد بحق او باطل والنفي تسلط على وجوده اما تحقيقا واما
تنزيلا كما تقدم تقريره والمعنى لا معبود موجود الا الله ولا شك ان الله تعالى يصدق عليه انه معبود
واعلم انك لو شئت ان تجري على هذا المثال وتجعل الخبر في الكلمة المشرفة معبودا لكان ايضا صحيحا
على هذا الاعتبار فتقول لا اله الا الله معناه لا اله معبود الا الله وتنفي العبادة على الاطلاق
الحقيقية على التحقيق والباطلة على التنزيل لان المعبود بالباطل كانه غير معبود فان عبادته لا عبرة بها
ولا فائدة فيها عند من عرف مقدمة الحكم وبالجملة فالشيخ سواء في كلام مخالفيه او بطل لا باس
في كلامه هو ولا موجب للانكار عليه ولا التشنيع فيما ينسب اليه نعم اعترض عليه المعترض
المذكور قبل هذا بوجه اخر وذلك ان الشيخ قال في كلام له ما نصه ومن زعم ان لا الهة ولا انداد
والشركاء المجعولة بالكذب والزور هي المقصودة بالنفي في قول لا اله الا الله فذلك وهم منه
لا يليق به اذ ذلك من الكذب المحض نفي ما هو موجود بالضرورة فقال هذا المعترض في مسايرته
97 / 13 لكلامه ما نصه اقول فرز عمه ذلك الشريعة الصادقة المشرفة وان العرب المخاطبين بكلمة
التوحيد وبيانه ان العرب لم تكن تعبد مثالا ولا تعتقد وجوده وانما كانت تعبد الاصنام وتدعي
انها معبودة بحق وتنفي عنها المثلية فقد قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا في
تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وخاطبهم الشارع بلا اله الا الله
ابطالا لعبادتهم الاصنام ونفيا لما يدعونه لها من الربوبية والخاصية التي استحقت بها بزعمهم
ان تعبد وان تقرب الى الله زلفى وامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم فلو كان ثابتا عاقلا انهم مخاطبون بها على الوجه المذكور
وفهموا منهم ذلك وان اصنامهم مقصودة بابطال عبادتها ونفي استحقاقها اياها فكانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون لانية ولم تغفل العرب كيف تنفون الاصنام وهي موجودة

وكيف تغفل ذلك وقد عرفت أن النفي إنما هو متسلط على الصفة المدعاة لها لا على الحجر والخشب
أو غيرهما وهم أهل اللسان وليس يخفى على أحد أن قولك لا عالم إلا زيد نفي العلم عن غير زيد لا نفي للذوات
بحسب أنه ليس على وجه الأرض إنسان إلا زيد وهذا من الوضوح بحيث لا يختلف فيه اثنان من العقلاء
انتهى **قلت** أما قول الهبطي أن الآلهة المجعولة بالكذب لا تقصد بالنفي لما يلزم من
الكذب في نفي ما هو موجود فصحيح على ما قررناه كلامه من أنها لا تدخل بحسب جواهرها وأوصافها
القائمة بها وغرض المعترض عنه أنه إنما ينكر نفي ذوات الأصنام وأي شيء يعترض به عليه وإنما حقه
أن يقول إنا ما أردنا نفي الذوات وإنما أردنا نفي استحقاقها للعبادة وهذا لا ينكره الهبطي فما من
قلب نزاع ينبغي في هذا المقام وأي شيء تسود به الصحف والأقلام **و**أما قول المعترض أن العرب ما
كانت تعبد منها ولا تعتقد مثالا للحق تعالى الله أنه نسب إلى الهبطي من أن المنفي هو المثل لا غير أنه أراد
بالمثل من يكون واجب الوجود متصفا بجميع أوصاف الألوهية وحينئذ إذا كان هو المنفي فقط
فالأصنام التي تعبدها العرب مثلا لا حظ لها في هذا النفي بوجه من الوجوه لأنهم لا يعتقدون
فيها أنها واجبة الوجود متصفة بأوصاف الألوهية كلها وإنما يعبدونها استشفاعا بها
ويعتقدون لها مزية استحقت بها في زعمهم أن تعبد وتسمى آلهة ولا يعتقدون أنها مثل الإله
الحق في كل شيء وإذا لم تكن مثلا عندهم فلا يرد النفي عليها وحينئذ تكون كلمة الإخلاص غير مبطلة
لألوهيتها ولا رادة على عبادتها وذلك باطل **و**بالجملة فالمستفاد من كلمة الإخلاص على هذا
التقدير إنما هو نفي مثل الله تعالى في ألوهيته والرد على من يدعي ذلك كالثنوية والمطلوب
أعم من هذا وهو نفي كل مستحق للعبادة مع الله تعالى وبذلك تكون كلمة الإخلاص رادة على
من يدعي الشركاء أي مماثلا أو غير مماثل كالصنم والوثن ومبطلة لجميع أقسام الشرك فوجب
أن يكون المنفي أعم من المماثل لا ما قال الهبطي وهو المطلوب **قلت** وهذا من المباحث
المهمة في هذا الباب ولم نتعرض له فيما سلف وإنما كنا نشتغل بإبطال كون معبودات المعترض ليس
عند الهبطي غير متعرض لها ولا منفي عنها الألوهية أصلا فبينا أنها عنده منفي عنها الألوهية
لدخولها في الكلية السالبة ضرورة ولم نتنازل بعد للنظر في أن الإله المنفي هل هو المكافي
في حقيقة الألوهية بنعتها وهو المثل الحقيقي أم هو مطلق المستحق لأن يعبد وما ذكره هنا
من الاعتراض إنكار متوجه على الشيخ السنوسي أيضا وردا وذلك أنه فسر الإله بالفرد

الواجب

الواجب الوجود المستحق للعبادة أو أنه المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه وصرح بأن هذا
هو المنفي في كلمة الإخلاص عن غير الله تعالى المثبت له تعالى فيفيد أن الإله المعبود إليه مستغنيا عن
كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه فلم يدخل في النفي مع أنه إله وعابده مشرك وكذا غير السنوسي
من كل من يفسر هذا التفسير وهم كثير أما الشيخ فالجواب عن قوله بأوجه **الأول** أنه إن كان تعبيره
بأن الإله في كلامه مرادا به المستحق بأن يعبد أي خصوص المكافئ في الألوهية وكثيرا ما يصرح في
كلامه بأن المنفي هو المستحق للعبادة والإشكال أن كل معبود مستحق للعبادة عند عابديه وإن وقع
له التعبير بالمثل كما قال العز فيفاد المراد به المثل اللغوي وهو المشابه مطلقا لا الاصطلاحي
وهو المساوي في الصفات النفسية والإشكال أن كل معبود من دون الله تعالى مشابه له تعالى في المعبودية
واستحقاقها واسم الألوهية عند عابديه **الثاني** أنه بعد تسليم أن المراد المثلية الاصطلاحية يقال
إنما في الوصف الخاص وهو استحقاق العبادة لما علمت أن الإله بمعنى المألوه أي معبود بالحق حتى
قيل هذا الإله مثل ذلك الإله بمعناه في كونه مستحقا للعبادة كما لو قيل هذا الشاعر مثل ذلك
الشاعر وهذا الخطيب مثل ذلك الخطيب وهذا الفارس مثل ذلك الفارس كان معناه في صنعة
الشعر والخطابة والفروسية لا في الذوات وسائر الصفات وكذا ما نحن فيه **فإن قيل**
هذا إنما هو إذا وقع التماثل باعتبار وصف خاص كما في الأمثلة ونحن إنما اعتبرنا التماثل بين الله
تعالى وبين غيره وليس الله وصفا بل علم **قلنا** هو إن كان علما فقد صح بالتأويل الراهنة
بملاحظة معنى الأصل ولذلك صح تعلق قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض كما ذكر ذلك في كلام
البيضاوي **الثالث** أنا لا نسلم أنهم لا يقولون بالمثل إذ هم أشركوا مع الله تعالى بإثبات الشريك
والإشراك مع الله الإشراك في الألوهية وهذه الشركة تأتي لهم إلا باعتقاد التعدد في الآلهة
والتعجب من جعلهم تعالى واحدا كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا
لشيء عجاب وأيضا فإن الإله لغة كما مر هو المعبود بحق وهذا المفهوم حاصل لكل معبود عند
عابديه ولهذا قال بعض الأئمة إن المشركين يعتقدون ألوهية الأصنام ولأجله كلف الموحد أن
يقولوا لا إله إلا الله وقال بعض الأئمة أيضا ما عبدوها إلا لأنها حق عندهم مشاركة للخالق في
مفهوم الألوهية التي هي العبادة بحق انتهى وفي هذا الكلام فائدتان إحداهما أنهم اعتقدوا
حقيتها ومشاركتها للخالق في الألوهية الثانية أن الألوهية إنما معناها العبادة بحق وهذا

Copyright © King

النفر من موجود في اعتقاد كل عابد كما قررنا فان قال الباحث ان الاله يجب ان يعتبر فيه وجوب الوجود
والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقايص قلنا انما هذا في نفس الامر وفي اعتقادات العارفين
الموحدين علموا ذلك عند مجيء الشرع بطريق الشرع والعقل وعند ذلك علموا انه لا يستحق العبادة
الا من كان كذلك اما في اللغة فبحسب مفهوم الاله اي المالوه فلا وعلى هذا جرى العرب في جاهليتهم
في الجاهلية ان هذه الامور ليست ذاتية بل ولا لازمة لزوما بينا وليست من لوازمه لاتسم بواحدة من
الالهات فكانت لا تعد لوازم نظرية تحتاج الى وسط ولذا تقام عليها البراهين ونقول مع ذلك
انهم في ذلك ثلاث احتمالات اما ان يتعقلوا وصف الاله من حيث كونه يتصف بالكمال ويتنزه
عن النقص ويعتقدون ذلك في معبوداتهم الباطلة جهلا منهم بحالها وهذا مما يجوزه العقل من
الجهلة الضالين واذا كان يقع من الحشوي بعد تقرر السبيل الاسلام وايمانه بالنبي عليه الصلاة
والسلام وسماعه لبعض القرآن الذي به غاية الحكمة والبيان اعتقاد قدم حروف القرآن بل المداد
الذي يصنع فيكتب به فيصير قديما فكيف لا يقع من اعرابي جلف ما امر قط بنبي ولا سمع كلام الله
تعالى اعتقاد مثل ذلك في حجر يعبده بل وفي خشبة ينحتها بل وفي جسم يصنعه فان التخبط عن
عمى البصيرة وطموح الغباوة لا يقدر بمقدار ومع هذا فهذا الجهل يعد من طور العقلاء نسال
الله العافية الاحتمال الثاني ان يتعقلوا هذه الاوصاف وان الاله يتصف بها الا انهم لا يرونها من
ناحية الالوهية ولا من خواصها اللازمة بل يجوزون اتصاف بعض الالهة بها دون بعض واختلافهم
فيها بالكمال والضعف كما يتصور ذلك في رؤساء القوم وعرفاء الحي من اختلافهم في النجدة
والسخاء والشرف وغير ذلك فيحملهم هذا على اعتقاد كون بعض الالهة اكمل من بعض وعلى اعتقاد
وجود هذه الاوصاف او بعضها مثلا في صانع العالم تعالى دون اصنامهم وعلى استشفاعهم
بها الى الله تعالى لكونه اكمل وليس استشفاعهم بها ينافي اعتقاد الوهيتها كما لا يخفى واذا كان
الاعراب يجوزون ان يشفع الرب الى غير الرب فكيف لا يجوزون ان يستشفع الرب الى الرب وقد قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم حين استسقوا عنده استشفع لنا الى ربك وليستشفع ربنا اليك وانكر عليهم
صلى الله عليه وسلم شفاعة الرب الى الله لتعاليه تعالى عن ذلك واستغنائه عن كل ما سواه
فلما قال صلى الله عليه وسلم لقد ضحك ربنا من ازلكم وقرب غياثكم قالوا ايضحك ربنا قال نعم فقالوا
لن نعدم من رب يضحك خيرا الثالث ان يعقلوا هذه الاوصاف ولا تصل عقولهم الى اتصاف الله تعالى
بها

فبما أن الموحدين جاهلون بالكنه فيعتذرون بسبب هذا الجهل أن الله تعالى من جنس معبوداتهم
كما هو مذهب المشبهة والمجسمة أو قريب من ذلك وقد ظهر من كلام الأعراب المذكورين أنهم ما كانوا
يعبدون الله تعالى بما ينبغي له من الوصف ويقولون من النعت ولذلك جوزوا عليه أن يشفع إلى غيره
وامتنع بدو الضحك منه لما بال العزى الضحك من أصنامهم التي يعبدونها غير الله المذكورين ومن كان
مثلهم من المؤمنين ببركة إيمانهم ومشاهدتهم لطلعته الكريمة صلى الله عليه وسلم وسماعهم كلام
الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يبعدون لا محالة على حالتهم الأولى بل يحصل من
كل وهم ويخلصون إلى حقيقة العلم وعلى كل اعتبار من الاعتبارات فقد جعلوا الأصنام أمثالا
مشاركة وأركان ذلك مع تنزيه المتعالي وإثبات احتياج الغير إليه في أمور دون العكس إذ يشترط
استواء المثلين في الماهية ومن هنا عند المشركين وجاهليتهم الألوهية التي هي استحقاق العبادة تختص
ولا يشترط استواؤهما في ما وراء ذلك من المزايا والخصائص بل إثبات الله أخص مستغرق في الوهية
لا شبهة مع كون كل من الآلهة على ما ينبغي من الكمال لائق به على التحقيق في شيء من الشرك مع
تعدد أجناسه وكثرة طوائفه لا يعدو احتمال المجوس وفي إيراد هذا بالاستغناء عن علماء المشركين كما
منهم الثنوية والمجوس والحلولية أما الثنوية فقالوا بالإلهين اثنين وهما النور والظلمة
ومعلوم أن النور والظلمة جسمان محدثان وقد اعترف الثنوية بكون ذلك أجساما وفي كلام السيد
في شرح المواقف أن الظلمة والنور عرضان وعلى كل فهما حادثان ولذلك قال تعالى وجعل الظلمات والنور
أي خلقهما ردا عليهم وأما المجوس فقالوا بالإلهين أحدهما فاعل الخير وهو يزدان والآخر فاعل الشر
وهو أهرمن واختلفوا فقيل الثاني حدث من فكرة حصلت للأول وهو أن لو كان مع الله من يشاركني
في ملكي فكيف يكون حالي معه فهؤلاء لم يجعلوا الثاني مستقلا ومن لم يجعله حادثا عنه يحتمل
أن يجعلهما من جنس الأجرام أو لا وهو الاحتمال الذي ذكرنا للمجوس وهو بعيد وأما الحلولية كالنصارى
القائلين بحلول اللاهوت في الناسوت فهم يعترفون بأن الإله واحد وهو الأصل وأن عيسى عليه السلام
إنما صار إلها بسبب حلول اللاهوت أي العلم فيه وأهل الأقانيم الثلاثة بعد أن جعلوها ثلاثة
قالوا الإله واحد مجموع منها ولذلك ألزمهم المتكلمون الجمع بين نقيضين وحدة وكثرة فلم تبق ثلاثة
تعبدوا الاثنان بل واحد وأما أصحاب العقول من الحكماء وكذا عباد النجوم والملائكة فهم يعتقدون
أن ذلك كله مستمد من الأول وهو الإله الحق عندنا وفي كلام الإمام الحجة الغزالي وغيره أن

Copyright © King

القايلين بالنيري كواكب فمنهم الفلاسفة المثبتون لتاثير الوسايط ومنهم الطبايعيون ومنهم المنجمون
ومنهم الثنوية ومنهم المجوس ومنهم عبدة الاصنام ولهم في عبادتها تاويلات احدها ان الناس
كانوا في قديم الزمان عبدة الكواكب فاتخذوا لكل كوكب صورة ومثالا واشتغلوا بعبادتها وقصدهم
توجيه تلك العبادة الى الكواكب الثاني ان الغالب على اهل ذلك الزمان التشبيه والتجسيم وان اثبات
اله لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شي منها مما ينازع فيه الوهم والخيال وتحكيم العقل
الصادق مع تكذيب الوهم والخيال لا يوفق له الا الاقل من الناس فاعتقدوا بسبب الوهم ان الاله
الاعظم نور في غاية العظم وان الملايكة انوار مختلفة بالصغر والكبر فعند ذلك اتخذوا
الصنم الاعظم وبالغوا في تحسينه وتزيينه بالجواهر واليواقيت على اعتقاد انه صورة الله تعالى
واتخذوا ساير الاصنام على صور مختلفة بالصغر والكبر على اعتقاد انها صور الملايكة قال الامام
وعلى هذا التقدير عبدة الاصنام كالمشبهة الثالث انها صور ارواح تدبر امرهم وتعتني
باصلاح حالهم الرابع ان المنجمين كانوا يرصدون الاوقات الصالحة للطلسمات النافعة
ولا توجد الا حينا من ازمنة متطاولة فاذا وجدوا ذلك الوقت عملوا له صنما يعظمونه ويرجعون
اليه في طلب الخير الخامس انه لما مات منهم من كان كامل الرتبة عند الله تعالى اتخذوا تمثالا على صورته
وعظموه تشفعا الى الله تعالى وتوسلا قلت ولا يبعد ان بعض تلك الاسباب انما
كان من اعني في الابتداء لا على الدوام فاتخاذ مثال الرجل الصالح مثلا انما يكون عند المتقدمين لا وليس
بتسويل الشيطان ثم عرض فيه بتنسيخ ذلك التمثل ويعبد المثال وتذهب فيه الاعتقادات الفاسدة
والاوهام الباطلة كل مذهب وهذا كله انما هو في الاصنام المتخذة والصنم قال ابن التلمساني
ما له صورة جعلت تمثالا والوثن ما لا صورة له انتهى واكثر الاعراب في جاهليتهم على حال انتقل
من اعتقادهم ما كانوا يعتقدون بالاصنام ولا يلتفتون الى الاسباب المذكورة ولا يبحثون فيها بل
كانوا يعبدون الاوثان فقط على حسب ما سولت لهم نفوسهم فكان الرجل ياخذ حجرا من البرية
فيعبده حتى اذا وقع على حجر احسن منه طرح الاول والتزم الثاني قال الله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله قال صاحب الكشاف
اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند
الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون هولاء شفعاونا

عند

عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس انتهى

قلت وقد اكلته بنو حنيفة ايضا قال الشاعر يهجوهم

اكلت حنيفة ربها * زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم * سوء العواقب والتباعة

وهولاء استهوتهم الشياطين وسخر عقولهم عقول صبيان جهال عليهم ينقادون للوساوس ويعطيهم
الوهم حالة فظيعة فانهم صيروا بدعهم هزيمة شنيعة وهل يجد المنهزم شيئا من فضول اجمعها ودون
التخيلات وحبائل الترهات نسأل الله العافية بمنه وذكر السهيلي انه يقال لكل صنم من حجر او غيره
صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير حجر كالنحاس ونحوه وهو خلاف ما عند ابن التلمساني واما الشيخ
السنوسي فيحتمل ان يكون ما ذكره مبنيا على بعض ما ذكرنا قبل من دعوى التماثل ويحتمل ان يكون مبنيا
على شيء اخر وهو ان المطلوب من كلمة لا اله الا الله اثبات الوحدانية لله تعالى بان لا يكون
له شريك في الوهيته اما انه لا يستحق العبادة غيره فهو تبع لذلك وهذا الاحتمال هو الذي نسبه
المعترض المذكور للمحلي وانتقده عليه وجعله انكارا لاشهر الضروريات وليس بمتعين مما رايته
من كلام المحلي كما تقدم تقرير الكلام على وجه يصح واعلم ان هذا الاحتمال مع كونه ضعيفا في
نفسه مهجورا يساعده كلام الشيخ السنوسي ويساعده ايضا صنيع غيره من المتكلمين وذلك
انهم في تفسير الوحدانية لا يزيدون على انها نفي الكم المتصل في الذات ونفي الكم المنفصل 105
بوجود ذات اخرى متصفة بالالوهية وكذا في الصفات ونفي الشريك في الافعال والصنم المعبود 14
اذا لم يكن عند عابده متصفا بالالوهية وانما هو شفيع ولا كان قادرا على الايجاد والاعدام لم يدخل في
شيء من الاقسام فيتمهد هذا الكلام في تقرير مطلبين احدهما ان المطلوب من كلمة الاخلاص انما هو
الوحدانية لا غير الثاني ان الوحدانية هي ما ذكر لا غير ويخرج من هاتين المقدمتين ان المطلوب من كلمة
الاخلاص انما هو ما ذكر لا غير اما الدليل على المطلب الاول فهو ان المقصود من كلمة الاخلاص الوحدانية
بكلام المفسرين اذ هم المرجع في هذا قال في الكشاف عند قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك لما نبه على ما فيه كما ذكر حال المومنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هولاء
وشقاوة هولاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله تعالى وعلى التواضع وهضم النفس
باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك هـ واما الثاني وهو ان الوحدانية هي سلب الكم المتصل

Copyright © King

والكم المنفصل في الذات والصفات وسلب التشريك في الافعال فمعنى منطوق الكلام أوضح من الشمس في
الظهيرة وكثيرا ما يغلطون في ذكر التشريك في الافعال ويعدونه بابا يغايره باب الكم والفرد
ومن أوجز العبارات فيها قول السعد في المقاصد فنفي الكثرة بحسب الاجزاء أو بحسب الجزئيات فالاول
سلب التركيب وهو المعبر عنه بالكم المتصل والثاني سلب التعدد أي وجود اله ءاخر وهو المعبر
عنه بالكم المنفصل ثم المطلوب مع ذلك بكلمة الاخلاص انما هو الثاني لا الاول وذلك ان الاول
وهو التركيب يغني عنه رفع الالوهية بالاجزاء كلها على الانفصال كان معناه لا اله الا المعنى
لا ينقسم وان رفعها بالبعض فقط كان معناه لا اله تخصيص بالمحصور فرفعها بكل جزء لزم
ان يكون كل جزء الها وهو الكم المنفصل المنفي بقولنا لا اله الا الله ومن أوضح شيء في هذا الغرض
المكنون في كلمة الاخلاص بتقسيمه ما وقع في شامي ان العقلية للمقترح رحمه الله فانه رتب كتابه على
خمسة اركان وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ولما 106
انتهى في الاستدلال الى الرابع وهو لا اله الا الله قال ما نصه الركن الرابع في اثبات وحدانية الله
تعالى وفيه ثلاثة مقاصد المقصد الاول في وحدته في ذاته وعدم قبوله للقسمة قال وقد مضى ذلك
في باب التقديس يعني في الركن الاول وهو سبحان الله لان فيه استحالة الجسمية والتركيب على الله
تعالى قال والذي نورده الان انه لو كان ذا اجزاء موصوفة لكان كل جزء الها الخ ثم قال المقصد الثاني عدم
حلوله في ذات او صفة من صفاته حتى تدعى فيها الالهية والتدبير قال وهذا مستند ضلال الحلولية
باسرها الخ ثم قال المقصد الثالث ابطال ثبوت ذات اخرى موصوفة بالالهية على حسب ما وصفنا
الحق من صفات الكمال الخ هذا حاصل ما ذكر في مضمون لا اله الا الله وقد عرض لها بكمال البسط
والتوضيح والتبيين وهو نص في ان المنفي فيها هو التشريك في الالوهية كما قرر الشيخ السنوسي
ولو كان ثم شيء ءاخر ذكره اذ ليس الموضع موضع التساهل والتقصير وظهر من ذلك ان مطلق
استحقاق العبادة كالوصف الثابت للاصنام عند المعتزلة مراد خاله في النفي الذي في الكلمة ولا
في الوحدانية المستفادة منها وانما قلنا المستفادة منها أي على هذه التقريرات اذ لا نزاع انه
داخل في عموم الوحدانية وان الله تعالى يجب اتصافه بالوحدانية بحسب ذلك بمعنى انه تعالى كما انه
واحد في الالوهية لا شريك له فيها كذلك هو واحد في استحقاق العبادة لا شريك له في ذلك اذ
لا استحقاق من خواص الالوهية والله تعالى متفرد بالالوهية وخواصها ومن ثم دخل ذلك في التوحيد

المعنى

King Saud University

المعتبر بالإجماع فإن من أنكر ذلك بأن اعتقد في غير الله تعالى أيا كان أنه يستحق العبادة فهو مشرك
غير موحد بالإجماع وليس التوحيد هو الوحدانية التي قررناها فقط إذ لا يكفي في التوحيد فعل القلب
واعتقاد المعتقد الوحدانية وصفا لله تعالى راجعة إلى سلب ما لا يليق به تعالى وقد ذكر الشيخ
رحمه الله تعالى الوحدانية في مقاصده وشرحها بما ذكرناه من نفي الكثرة بحسب الأجزاء وبحسب
الجزئيات ثم ذكر التوحيد في أواخر كلامه عندما أراد الخوض في أصناف الشرك فقال حقيقة التوحيد
اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها فانظر كيف زاد هنا ذكر الخواص لينبه على أنه لا بد من
الاعتقاد بعدم الشريك في الألوهية هو الوحدانية المفروغ منها عنده وعدم الشريك في
خواصها هو ما ذكرناه من أن المراد به استحقاق العبادة ونحو ذلك ثم قال ولا نزاع لأهل الإسلام
في أن تدبير العالم وخلق الأجسام واستحقاق العبادة وقدم ما يقوم بنفسه كلها من الخواص
انتهى الغرض منه وهو بين ما ذكرته ولا إشكال فيه إلا أنه كان في كلامنا قد تجمل بهذه الخواص
فلذلك جاز عقلا من المشرك أن يثبت للصنم استحقاق العبادة مع أنه لا يثبت له الألوهية
جهلا منه بالحقائق ولو تبصر لعلم أنه لا يثبت استحقاق العبادة حتى تثبت الألوهية كما لا تثبت
القدرة على الاختراع والإيجاد للأجسام حتى تثبت الألوهية **فإن قلت** هذا كله
صحيح ولكن إذا لم تكن كلمة الإخلاص نافية لاستحقاق العبادة عن غير الله تعالى لم يقع الرد بها على
جميع المشركين وذلك باطل قطعا كيف وقد جعلت حجة على إيمانهم وانتقالهم من شركهم وعصمة
دمائهم وأموالهم إذا قالوها ولم يزالوا يستنكفون عن قولها ويضجرون من سماعها وما ذلك
إلا لمناقضتها لأقوالهم ومنافاتها لأهوائهم **قلت** وبهذا كان هذا الاحتمال ضعيفا
مهجورا ومع ذلك فقد إذا تتبعنا تقديره نقول إن النفي المذكور وإن لم يعم من جهة فهو يعم من جهة
في طريقها واضح من فحواها وضوحا لا يمتري فيه ذو مسكة وبذلك وقع الرد على جميع المشركين
فعلى الثنوية وأضرابهم بصريح لفظها وعلى عباد الأوثان بفحواها أما أولا فلوضوح الاستدلال
عليه ببرهان التمانع وغيره من أدلة الوحدانية الدالة على استحالة تعدد الآلهة وأن ليس إلا
إله واحد وأما الثاني فتقديره أن يقال إذا علم بصريح كلمة الإخلاص أن ليس في الوجود إله غير
الله تعالى علم أن ليس في الوجود مستحق للعبادة غير الله تعالى لأن الذي يكون إلها هو الذي يكون
مستحقا وقد تقرر في هذا مقدمتان ينتظم منهما قياس ونتيجة أن يقال المستحق للعبادة هو

Copyright © King

الاله اي المتصف بالالوهية حقيقة لا من يدعي انها بمجرد التسمية كالصنم ولا اله في الوجود الا الله
فينتج من الشكل الاول لا مستحق للعبادة في الوجود الا الله اما الكبرى وهي قولنا لا اله الا الله
من اضمه واما الصغرى وهي قولنا المستحق للعبادة هو الاله فبيانها ان يقال لا بد من تحصيل معنى
العبادة والاستحقاق فيقال اما ان يراد بالعبادة العبادة الشرعية وهي امتثال ما نهي المخاطب بها
العباد على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم واما ان يراد بها اللغوية وهي الانقياد والذلة والخضوع
وكذا الاستحقاق اما ان يعتبر بدليل الشرع او بدليل العقل فهي اربعة اقسام الاول ان يراد العبادة
الشرعية والاستحقاق بالشرع ولا شك انه ليس الا الاله بل الاله الواحد وهو الله تعالى الحي القيوم
قال تعالى وسائر والا لا تعبدوا الا اياه واخر الا اله الا هو وقال تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
الى غير ذلك وهو كثير الثاني ان يراد العبادة اللغوية والاستحقاق ايضا بالشرع ولا شك انه
ايضا ليس الا الله تعالى قال تعالى ولله يسجد من في السموت ومن في الارض الاية وهو مقيس بالمعنيين
الثالث ان يراد العبادة الشرعية والاستحقاق بالعقل وهذا لا نقول به نحن معشر اهل السنة
ولا نثبته اذ الاحكام عندنا التي منها العبادات الشرعية انما تثبت بالشرع لا العقل نعم تجويزه من
الاله اذ هو فاعل مختار له ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وليس هذا الا للاله الحق وهو الله تعالى
لا غير الرابع ان يراد العبادة اللغوية والاستحقاق بدليل العقل ولا شك انه ليس الا للاله الحق
لان العبادة التي هي الانقياد والاذعان انما تكون لمن يدبر الخلق والامر واول الانقياد للحادث
عدم تعاصيه عن القدرة ان تتصرف فيه بدليل الايجاد والامداد ويجيء الايجاد الامر الفاعل المختار
وليس الا الواحد القهار سبحانه وتعالى فهذه اربعة اقسام ترجع الى قسمين وهما العبادة
الوصفية والعبادة الفعلية اما الوصفية فنعني بها ما يرجع الى صفات العالم من الانقياد
والاذعان للفاعل والذلة والخضوع والافتقار لان العالم من حيث جوازه منقاد ومتأتي للفاعل 109
لا يتعاصى عن قدرته ومشيئته ومن حيث عجزه عن ايجاد نفسه وعجزه عن ايجاد المنافع لنفسه
واعدام المضار مع استحالة تصرفه في شيء من ذلك بالفعل كان مفتقرا الى الفاعل الموجد
ومده بالجلب والدفع ومن حيث عجزه ايضا عن استغنائه عن الله تعالى على ما يريد ومنعه مما يريد
منه كان مغلوبا ذليلا خاضعا وكان الفاعل المختار هو الغالب على امره العزيز القاهر ومبنى
ذلك كله على افتقار الفعل الى فاعله دون العكس وهو معنى قولنا ان الاله هو المستغني

عما

King Saud University

عما سواه المفتقر ما سواه اليه فمجموع هذين الامرين هو حاصل استحقاقه للعبادة فصار استحقاق
العبادة في هذا التفسير راجعا الى معنى الالوهية فمتى نفيت الالوهية عن كل ما سواه نفي هذا
المعنى ومتى ثبتت له ثبت له هذا المعنى واما العبادة الفعلية فنعني بها ما هو مظهر لذلك
المعنى الاول من افعال مخصوصة واقوال تنبئ عن الافتقار والاذعان كالركوع والسجود والتقرب
بالنسك والثناء والتمجيد ونحو ذلك وهذا القسم تنزل من الاول منزلة المشروط من الشرط والفرع
من الاصل بمعنى ان الذي تفتقر اليه وتذل له ولا تتقاصر عنه وتنشمر منه وتخشاه وتخافه هو الذي ينبغي ان
تعظمه وتتقرب اليه بالقول والفعل فمتى نفيت الافتقار مع التقرب ومتى انتفى الافتقار لم يصح الا يكون
عبثا وسفها فاذا علمت ان الاستحقاق والمعنى الاول كالشرط له بالمعنى الثاني وانه بالاول امتنع
عن غير الله تعالى كالاصنام بانتفاء الالوهية فالثاني ايضا ممتنع لوجوب انتفاء المشروط عند انتفاء
شرطه فكل من ليس باله فلا يستحق ان يعبد اصلا وهذا معنى قولنا اذا لم يكن اله غير الله تعالى لم يكن
مستحق للعبادة غير الله تعالى وتقرر لك ايضا بقياس من الشكل الاول وهو ان تقول كل من سوى
115 الله تعالى هو ليس باله وكل من هو ليس باله فليس بمستحق للعبادة ينتج من الاول كل من سوى الله
تعالى فهو ليس بمستحق للعبادة اما الاولى من مقدمتيه فهي قولنا لا اله الا الله على تقريرنا وهي
موجبة معدولة وصح كونها صغرى واما الثانية فبيانها ما قررناه من ان الاستحقاق بكلا المعنيين
راجع الى معنى الالوهية وبالمعنى الاخر هو عينه وهي ايضا موجبة تستلزم سالبة وهي
قولك لا شيء من غير الاله مستحق للعبادة وهذه تنعكس الى قولنا لا مستحق للعبادة غير الله
تعالى وهو معنى قولنا اذا انتفى ان اله غير الله تعالى ثبت ان لا مستحق للعبادة غير الله تعالى وهو
المطلوب غير ان الدليل في الاول برهاني لان افتقار الحادثات الى المحدث واجب والافتقار الى غير القادر
المختار باطل فالاستحقاق والعبادة بالمعنى الاول قد ثبت لله تعالى وانتفى عن كل ما سواه فهو تعالى منفرد به
بالادلة العقلية القاطعة واما الثاني اعني الاستحقاق والعبادة الفعلية فالعقل يجوز ذلك
لله تعالى قطعا ولا يجزم بوقوعها عندنا اذ لا يصل العقل الى ما يرضاه الرب تعالى منها ان رضيه ولكن
يستحسن ذلك ويتوقف في الحكم به على الشرع وكما يتوقف ولا يحكم بثبوتها لله تعالى قبل مجيء
الشرع كذلك لا يحكم بانتفائها عن غير الله تعالى كالاصنام قبل مجيء الشرع على سبيل الجزم ولكن
يستقبح ذلك فكان انفراد الله تعالى باستحقاق العبادة بهذا المعنى ثبت سمعا وليس بعقلي ومن

Copyright © King

نبه على هذا المعنى الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد في الجزء ان في كلامه في الوحدانية ما نصه وبالجملة
فمعنى الشرك في الالوهية ثابت عقلا وشرعا وفي استحقاق العبادة شرعا وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين انتهى وانما قال في الثاني في الشرع لان ادلة الصانع القاطعة في وحدانية الله تعالى بالالو
لا تنهض فيه فالصنم مثلا يستحيل ان يكون الاها مع الله تعالى لادلة الصانع وغيرها ويستحيل ايضا ان
يكون فاعلا لشيء من الاجسام وكذا لشيء من الاعراض عند اهل الحق لاستحالة توارد الفاعلين
على الفعل بدليل الصانع نفسه فالله تعالى منفرد ايضا بذلك كما انفرد بالالوهية وهو معنى سلب
الشريك في الافعال الذي ذكر في الوحدانية اما استحالة تعظيم الصنم بالتمسح به والطواف عليه
وذبح النسك له ونحو ذلك مما هو عبادة الصنم عند عابده فلا تنهض فيه تلك الادلة ولا يستقل
العقل بحكمها وانما ظهر بطلانه وانحسام مادته بالشرع ونحوه عند ذلك فاذا علم بقيام البرهان
الله تعالى بالالوهية وان لا شريك له تعالى في ملكه وانه قادر على فعل الممكن كله وانه قادر مع
جملة ذلك على شرع الشرائع لعباده وبعث الرسل بها وتصديقهم بالخوارق وعلم ان ذلك واقع وان
الرسول صادق وجائز ان يجيء اليه بما اتى به من قبل الله تعالى حرام او نهي تعين امتثاله فاذا نهى تعالى عن
تعظيم شيء وعبادته كالصنم وجب ترك ذلك والبراءة منه وكان الاقدام على ذلك حينئذ جرأة
على الله تعالى وافتياتا على ربوبيته واشراكا في عبادته وتعلم ان اللوام بشيء من ذلك كان صحيحا وصار
فعله طاعة ولذلك لما امر بطاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم واحترامهم كان ذلك
صحيحا ولم يكن جرأة على الله تعالى ولا اشراكا معه لانه انفاذ لما حكم وعمل بما رسم فطاعتهم هي طاعة
الله تعالى اذ هي امتثال لامره تعالى ولو رسم الخليفة الذي حضرة من مملكته ان اطيعوا فلانا واسمعوا
منه ولا تجعلوه فيما يامركم وعظموه واحترموه لم يكن ما يفعلون من طاعته اساءة للخليفة ولا
جرأة عليه بل الجرأة ان لو امتنعوا من طاعته كما لا يعد ذلك المطاع ثانيا على الملك ولا منازعا له ولو
فصار الآن وكيله المعوض اليه والمطلوب تعظيمه تعظيم الخليفة وطاعته طاعة ولو انهم اطاعوا
رجلا بغير اذن الخليفة وامروا بغير امره كانوا افتاتا اذا اشركوا الرجل في الملك وشقوا العصا
وخرجوا عن العبودية فالصورة واحدة وتكون تارة طاعة وتارة بغيا واشراكا بحسب الامر
وعدمه ولما خفي هذا الاعتبار على اللعين ابليس مع ما انطوى عليه من الحظ والرتبة والاعتقاد ان 112
الرتبة امتنع من السجود وجاهر الملك القهار بالاباية والاستكبار ولهذا المعنى ما قال الشيخ

ابو

ابو العباس زروق رضي الله عنه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان فيها معنى الشهود لا قدم له
عليه السلام وهو معنى بين واضح ومن كون ذلك كله انما اغتفر فيه بكونه محلا ومارا مجوزا بالاستناد
الى امر المولى جل اسمه لا جرم وجب ان يوقف عند امره ولا يزاد عليه بل وفعلنا ان زيادة قدر وتعظيم
للانبياء المامور به بان يجعلوا الهة ويعبدوا لكان تعديا خارجا عن الادب وصار ضلالا وشركا
ومن هذا العدوان احتذر النبي صلى الله عليه وسلم حماية لامته وشفقة عليهم وكان بالمومنين
رحيما فقال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم وليس الاطراء الذي
نهى عنه صلى الله عليه وسلم هو الاطراء في توقيره وبره ومحبته والثناء عليه صلى الله عليه
وسلم المامور به فان ذلك كله حسن جميل وانما الخروج عن ذلك الى ادعاء الالوهية واستحقاق
العبادة ونحو ذلك بدليل التشبيه وما احسن قول البوصيري رحمه الله في هذا
دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فقد تبين من هذا كله ان استحقاق الاصنام العبادة منفي بكلمة الاخلاص عند انتفاء الالوهية
عنهم في الاعم بناء على ان الاستلزام اما واستتباعا قال قال المعترض انكم تحتجون بالضروريات قلنا ان عنيت
بالضروري كون العرب متوددا عليه شركها وعبادتها للاصنام من دون الله فصحيح انه ضروري ولا
كنا انكرناه وان اردت ان الضروري هو كون هذا المعنى مدلولا للكلمة الاخلاص فالجملة صحيح ونحن
نقول به وان اردت كونه مدلولا عليه بصريح لفظها لا بحسب العموم ولا الاستلزام فهذا مما لا يسلم
113 خصه انه ضروري فضلا عن ان يكون من اشهر ما كفى وهو نعص مرعاك قال قال وهب ذلك مدلولا
15 عليه بدلالة المفهوم او دلالة الاشارة فاين ذلك كله من منطوق الدلالة وصريح اللفظ قلنا وهذا
ايضا نزوع الى طلب دلالة اللفظ وقد عرضنا في المخاطبة ما خوطب به اما بلفظ او بغير لفظ
وقد يكون في المفهوم ما هو كالمنطوق او ابين بل قد يكون في التعريض ما يكون ابلغ من التصريح وقد
يفهم المعنى بغير لفظ اصلا من قرينة عرفية او حالية وغير ذلك قال فلت هذا كله
لا يخلو من تكلف انما اوجبه تفريط ان النفي في كلمة الاخلاص في الكلمة المشهورة هو المماثل في
الالوهية فاي حاجة الى ارتكاب هذا التقدير واي فايدة للعدول عن تقدير ان المنفي هو مطلق
المستحق للعبادة الشامل العام قلنا لو لم يكن لارتكابه سبب الا تصحيح كلام الايمة
المغرورين بالكلمة على ذلك لكان صبيا كما ياتي وهاهنا سبب للصبيه لا يتنبه له من يجهل

الحقايق فيما لا يحيط به علما وهو انا نقول للمعترض ان كان المستحق للعبادة الذي قررت انه منفي
مساويا للمماثل في الالوهية لا ينفعك تقريرك اذ لا فرق بينهما كما لا يخفى وان كان اعم من
المماثل في الالوهية بمعنى انه يصدق في الاله ويصدق في غيره كالصنم في اعتقاد من يعبده استحقاقا
به فمقصودنا في المشارك لله تعالى في الالوهية اولا وهو دعواك بلا شك وحينئذ نقول من
المعلوم ان المنفي بالاستثناء قبل الا اذا ثبت هو المثبت بعدها للمستثنى والمنفي في تقريرك
هو المستحق للعبادة على الاطلاق فيجب ان يكون هو المثبت لله تعالى بنفسه فتكون
كلمة الاخلاص افادتنا ان غير الله تعالى لا يستحق العبادة وان الله تعالى يستحقها وحينئذ فالكلمة
لم تثبت لله تعالى الالوهية كما لم تنفها عن غيره تعالى فان قال اذا كان المستحق للعبادة اعم
منفيه قبل الا الذي يوجب نفي الالوهية قطعا ضرورة انتفاء الاخص عند انتفاء الاعم قلنا
ما كنت ايها المعترض تكتفي بالنفي الاستلزامي بل كنت تطلب التصريح وبذلك اعترضت علينا فقد
وقعت فيما انكرت وايضا ان انتفته عن غيره تعالى بما ذكرت فلا تثبت له تعالى بالاستثناء لان اثبات
الاعم لا يقتضي اثبات الاخص فقد يصدق على الوثني المعتقد في تقريرك ان المستحق للعبادة قد
لا يكون الاها بل شفيعا الى الاله كالصنم فيفهم منها على تفسيرك انما اثبت للمستثنى
استحقاق العبادة فقط وربما توهم ان المستثنى ايضا ليس باله ولو عند الموحد وان لا فرق بينه
وبين المنفي عنه الاستحقاق والا في الاستحقاق والا في عدم الالوهية فيستويان ويكون ذلك
في زعمه كما لو قيل ولله المثل الاعلى هل يستحق العبادة دون الغير ثم هذا ايضا انما هو على
تقرير المستحق اعم باعتبار اعتقاد الوثني مثلا ومن الجائز اذا لم يكن هو الاله ان يعتقد ذاتا
اخص مطلقا او من وجه فقد يقوم الشيء ويعتقد ان المستحق اخص مطلقا او من وجه
وانه قد ينتفي مع بقاء الالوهية فيقول انكم لم تنفوا بقولكم لا اله الا الله الالوهية الا انه
الثاني الذي ذكرته وانما نفيتم عنه استحقاق العبادة فانظر ما ادى اليه هذا التقرير ايها
المعترض حافظت على انفراد الله تعالى باستحقاق العبادة واخللت بانفراده بالالوهية
وهل يشك مؤمن ان كلمة الاخلاص تدل على انفراد الله تعالى بالالوهية على الخصوص ودين اشهى
وان انكرتم ايها المعترض ان اكتفيتم بالمساواة بين المعنيين قلنا وفي العكس ايضا فقد
رجعت الى الوفاق بعدما كنت في غاية الشقاق لان تقرير فالا والا لان الاعتناء بالالوهية

والانفراد

والانفراد به اليوم او من للعقول والعادات اما الاول فلانها الاعلى الاعظم والمطلب الاهم واما
ثانيا فلانه لو كان في البلد خليفة ثم جاء اخر وادعى له الخلافة لو تسارع الناس الى خدمته وموالاته
وجباية الخراج له دون الخليفة وان لم يعصوا الخلافة فلا يرتفع من صاحب الخليفة الجدال عنه في
هذا هو القول بان الناس ليس بالخليفة ولا اعتناء بسلطنته عنه والاخر على زاعمه واثبات انفراد
الخليفة الا بان الانفراد به يستتبع انفراده بالخدمة والموالاة وغير ذلك ولو قام الخليفة
نفسه وكل جماعة عليه ليقاتل الثاني ويدفعه فانما يقاتله على الخلافة او لا يقاتل الا على مال 115
جمعه او حظا افترضه فان ذلك تبع ومما يوهم تغيير مطلوب المعبود ما مر من انفراده تعالى باستحقاق
العبادة بشيء على عقل فتحصل الا اذا قيل لا مستحق للعبادة الا الله واما ان يكون معنا الا الاخبار
بان من ثبت او يثبت في الشرع بان المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غيره وهو المعنى وضع كلمة
لا ناخذ من انها خبر لا انشاء وحينئذ فمعنى الكلام تغيير من جهة المعنى وكانه قيل لا مستحق للعبادة
شرعا الا الله وفيه حينئذ ثلاثة امور الاول فيه تغيير الدليل عليه الثاني انه حينئذ
متوقف على ثبوت ذلك الامر شرعا في الخارج بغير كلمة الاخلاص اذ الخبر ماله نسبة خارجية
تثبت بغير اللفظ ولا شك ان هذا الامر ثابت بالنصوص الشرعية نحو قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو وغيرها الاكثر فيلزم ان الكلمة الشريفة غير مستقلة حينئذ بافادة هذا الامر
لاحتياجها الى النصوص فقد وقع المعترض فيما فر منه من كونها استقلالا وتثبت له وتنتفي عن
غيره بنصوص اخرى ويجاب عنهما اما الاول فبان التغيير غير معتبر اليه في التركيب وانما هو بيان
للمراد الثبوت وهو امر خارجي واما ثانيا فبان الكلمة مستقلة بالدلالة على الغرض المراد
ولا احتياج الى النصوص احتياج افتقار لا احتياج دلالة الامر الثالث ان الخطاب
بكون الثابت في الشرع هو كذا انما يحسن ان يوجه الى من يعترف بالشرع ويجهل هذا الامر منه وكيف
يقال لمن لا يعرف الشرع ولا يعلم ان له وجودا اصلا الامر الثابت في الشرع هو كذا ولو كان كذلك
لكان الاعرابي السامع لذلك قبل ثبوت الشرع عنده حقيقا بل جديرا بانكار الشرع قبل انكار
التوحيد ولم يخبر الله تعالى عن العرب الا بانكار التوحيد وجعل الالهة الاها واحدا وان يكن
معنى الكلام الاخبار بذلك بل ان يريد افادة هذا المعنى بنفسه فلا شك انه لا يكون كذلك
الا اذا كان انشاء في المعنى والغرض خلافه ولا شك ان كون كلمة الاخلاص انشاء صحيح واضح 116

Copyright © King

غير أن ذلك ليس مقتضى المعنى ضرورة وسنبين ذلك إن شاء الله فقد ظهر أن في الكلمة حينئذ على هذين
الوجهين على أنهم بين أمّا أن يكون المنفي هو مطلق المستغنى وله فضيلة العموم والرد على كل من يدعى
لشيء غير الله تعالى استغناء ما بصريح اللفظ وفيه أنه ليس فيه التصريح بإثبات الألوهية لله
تعالى ونفيها عن غيره مع أن ذلك هو المقصود الأعظم وأمّا أن يكون المنفي هو خصوص الواجب
الوجود المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما سواه وله فضيلة الإفصاح بأن الله تعالى هو
الواجب الوجود المستغنى إلخ وأنه منفرد بالألوهية لا شريك له فيها وفيه أنه ليس فيه التصريح
بنفي استغناء غير إله العبادة كالصنم عمن يعبده استشفاعا به ولا يعتقد فيه
الألوهية أصلا وذلك ما ختم إلى التقرير بين شيئين فقد رأيتك وجهة الاختيار بكل منهما وثبت
من وجه واعتبار

على أنني راض بأن أحمل الهوى ● وأخلص منه لا علي ولا ليا

هذا واعتقادات المؤمنين في المسألة كلها والحمد لله صحيحة وكلمة الإخلاص بإثبات التوحيد
ونفي الشرك على كل حال صريحة ولا اعتبار إن عند الموحد متلازمان فمتى فرد واجب الوجود ونفيه
عن غيره يقتضي انتفاء استغناء والعبادة إذ لا مستحق للعبادة إلا الإله الحق كما أن ثبوته لله
تعالى في الاستثناء يقتضي ثبوت الاستغناء إذ الإله الحق مستحق للعبادة لا محالة فعموم
الرد على كل مشرك حاصل ومتى فرد المستحق للعبادة فانتفاؤه يقتضي انتفاء الإله الحق إذ
الإله أبدا مستحق للعبادة وكذا ثبوته لله تعالى بالاستثناء يقتضي أنه تعالى هو الإله الحق
بأن المستحق للعبادة خاصة من خواص الإله الحق كما في كلام السعد وذلك بإجماع أهل الإسلام
فمن أين يعني بالمستحق الإله الحق كما لا يخفى عن الشيء بخواصه اللازمة وليس هذا في مفهوم
المستحق وحده بل ما ذكر أيضا من واجب الوجود والاستغناء عن الغير ونحو ذلك خواص بعضها 117
ثبوتي وبعضها سلبي إذ الحقيقة نفسها غير مدركة في كتب الكلام واعلم أن الاعتبارين
إنما وجههما أن من تتبع عبارات السهيلي وأتى بأجزاء يقول بمطلق المستحق الشامل لما ليس بإله أصلا
وهذا يقول بخصوص الإله الواجب الوجود المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص وهو المماثل من كل
وجه ولو شئت أن تتوسط بين التقريرين وتثبت اعتبارا بين الاعتبارين كان التوسط خير أيضا
خير الأمور أوساطها وذلك أن تعتني بالتفرقة بين أن مفهوم الإله لغة هو المستحق للعبادة ○

فيصرف

فيصدق بعموم نفيه عن غير الله تعالى ان لا مستحق للعبادة غيره تعالى ولا المعبود لا ان هذا هو هذا او يتاتى
هذا بامر بين آخرهما ان فيه الجمع بين الغرضين كما ذكرنا الثاني ان ما يقع في الخطاب باللفظ هو
ان ما يلتفت الى اعتقاد السامع من حيث هو اذ لا ينضبط ولا الى ما استقر في نفس الامر اذ لا يفهم بل الى
ما يفهم من اللفظ والتخاطب بحسب اللغة او العرف وبذلك يصح الخطاب وتقوم الحجة في طلب
الجواب ولفظ الاله في مسئلتنا انما يفهم منه المعبود بحق فيكون هذا الذي وقع فيه التخاطب قال تعالى
والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة منكم وبعبارة اخرى المعبود ولا اله الا هو وقال الشيخ
سعد الدين رحمه الله تعالى المراد بالاله في هذه الكلمة اما المعبود بالحق فيلزم استثناء الشيء من
نفسه او مطلق المعبود فيلزم الكذب لكثرة المعبودات الباطلة فيجب ان يكون الاله بمعنى المعبود بحق
والله علما للفرد الموجود منه قال والمعنى لا مستحق للعبادة له في الوجود او موجود الا الفرد الذي هو
خالق العالم قال وهذا معنى قول صاحب الكشاف ان الله مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره
اي بالفرد الموجود الذي يعبر بالحق تعالى وتقدس انتهى قلت هذا المعنى هو الذي يعطيه الشيخ السنوسي
وهو الذي يعطيه ايضا والمعبود بالحق ويصح ان يلاحظ فيه هذا المفهوم لغير وهو الذي قلنا
انه معنى الاله لغة ويصح ان يلاحظ فيه معنى الكناية عن جميع المعنى من وجوب الوجود والاتصاف 118
بجميع الكمال وهو انسب بالمذكور قبل هذا في المماثل من كل وجه فافهم فقد اتضح لك ايها المومن مما قررنا
ان لا اله الا الله كلمة اخلاص مثبتة للتوحيد نافية للشرك رادة على المشركين جميعا مبطلة
لشركهم وتعم بما سبق في الفصول السالفة ان ليس معنى ابطالها الشرك انه ان كان شيئا
كان موجودا كالاجرام الحي لا ينتقل وتعالى بل يتعلق لا انه يقطع بعد حالة متميزة ان ذلك باطل وكذب
غير مطابق لما في نفس الامر وكثيرا ما يقع في عبارة المشايخ انها ناسخة لما كانوا عليه من الشرك
فليس معناه انها رفعت شيئا كان مستقرا كما تقرر في نسخ الحكم الشرعي بل المعنى انها حاكمة
ببطلان الشرك فصار في صورة ما كان ثابتا ثم ارتفع او رافعة لاعتقاد ذلك من قلوب المشركين
تمام ان الحق والحق ثبوته في النفس هو ثبوته في اعتقادها ولا والاعم على ان الشرك اذا اعتبر هو
بنفسه فهو ان كان ثابتا وان ثبت شيء ثم ارتفع شرعا وعقلا فذلك كالنسخ قلت ومما وضحنا
ان لا اختلاف الواقع في هذه الكلمة المشرفة بين المتاخرين ليس اختلافا يرجع الى التوحيد ولا الاعتقادات
كلا ومعاذ الله بل كلهم متفقون على الحق وهو ان الله تعالى لا شريك له في الالوهية وانه مستحق

Copyright © King

للعبادة لا هو سبحانه عما يشركون وانما هو اختلاف يرجع الى التعبير والتحرير وهو كالخلاف في
حال نسبته في المتكلم فلذا الثانوي والاستبصار في العبارة والاعتبار في المعنى في ضوء التامل
والمواخذة على الذي تخيل فوقع للمسبطي رحمه الله من ذلك انه لم ينضبط في اكثر عباراته بل لا يزال
يقول الاصنام خارجة ولا يسير بالاعتبار خرجت وان يسته لم يسير الاعتبار الذي به تدخل وانه لم يتامل
كلام غيره فتوهم ان غيره يدخل الاصنام من حيث هي وانما وبطلانه بشرط التنكير ولو تامل ما انكر
ووقع للمعترض عليه كذلك انهم لم يتاملوا ما انتجه ولا انتسبوا له الحصر مخرج واما كل من غلط الى
زمننا هذا في المسئلة فهم غالبا على هذين المتميزين ولكل نصيب مما اكتسبوا وقد عرفت الحق والصواب ١١٩
فلا يشكل عليك خطابه ولا تتوقف عن جوابه والكل ان شاء الله تعالى على هدى من اعتقادهم ان لا
يصح احد بان الاصنام مثلا ينبغي ان تنفى عن الالوهية او استحقاق العبادة عنها اصلا او يرد على
المشركين ولا زيغ منهم او توقف في ذلك او شك فهذا ان غرباء لة الشريعة المطهرة العقلية
والنقلية انفه ونبين لك ضلاله وضعفه وغلو النبيطي وجميع المومنين بروا حرة عليه
ومعرفة بهما مثلنا اليه اشارة وقع منه كلام عظيم يجب ان يؤول الحسن تاويل ويثبت للمومنين
في الحق ما امكن سبيل وقد رايته ما تاولنا به كلام المخالفين وما اجبنا به عن كل واحد وعلمت ذلك
من ذلك ان غالب من تعرض للكلمة المشرفة مصيب في تحرير المعنى بان الاعتقاد صحيح وغالب
من تعرض في العثور والخطا للنكرة الاعتساف وقلة الانصاف ومما وقع من اتساع لهم انهم لا
يرون في ورود في الكلمة انه لنفي الالوهية او استحقاق العبادة عن غيره تعالى ويجرون ذلك
في عبارة الناس وكانه بجمهور ظاهر ذلك وهو ان لا انه نفي لا الالوهية ما داما كان نفيا لجميع
افراد الالوهية كما لو قلنا لا رجل في الدار فهو نفي لا افراد الرجل لا الرجولية نعم هما متلازمان
فنفي احدهما يقتضي نفي الاخر بالضرورة وقد رايت بعض الفضلاء قد علل ذلك بل تبع به في
في حاشية له على الصغرى من كلام العلماء ما يقتضي ان كلمة الاخلاص معترضة لرد عرب الجاهلية
الوهية الاصنام ومتعرضة لرد عليهم في الخلاف المرتفع عدم تعرضها للاصنام وانما النفي
فيها متسلط على المثل المقرر فقال وشبهته في ذلك ان الله ليس بمشتق ولا صفة حتى يتصور
فيه انتفاء صفة الالوهية عن سائر المعبودات واثباتها لله وانما هو موصوف فلا يتصور
الا نفي الذوات الموصوفة بالالوهية وان لا وجود لها على سبيل الحق او النفي لجنسها ١٢٠

فان

فان موضوعه لنفي جنسه لا يلزم من نفي وجوده انتفاء غير الله تعالى فيكون الاصنام وسائر
المعبودات الالهة لوجودها واتفق والغرض ان لا وجود لذات اله الا الله قالوا حتى لذلك في افادة
النفي اذ في حاشية الكشاف من ان اله من اسماء الاجناس ووقع على مطلق المعبود في اصل الوضع
ثم غلب على المعبود بحق وهذا القدر لا يقتضي الوصفية وذكر بيان ذلك من كلام السعد ثم قال
واقول الجواب عن هذه الشبهة المقتضية لما ذكر ان ما تضمنته من كون اله اسما لا صفة انما ذلك
فيما لا قصر فيه من الكلام كما هو مقتضاه ويحصل اذا عنى المنقول عن الكشاف وحاشيته وانما
هو بالنظر لمجرد كون اله من اسماء الاجناس الغير المشتقة واما حيث يستعمل استعمال القصر كما هو
المراد من تركيب الكلمة المشرفة فانما يستعمل من حيث ملاحظة الوصفية ضرورة انحصار القصر في قصر
الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة والكل في ذلك **قلت** واعتراض هذا
الفاضل الذي تصدى له هذا التصدي لو توجه لم يكن له طائل لان المقصود بكل اعتبار حاصل الا ترى ان المقصود
هو كون الصنم ليس بالاله مثلا وانما الاله الواحد القهار سبحانه وهذا حاصل بكون افراد الاله غير الله
منفية مستحيلة كما هو حاصل بكون الالوهية عن غير الله منفية مستحيلة على حد سواء وهذا كما
لو قلت زيد ليس بعالم او زيد ليس له علم فلا فرق بينهما في المعنى ثم نقول في جواب الاعتراض ان الظاهر والاولى
في الكلمة المشرفة على ما مر ان يكون القصر فيها الى الاستثناء وهو كلام تام بتقدير الخبر فاذا قلت
لا اله اي موجود كان نفي افراد الاله واذا قلت الا الله كان استثناء لفرد واحد من تلك الافراد المقدرة
وهو الله الواحد القهار وليس نفيا للالوهية ولا الاستثناء منها كما لا يخفى على عاقل وهذا هو وضع
القصر وانما لم يكن اسم لا في نحو هذا التقدير جامدا او مشتقا الا ترى انا لو قلنا لا رجل في الدار ولا
121/ عالم في الدار فهو نفي لافراد الرجال او افراد العلماء فاذا قلنا الا زيد كان زيد مستثنى من الرجال او من
16 العلماء لا من الرجولية او العلم وهذا مما لا يحتاج الى بيان ولا يختلف فيه اثنان ولو جرينا على ما اعتبره
من كون الكلام جملة لا تقدير فيه وان القصر فيه انما هو مجرد الاخبار وقصر الصفة على الموصوف
لم يكن ما ذكره ايضا متوجها سواء قلنا الخبر هو ما بعد الا جامدا او مشتقا لان الكلام في الحكم والحمل
ومعنى قصر على المبتدا انما هو الحكم بان هذا الخبر لا يتعدى ذلك المبتدا الى غيره فمعنى قولنا لا اله الا
الله المقصور على الله تعالى هو الاله لا ان لا صل الله اله فقلنا لا اله الا الله رد على من يقول اشتراك الصنم
الله والخبر في الكل انما هو الاله لا الالوهية فهو الخبر به بدون القصر ومع القصر سواء وتوضيح

Copyright © King

هذا الغرض ان تعلم ان الصفة اذا اطلقت في اللسان فتارة يراد بها المعنوية اعني المعنى القائم بمحل كالعلم
والكتابة مثلا وتارة يراد بها الاشتقاقية اعني الوصف المشتق من اسم فاعل او اسم مفعول او صفة
مشبهة مثلا كالعالم والكاتب والمضروب والجميل والظريف وقد يراد بها خصوص النعت في عرف النحو
وهي من القسم الثاني ويلتحق بالقسم الاول الرجولية والطفولية ونحوهما من المصادر غير الاشتقاقية
بمعنى الرجولية كون الشيء رجلا وعكسه او منه الالوهية ان قلنا الاله ليس بمشتق ويلتحق بالثاني الرجل
والطفل والانسان ونحوها باعتبار ما تضمنته من المعاني كالرجولية والانسانية اذا تمهد
هذا فاعلم ان الخبر ابدا صفة للمبتدا لا باعتبارين اما بالمعنى الاول فبالنظر الى المعنى والخارج لا بالنظر الى
الاخبار ولا من حيث ان المبتدا مبتدا والخبر خبر واما بالمعنى الثاني فبالنظر الى الحكم والاخبار فاذا قلنا
مثلا زيد عالم فعالم خبر عن زيد وصفة له وعالم مثلا مشتق من العلم فله اعتباران احدهما مادته واصله
وهو العلم والآخر صيغته وهو العالم وهو باعتبار الاول صفة لزيد ولكن لا من حيث انه خبر ولا
من حيث ان زيد مبتدا بل من حيث الخارج وما في نفس الامر بحسب صدق الخبر لان العلم صفة لزيد قائمة به
كقيام سائر الصفات بموصوفاتها وهو باعتبار الثاني صفة لزيد من حيث الحكم عليه والاخبار عنه
وذكره والثابت في الخارج لزيد بالوجود العيني في هذا المثال هو العلم غير انه لا يمكن وصفه به
لنفسه اصلا وذلك لوجهين احدهما ما مر ان الذوات المستقلة بالمفهومية لا يصح حملها اذ النفي
والاثبات لا يتواردان على المنسب الثاني ما تقرر في الحكمة واطبق عليه العقلاء من ان الحمل يجب
ان يكون مغايرا للموضوع في الذهن متحدا به في الخارج اذ بالتغاير في الذهن كان الحمل مفيدا وبالاتحاد
الخارجي جاز الحمل فيصح ان يقال هذا هو هذا ومعلوم ان الذوات غير الصفة فالعالم بينهما عينا ولا
خارجا فاذا ثبت زيد في مثالنا غير العلم فلا يصح حمل العلم عليه بان يقال هذا هو هذا او لانه لا يمكن ان يوصف
به احتيج الى وجه يصححه كان يقال مثلا زيد له علم او زيد ذو علم او زيد متصف بالعلم او زيد عالم والثالثة
الاخيرة اوفق بالحمل او هذا هو هذا بلا احتياج الى زيادة وبل ولا خير منها اخصر واخف فالتزم في غالب
التعبير وذلك حكمة الاشتقاق وبانه اذا قيل زيد عالم فزيد متصف بالعلم بحسب الخارج لنفسه وبحسب
الحكم بواسطة الاشتقاق ومتصف بالعالم بحسب الحكم لنفسه من غير احتياج الى شيء وبحسب
الخارج ايضا لانه بالثبوت لا باعتباري الوجود المعنوي اعني الاتصاف الخارجي الوجودي هو
منشا المعنى ضرورة وقد علمت انه غير متعين لصحة الثاني ايضا بل متنزل باولية الذاتي للاحكام

ومباحث

436

ومباحث الكلام يتعين الثاني لانه محط الحكم ومصب الاثبات والنفي بالمباشرة فمتى قيل زيد عالم
مع ان يقال حكم على زيد بالعلم وحكم على زيد بعالم وبكونه عالما والكل صحيح ولا افضلية الا التاصل
والتفرع وللثاني فضيلة المباشرة في الحكم والمطابقة فافهم ثم اذا وقع العقد بان قصدت الصفة على
123 الموصوف مثلا بان قيل ما عالم الا زيد وقع ذلك ايضا بالاعتبارين المذكورين لان الكلام الذي يقع فيه الحصر
والذي لا يقع فيه متقابلان بحسب الحصر وعدمه وهما شيء واحد فيما وراء ذلك فهما متفقان في افادة ثبوت
المحمول او انتفائه صريحا وهو على الاطلاق ومطابق المفهوم وهو التصريح بالانتفاء عن الغير وعدم
التصريح وذلك ما اوجبه الحصر وعدمه كما تقرر في القضية البسيطة والمركبة فيصح ان يقال في ذلك
المثال قصر العلم على زيد وان يقال قصر العالم على زيد او قصر عليه كونه عالما كما ياتي التاويل التصحيح (?)
العقد والتصحيح التعبير بالصفة كما قررنا وذلك كلا يجب ذلك في الحكم قبل العقد اذا تقرر
هذا فنقول على وزانه قولنا لا اله الا الله مثلا اعتبر فيه قصر الصفة على الموصوف مع ان نقول قصر
الالوهية على الله تعالى ومع ان نقول قصر على الله تعالى الاله او كونه الها وعلى الاول فالحاصل ثبوت
الالوهية لله تعالى وانتفاؤها عن كل ما سواه وعلى الثاني فالحاصل كون الله تعالى الها وكون غيره
تعالى ليس باله والمراد حاصل فيهما معا وانما اختلف الاعتبار فان قلت المقصود نفي
الالوهية عن غيره تعالى كالاصنام وكل ما عبد من دون الله ردا على من يقول بها ويدعي الالوهية
لغيره تعالى وذلك لا يستفاد بالاعتبار الثاني صريحا وانما يستفاد ضمنا من حيث ان الاله يتضمن
الالوهية على ما قرر فيما سلف من ان [illegible] يستدعي نعم يستفاد ذلك صريحا باعتبار الاول فلم
لا يكون هو المتعين قلت ذلك حاصل قطعا بالاعتبار الثاني ولا نسلم كيف حصل اذ لا يشك
عاقل فيما لو قيل زيد ليس بعالم ان زيدا سلب عنه العلم ولا يحتاج في ذلك الى تامل وكذا اذا قيل
الصنم ليس باله على ما فهم بالاعتبار الثاني من الكلمة السالبة فلا يشك من سمعه ان الصنم سلبت
تمم عنه الالوهية ولا يتوقف في ذلك الى تامل اصلا واي شيء يطلب غير هذا و ايضا فان المحكوم به لله تعالى
124 بحسب العبارة والكلام الاخباري انما هو وصف الاله لا الالوهية بالمرتبة فان كان ذلك عند المعترض
قاضيا بثبوت الالوهية لله تعالى بل يكون هو المقصود في الحكم فلا بد ان يكون قاضيا بانتفائها عن
الغير حسب قضائه باثباته سواء والا فلا فافهم وهذا كله تنازل للوكون المقصود من الكلام ○
بالاولوية هو نفي الالوهية عن غير الله تعالى كالاصنام والرد على من يدعي لها الالوهية وليس

Copyright © King

كذلك بل المقصود ان لا نعتبر كون الاقسام شيئا وغيرها من الجهة والرد على من يرى انه من الجهة وهذا انما
يناسبه الاعتبار الثاني لا الاول ولا يحتمل ايضا في بيان هذا من ان يسمى لك ما يتضح به الغرض ويتم به المعنى
المعترض ومن يتبصر من عينيه ويتيقظ ان يفضح فيه من ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء ○
واعلم ان كلمة الاتفاق فيما يرد على المبطلين والنقض على المشركين مما يعتد به المعترض وقد علم
ان الكلام انما ينقض بمثله ويقابل بشكله وذلك عند الحكم يجب ان يكون حذو القذة بالقذة فاذا
نقضت القضية بالقضية فلا بد ان تتفقا في الاطراف ما سوى الوجهات وتختلف في الكيف والكم والجهة
ما عدا الاختلاف في الاطراف في اللفظ وان كان ربما يستثنيه احيانا غير الحكيم لعدم توقف التناقض المعنوي
عليه غير مستحضر فان الكلام الذي يستطيبه السمع ويستلذه الطبع ويستشرف به الفهم ويرتاح عنده
كل وهم هو ما كان انسب تناسب الجواهر في القلائد او تقابل تقابل الالفاظ في الميزان وما زالت الفطر
السليمة متنبهة عن الشذوذ عن هذا الغرض ومنصرفة عن المنصرف بعضه عن بعض اذا تقرر
هذا فحتى قلنا لا رجل في الدار مثلا فلا بد ان كان هذا الكلام ردا وابطالا ان نقول هذه كلية سالبة هي
نقيض جزئية موجبة من لفظها قابلة بعض الرجال في الدار وصاحب هذه الجزئية المردود عليه
يبين جزئيته بالغرض وذلك بمثال الواحد او الاكثر اذ لا تتصور الجزئية الا بوجود فرد او اكثر من افراد موضوعها
فلا بد ان يبين ان فردا من افراد الرجال موجود في الدار او اكثر من فرد مثلا فيقول زيد رجل وزيد موجود
في الدار فينتج من الثالث بعض الرجال في الدار وهي الجزئية المدعاة وقد حصل عند هذا المدعي حينئذ
ثلاث قضايا الجزئية الموجبة والشخصيتان وهما زيد رجل وزيد في الدار وصاحب السلب اذا انتقض 125
عليه بصحة نقض الشخصيتين ان يقول زيد ليس برجل او زيد ليس في الدار ثم لا يجريه هذا في تكذيب
صاحبه لانه اذا قال زيد ليس برجل ولا شك ان يكون غيره رجلا واذا قال زيد ليس في الدار ولا شك ان يكون
فرد اخر في الدار فيتم به غرض المدعي موجب على التناقض ان يعمد الى الجزئية فينقضها فيقول لا رجل في
الدار وقد علمت ان هذه السالبة هي رد على من يقول بعض الرجال في الدار بناء على قوله زيد رجل او خالد
رجل وهم او بعضهم في الدار وكذا اذا سمعنا لا اله الا الله وعلمنا انها للرد على المشركين فانا نقول هي
سالبة كلية ناقضة لجزئية موجبة من لفظها ايضا وهي بعض الالهة غير الله في الوجود وهذا قول
المشركين ويبين عندهم هذا ايضا بالغرض فيقولون وجدنا فردا او افرادا غير الله تعالى موصوفة بالالوهية
وهو مثلا هبل واللات والعزى او اساف فيقولون هبل اله ودون الله وقد حصل هنا ايضا ثلاث قضايا الجزئية

المذكورة

King Saud University

المذكورة والشخصيتان المشتركتين والموحد ايضا لو نقض الشخصيتين لم يتم غرضه من التوحيد فانه
لو قال هبل البشر بإله او شك ان يكون غيره كالعزى الها او لو قال هبل البشر موجود او شك ان يكون غيره
موجودا فيتم به الغرض من ثبوت الجزئية فتعين النقض الى الجزئية القائلة بعض الالهة غير الله في
الوجود فتنتقض بقولنا لا اله الا الله في الوجود وقد علمت مما قررنا ان هذا ان لم يقل بعض الالهة
غير الله موجود ويقول الصنم اله او هبل اله والعزى اله ونحو ذلك لم يقل الصنم له الالوهية
وهبل له الالوهية فان ذلك تبع وليس هو المطابق وهذا كقولنا لا رجل في الدار ولا عالم في البلد فهو
ان لم يقل بعض الرجال في الدار والشخص الذي في الدار رجل وبعض العلماء في البلد وزيد عالم مثلا لم
يقل بعض من في الدار له الرجولية وبعض من في البلد له العلم وهذا من الوضوح بحيث لا ينبغي [illegible]
من الجاهل ان يقول قائل الجزء الذي له العلم او بعض من في الدار له العلم والمناسب في الرد عليه ان يقال ١٠٦
لا عالم في البلد وزيد لا علم له وكذا لو قال المشرك الصنم له الالوهية فالمناسب ان يقال لا الوهية
لغير الله تعالى او لا الوهية للصنم فيكون حينئذ هذا الكلام مسلك نفي الالوهية اما حيث قيل لا اله
الا الله فالمراد نفي كون غير الله الها ولا يخفى عليك ان من العبارتين واضح لهما اذا وقع
المشرك منه واخبرته هو ان يقول الصنم اله لا ان يقول الصنم له الالوهية فتثبت في امثال هذا
المقام ولا تغتر بكثرة ما اوهم ان يتعلم ان الواقع في عبارات المعربين للكلمة من المحافظة على
نفي الالوهية وانكار غير ذلك من التعبير قصور عن المقامات وغفلة عن هذه الوجوه والاعتبارات
تنبيه ما تقدم من الخوض في الكلمة المشرفة هو كله مبني على ما اشتهر على الالسنة
الا ان فيها من انها خبر عن عدم الوجود لاله او مستحق للعبادة غير الله تعالى وقد كنا نبهناك قبل
على جادة من كلام الشارع تصرفت فيها اوجه باعتبار كونها خبرا او كونها انشاء وكونها لنفي
الوجود او لنفي الحكم الذي اردنا ان نلم هنا بتلك الوجوه ليطلع الناظر من جميع احتمالات هذه
الكلمة ما يرجى فيه نفع كثير انها وغيرها وزاننا بما كان منها مرضيا احتفظنا به وتعلقنا
باسبابه فنقول والله المستعان وعليه التكلان ان الكلمة المشرفة لها لفظا خبرية
مرئية واما بحسب معناها فاما ان تكون خبرا واما ان تكون انشاء وعلى الاول فيحتمل اربعة اوجه
الوجه الاول ان تكون خبرا بنفي وجود اله غير الله تعالى **الثاني** ان تكون خبرا بنفي
مستحق العبادة غير الله تعالى وقد مر هذان الوجهان وما فيهما من المعنى لا عائد فيه **الثالث**

Copyright © King

ان يكون النفي وجود اله يعتد به او يعتنى غير الله تعالى ويكون تقديرها هكذا لا اله معتد به او معتنى الا
الله تعالى وهذا هو الظاهر مما قبله ولكن عند تنقيحه فلا بد ان يقال لا اله اي لا عدم الاعتداد عقلا
او عادة او شرعا وعلى الاول فالمراد بعدم الاعتداد والاعتبار انه لا يمكن وجوده عقلا وهذا من القسم 127
المعروف منه وعلى الثاني فالمراد اما كذلك ايضا اي لا يمكن وجوده عادة وهو منه ايضا لان العقلاء
واخرون ان اختلف الكل يفارق الكل يوما والاعم واخص ان الكل ورتبة اخص من العمومية واما ان يكون
عدم الاعتداد والاعتبار عادة انه لا يستقيم امره ولا ينتظم حاله وذلك اما بحسب نفسه انه لا يتصف
بما ينبغي من الكمال ولا يتنزه عما لا ينبغي من النقص او لا يكون قادرا على النفع والضر او لا يكون قاهرا
غالبا ونحو ذلك وكانه قيل لا اله متصف بالكمال منزه عن النقص كله الا الله تعالى وهذا معنى
صحيح وهذا ايضا من القسم الاول لان لا اله الحق ليس الا هكذا ولا وجود له غير مولانا جل اسمه وعدم
النفع والضر وعدم القهر والغلبة ونحو ذلك من صفات الاصنام المعبودات من دون الله كما قال
الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا الى غير ذلك مما
لا يخفى واما بحسب العابدين له بمعنى انهم لا يدومون على عبادته وخدمته ولا يعظمونه حق التعظيم
ولا ينزلونه المنزلة اللائقة بالالوهية قال ابن عبد الاعلى هو شان عبدة الاصنام من العبث والتخبط
وعدم الثبات كما انهم قد يعبدون صنما ثم يخونه الى صنم اخر بخلاف عباد الله تعالى فهو كلام
صحيح غير انه محتاج الى استقراء تام لنقض العادة بذلك في كل معبود من دون الله تعالى وان اريد
به هذا فهو كذب لان الرهبة المعتبرة المعتنية عند عوام الحلولية واصناف المشركين كثيرة
فلا يصح النفي وعلى الثالث فالمراد بعدم الاعتداد شرعا انه لا يجوز عبادته ولا موالاته او لا يتصور
وجوده شرعا وكلاهما صحيح وقد علمت ان هذه الوجوه كلها ترجع في المعنى الى الوجهين الاولين
وانما هي بيان للكل والتنويع بها عدم وجود اله غير الله تعالى او بيان لمحال عدم استحقاق غير الله
للعبادة واعلم انه متى رجع الكلام الى انتفاء وجود اله غير الله تعالى فلا بد ان يكون المراد 128
بلا اله الا الله المستحق للعبادة غير الله تعالى اذ هو الذي يصح انتفاؤه ومتى اريد نفي الاستحقاق
او الاعتداد فلا بد الى بيان ذلك لا اله على الاطلاق وقد لا يتصور في بعض تلك الوجوه الا الباطل
لانه البارز من غير الله تعالى الى الوجود ومتى اريد عدم الاعتداد شرعا فحينئذ يصير ما يعبد
لا معتنا ولا ان اخبار عن الحكم الشرعي يصير عند المصروف الحكم الشرعي على اعتقاد المطابقة كما

ان

g Saud University

ان لا نفشاء يجري **الرابع** ان يكون لنفي الكمال الذي لنفي وجود اله كامل غير الله تعالى ويكون
التقدير لا اله كامل الا الله تعالى ولا شك ان هذا من المجاز اي اذ بالكلمة حيث سمي كل معبود بمعبود
فينتقص الموجود في تعظيمه تعالى وبنقص الكمال عليه كما قيل لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي
ولا ايمان لمن لا محبة له ونحو ذلك وتقرر في الاعتقاد فالكلمة على هذا الوجه اعتبارات **الاول** ان يرى
النافي وهو ما سوى الله تعالى بلغ من النقصان الى حيث صار معدوما او كالمعدوم والموجود هو
الكامل وهو الله تعالى وهذا صحيح لانه عبارة عن عدم اله سوى الله تعالى **الثاني** ان يرى ان ليس
بين الكمال والنقصان واسطة وان لا اله الحق يكون ناقصا البتة وكانه في هذا جعل الكامل كناية
عن الحق وما سوى الله باطل ولا شك في صحته **الثالث** ان يريد ظاهر الكلام لا انه يريد حالة امام
على نظر العقل الصالح فانه ابدا لا ينتج الا الافضل والاكمل وليس الا واحدا وهو الله تعالى فيعتبر
ويميز كل ما سوى الله وهذا ايضا صحيح على ما فيه من تعسف ما ويكون الدليل اقناعيا لا برهانيا في هذا
الاعتبار ظاهر الكلام من نفي الالهة حقيقة واثبات الله تعالى بالكمال من حيث كان كاملا بالكمال
لان اثبات الله تعالى بالالوهية راسا لا اثباته بمجرد الكمال مع ثبوت الشركة في الالوهية
تعالى الله عن هذا علوا كبيرا **الاحتمال الرابع** ان يريد نفي الكمال عن غيره تعالى من غير تعرض
لما يريد من ذلك واثبات الكمال له تعالى كذلك ويرى ان سلب الكمال عن غيره تعالى لا يقتضي نفي الالوهية 129 17
وثبوته له تعالى لا يقتضي انفرادها وهذا ايضا صحيح ولا كذب فيه وهو من باب المدح والثناء
وذكر الاوصاف لا من باب التوحيد اذ لا يفيد هذا توحيدا ولا عدمه ما لم تقصد الكناية كما مر والظاهر
ثناء على الله تعالى بالكمال وذم لغيره وفيه مجنة لانه في معنى المفاضلة بين الله تعالى وبين سائر
المعبودات وما ينبغي ان يذكر مع الله غيره فضلا عن ان يشتغل بالتفضيل **فان قيل**
اليس انه اذا كان على معنى التفضيل كان الكلام باطلا لان التفضيل يقتضي الشركة في الصفة
ويمتاز المفضل بزيادة فيها وخصوصية والله تعالى لا شريك له اصلا **قلت** لا الزام في التفضيل
كما يقع مع ذلك يقع مع مجرد التقدير والتوهم كما يقال العسل احلى من الخل والله تعالى خير الرازقين
واحسن الخالقين **وقال** الراجز

لاكلة من اقط وسمن ... الين مساسا في حوايا البطن

من يثربيات قذاذ خشن

وعلى الثاني وهو ان تكون انشاء فعلى معنى النهي عن اتخاذ اله آخر غير الله تعالى كما قال تعالى وقال الله
لا تتخذوا الاهين اثنين الآية وقال تعالى أإله مع الله في قراءة النصب وكذا في الرفع لانه انكار والآيات
في هذا كثيرة ولا نبالي في هذا التقدير بكون لا اله المقدر فيه حقا او باطلا اذ ليس في هذا اخبار بوجود
شيء ولا بعدمه وانما هو النهي وطلب ان لا يعبد غير الله تعالى ولنضرب لك مثالا يتضح به الغرض ان
شاء الله تعالى وهو انه لو استولى خليفة وأقام مثلا في بلد لا يمر ولا يتداول الا ما له درهم الا درهم
كذا او سكة الا سكة كذا السكة مخصوصة استثناها فان هذا الكلام اذا سمع احتمل ان يكون خبرا
ومعناه انه لم يوجد في الخارج درهم اصلا الا درهم تلك السكة المخصوصة ويكون الكلام ان يريد به
تنبيه الغافلين والجاهلين من اهل المعاملات المتوهمين تعدد السكك في نفس الامر ويوبخهم ويجهلهم
الى ان يعتقدوا في فلوس او نقار او ودع او نحو ذلك من الدراهم السكية المعتبرة عند العقلاء او معناه ١٥٠
انه لا درهم يعتد به في التعامل الا درهم تلك السكة المخصوصة وهذا لا ينافي ان توجد في الخارج دراهم
غيرها لا يعتد بها ولا يتعامل بها عند الخليفة فيصير هذا الكلام فيما اذا لم يوجد ما سوى هذه السكة فيما
اصلا وفيما اذا وجد الا انه لا عبرة به بان يكون الخليفة مثلا الغى السكك الموجودة في البلد
فوجدها زيوفا او ناقصة الا هذه السكة المخصوصة فوجدها جيدة فاخبر بان غيرها لا عبرة به
وفي هذا ايضا مقصدان احدهما ان يريد افادة حقائق الاشياء فقط وما هي عليه من الكمال
والنقص من غير التفات الى أمر او نهي لمصلحة ولا في معاملة بكل سكة وان كان هذا الاخبار
ملزوما لتحرز العقلاء والتنبيه لتجنب الابطال وتغيير الاعتقادات ونحو ذلك وهو بهذا المقصد خبر محض
الثاني ان يريد الاخبار برتبته من الحكم وما له من المصلحة وانه لا يقبل من احد التعامل بغير
تلك السكة المخصوصة وهو بهذا المقصد خبر يفيد ما يفيده الانشاء وهو النهي عن التعامل بغير
تلك السكة او معناه نفي الكمال اي لا درهم كامل الا درهم تلك السكة وهذا ايضا يتشاكل فيه
من الاعتبارات بحسب ما يراد بالكلام من تصريح او تعريض او غيره من الكنايات بما لا يخفى واحتمل
ان يكون انشاء وكأنه قيل لا تتعاملوا بغير درهم كذا اذا فهمت هذا لم يخف عليك تنزيل
المثال على المسألة فان الشارع صلى الله عليه وسلم جعل ينادي ان لا اله الا الله فاحتمل ان يكون خبرا
عن عدم اله حق غير الله تعالى وان يكون انشاء ونهيا عن معاملة غير الله تعالى بالعبادة والطاعة
لكون غير الله تعالى وله المثل الاعلى زيوفا باطلة ناقصة واعلم ان ما ذكرناه من جواز كون الكلمة

العظيمة

المشرقية انشاء يجب ان لا يكون عادما في كل مقام وانما يكون ذلك حيث يتاتى ويجمع جميعه كما لو نادى
الشارع او من يتلقيه في الدعوة بحال التعذر ان هنالك تجمع هنا كلام زنا ما امتاح نحو ما علم
انه لا اله الا الله ونحو قول المترجم عن اعلانه لا اله الا الله جميعه خبر اذ لا يفهم منها غير ذلك وان فهم 131
متكلف لا حاجة اليه **فان قلت** اذا كانت انشاء لم تفهم التوحيد وهو المراد منها
قلنا تفهم توحيد الله بالعبادة وهذا هو الحاصل منها اذ الاخبار بها ان لا مستحق للعبادة
غير الله تعالى عند المخبر به كلام وما سوى ذلك يفهم منها بالمجموع ومن النصوص الاخرى من صفات الله
تعالى ولوازم التوحيد وبه الهداية الى سواء الطريق **فان قلت** الاستثناء في الكلمة
المشرفة متصل ام منقطع **قلنا** هذا مما يلهج الطلبة بالسؤال عنه وربما اشتغلوا
عن جعله واحرامهم وذلك خروج عن الصناعة فان الاستثناء اما متصل واما منقطع وهي مانعة
خلو لان المستثنى اما من جنس المستثنى منه وهو المتصل او من غيره وهو المنقطع لا ثالث لهما
اذا علمت هذا **فنقول** الاستثناء في كل امام من التعذرات متصل لان كلام دائر بين اعتبارين
الاول ان يقدر ان المستثنى منه هو الاله الحق ولا شك ان الله جل اسمه فرد منه لان الله تعالى اله
حق سواء اردنا بالحق المستحق للعبادة او اردنا به المتصف بجميع اوصاف الالوهية فان الله
تعالى يصدق عليه انه متصف باوصاف الالوهية كلها وانه مستحق للعبادة وهذا معنى
الاتصال وهو ان يكون الثاني من الاول وايضا ذلك كون الاول كليا والثاني جزئيا لان الجزئي فرد من
الكلي وحقيقة ذلك الكلي نحو الجزئي وهذا كما لو قلنا لا رجل في الدار الا زيد فان الاستثناء فيه
متصل بلا نزاع مع كون زيد جزئيا والرجل كليا وما ذلك الا لكون زيد من افراد الرجال وهذا واضح
الاعتبار الثاني ان يقدر ان المستثنى منه هو مطلق الاله وذلك حيث لم يكن الحكم بنفي الوجود
بل انما بنفي استحقاق العبادة او الاعتراف او الاعتبار او يكون المراد النهي عن الاعتقاد والتعبد
او نحو ذلك كما لا شك ان الاستثناء في هذا ايضا متصل لان الله تعالى يصدق عليه انه اله
هكذا من غير اعتبار شيء اخر وكون الاله بعد ذلك ينقسم الى الحق والباطل لا يقتضي ان الاعم صادق 134
على الاخص لا محالة ولا خروج فرد من افراده فالاستثناء منه استثناء للشيء من جنسه وهو
معنى الاتصال ومثال هذا ايضا انك لا حيوان في الدار الا انسان فهذا متصل بلا نزاع مع ان الحيوان
قد يكون فرسا وحمارا وذلك غير الانسان وكذا لا ثوب في الدار الا لباس فان الالباس وهو متصل مع ان

Copyright © King

اللون فقد يكون سواداً او هو ضد البياض وهذا ايضاً واضح فتبين ان لا استثناء في كلمة الاخلاص
متصل ولا يمنع ان يكون منقطعاً في شيء مما تقدم من التقريرات اذ لا يكون منقطعاً الا حيث يكون
المستثنى منه هو الباطل ويكون الباطل هو المنفي وهذا لا يمنع لان نفي الباطل كذب لوجود الباطل
كثيراً فعلم ان المنفي هو الحق وان لا وجود لشيء من افراده الا واحد وهو الله جل اسمه نعم
عندنا صورة اخرى يكون فيها منقطعاً ان اريد وهي ان يراد بالاله المنفي خصوص الباطل ويراد
بنفيه نفي استحقاقه للعبادة او نفي الاعتداد والاعتبار او يراد النفي بالكلمة على ما في زمننا
وكانه قيل لعبدة الاصنام وكل من يعبد غير الله تعالى او يجيز من عبادته لا اله من هذا الذي تعبدون
يستحق العبادة او يعتد به او يعتبر الا الله تعالى هو المستحق للعبادة وهو المعتد به او المعتبر
الا هو غير الله تعالى الا الله او الا معبوده او نحو هذا من التقريرات ولا شك في الانقطاع الا ان فيه امران
احدهما الاحتياج في المنفي الى غير كونه بالباطل ولا دليل عليه وان كان الحال ربما يفيده لظهور الشرك
حينئذ الثاني وجوب نصب المستثنى لو كان منقطعاً انه يقول لا يمنع فيه الانقطاع ولا الاتصال
فتعين ان يكون خارجاً عن التقسيم اما انه لا يمنع ان يكون منقطعاً فانه لو كان منقطعاً لم يتصور على الله
تعالى انه اله وهو محال واما انه لا يمنع ان يكون متصلاً فانه لو كان متصلاً لكان الله مستثنى من جنس
المستثنى منه ولو كان من جنس لكان مركباً من ذلك الجنس وشيء اخر يمتاز به والتركيب على الله
محال واجيب بان لا اله ان لا كلي بحسب التصور وان امتنع تعدده في الخارج ولو لم يكن في الذهن
مشتركاً لما احتيج الى ادلة التمانع واعترض بانه ان اريد انه كلي بحسب الذهن فغلط منقوض بالعدد
الموجود منه وان اريد انه لا يمتنع وجوده فباطل لاستحالة تعدده الا الموان اريد ان بعض الافراد
يمتنع عليه الوجود في الخارج فباطل لان افراد المعنى المشترك يجب اشتراكهم في المعنى الكلي والمثال
هنا المشترك فيها يجب ويجوز ويستحيل قلت اما الجواب المذكور فضعيف لان يكون
الاله كلياً مشتركاً مناسب لكونه جنساً للمستثنى وعلى هذا وقع الاشكال فلم يفد الجواب
شيئاً والجواب عن الاعتراض المذكور ان يقال المراد بكونه كلياً انه يقبل الشركة والتعدد
بحسب التصور لان ذلك حقيقة الكلي واما بالنظر الى الوجود الخارجي فيرجع الى الدليل وقد قام
الدليل على انه وجد واحد منه وجرى انه واجب الوجود وغيره لم يوجد ولا يمكن وجوده قوله ان افراد
المشترك يجب اشتراكهم في المعنى الكلي الخ نقول ان اريد به ان الافراد يجب استواؤها في الوجود

وعدم

وعدمه فبالجملة ان الوجود ليس من نفس الماهية ولا خواصها اللازمة وبهذا يجب اشتراك المثلين
وانما هو من العوارض مع اختلاف الافراد فيه وان اريد به انه لا بد من استواء الافراد في وجوب الوجود
او جوازه او استحالته فيصح اقتضاء التماثل له ولا كلام انما الكلام في الوجوب والاستحالة الذاتيات دون
العرضيات فان التماثل هو الاستواء في الصفات النفسية ومن لازم ذلك الاستواء في الخواص اللازمة
للذات ومنه وجوب شيء او استحالته او جوازه للذات ولا يصلح ان وجود العبد او عدمه داخل في
ذلك وممن نص على هذا الحكماء وهم اعرف الناس بالتماثل على ان من اقسام الكلي ما لا يوجد منه الا فرد
واحد ويستحيل وجود غيره ثم هذا كله لا مساس له بالاشكال الصاعد من لزوم التركيب والجواب
عن ذلك الاشكال ان نقول التركيب انما هو في الانواع المركبات من اجناسها وفصولها المنوعة 137
وليس واجب الوجود في الحد الموجود منه نوعا لا حقيقيا ولا اضافيا لانه جزئي علم كما مر
فان قيل الا يكن كليا التركيب ماهيته من جنس وفصل فهو مشخص ولا اقل من ان يتركب من
الماهية كائنة ما كانت ومن المشخصات فقد لزم التركيب على كل حال قلنا انما ذلك فيما
يصح تشخصه ويحتاج الى المشخصات ولهذا اعترف العلماء بان الواجب لا يكون معه وصف التشخص
على انا نقابل ان نقول ان الذي قامت الادلة على استحالته في الواجب انما هو التركيب الخارجي دون الذهني
الاعتباري فان دائرة الوهم والاعتبار اوسع وليس الشأن الا موضعها ولا ان الجوهر الفرد مركب ذهنا
بمعنى انه ماهية معقولة يعتبر فيها شيئان ولا تركيب فيه خارجا بل هو بسيط ثم نقول ليس كل
اخص داخل تحت اعم يكون مركبا من ذلك الاعم وشيء اخر وانما ذلك حيث يكون الاعم ذاتيا ليكون
جنسا ومن الجائز ان يكون عرضا عاما وكذا الاخص قد لا يكون فصلا بل خاصة وقد علم عندنا في الشاهد
ان الاجناس العالية بسائط وانما تعرف بالرسوم الناقصة اذ ليس لها جنس كيف والعرض انها
عالية ولا فصل اذ الفصل يقسم الجنس والعرض لا جنس واذا تقرر فتلك احتمالات وتشاكلت
الاعتبارات فليجعل للواجب الحقيقة والوجود لكماله وهو عدم التركيب فانا لا نقول ايضا
في هذا المعنى الا الى التنزيه بما لا يليق بذاته العلية وصفاته السنية الا الى ذلك ولعل
ما لا يعقل ان يكون جنس وليس حقيقة الا الاتصال المذكور فيقال هيهات ذلك كلام في امر تقرر
في الجنس بالمعنى المذكور هنا وها هنا معنى اخر فلا حاجة الى دفع الاشكال وهو ان يقال
ان المعبود بالحق او المستحق للعبادة وهو مفهوم كلي ليس هو حقيقة واجب الوجود تعالى

وانه هو خاصة من خواصه كالقادر المريد فهو عارض وقد علم ان تركب العارض مما يوجب تركب المعروض ولو 135
سلم تركبه في هذا الوصف لم يلزم منه تركيب في ذات الله تعالى وهذا ايضا من تمام انفراده تعالى عما
يليق به من الكمال وتنزهه عن الجزء وعن تعقل الحكم فيه للعجز عن الادراك وكمال امكانيات الفكر وتنزهه عما
يمر الى فكر البصيرة من اغشاء هاباهم نور الجلال وغير الوهم محبوس عن التجسيس في اشراك
الخيال نسال الله تعالى ان يرزقنا اشكارة العلم بالله ويكتب في قلوبنا راسخ الايمان بمنه ويمنه

خاتمة

بعد ان كتبنا ما تيسر شرحه من معاني الكلمة المشرفة اردنا ان نكمل الغرض بفوائد واحكام تليق بهذا المقام
ولنرسم في ذلك سبعة فصول **الفصل الاول** في اقامة الدليل
على صحة هذه الكلمة وما سيقت له من اثبات التوحيد بما فيه من تمام دعوى وجودية ولابد للدعوى من
دليل به يثبت المطلوب ويتضح السبيل فنقول ان الوحدانية لله تعالى ادلتها كثيرة عقلية ونقلية
ولنقتصر على العقلية فنقول ان تعلم ان الاله فيه من جهة ستة مطالب وبتوفيتها يتم هذا الغرض
ويتهذب من جميع الشوائب وهي كلمة منثورة في كلام السابقين الا انا نجمعها باختصار ونعبر
عنها بما يكون احرى بالتيسير واحق بكون ماثورا في عبارة المتكلمين فنقول المطلب الاول وحدة الله
تعالى في ذاته الثاني وحدته في ملكه الثالث وحدته في حقه الرابع وحدته في صفاته الخامس انفراده
بصفات الكمال السادس انفراده بالتاثير **اما الاول** وهو وحدته في ذاته فنعني به انه لا يكون مركبا
من اجزاء وهو المعبر عنه في الكلام بالكم المتصل ودليله ما علم من انه لو كان مركبا فاما ان تقوم الالوهية
بكل جزء او بالبعض دون البعض او تنقسم على الاجزاء والتالي باطل باقسامه الثلاثة فالمقدم باطل مثله
موجب ان يكون تعالى غير مركب في ذاته وهو المطلوب وبيان الملازمة انحصار القسمة في الثلاثة لانه اذا 136
تعددت الاجزاء فاما ان لا توجد هنالك الالوهية اصلا او توجد فالاول باطل بالضرورة ولذا لم
نذكر هذا القسم لوضوح بطلانه ولكونه خارجا عن الغرض وان وجدت الالوهية فاما ان توجد في كل جزء
او في البعض فقط ان وجدت في كل جزء فاما ان يكون ما وجد في هذا الجزء هو بعينه ما وجد في ذلك
او بعضه او مثله وما سوى هذا التقسيم واضح البطلان واما بيان بطلان الثاني فلان الالوهية ان وجدت
في كل جزء على معنى انها شيء واحد بالشخص حل في كل جزء فيبطل باستحالة ان الشيء الواحد لا يحل
بمحال متعددة والا كان واحدا كثيرا في ان واحد وهو محال وان كان على معنى انها اجزاء وامثال داخل
منه

هيئة

فيه في جزء منها باطل ايضا لانه يلزم عليه ان يكون كل جزء الها ضرورة ان الالوهية قائمة به ولا معنى للاله الا
المتصف بالالوهية وحينئذ تتعدد الالهة وسياتي ابطاله في المطلب الثاني وهذان القسمان يشملهما
قولنا في التقسيم اولا ان تقوم الالوهية بكل جزء وان وجدت في الاجزاء على معنى التبعيض اي بان
تنقسم على الاجزاء وهو القسم الثالث من الثلاثة فهو محال ايضا لان الالوهية معنى من المعاني والمعاني
لا تنقسم وان قامت بالبعض دون البعض فهو ايضا محال لافتقارها اذ ذاك الى مخصص لاستواء الاجزاء
فان قلت انه قد شوهد في الشاهد قيام المعنى الواحد بالمركب كالبياض الواحد القائم بالثوب
كله مثلا قلنا ليس هذا البياض الذي تراه واحدا بل هي اضداد متعددة كل منها قائم بجزء واحد
كما تقرر في محله ولو كان واحدا لانقسم عند ما ينقسم المحل فان قيل ان الواحد منا يقوم به العلم
والكلام وسائر الصفات ويكتسب بذلك احكامها وتمتنع ان يتصف بشيء من ذلك في جميع الاجزاء بل
في جزء من اجزاء البدن دون الباقي قلنا يجوز هذه وصدور افعال الاختيار مع ان يتصف
137/18 بالجزء منه وكذلك الالوهية لوجوده ممن اتصف به هذا واعلم ان ابطال التركيب بهذا الدليل انما
يتم اذا اعتبرت الالوهية وصفا قائما بالذات موجبة لها حكما اما لو اعتبرت وصفا ذاتيا كالحيوانية
للانسان والانسانية فلا يجري عليها التقسيم والمتكلمون يستدلون ببطلان التركيب في المخالفة بناء على ان التركيب
يقتضي الجسمية ولذلك فلما يتعرضون له في فصل الوحدانية بل يحيلون على المخالفة او على الاستغناء
بناء على ان المركب يفتقر الى جزئه فيكون ممكنا وهو ينافي الغنى واما الثاني وهو انه تعالى واحد في
ملكه فنعني به انه لا يكون له نظير في الوهيته وهو المعبر عنه في الكلام بالكم المنفصل وهو المقصود
الاعظم في هذا الباب وعليه ذكرنا له ادلة عقلية ونقلية **اما العقلية** فمنها برهان التمانع
المشهور وهو ان يقال لو وجد الهان او اكثر فاما ان يتفقا او يختلفا والمراد بالاله هنا في هذا الغرض من
يكون تام القدرة والارادة والعلم كاملا في جميع اوصاف الالوهية والمتلازمة والخفية لا واسطة
بين الاتفاق والاختلاف واما بطلان الثاني فلانهما ان اتفقا فاما ان يكون الاتفاق واجبا عليهما او جائزا فان
كان واجبا كانا مقهورين مغلوبين وان شئت قلت ان كان واجبا فاما ان يكون وجوبه عقلا او بجعل جاعل
وهو الشرع ونحوه فان كان عقلا استحال ثبوته لخروج عن قدرة الاله كل ما لم يقع عليه الاتفاق وذلك
محال وان كان بجعل جاعل فالجاعل اما غيرهما او هما فان كان غيرهما فهما مقهوران له عاجزان عنه وفي
الوهية لهما وان كانا هما جعلاه باختيارهما فقد جاز عنهما ان يجعلاه فيجوز الاختلاف

Copyright © King

وكذا نقول في القسم الثالث وهو جواز الاتفاق وانه كلما جاز ان يتفقا جاز ان يختلفا لان جواز احد المتقابلين
يستلزم جواز الآخر واما استحالة جواز الاختلاف فلان الاختلاف يؤدي الى التمانع وجواز الاختلاف
يقتضي جواز التمانع والتمانع مستحيل فجوازه مستحيل ايضا وهو وقوع النقص على الاله تعالى عن 138
ذلك وعن جوازه عليه ولم يبق لنا من هذا القسم الا بيان كون الاختلاف يقتضي التمانع مع بيان
استحالة التمانع فنقول اما ان الاختلاف يقتضي التمانع فلانه لو فرضنا الاهين اراد احدهما ان
يخلق الحركة في جرم والآخر خلافه وهو ان يخلق السكون بدلا عن تلك الحركة مثلا وهذه صورة التخالف
فاما ان تنفذ الارادتان معا وهو محال اذ يلزم ان يكون متحركا ساكنا في آن واحد وانه جمع بين متنافيين
واما ان لا تنفذ ارادة واحد منهما ولا قدرته فيلزم ان يكونا عاجزين عن غير ما فرضنا الها واما ان تنفذ ارادة احدهما
دون الآخر فيلزم ان يكون الذي لم تنفذ ارادته ليس باله وكذا الآخر لانه مثله وقال بعض الناس يكون الذي
نفذت قدرته هو الاله دون الآخر فيحصل الوحدانية وهو غفلة عن احكام التماثل هذا ان فرضنا
فيه التضاد فان فرضنا غير ذلك كالجرم فاما ان يقبل القسمة او لا فان لم يقبل القسمة كالجوهر الفرد فان
نفذت فيه القدرتان كان اثرا من مؤثرين وان لم تنفذا او نفذت احداهما دون الاخرى فعلى ما مر وان كان
ينقسم فاما ان يتوجها اليه على القسمة كان يقسم العالم بينهما نصفين مثلا او على الشيوع فان كان
على القسمة لزم التخصيص بلا مخصص وان يخرج مقدور كل منهما عن قدرة الآخر وهو محال لعموم
القدرتين وان كان على الشيوع فان كان ما توجهت اليه احدى القدرتين هو بعينه ما توجهت اليه
الاخرى فالتخصيص لزم فيه ما مر في الجوهر الفرد وان كان غيره لزم فيه ما مر في القسمة وهو واضح
وهذا تمام هذا البرهان وهو قطعي كاف في هذا الباب وحده ومنها انه لو وجد الهان لكانا
واجبين معا فلا بد ان يمتاز كل منهما عن الآخر ليصح التعدد وما به التشارك غير ما به التمايز فيلزم
تركيب كل منهما مما به التشارك وما به التمايز لكن التركيب محال ومنها انه لو كان الامر كذلك وتميز كل
منهما فاما ان يكون ما به التمايز معتبرا في تحقق الالوهية ام لا فان اعتبر كان الخالي عنه ليس باله وان لم
يعتبر كان جائزا ان يكون وان لا يكون فيفتقر الى مخصص ومنها انه لو كان الامر كذلك وتميز كل منهما فاما ان يكون 139
ما به التمايز صفة كمال فيستغني الآخر لعدمها او صفة نقص فيستغني الاله بها وهو محال ومنها انه لو
وجد الهان فاما ان يقدر احدهما ان يستر بعض معلوماته عن الآخر ام لا فان قدر كان الآخر جاهلا بالمستور
او يعلم الجاهل الجمال الذي يفعل ولم يكن فاعلا كان هو عاجزا ومنها انه لو وجد الهان لاستغنى

العباد

العبادة بكل معنى عن كل معنى ومنها انه لو وجد لها ثان لكان كل منهما اما محتاجا الى الاخر او مستغنيا والاخر عنها
محتاج الى الاخر دون العكس فان كانا لا والاهما محتاجان معا فلا يكونان الاهين وان كان كل مستغنيا عن
الاخر كان لا اله مستغنى عنه وهو باطل وان كان احدهما مستغنيا فكما في تعدد ذا جرى انفراد تدبير كالامر
ومنها ان تبرى المعجزة وصدق الرسل لا يتوقف على الوحدانية فكان الدليل السمعي فيها قطعيا في اثباتها
وشبيز لكم ومنها ان الواحد كان ولا دليل على غيره فوجب نفيه ومنها ان الالوهية لتعدد عن عدد فلو تعدد لم
ينحصر في عدد وبعضها افتقار لا سيما الاخير **واما السمعية** فكثيرة طافح بها الكتاب
والسنة اخبارا او امرا بالامر بذلك كلمة لا شريك او وهي لا اله الا الله فقد ذكرت في بضعة وثلاثين
موضعا وقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الاية وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله تعالى
لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما
من اله الا اله واحد وقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي غير الله جل ان اريد
بالفساد عدم وجودهما اصلا وعدم وجود الامرادات التي هي متوافقة ومآل ذلك الا التمانع
الموجب للعجز عام والحجة برهانية عقلية وان اريد اختلال حالهما وزوال النظام المشاهد
وذلك بحسب التغالب والتنازع كما يشاهد من ذلك عند تعدد رؤساء الملك فالحجة اقناعية
عرفية خوطب بها العرب جريا على ما يعهدون وهو مقبول بالاخيرة الى البرهانية السابقة ضرورة
استلزام الاحتياج الى الانفراد الموجب للتمانع وقوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق الاية الى 140
غير ذلك مما يكثر **واما الثالث** وهو وحدته تعالى في حقه انه مما يختصه ويختص به انفراده
تعالى باستحقاق العبادة فلا يشاركه في ذلك غيره فكل معبود غيره تعالى معبود بالباطل بغير استحقاق
سواء ادعيت الوهيته ام لم تدع ودليل هذا المطلب النصوص الشرعية كما مر في كلام السعد
من انه ثابت بالشرع وذلك بين من النصوص كثير كقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا
لا اله الا هو وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاية وغير ذلك وادراك
تراجع ما مر لنا في تقسيم العبادة والا استحقاق وتعتبر تلك التقاسيم **واما الرابع** وهو
وحدته تعالى في صفاته فنعني به ان كل صفة اتصف بها تعالى فهي واحدة لا تعدد فيها كما ان ذاته
تعالى واحدة فقدرته واحدة وعلمه واحد وهكذا وهذا او الرابعة من احكام الصفات والدليل
عليه ان الصفة لو تعددت فان كانت من صفات التاثير كالقدرة والارادة لزم فيهما ما لزم في

Copyright © King

الا الهين من التمانع بتمامه وان لم تكن من صفات التأثير كالعلم والكلام لزم فيهما اجتماع المثلين
ولزم في نحو العلم ان المعلوم الواحد ينكشف باحدهما فان انكشف بالآخر كان تحصيل حاصل والا لزم
تعطل تعلقه **واما الخامس** وهو انفراده تعالى بصفات الكمال فنعني به انه يستحيل ان توجد
صفة كصفاته تعالى لغيره تعالى سواء كان الها ام لا فلا يكون لغير الله تعالى علم كعلمه تعالى ولا قدرة
كقدرته وهذا هو المعبر عنه في الكلام بنفي الكم المنفصل في الصفات كما ان الذي قبله هو نفي الكم
المتصل في الصفات **و**الدليل على نفي الكم المنفصل في الصفات انه لو كان لشيء غير الله تعالى قدرة
كقدرته تعالى لوقع التمانع بينهما بسبب القدرتين مثل ما تقدم في الكم المتصل **واما السادس**
وهو انفراده تعالى بالتأثير فنعني به استحالة ان يكون معه تعالى في الوجود مؤثر في فعل من الافعال
سواء كان الها او غير اله **و**دليله ما مر من التمانع وهو واضح **واعلم** ان المخالفين في الاول
اعني التركيب هم المجسمة واضرابهم وقد اختلف في كفرهم اعني من يقول منهم بالجسمية الا من يثبت
التي يكون بها كما فيها اتفاقا والمخالفون في الثاني اعني وحدة الله في الالوهية الثنوية وهذا على ما
ذكر في المواقف فانه بعد ان فرغ من ادلة التوحيد الآتية قال ما نصه واعلم انه لا مخالف في هذه الا
المسألة الا الثنوية قال السيد في شرحه دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي
الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالهية وان اطلقوا عليها اسم الالهة بل اتخذوها على انها
تماثيل الانبياء والزهاد والملائكة او الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلا
بها الى ما هو اله حقيقة انتهى **قلت** وهذا يناسب بعض ما قررناه من ان اثبات
فاعلين مستقلين من كل وجه لا يوجد الا في كلام الثنوية واما ما انتمى به في نفي المسألة ايضا
بتمامه **و**اما الوثنيون فعلى ما مر ذكره من الاحتمالات من استقراء اخبارهم يعلم ان احوالهم مختلفة أن
واهواءهم متفاوتة وكيف لا تختلف من تتخبطه الشيطان ويعقلون من الوسواس والوهم ○
بالشيطان ولا يعرج على حقيقة ولا يعترف لطريقة والمخالفون في الثالث اعني استحقاق العبادة هم
الوثنيون وجميع المشركين فان كل من اشرك بعبادة غير الله تعالى سواء قال بالوهية معبوده ام لا ○
واما الرابع وهو وحدة الصفات فلم يقع فيه خوض لاهل الملل لانهم لا يثبتون هذه الصفات والاشعرية
منهم دون باثبات صفات المعاني لله تعالى وهم قائلون بوحدتها كما مر وخالف ابو سهل الصعلوكي
منهم في العلم فقال بتعدده في حقه تعالى وخالف بعضهم في الكلام فقال بتعدده ايضا وتمام مباحث

ذلك

King Saud University

ذلك في علم الكلام وأما الخامس وهو وحدة الله تعالى بالصفات فلم ينازع فيه أحد أيضا غير أن القدرية
يقولون بأن الحيوان اخترع أفعاله الاختيارية قبله فلا قدرة لله في التأثير ويسمى
هذا المذهب وأما السادس وهو انفراد الله تعالى بالتأثير في الاختراع والتكوين فالمخالفون
فيه طوائف منهم الطبائعيون القائلون بتأثير الطبيعة في مطبوعها ومنهم الحكماء القائلون
بالعلل والمعلولات ومن هؤلاء أصحاب العقول القائلون بتأثير العقل الفياض في عالم العناصر ومنهم
142 الثنوية وكل من يقول بإله ذاتي مستقل بالتأثير ومنهم القدرية مجوس هذه الأمة القائلون بأن الحيوان
مؤثر في أفعاله الاختيارية واعلم أن هذه الأفعال الاختيارية اختلف المتكلمون على ثلاث طرق طريقة
الجبرية وطريقة القدرية وطريقة السنية وهي الحق الذي لا شك فيه وتحرير النزاع في ذلك أن فعل
الحركة مثلا إما أن تكون اختيارية أو اضطرارية وأما الأولى فهي ما لا يحس معه الإلجاء والإكراه بل يفعلها
إذا شاء ويتركها إذا شاء والثانية ما يحس معه ذلك كحركة من الحمى تعتريه وحركة الساقط في
الهوي من علو إلى سفل ونحو ذلك فأما الثانية وهي الاضطرارية فاتفق المليون على أنها فعل الله تعالى
لا تأثير للعبد فيها ولا خلقت له معها قدرة أصلا ولذلك لم يكلفه الله تعالى عليها فضلا منه تعالى وامتنانا
وأما الأولى وهي التي تسمى الاختيارية وهي محل الاختلاف والنزاع وسبب الاختلاف إشكال أمرها
فإن التوحيد يقتضي إسنادها إلى الله تعالى وتكليف العبد عليها يقتضي إسنادها إلى العبد والأول
قيام بالحقيقة والثاني قيام بالشريعة فحصلت في ذلك أربعة أشياء شيئان يقتضيان إسنادها إلى
الله تعالى أحدهما التوحيد والثاني الأدلة النقلية المقتضية أن لا تأثير لغير الله تعالى وأنه خالق كل شيء
لا بقدرته تعالى ومشيئته الثاني ما يراه العبد في كثير من الأحوال من انتقاض إرادته وانعكاس
عزائمه فيهم بالشيء ثم لا يفعله ويتأبى عن الشيء ثم يقع منه فإن ذلك دليل على أن مشيئته مغلوبة
بمشيئة الله تعالى وشيئان يقتضيان إسنادها إلى العبد أحدهما التكليف بفعل الطاعة وترك
المعصية فإن قول الشارع للعبد افعل يقتضي أنه فاعل الثاني ما يرى العبد من نفسه في أغلب الأوقات
وأكثر الأحوال من جريان الأفعال على وفق بغيته ومقتضى إرادته فعند هذا تحيرت الأفكار وتفاوتت
الأنظار فذهبت الجبرية إلى الأول وهو أن الفعل كله لله تعالى فحكموا بذلك وقالوا إن العبد لا تأثير له
في أفعاله أصلا ولا قدرة له معها أصلا لا مؤثرة ولا غير مؤثرة وليس في أفعاله ما هو اختياري ولا مكتسب
143 ولا للعبد اختيار أصلا في شيء من أفعاله بل هو مضطر على الدوام ومجبور على كل حال ولا شك أن هذا

Copyright © King

المذهب فيه الوفاء بالحقيقة وان الله تعالى منفرد بالتأثير والاختراع لا شريك له ولا فاعل معه وهو حسن
من هذا الوجه ولكن يلزمه امران شنيعان احدهما الجهل وانكار الضروريات فان العبد يفرق بالضرورة
بين الحركة الاختيارية والاضطرارية بالسهولة في الاولى والمشقة في الثانية ويدرك ذلك ادراكا ضروريا
وهؤلاء يقولون لا فرق بينهما فهم منكرون لهذا الضروري وخارجون فيه عن طور اهل العقول الثاني
ان الله تعالى كلف العبد حيث الاختيار والاكتساب فقال لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولم يكلفه
حال الاضطرار فقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها فمن تباين حكمها الحركتين يوجب
تباينهما لان تباين اللوازم يؤذن بتباين الملزومات ولو كانت الحركات كلها اضطرارية والعبد مجبور
لم يبق في وسعه شيء فلزم ان لا يكلفه اصلا لان الله تعالى لم يكلفه الا بما في وسعه وفي ذلك بطلان
الشريعة فكان مذهب الجبرية باطلا من وجهين انكار الضروريات وابطال الشريعة ولا شك انهم لو صرحوا الى
ابطال الشريعة صراحا فصرحوا ذلك فصار الزمهم الكفر الصراح ولكن ذلك لازم عن قولهم فاختلف
في كفرهم نظرا الى التكفير بالمآل وعدمه مع الاتفاق على انهم مبتدعة فسقة ونظر القدرية الى الثاني
فحكموا بان العبد فاعل بفعله وله قدرة حادثة يكون بها اختراع افعاله على وفق مشيئته ولا شك
ان هذا المذهب في بطلانه مع ظاهر التكليف فتصح معه الشريعة ولكن فيه ابطال الحقيقة والاخلال
بالتوحيد والاشتراك مع الله تعالى ومصادمة الادلة العقلية والنقلية الدالة على انه تعالى متفرد في ملكه
بالاقتدار والايجاد والاعدام لا شريك له ولا منازع وقد افصحت النصوص في محل النزاع بان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وقال
تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله الى غير ذلك فبطل مذهب القدرية ايضا من هذا الوجه لما فيه
من الشرك والخروج عن التوحيد واختلف في كفرهم ايضا حسب الاختلاف في كفر الجبرية ونظر اهل ١٥٤
السنة رضوان الله عليهم الى الامرين معا وحاولوا الجمع بين الحقيقة والشريعة فقالوا لا شك ان الله
تعالى منفرد بخلق جميع الافعال ولا تأثير للعبد في افعاله ولكن يخلق الله تعالى له قدرة حادثة تقارن
افعاله الاختيارية لا تأثير لها في الفعل ولكن اجرى الله تعالى حكمته وطرد سنته انه يسهل الفعل
على العبد عند وجود تلك الصفة ويصعب عند عدم وجودها فلما كان الفعل يسهل عندها
سميت قدرة لان لها شبها بالقدرة في امرين احدهما وجود الفعل عند وجودها والآخر تيسيره عند
ذلك فصارت تلك الصفة المسماة قدرة بمنزلة الآلة العادية التي يكون عندها الشيء لا بها كالنار يكون عندها

الاحرا

18
5
143

امام او دابة وكالطعام والماء يكون عندهما الشبع والري فمجاورة هذه الصفة المسماة بالقدرة
محمولة الفعل اذا وجدت وبذلك اختلفت الحركات فكان منها اختيارية ومنها اضطرارية وعلى ذلك
جاء التكليف عند المحمولة وسقط عند عدمها فحقت الشريعة ثم تلك القدرة لا تاثير لها اصلا
بل الفعل الموجود عندها من العبد مخلوق لله تعالى اختراعا كما ان تلك القدرة هي بنفسها مع
ذات العبد وعمله مخلوق لله تعالى فحقت الحقيقة فكان مذهب اهل السنة رضي الله عنهم صحيحا
لجمعه بين الحقيقة والشريعة وهو توسط بين ذمامين بين فرقتي الجبرية امامورا وملاهيها وقيل
لبعض ايمة السلف اجبر الله تعالى العباد فقال هو اكرم من ذلك فقيل له وهل فوض اليهم فقال هو
اعز من ذلك ولكن امر بين امرين انتهى وهذا هو مذهب اهل السنة والحمد لله فالعبد عندنا بالنظر الى
الحقيقة وباطن الامر مجبور اذ لا حول له ولا قوة والتاثير كله لله تعالى وبالنظر الى الظاهر مختار وذلك
لانه في ظاهر يهم بالشيء فيفعله ويريد فيوقعه بحسب ما قدر حتى يظن بجهله انه يفعل كالمثبتة
القدرية ما لم يكشف الله تعالى عن بصيرته فينظر الى الحقيقة التي نظر اليها اهل الحق فكان العبد عند
145
19
اهل الحق مجبورا في قالب مختار لانه في صورة مختار فقط وقد اقر اهل السنة رضي الله عنهم بالحقيقة التي
اعتقدتها الجبرية وان الله تعالى واحد في ملكه وفي خلقه وتاثيره لا شريك له والعبد عاجز مقهور
مضطر بالقدرة لا ازلية فيهم ثم يرون بحسب الباطن وموافقة ذلك للشريعة والضرورة فاعتبروا للعبد
افعالا يكتسبها ويقع عليها تكليفه فحقت الشريعة بحسب ذلك ولم يجحدوا الضرورة وهي الاحساس
بالمحمولة في حركة دون اخرى فهم بما اثبتوا من الفعل للعبد قدريون غير انهم فارقوا القدرية فقالوا
ان العبد في صورة الفاعل وليس فاعلا على حقيقة بل اكتسابا فالعبد عندنا معشر اهل السنة مكتسب
غير فاعل والله خالق غير مكتسب فباينا الجبرية باثبات الاكتساب ونعني به صدور الفعل مقارنا
للقدرة الحادثة من غير تاثير لها فيه اصلا كما مر وباينا القدرية بسلب التاثير والاختراع عن العبد
وتخصيصه بالله تعالى لا شريك له فيه فجاء مذهبنا والحمد لله مطابقا لما يقتضيه التكليف من صحة
النسبة للعبد وان لم تكن نسبة اختراع ولما يقتضيه التوحيد من انفراد المولى بالاختراع وجمعنا بين
الحقيقة والشريعة ومن كلام ايمتنا رضي الله عنهم من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع
فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق لكونه اثبت الاصل ولم ينف الفرع واعطى كل ذي حق حقه
وعن ابي بكر الدقاق رضي الله عنه كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي ان علم الحقيقة مخالف علم
و

Copyright © King

الشريعة فإذا اشتغلت بشيء من غير ان صاحبه وقال يا ابا بكر كل حقيقة خالفتها الشريعة فهي كفر مذهب ع
انتهى **فائدة** من الفقه ما ينبغي للمريد ان يعمل عليه في احواله بعد اعتقاد عقائد اهل السنة
من التفكر الى الامام بين جمعا بين الحقيقة والشريعة ان يكون كلما عمل طاعة واسدى معروفا ونحو ذلك ينفي
التفاته الى جانب الخير وان الفعل كله لله تعالى لينتفي عنه بذلك العجب بعمله والرياء به وكلما وقع
في معصية او سوء ادب يتعرى التفاته الى جانب العذر والاكتساب وبذلك يضيف الظلم الى
نفسه ويعظم خجله وخوفه **تتمة** اعلم ان ما ذكرنا من اصناف الشرك في هذا الفصل
منه ما هو كفر باتفاق ومنه ما يختلف فيه ومن الشرك ما ليس بكفر اتفاقا فليس كل شرك كفرا وكذا
ليس كل كفر شركا الا ان الكفر قد يكون بغير اشراك فبين اللفظين عموم وخصوص من وجه وربما اطلقوا احدهما
وارادوا الآخر ثم التقسيم في هذه ان تقول الكفر اما متفق عليه او مختلف فيه والمتفق عليه اما كفر
تعطيل واما كفر اشراك والشرك اما متفق على انه كفر واما مختلف فيه واما متفق على انه ليس بكفر
فهذه هي الاقسام على الاجمال اما كفر التعطيل فالمراد به نفي الصانع انكارا اصلا وهذا القول
يحكى عن شرذمة شاذة يقال لهم المعطلة والرد عليهم باثبات وجود الصانع تعالى بادلته وسيأتي
تقريرها ومذهب سائر العقلاء الاعتراف بوجود الصانع موحدهم ومشركهم قال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وليس من هؤلاء فرعون حيث يقول انا ربكم الاعلى ويقول ما علمت
لكم من اله غيري لانه اثبت الاله ولكن غالط قومه في زعم انه هو ذلك الاله فاخطأ في تعيينه لا في مطلق
وجوده وكذا كل جبار مثله ممن يدعي الربوبية كنمرود وغيره فهم موحدون لكن جحدوا واشركوا واشنعه
فهذه بلغ بها ويمكن ان يكون هؤلاء الجبابرة وجدوا اهل زمانهم يقولون او يجوزون تعدد الالهة
وان لكل قوم الاها كالوثنية او اوهموهم ذلك فلذلك ادعوا الالوهية من استولوا عليه وهذا
على ما اشتهر في مذهب الشرذمة المعطلة للصنع عن الصانع وهم الملاحدة وذكر في تلخيص المحصل
ان الملاحدة يقولون انه تعالى موجود واحد بمعنى انه متصف بالوجود والوحدة بل من حيث انه
مبدأ الوجود ومبدأ الوحدة والكثرة وقالوا ان العقل لا يصل اليه لانه مبدأ العقل ولا يتصف بوجود
ولا عدم ولا كثرة ولا وجوب ولا امكان ولا مقابلة وبالغوا في هذا التنزيه والتنزيه عن التنزيه وكلام هؤلاء من
جنس الطامات التي ليس لها حاصل ولا تحتها طائل واما كفر الشرك المتفق عليه فاصناف
وهي كلها مذكورة فيما مر من الكلام مع ردها بما مر من ادلة الصانع وغيرها وتلك الادلة مع 147

ما

King Saud University

ما فيه في ادلة الصفات قاضية بابطال كل كم مما وجد ومما عسى ان يوجد ولذلك اكتفى بها اكثر
المتكلمين هاهنا اقتصارا على ابطال ما وجد من اصناف الكم فصورا له بهم وراه تعالى ان يخلو عن ذلك
فيستلي من مناه بحرف اخر لم يقع لاحد بعد من بين ارجعا اليه واما الادلة المذكورة منصبة على كل ما يفرد
وقد ر ان نذكر ان نحمل الغائب بالاشارة الى اصناف الشرك الواقعة في الوجود مع ابطالها بوجه
لا يطال ليكون ذلك اشفى للنفس تعرض ان تعلم ان دليل التمانع انما احتاج اليه المتكلمون في شرك خاص
وهو ان يفرض تعدد الالهة بالوصف الكامل اللائق بالالوهية بان يكون الالهان مثلا واجبي الوجود
معا متصفين بكل كمال منزهين عن كل نقص عامي القدرة والارادة والعلم ونحو ذلك فهذا الفرض هو الذي
يحتاج فيه الى برهان التمانع ونحوه من الادلة السابقة اما اذا كان التعدد على غير هذا الوجه بان يكون
البعض او الجميع جسما او صفة مثلا فهذا لا يحتاج في ابطاله الى ادلة التمانع اذ لا تعدد هنا
الا لبطلان الالوهية وانتفائها من اصلها اذ لا تثبت الالوهية لغير الذوات والجسم فهذا الباب يكفي
فيه ادلة المخالفة وادلة القيام بالنفس ومجموع ذلك هو الذي اشرنا اليه بان كلا مما يوجد
وما يقدر وبعض ذلك تقدم في هذا الفصل وبعضه سياتي في ادلة الصفات فنقول الاصناف
الشرك منها اشرك الثنوية القائلين بالاهين اثنين تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ويحكى
هذا القول على وجهين احدهما ان للعالم الاهين احدهما يفعل الخير ويقال له خير وهو ازدان
والاخر يفعل الشر ويقال له اهرمن وهو ظلمة وزعموا ان فاعل الخير لا يمكنه ان يفعل الشر ولا العكس
واورد عليهم بما وجب من تماثل الكائنات كلها وان القدرة لا بد ان تعمها لا يصح التعلق بالامكان
وهو واحد في الجميع فالقادر على احد النوعين يجب ان يكون قادرا على الاخر وحينئذ يجيء التمانع او
التخصيص بلا مخصص مع ان كثيرا من الكائنات لا يتمحض خيرها من شرها ومنها ما هو خير وشر باعتبارين 158 تمامه اذا علم المقصود من المصادر
مصائب قوم عند قوم فوائد وذلك كثير ولا يعقل تعدد الاعتبار في الشيء الواحد متعددا في نفسه
بحيث يكون اثر [illegible] منسوبا الى فاعل [illegible] التوارد والتمانع وهو واضح ومن هؤلاء من زعم ان فاعل
الشر حدث عن فكرة لفاعل الخير وهو انه تفكر يوما فقال لو كان معه اله ينازعه في الملك فكيف
يكون حالي معه فحدث هو من هذه الفكرة وناهيك بسفاهة هذا المذهب وهو ان الاله حادث ثم
يقابل بالاصل وايضا تلك الفكرة ان كانت خيرا استحال على اصله صدور الشر عنها وان كانت
شرا لم تصدر عن الخير فهذه اوهام خسيسة يتعاطى بها السفهاء ومن العلماء من قال هو عندهم

Copyright © King

هو الشيطان ولا شك أن هذا القول محتمل فإن الشيطان داعية السوء إلى الشر والإغواء والمعاصي
غير أن نسبة الفعل إليه باطل وإنما هو سبب وعدم الاهتداء جهل وغباوة الوجه الثاني
أن الأشياء كلها مستندة إلى النور والظلمة فالخير كله من النور والشر كله من الظلمة وهو قريب من
الأول وهو هو والرد على هذا أن النور والظلمة أجسام حادثة وقيل أعراض وعلى كل حال فلا تصلح
للألوهية وقال الله تعالى وجعل الظلمات والنور وهذا المذهب ينسب للمانوية أتباع ماني وذكر
المؤرخون أن ماني كان مدة يقول بنبوة المسيح وكان معظما في أساقفة النصارى ثم إنه زندق وسقطت
مرتبته عندهم وتنكروا عليه فلما رأى ذلك خالفهم ورد عليهم وكان في الأصل مجوسيا فجمع بين مذاهب
المجوس وما حدث من دينه ودعا الناس إليه وتبعه خلق كثير من المجوس وادعوا نبوته ونسبوا إليه وذلك في أيام
أزدشير بن بابك الفارسي وحكى بعضهم أن مانيا وأصحابه زعموا أن للعالم صانعين فاعل الخير
وهو نور وفاعل الشر وهو ظلمة وأنهما قديمان لم يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما
مختلطان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نقي ونفسه خيرة 143
حكيمة نفاعة منها الخير والصلاح والسرور ولا يكون منها شيء من الشر وجوهر الظلمة
بضد ذلك كله وأن النور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وأن لكل منهما
أجناسا خمسة أربعة أبدان وخامس هو الروح فالتي للنور النار والنور والريح والماء وروحه
النسيم المتحرك فيها والتي للظلمة الظلام والسموم والحريق والضباب وروحه الدخان وسموا
أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين والنور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا
تقدر على الخير ولا يجوز منها وهذه تخبيطات من لم يهده الله تعالى بالشرع ولا بالعقل ثم إن مانيا
لم يزل يتقوى ويتبع إلى زمان بهرام بن بهرام أو بهرام بن سابور وكان من جملة ما ذهب إليه تحريم
النكاح استعجالا لقطع النسل وفناء هذا الخلق ورجوع النورانية إلى أشكالها وتخرج عن هذا
المزاج فأحضره بهرام ليقتله وأمر بعض الموابذة أن يناظره فقال الموبذ إن كنت تزعم حرمة النكاح
لينقطع النسل ويرجع كل شكل إلى شكله فأنت كذلك واجب فقال ماني نعم وجب أن يعان النور
بقطع النسل بخلاصه مما هو فيه من الامتزاج فقال له الموبذ فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص
الذي تدعو إليه فانقطع ماني وأمر بهرام بصلبه فصلب وقتل أتباعه ولم تزل هذه النحلة إلى الدولة
الإسلامية وقتل عليها ناس كثير من الزنادقة نسأل الله العافية ومنها أي من الشرك المثلثة

من أصناف الشرك شرك
المثلثة انظر الرد عليهم في
مبحث تعدد معناه

وهم

King Saud University

56

وهم النصارى ولهم في ذلك مقالات مختلفة فتارة يقولون ثالث ثلاثة عيسى وأمه والإله الأول وتارة
يقولون ثالث ثلاثة أقانيم وهي ثلاث صفات الوجود والحياة والعلم وكل منها إله ثم اجتمعت فصارت إلهاً
ثم إن أقنوم العلم اتحد بذات عيسى عليه السلام فصار إلهاً ومنهم من يقول عيسى هو ابن الله أما من زعم
منهم أن مريم وابنها إلهان فناهيك بغباوته وسخافة عقله وكيف يكون البشر المخلوق من الطين
150 المتولد في الأرحام إلهاً تعالى الله عن هذه الأوهام الركيكة وأما من يقول بالأقانيم ففساد قوله أيضاً
واضح لأن الإله تعالى يستحيل أن يكون صفة إذ لو كان صفة لم يتصف بالصفات ولا احتاج إلى محل يقوم
به ولأن التركيب من صفات هي أحوال عندهم أو وجوه واعتبارات لا يعقل وأما قولهم اتحد العلم بذات
عيسى عليه السلام فصار عيسى إلهاً فأوضح فساداً وذلك أن العلم صفة فكيف يصح عليه الانتقال
وهذا الرأي الفاسد يؤدي إلى بطلان الإله رأساً وذلك أن العلم جزء من الإله الأول على زعمهم وبانتقاله
إلى جسد المسيح يبطل الإله الأول الوجود ببطلان الكل بفوات جزء منه ثم هذا الجزء لا يكون إلهاً لأن جزء
الإله ليس بإله وإذا لم يكن إلهاً لم يكن عيسى إلهاً فانتفى الإله واعلم أن لهم في هذا الاعتقاد
اختلافاً وأقوالاً لا يستخرج منها حاصل ولذا وقع في كتب المتكلمين كابن بشير والمواقف ذكر مذاهبهم
بكثرتها والتعرض لا يكون بالحكاية على سبيل الجزم والتنصيص بغاية ما يفهم من مذاهبهم في
حق المسيح عليه السلام أنه إما أن تتحد ذاته بذات الله تعالى أو تحل فيه ذاته أو تحل صفاته فيه وعلى
كل حال فإما أن يعتقد في ذلك كله بدن المسيح أو نفسه فهذه ستة أقوال وإما أن لا يقولوا بشيء من
هذا ولكن يقولون إن الله تعالى أعطاه قدرة على الخلق والإيجاد وإحياء الموتى ونحو ذلك
أو يقولون إنه سماه ابناً تشريفاً كما سمى إبراهيم خليلاً وهو عبده خصه بالرسالة والمعجزة فهذه
ثمانية أوجه هي كلها باطلة إلا الأخير فإنه صحيح وهو مشارك فيه لسائر الأنبياء أما الستة الأول فوجه
بطلانها ما علم من استحالة الاتحاد والحلول على الله تعالى أما الاتحاد ونعني به صيرورة الشيئين شيئاً
واحداً حقيقة فمستحيل شاهداً وغائباً في الذوات وفي الصفات فإن الشيئين إذا فرض اتحادهما
فإما أن يبقيا معاً في الوجود فهما شيئان لا اتحاد وإما أن يذهبا معاً فيكون الموجود غيرهما لا اتحاد
151 وإما أن يذهب أحدهما ويبقى الآخر فلا اتحاد أيضاً وإن أريد بالاتحاد معنى الامتزاج والاختلاط
كامتزاج الماء بالعسل فهذا من خواص الأجسام والله تعالى ليس بجسم وأما الحلول فوجه
بطلانه أن الله تعالى لو حل في غيره لكان تابعاً للغير وذلك ينافي وجوب وجوده تعالى عن ذلك

Copyright © King

علوا كبيرا وايضا المعقول من الحلول اما حلول المتمكن في المكان او المتحيز في الابعاد او الوصف في الموصوف
والاولان من خواص الاجرام والثالث من خواص المعاني والله تعالى ليس بجرم ولا معنى واما النصارى في
موجه بكلامهم تعزى من انهم اذا جاء المولى تبارك وتعالى بالقدرة والتاثير ولا قدرة لغيره ولا تاثير الا بكلامه
ولهم اضطراب في تفسير الحلول الذي قالوا به فمنهم من قال بالحلول الصفتي في الموصوف وهذا باطل لان
الصفة لا تنتقل ومنهم من قال كامتزاج الماء والخمر وهذا باطل لانه من صفات الاجسام ومنهم من قال
كاتصال شعاع الشمس بالمتشمس وهذا ايضا باطل اذ الاشعة اجسام لطيفة مع علمها الانتقال
بخلاف الصفة ورايت كلام بعض المفسرين من النصارى ما تصم منه الاذان وتقشعر الجلود وحاصله
ان قال ان الله تبارك وتعالى بعد ان ارسل رسله الى الخلق مبشرين ومنذرين نزل هو بعد ذلك من السماء
ليكلم الخلق بنفسه لئلا تكون لهم عليه حجة فهبط بذاته من السماء والتحم ببطن مريم ودخل في رحمها
وهو مخلوق ومركب من الجسم وهو الخالق لنفسه ولامه مركب من النفس ثم انه من تمام رضاه بان يراق
دمه وصلب ليكون ذلك كفارة لخطيئة آدم وذلك انه لم يكن في الحكمة ان ينتقم من العبد لانحطاط
رتبة العبد عن رتبة السيد فاراد ان ينتصف من انسان هو انسان مثله فانتصف من خطيئة آدم بـ
صلب المسيح الذي هو انسان مساو له في الالوهية فصلب ابن الله عز وجل الذي هو الله في كلام
على هذا النمط ينقض بعضه بعضا ويضحك بعضه من بعض وكيف يصح على الله النزول والتكييف
بتصوره واجب الوجود ان يحل في بطن انثى ثم ينمو شيئا فشيئا ثم يقتل الى غير هذا من المستحيلات
والنصارى اخسر الناس عقولا ولقد رايته في كلام بعض علماء الشرع رده على هذا التفسير 152
حكى في مقدمة جوابه كلام بعض ملوك الهند وقد ذكر له الملل فقال اما النصارى فان كان من اهل
الملل مجاهدهم بحكم الشرع فانا ارى ان مجاهدهم بحكم العقل وان كنا لا نرى بحكم عقولنا قتالا لاحد لكني
استثني هؤلاء القوم من جميع العالم فانهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وتحلوا بيت
الاستحالة مع انهم حادوا عن المسلك الذي عمل فيه غيرهم وشذوا عن جميع مناهج الشريعة
الصالحة والقطعية الواضحة واعتقدوا كل مستحيل ممكنا وبنوا من ذلك شرعا لا يؤدي الى صلاح
نوع من انواع العالم الا انه يصير العاقل اذا تشرع به اخرق والرشيد سفيها والمحسن مسيئا في
كلام كثير حتى قال الملوم تجب مجاهدة هؤلاء القوم لا لعموم ان اريد الذي لا تقصد وجوههم كما يجب
قتل الحيوان المؤذي بطبعه لكان كافيا انتهى الغرض منه واعلم ان الفيلولية ثلاث طوائف

الاولى

صح قالته ... التفسير الخ

أولى الناس به وتقدم ذكرهم **الثانية** قوم من غلاة الشيعة قالوا إنه لا يبعد أن يظهر الروحاني
في صورة الجسماني كجبريل في صورة دحية وكظهور الجن في صورة الإنسان ولا يبعد أن يظهر الله
تعالى في بعض الكاملين من خواص عباده ثم قالوا وأولى الناس بذلك علي وأولاده الذين هم خير البرية
في الكمالات العلمية والعملية فلهذا كان يصدر عنهم من العلوم والأعمال ما هو فوق الطاقة البشرية
وهؤلاء الغلاة ضروا أن يطلقوا على أئمتهم المذكورين الإلهية تعالى الله عن ما يتوهمونه توهما علوا كبيرا
الثالثة غلاة المتصوفة الذين يزعمون أن السالك إذا تناهى في الرياضة وكمل في الصفاء من مهلـ
اتحد الحق به حتى لا اثنينية ولا تغاير إطلاقا أو سرى فيه كالنار في الجمر حتى لا تمايز إطلاقا فيصح له أن يقول
أنا هو وهو أنا تعالى الله عن إفكهم وأباطيلهم علوا كبيرا نعم العقلاء الذين من الصوفية وتقع
لهم وتقع لهم تلك الشطحات بحسبه يوهم الحلول وليس به وإنما معناه عندهم أن السالك إذا
153 25 تعالى في سلوكه وتناهى في تجرده بالكلية ظاهرا وباطنا فيصير إلى الاستغراق في التوحيد بحيث يغيب
عن نفسه وعن غيره وعن غيبته لا يشاهد إلا الله تعالى فيكون مصداقا بحكم الحق تعالى كما في الحديث الإلهي
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وفي هذه الحالة ربما تصدر عنه كلمات توهم الحلول وليس
على ظاهره ولكنه معنى صحيح لأنه إذا اضمحلت ذاته عن شهوده كان الله تعالى هو الموجود عنده وهو
المتكلم وهو المخبر عنه إلى غير ذلك ومن أصناف الشرك شرك الوثنيين وهم كل من يعبد غير الله تعالى — من أصناف الشرك شرك الوثنيين
تقربا بعبادته إلى الله تعالى سواء منهم عبادة الملائكة كالصابئة أو عباد الكواكب أو الأملاك أو
عباد النجم والشجر كالأعراب وغير ذلك ويلتحق بهم من يعبد المسيح أو عزيرا امتثالا للشرع به فمن اعتقد
منهم في معبوده الألوهية الكاملة ولا الضر هذا نفعوا من يعتقد غير الله تعالى إلها كاملا
لا يتصور منه أن يتقرب به إلى الله تعالى ويستشفع به إليه بل يكتفي به وإن كان يعتقد معبوده كالنجم
والنجم فالرد عليه بما هو من استحالة الألوهية مع الأجسام وسماته أيضا ومن لا يعتقد منهم الوهية
معبوده بل استحقاقه للعبادة فالرد عليه أن استحقاقه للعبادة إما أن يكون بكونه إلها حقا
وذلك أمر عقلي أو بكونه مجعولا له ذلك من جهة الإله الحق وذلك أمر شرعي وكلاهما باطل إذ
ليس له ولا ورد الشرع بتعظيمه ولا وجه لعبادته ولا تعظيمه إلا النص على الله تعالى والجرأة
عليه بإثبات ما هو خاصية له تعالى لغيره كمن يتختم بخاتم الملك المخصوص به ويلبس لباسه المخصوص
به ولا شك أن من فعل ذلك في الظاهر لنفسه أو لغيره يكون متعديا مستوجبا للعقوبة وذلك من

Copyright © King

من ثلاثة اوجه **الاول** التلبيس على الناس **الثاني** الاستهزاء بامر الملك **الثالث** دعوى الملك والمنازعة بلسان الحال له في خاصية الشيء المفارقة له ولذلك يكفر به عنه ومن ثم نقتل من تزيا بزي الكفار من لبس الزنار والتزيي الى الكنائس وتعظيمها ونحو ذلك كمن عبد الصنم فمن جعله الاها بلسان الحال وهذا شرك وكم من متقدم الكلام في سبب اتخاذهما ومنه شرك الطبائعيين والفلسفيين في اسناد التاثير اما الى الكائنات بوجه الطبع او العلة والرد عليهم بان من اعتقد ان يكون لغير الله تعالى اثر في شيء من الاشياء وان التاثير كله اختيار وليس الا لله جل اسمه ومن هذا المعنى اثبات العقول واسناد الفيض الى عقل فلك القمر فكل ذلك باطل ومن الكفر المتفق عليه ايضا جعل الصانع موجبا بالذات وانكار ان يكون مختارا قادرا او عالما بالجزئيات الى غير ذلك من مذاهب الفلاسفة ومما يلتحق بهذا كله التكذيب لله تعالى او لرسله صريحا وكذا التلويح وهو قول او فعل ينبي عن ذلك كانكار ما علم من الدين ضرورة او الاستهزاء بالشريعة مطلقا او التزيي بزي الكفرة المتعبدين او نحو ذلك ومن ذلك اعتقاد انتفاء الربط العقلي بين الامور العاديات والآثار الناشئة عنها وان لا يعتقد تاثيرها فيها لان اعتقاد التلازم العقلي يقتضي نفي اختيار الفاعل وانكار خرق العادات والتكذيب بما ورد من المعجزات وفي ذلك انكار الشرائع واسباب الكفر نسال الله السلامة منه كثيرة وليس من غرضنا استقصاؤها على التمام وانما اشرنا الى جمل من ذلك لانجرار الكلام اليه على انه وان تشعبت وكثرت لا تخرج عما اشرنا اليه واما ما يختلف في كونه كفرا مع الاتفاق على انه معصية فكاعتقاد الاسباب العادية مؤثرة بقوة اودعها الله فيها وكنفي الصفات المعاني والقول بانه تعالى قادر بذاته مثلا لا بصفة زائدة وكارجاء النصوص وكاعتقاد الجسمية والجهة في حق الله تعالى وغير ذلك مما ليس بصريح الكفر الا انه يؤدي اليه ثم من اخطا الحال كفر معتقد ذلك ومن اخطا الجالة اراهنة وسنورمه بكفر وهو الذي صححه القرافي وغيره من المحققين اما من اعتقد الحلول او الاتحاد فلا خلاف في كفره وليس هو كمعتقد الجسمية لان الحلول والاتحاد يؤدي الى انتفاء الالوهية مع ذلك استحالته ظاهرة في المشاهد فلا عذر لصاحبه وكذا ما ذهب اليه جمع من الحكماء ومن تابعهم من ضلال المتصوفة من ان واجب الوجود هو الوجود المطلق وسائر الموجودات مظاهر اليه وهذا باطل ومعتقده كافر قطعا لان الوجود كلي ذهني ولا تحقق له من حيث هو في العيان فكيف يكون هو خالق العالم وكيف يتصف بالصفات الازلية من العلم والقدرة وغيرهما 155

وكيف

شرك … الشرك شرك … الطبائعيين والفلسفيين 156

تعلى ح

King Saud University

وكيف يبعث الرسل او يشرع الاحكام تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او لبعض هولاء من جملة
القايلين بالحلول او الاتحاد او كان نعيم بهم مشبها الوجود في زعم هولاء واحد لا يكثر ولا يغاير غيره
واما الشرك الخفي فهو ان لا ينبي بكفر فهو شرك الاغراض وهو ان يعمل المومن العبادة لغير الله
تعالى ولغير نيل ثوابه الاجل وهو معصية وسياتي الكلام عليه في الفصل الثاني ان شاء الله
تعالى

الفصل الثاني

في معرفة ما يرجع مضمون هذه الكلمة من العقائد الدينية والاحكام الالهية اعلم ان هذه الكلمة المشرفة جعلت ترجمة
على الايمان وكافية في عصمة قائلها دما ومالا وما ذاك الا لاختصاصها بالتوحيد الذي جاءت به الرسل
وتضمنها لما يطلب من المومن اعتقاده ويكون به تمام ايمانه وجماع ذلك ثلاثة اشياء ما يجب لله
تعالى من الكمال وما يستحيل وما يجوز في حقه ان يفعله او يحكم به وبيان تضمنها لذلك ان تعلم انا فسرنا
بعضنا الاله فيما مر بتفسيرين احدهما انه هو المستحق للعبادة الثاني انه هو الواجب الوجود المستغني
عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما سواه ولا شك ان المعنى الاول هو الاصل وهو بحسب معنى الاله لغة
لان الاله بمعنى المالوه اي المعبود ولكن المعنى الثاني هو الاصل لان الاله لا يستحق العبادة
حتى يكون مستغنيا عن الغير مفتقرا اليه الغير فصار استغناوه تعالى عن غيره وافتقار غيره اليه لازما
لاستحقاقه للعبادة كلزوم السبب للمسبب واستغناوه تعالى وافتقار الغير اليه يقتضيان ما
من الاوصاف ولا بد ان نذكرها باختصار لان ذلك من جملة ما تضمنه الكلمة فهو داخل في تفسيرها
وابانة معانيها الجلية والخفية اما استغناوه تعالى فيعم منه وجوده تعالى اذ لو كان
معدوما لافتقر الى موجد ضرورة انه من جملة العالم ولا بد ان يكون موجودا ولو افتقر بطل الاستغناء
١٤٤ وقدمه تعالى اذ لو كان حادثا لافتقر الى محدث كما سياتي بيانه ولو افتقر بطل الاستغناء
وبقاوه تعالى اذ لو جاز ان يلحقه العدم لكان وجوده جائزا لان حقيقة الجائز ما يقبل وجوده
وعدمه ولو كان جائزا لافتقر الى مرجح وجوده عن عدمه لاستحالة الترجيح بلا مرجح ولو افتقر
بطل الاستغناء ومخالفته تعالى للحوادث وهي سلب الجرمية والعرضية وخواصها عنه تعالى
اذ لو ماثل شيئا من خلقه لكان حادثا مثلهم ولو كان حادثا لافتقر ولو افتقر بطل الاستغناء وقيامه
تعالى بنفسه اي استغناوه عن محل يقوم به قيام الصفة بالموصوف وعن مخصص اي فاعل يخصصه
بالوجود بدلا عن العدم اذ لو كان مفتقرا الى شيء من هذين الامرين لم يكن مستغنيا على الاطلاق

قف على شرك الاغراض

غير اله

Copyright © King

أبو عبد الله

وقد اعترض قول الشيخ السنوسي إن استغناءه تعالى يوجب له قيامه بنفسه بأنه جعل الاستغناء مستلزما
للقيام بالنفس وهو استلزام الشيء لنفسه وأجيب بأن الاستغناء الذي عبر به القيام بالنفس
خاص والاستغناء هنا عام والخاص داخل تحت العام قلت وفيه نظر لأن البحث وقع في الاستلزام
وقد خرج الجواب عن استلزام الشيء لنفسه بما ادعى من التغاير وأدخله في استلزام العام للخاص وهو
باطل إذ لا يلزم من ثبوت العام ثبوت الخاص ولا من انتفاء الخاص انتفاء العام اللهم إلا أن يراد أن هذا ليس من
باب الاستلزام بل من باب العموم والشمول بمعنى أنه تعالى إذا ثبت له الاستغناء مطلقا دخل في ذلك
استغناؤه عن المحل والمخصص إذ لو لم يثبت هذا الخاص لم يثبت الاستغناء العام لانتفائه عن هذا البعض
هذا ما أشرنا إليه أولا في تقريره وفي هذا كله نظر لأن القيام بالنفس مراد به عند المتأخرين كالسنوسي
الغنى المطلق وذلك هو الاستغناء المذكور في الضابط فهذا هو هذا ولا كان التعبير بالقيام
بالنفس قاصرا عن أن يفي بالمراد فلا يحمل التغاير وهو باطل فلم يبق قول المجيب المذكور أن الاستغناء
المعبر به القيام بالنفس أخص وكان سبب الوهم أن رأى التعبير هنا بالاستغناء لأنه عن كل ما سواه
وهناك بالاستغناء عن المحل والمخصص فتوهم أن هذه الكلية يدخل فيها شيء لم يدخل هناك وهو غلط
فإن الافتقار منحصر في الافتقار إلى المحل افتقار القيام والافتقار إلى المخصص إما للإيجاد وإما للإمداد والقيام 157
والقيام بالنفس هو سلب ذلك ومعنى كونه تعالى مستغنيا عن كل ما سواه أنه ليس مفتقرا إلى شيء
لا على أن يكون له ذلك الشيء ذاتا يقوم به ولا مخصصا يوجده أو يمده بأنه الغنى عن الحكم من استمرار
وجود ورزق ومكان ونحو ذلك لأن هذه الأشياء كلها مستحيلة على الله تعالى بمقتضى المخالفة
ووجوب الوجود وعدم افتقاره تعالى إلى شيء من هذا هو معنى قيامه تعالى بنفسه فتبين أن الاستغناء
المذكور في الألوهية هو القيام بالنفس فوجب أن يقال إن الاستغناء لا يستلزم القيام بالنفس
لأنه هو هو ولا ينبغي أن يعد القيام بالنفس في الصفات التي تندرج تحت الاستغناء بل يقال هو
واحد من الأحد عشرة غير الداخلة تحت الافتقار وهو متضمن لها فيها ويعلم منه أيضا سمعه
تعالى وبصره وكلامه وكونه سميعا بصيرا متكلما إذ لو لم تجب له هذه لكان ناقصا فيحتاج إلى من يرفع
عنه النقائص فيكمل الاستغناء بهذه الأحد عشرة ويعلم منه أنه يستحيل أن يكون لله تعالى غرض
في فعل وحكم بأن يفعل شيئا أو يحكم بشيء لاستجلاب مصلحة أو درء مفسدة إذ لو كان له ذلك لا ينتفع
إلى ذلك ليكمل له به الغرض ولو افتقر لانتفى عنه الاستغناء ويؤخذ منه أيضا أنه لا يجب عليه تعالى فعل

ممكن

ممكن عقلا وما يستحيل إذ لو وجب عليه شيء منها لكان الكمال إنما يفعله فيحتاج إلى فعله فيزعه نقصه
لا استغناء ولو استحال شيء منها لكان الكمال في أن لا يفعله والظاهر أن يؤخذ هذا القسم من افتقار ما
سواه إليه تعالى إذ الواجب عقلا والمستحيل عقلا لا يكون متعلقا للقدرة الأزلية فلا يفتقر إلى الفاعل
المختار بحيث وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه وهذا بعد بيان بطلان العلة والطبيعة وأما افتقار
كل ما سواه إليه تعالى فيعم منه قدرته تعالى وعلمه وإرادته وحياته إذ لو انتفى هذه أو
انتفى شيء منها لتعذر معه الفعل والتأثير إنه قد تبين بطلان العلة والطبيعة ولو تعذر منه الفعل 158
لم يفتقر إليه شيء من العالم لا يفتقر إليه وكذا وحدانيته إذ لو كان معه ثان في الألوهية لم يفتقر إليه
شيء للزوم عجزهما حينئذ كما مر ويعم منه أيضا أن العالم كله حادث إذ لو كان شيء منه قديما لم يفتقر
إليه تعالى وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات إلا إذا أنهما لا مع الاختيار ولا بالتعليل ولا بالطبع إذ لو كان لشيء
منها أثر للزم أن يستغني ذلك الأثر عن مولانا جل وعز كيف وهو تعالى الذي يفتقر إليه كل ما سواه فقد
انطوى بهذه الكلمة الأقسام التي تتضمن جميع ما يجب اعتقاده من أمور الدين والعقائد باعتبار مفهوم الألوهية
المثبتة فيه لله تعالى وبعض ما يجب وما يستحيل وقد ذكر مع ذلك ما يجوز في حقه تعالى وهو أنه لا يجب
عليه فعل ولا ترك فتكملت الأقسام كلها فإن قلت إن الدليل يجب أن تكون مقدماته
مسلمة عند الخصم والاستدلال هنا بالاستغناء ليس كذلك فإنه لا يجب أن يسلم الخصم استغناءه تعالى
عن غيره وافتقار الغير إليه أما أولا فلأنه قد يدعي أنه محتاج إلى الذات أو غير ذلك من الاحتياج كما
قال فنحاص اليهودي لعنه الله إن الله فقير ونحن عنه أغنياء وفي ذلك نزل قوله تعالى لقد سمع الله
قول الذين قالوا إن الله فقير الآية تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وأما ثانيا فلأنه قد يدعي أن العالم قديم كما
يقول الفلاسفة أو مستند بعضه إلى بعض كما يقول أرباب العقول وأرباب الأجسام والطبائع فإذا لم
يسلم هذا الأصل فكيف يسلم ما يؤخذ منه من العقائد وقد علم أن الاستدلال إنما هو في المتنازع فيه فقد
لا يقال إنه إذا أسلم ثبوت الألوهية لزمه أن يسلم ما ذكر من الاستغناء والافتقار إذ ذاك حقيقتها
لأنا نقول لا يلزم أن يسلم أن الألوهية هي ذاك لأن من أراد الإله قد يعتبر أنه المعبود مطلقا فيشمل الشمس
وغيره وقد يعتبر أنه المستحق لا من ثبوت الاستغناء وجه يستلزمه إنكار الكفار مع ثبوت لم لا يتصف
بذلك الكمال إطلاقا وقد يثبت لم يتصف ببعضه فقط كما عند القائلين بكونه فاعلا بالذات وأنه ليس
له صفات قلنا لم يرد من هذا الباب إقامة الحجة على الخصوم بالإطلاق وإنما الخطاب فيه

Copyright © King

مع المعرفة لله بالالوهية واستغنائه عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه كما هو عمدة وثمرة 159
ذلك عندي ان ينتبه عند اجراء الكلمة على قلبه او لسانه لما عسى ان يجهله او يغفل عنه من كمالاته
تعالى وما يجب اعتقاده في حقه ونحو ذلك كمن يغفل احدهما ان يكون يعلم ان الله متصف بهذه
الكمالات كلها فاذا ذكر اسمه تعالى استحضر ما يجب له من الوصف وما يجب له من الكمال كما لو ذكرنا
السلطان مثلا فانا نستحضر اذا حضرت افكارنا ما هو وصف السلطان في الجملة من التجبر والكرم
والفصاحة والنصاحة ورجاحة العقل وعلو الهمة وعزة النفس وثبات الجأش والارتياح
للثناء واصطناع المكارم وتقليد المنن ونحو ذلك مع ما هو حاله من عظم المنزلة ونفوذ الكلمة
وبسطة اليد وغير ذلك لكن هذه الامور لا تكاد تغيب عنه في العقل كما لا تكاد تغيب عنه في الخارج
ثانيهما ان ينتبه لذلك بنوع من الاستدلال وذلك ان يعرف ان له تعالى الالوهية وهي استغناؤه
وهي استغناؤه تعالى عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه ويعرف ان جميع الكمالات مندرجة
تحت هذا الوصف الكلي على ما قررنا قبل على وجه الاندراج كما تؤخذ الجزئيات من الكليات وتعرف
المسائل من ضوابطها بعد معرفة الضابط وتقرير دليله اما اذا نازع الخصم في هذا الاصل بان انكر
وجود الله اصلا او جحد الالوهية بمعنى ما ذكرنا فلا غنى عن ان يبين له وجوده تعالى ويبرهن له على كل
صفة صفة وفي ذلك بيان استحقاقه تعالى للعبادة وبيان استغنائه وافتقار الغير اليه فتعين هذه
حينئذ ان نشير الى ادلة العقائد باختصار وبذلك ان شاء الله تتم الفائدة وتكمل العائدة

الفصل الثالث في ادلة العقائد

واعلم انه يجب عند كثير من
العلماء على كل مكلف ان يعرف كل عقيدة من هذه العقائد بدليل تطمئن به النفس ولو اجماليا ويجب
على الناس على طريق الكفاية ان يكون فيهم من يعرفها كلها بالدليل التفصيلي ويقوى على تقريره وتبيينه ودفع
الشبه الواردة عليه ليرفع عن جملة المومنين ما عسى ان يعرض لهم من الاوهام والضلال ويلقى 160
عليهم من شبهة او جدال اما وجوده تعالى فدليله العالم وهو ما سوى الله تعالى ووجه الاستدلال برهان وجوده تعالى
بالعالم من وجهين اما اولا من حيث جوازه بان يقال العالم لا يلزم عقلا تقرر وجوده ولا عدمه محال لذاته
وهو معنى الجائز فالعالم جائز والجائز يصح وجوده وعدمه ولا يترجح احدهما الا بمرجح لاستحالة الترجيح
بلا مرجح فافتقر الى فاعل رجح وجوده من عدمه فان كان ذلك الفاعل جائزا ايضا احتاج هو ايضا
ولزم التسلسل او الدور فلا بد ان ينتهي الامر الى واجب لذاته يستند اليه العالم وهو الله تعالى الثاني

من حيث

البلغ ١٧ عن

ف اما جرم وهو المتحيز

من حيث حدوثه اي وجوده بعد عدم بان يقال العالم حادث وكل حادث فله صانع احدثه وهو الله
تعالى اما بيان الاولى وهو ان العالم حادث فهو ان كل ما يشاهد من العالم اما جرم وهو المتحيز القائم بنفسه
كالحجر والخشب واما عرض وهو الوصف القائم بالجرم كالبياض والسواد وكل جرم حادث وكل عرض حادث
فالعالم كله حادث اما بيان كون كل عرض حادثا فهو ان العرض متغير من وجود الى عدم ومن عدم الى وجود
وكل متغير حادث فالعرض حادث اما انه متغير كذلك فدليله المشاهدة اذ الجرم مثلا نشاهده متحركا
ثم يسكن فقد انعدمت الحركة ولا ينعدم الا الجائز ولا يكون الموجود الجائز الا حادثا وجاء السكون بعد
ان لم يكن وذلك حقيقة الحدوث فثبت حدوث العرض بكل حال فان قال قائل ان المحل اذا تحرك مثلا ثم سكن
فلا نسلم ان الحركة قد انعدمت بل نقول انها كامنة في المحل لظهور حكم الضد او نقول انتقلت من ذلك
المحل فهي قائمة بنفسها او انتقلت الى محل اخر وكذا السكون الذي جاء بعد الحركة لعله كان كامنا ثم ظهر
او انتقل اليه من محل اخر او من قيام بنفسه وعلى تسليم العدم في ذلك كله فالحدوث انما هو تغير
من عدم الى وجود اذ ذلك حقيقة الحدوث اما العكس وهو التغير من وجود الى عدم فليس هو من
الحدوث ومن ثنا انه يستلزمه فقد يكون قديما ثم ينعدم فالجواب ان نقول اما الكمون فمحال اذ لو
كان السكون كامنا في الجرم حالة حركته وبالعكس لزم اجتماع الضدين وكون الجرم متحركا ساكنا ضرورة
ان وجود السكون يقتضي كونه ساكنا ووجود الحركة يقتضي كونه متحركا واما قيام العرض بنفسه
وكذا انتقاله فمحال ايضا اذ فيه قلب حقيقته فان الحركة مثلا هي انتقال الجرم من حيز الى اخر فلو قامت
الحركة بنفسها او انتقلت وحدها لبطلت هذه الحقيقة واما انعدام القديم فمحال اذ كل ما ثبت قدمه
استحال عدمه وسنقرره عند بيان قدم الصانع ان شاء الله تعالى واما بيان الثانية وهي ان كل جرم حادث
فهو ان الجرم ملازم للعرض الحادث وكل ملازم للحادث حادث فالجرم حادث اما الاولى وهو ان الجرم ملازم
للعرض الحادث فلان الحركة والسكون مثلا يتعاقبان على الجرم ولا ينفك عنه وكذا الاجتماع والافتراق
وهذه الاربعة هي الاكوان والاجرام ملازمة لها وهذه قد تبين حدوثها بما مر من التغير واما الثانية
وهي ان ملازم الحادث حادث فلان المتلازمين لا يسبق احدهما الاخر بالزمان فمتى كان احدهما حادثا تعين
ان يلزم ان يكون الاخر حادثا كذلك والا فارق صاحبه والعرض انهما لا يفترقان مثلا اذا ثبت ان الحركة
حادثة وكذا السكون علم ان الجرم حادث اذ لو كان قديما لكان في الازل اما متحركا او ساكنا اذ العرض لا
حركة ولا سكون في الازل وذلك محال فان قال قائل انما يكون الجرم ملازما للاعراض لو وجد

الاعراض وغيرها لا نسلم ان ثم زايدا على الاجرام محسوسا سلمناه لا نسلم الملازمة وعدم الانفكاك سلمناه ولا نسلم ان
حدوث العرض يستلزم حدوث الجرم فقولكم انه اذا كان الجرم قديما والعرض حادثا يلزم ان يكون الجرم خاليا عن
العرض في الازل **نقول** انما يلزم ذلك اذا كان العرض حادثا بشخصه ونوعه بحيث لا وجود لشخصه ولا
لنوعه في الازل اصلا ونحن لا نقول ان الاعراض كالحركات مثلا هي حادثة باشخاصها وعلى ذلك دل دليل
التغير واما هي فهي باقية بانواعها مثلا الفلك كل حركة حركة من حركاته حادثة في نفسها ونوع الحركات
قديم لا اول له بمعنى انه ما من حركة الا وقبلها حركة ابدا وعلى هذا التقدير يصح قدم الفلك ولا يلزم مع ذلك ان يعرى
عن الحركة في الازل لانه وان كان يعرى عن اشخاص الحركات فليس يعرى عن نوعها بل هي متسلسلة عليه
ما من حركة الا وفرضت قبلها حركة فهي حوادث لا اول لها **قلنا** اما وجود الزائد على الاجرام
فعلم ضروري وانكاره مكابرة بل انكاره دليل عليه اذ ذاك الانكار ليس هو عين ذات الخصم بل زائد
عليها واما عدم انفكاك الاجرام عن الزائد فلان الاجرام قابلة للاعراض لذاتها ضرورة والقبول متساو
فيها فلو صح انفكاكها عن بعض ما تقبله لصح انفكاكها عن الجميع لتساويها ولو صح انفكاكها عن الجميع
لصح انفكاكها عن الحركة والسكون مثلا لانهما من ذلك المجموع لكن صحة انفكاكها عن الحركة والسكون
باطل اذ الحركة عبارة عن انتقال الجرم من حيزه والسكون عبارة عن بقائه فيه فلو خلا الجرم عن الحركة
والسكون لكان لا باقيا ولا غير باق ووجه ذلك ارتفاع النقيضين وهو بين الاستحالة **واما جعلهم**
حوادث لا اول لها فاما باطلا لو كانت حركات الفلك مثلا لا اول لها بحيث تكون موجودة بنوعها
في الازل كما قال الخصم فيقال اما ان يوجد شيء من اشخاص ذلك النوع في الازل واما ان لم يوجد شيء
من اشخاص الحركة في الازل فالاول يلزم منه وجود ذلك النوع في الازل ضرورة ان النوع لا يعقل الا
في افراده ومن ادعى ان في وعائه نوعا من الثمر مثلا او في كيسه نوعا من الدراهم ثم فتش الوعاء او
الكيس هل يوجد فيه شيء من تلك الافراد فلم توجد فيه ثمرة اصلا من ذلك النوع ولا درهم كان ادعاء
وجود ذلك النوع باطلا وافكا مبينا وكذا من ادعى ان نوع الحركات موجود في الازل ليصح قدم
الفلك الموصوف بها ثم فتش فلم توجد حركة ازلية اصلا كان ادعاؤه قدم النوع ووجوده في الازل
باطلا وان وجد شيء من اشخاص الحركة في الازل فتلك الحركة لا بد ان تكون قد وجدت بعد عدم اذ ذاك
معنى حدوثها والخصم يسلم حدوثها بالشخص وحينئذ ان كان عدمها سابقا عليها لزم ان تكون هي
غير ازلية وعدمها هو الازلي اذ الازلي لا يسبقه عدم وان كان عدمها مقارنا لها لزم اجتماع وجود

الشيء

King Saud University

163 الشيء أو عدمه ولا خفاء بما فيه استحالة ثم فقد بان لك أن حدوث العالم موقوف على هذه المطالب السبعة
وهي إثبات زائد على الأجرام وإثبات أنها لا تنفك عن ذلك الزائد وإثبات حدوثه وهو بأربعة أشياء
إبطال ظهور العرض وظهوره وإبطال قيامه بنفسه وإبطال انتقاله وإبطال الحدوث والعدم للقديم ○
والسابع إبطال حوادث لا أول لها ووجه انحصار الشكوك في هذه السبعة أنه وقع الاستدلال
على الأجرام بملازمتها للأعراض الحادثة وأن ملازم الحادث حادث فيتضمن هذا الكلام أربع مقامات
ثلاث في المقدمة الأولى بالنص وهي أن مع الأجرام أعراضا وأنها لا تنفك عنها وأن تلك الأعراض
حادثة والرابعة هي الثانية أن ملازم الحادث حادث فللخصم أن يمنعها كلها فيقول لا نسلم أن مع
الأجرام أعراضا إذ لا زائد على الأجرام فلا بد من إثبات الزائد سلمنا ولا نسلم أنها لا تنفك عنها فلا
بد من إثبات أنها لا تنفك سلمنا ولا نسلم أنها حادثة فلا بد من بيان حدوثها وذلك بمشاهدة تغيرها
من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم فيقول لا نسلم أنها تنعدم فلعل إذا ظهرت في المحل وزالت
وإن لم تظهر فقد كمنت فيه أو انتقلت إلى محل آخر أو إلى قيامها بنفسها فلا بد من إبطال الكمون وإبطال
الانتقال وإبطال القيام بالنفس ووجه الحصر فيها أن الجرم مثلا إذا تحرك ثم سكن فالحركة التي كانت
ظاهرة ثم لم تظهر إما أن تكون طرأت إلى العدم وهو مدعانا نحن وإما أن لا تزال موجودة وحينئذ إما أنها
لا تزال في محلها أو لا إن لم تكن في محلها فهي قائمة بنفسها وإن كانت في محل فإما هذا المحل الذي ظهر فيه حكم
ضدها أو غيره وعلى الأول فهي كامنة فيه وعلى الثاني فهي منتقلة إذ لا تصل إلى محل آخر إلا بالانتقال
إليه وكذا الجرم يكون ساكنا ثم تحرك فالحركة التي لم تظهر ثم ظهرت إما أن تكون قبل ظهورها معدومة
أو موجودة فإن كانت معدومة فقد حدثت عن عدم وهو مدعانا وإن كانت موجودة فإما في محل أو لا
وعلى الثاني فهي قائمة بنفسها وعلى الأول فهي إما في هذا المحل أو في غيره فإن كانت في هذا المحل فهي
كامنة فيه وإن كانت في غيره فلم تصل إلى هذا إلا بالانتقال إليه ثم يقول سلمنا أنها تكون موجودة ثم
تنعدم ولا نسلم أن ذلك يوجب كونها حادثة أولا بل ندعي أنها قديمة ثم يطرأ عليها العدم فلا بد
من بيان استحالة عدم القديم فهذه ستة أسئلة وردت كلها على الصغرى وهي قولنا الأجرام ملازمة
164 للأعراض الحادثة مع قولنا في بيانها الأعراض متغيرة وكل متغير حادث ثم ينتقل الخصم إلى الكبرى وهي
قولنا وكل ملازم للحادث حادث فيقول لا نسلم حدوث الجرم من حدوث العرض إلا لو كان العرض حادثا
شخصا ونوعا ولا نسلم ذلك بل ندعي أنها حوادث لا أول لها فهي قديمة بالنوع وهذا سؤال

Copyright © King

والجواب على الكبرى بوان حيث جعلته على الصغرى بانا مستغنين ان يقال اما تعنون بالحدوث الذي يتسم به
التغير في الشخص ام النوعي والاول مسلم والثاني ممنوع وهو كاف في صحة قدم الاجرام وهذه هي
المطالب السبعة التي تقرر في حدوث العالم وقد سمعت الجواب عنها وبقي مطلب ثامن وهو انا اقمنا
الدليل اولا بقياس مقسم في جزء غير تام من المشكل الاول بقولنا العالم كله اما جرم واما عرض وكل جرم
حادث وكل عرض حادث لينتج العالم كله حادث وكل ما ذكرنا من المطالب انما هو في جزء الكبرى اعني
قولنا وكل جرم حادث وكل عرض حادث وقد بقيت الصغرى بلا بيان اعني قولنا العالم اما جرم واما عرض
فان هذه مانعة خلو في المعنى حاكمة بانحصار العالم في الاجرام والاعراض وللخصم ان يمنع الانحصار ويقول
العالم هو ما سوى الله تعالى ومن لنا بانه لا يكون الا جرما او عرضا ولعل ثم ثالثا لا يصدق عليه الحدوث
لعدم دخوله في الكبرى وحينئذ لا يكون العالم كله حادثا بل بعضه فقط وهو الجرم والعرض والجواب
عن هذا السؤال هو ان الدليل الذي تضمنا المسالة على انحصار العالم في الاجرام والاعراض ان الموجود
الحادث اما متحيز وهو الجرم واما قائم به وهو العرض ولا شك ان هذه القسمة غير حاصرة اذ لم تردد بين
النفي والاثبات ولا تنافي بحسب نفسها ان يكون ثم ما ليس متحيزا ولا قائما بمتحيز وقد اختلف النظار في هذا
فذهب الحكماء وبعض المتكلمين الى اثبات الثالث اعني ما ليس متحيزا ولا قائما به فليس بجرم ولا عرض
وسموه الجوهر المجرد وجعلوا منه العقول والملائكة عند من يثبتها اثبات الثالث اعني ما ليس
متحيزا ولا قائما به فليس بجرم ولا عرض والكلام الى ان يقيم ادلة مبسوطة في محله ولا تخلو عن ضعف
ومن المحققين من اختار الوقف لعدم تيسر احد الامرين بوجه واضح اذا علمت هذا فنقول الدليل بناء على
الانحصار وقد تم الدليل على حدوث العالم كله بالطريق العقلي الذي قدمنا وان جرينا على غير ذلك فمن
المتكلمين من تكلف الاستدلال على ان الزائد ايضا بطريق العقل ولهم في ذلك طرق لا تخلو عن ضعف
ومنهم من اختار الاستدلال بالسمع على الزائد وهذا هو الصواب والحق الذي لا مرية فيه فان المطلوب
انما هو اقامة الحجة على ما يدعى اعم من ان تكون الحجة عقلية او سمعية فيما يقبل فيه السمع ومسالتنا
مما يقبل فيه السمع وبيان ذلك ان تعلم ان حدوث العالم في هذا الباب ليس مرادا لنفسه بل للتوصل
به الى العلم بوجود الصانع الحي ومعلوم ان ذرة واحدة من ذرات العالم اذا تيسر حدوثها بالطريق
السابق فحدوثها يدل على وجود الصانع ويدل على انه قادر ومريد وعالم وحي لان هذه مصححات
الفعل فاذا ثبت الصانع بالقطع فهذه الذرة موصوفا بصفات الكمال وظهرت المعجزة على يد

من يدعي

ع وذهب معظم المتكلمين الى نفيه وحصر العالم في الجرم والعرض ولكل الخ

ع بيان

165

من هذه الرسالة فنعلم أن ذلك الصانع هو موجدها بقدرته المرعي ثبت صدق الرسل عليهم السلام انتهى ضرورة
كان كل ما اخبروا به حقا فمن ذلك اخبارهم بأن جميع هذه الذرة من سائر الموجودات سوى الله تعالى وصفاته
العلية كله حادث من صنع الله تعالى وما مع ذلك بين الجرم والعرض وغيرهما واوجب تصريفه في
ذلك وبهذا تعلم انا لا نحتاج الى الدليل العقلي جميع الاجرام والاعراض بعد القدر الدال على
وجود الصانع فظاهر ان نحتاج اليه في الآثار فان الادلة السمعية كافية في ذلك وبالله التوفيق
وأما بيان الثانية وهي أن كل حادث لا بد له من صانع فلأن الحادث قد كان الوجود والعدم جائزين
عليه بالسوية فلا يجوز أن يكون وجوده لنفسه من غير شيء والا لزم أن يكون الوجود راجحا على
العدم لذاته وقد كان أيضا مساويا له لذاته فيجتمع فيه التساوي والرجحان وهو باطل ولا يجوز
أن يكون هو أوجد نفسه والا لزم أن يتقدم على نفسه لأنه فاعل والفاعل قبل فعله ويتأخر أيضا لأنه
فعل والفعل متأخر وهذا غاية التهافت فوجب أن يكون له فاعل أوجده وهو المطلوب فثبت
أن العالم له صانع أوجده وهو المطلوب وأما قدم هذا الصانع أي كونه غير مسبوق بعدم
فدليله أنه لو لم يكن قديما لكان حادثا إذ لا واسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى فاعل كالعالم في حدوثه
العالم ولو افتقر افتقر فاعله لتماثلهما ولو افتقر لزم الدور أو التسلسل لأنه إن افتقر الثاني الى
الأول مباشرة أو بواسطة والأول الى الثاني فهو الدور وإن افتقر الثالث الى الرابع وهلم فهو التسلسل
لا محالة والدور والتسلسل محال أما الأول فلما فيه من تقدم الشيء على نفسه وتأخره وأما التسلسل
فلما فيه من حوادث لا أول لها وأما بقاؤه أي كونه لا يلحقه عدم فدليله أنه لو جاز لحوق العدم
له تعالى لكان جائز الوجود لصدق حقيقة الجائز عليه ولو كان جائز الوجود لافتقر الى موجد
ولو افتقر لكان حادثا وذلك باطل لوجوب قدمه تعالى فثبت القدم والبقاء ووجوب الوجود لله
تعالى واجب الوجود ما يمتنع العدم عليه سابقا ولاحقا وأما مخالفته تعالى للحوادث
وهي عبارة عن تنزهه عن الجرمية والعرضية وخواصهما وكذا عن غيرهما من الحوادث بناء على وجود
الزائد كلام فدليله أنه لو ماثل شيئا من الحوادث لكان حادثا لوجوب استواء المثلين فيما يجب ويجوز
ويستحيل وقد مر ما يجب للحوادث الحدوث وحدوثه تعالى محال لما مر من وجوب قدمه وأما قيامه تعالى
بنفسه أي عدم افتقاره الى المحل والمخصص فدليله أنه لو افتقر الى المخصص لكان حادثا كالعالم كيف
وحدوثه محال ولو افتقر الى المحل لكان صفة إذ لا يفتقر الى المحل الا الصفات ولو كان صفة لم يتصف

برهان القدم

برهان البقاء

برهان المخالفة

برهان قيامه تعالى بنفسه

...ان القدرة والارادة
...العلم والحياة

بالصفات المعاني والمعنوية لاستحالة قيام المعنى بالمعنى ولا عدم اتصافه بالصفات لاطالة الـ
سلسلة من وجوبها وأما وحدانيته فقد تقدم ذكرها تصورا وتصريفا وأما قدرته تعالى وإرادته
وعلمه وحياته فدليلها أنه لو لم يتصف بهذه الصفات لم يصح منه الإيجاد والإعدام لأنها مصححات
الفعل فإن إيجاد الحادث من العدم إنما هو بالقدرة إذ هي صفة يتأتى بها إيجاد الممكن وذلك على وفق
الإرادة فلا بد من الإرادة وهي صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه ولا يكون التخصيص إلا 187
مع العلم وهو صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه
لأن القصد إلى الشيء مع الجهل به محال ولا يكون العلم إلا مع الحياة لأنها شرط في الإدراك كله ولا يوجد
المشروط بدون شرطه ولو لم يصح منه الإيجاد والإعدام لم يوجد شيء من العالم إذ لا فاعل له حينئذ
لكن عدم وجود العالم محال لمشاهدة وجوده فدل على ثبوت القدرة وأخواتها وهو المطلوب
واعلم أن هذه الصفات الأربع هي مصححات الفعل لا بد منها في الفاعل المختار فمن لم يتصف بها
استحال منه الفعل لا بالاختيار ولا بغيره ولو قدر كان الفاعل الخالق تشترط له هذه الصفات أما
العلة فلا يشترط لها شيء أصلا بل بمجرد وجودها يوجد معلولها مقارنا لها وأما الطبيعة
فيشترط لها ما تتوقف عليه من وجود شرط وانتفاء مانع فإذا وجد شرطها وانتفى مانعها
وجد مطبوعها مقارنا لها أيضا ولا يتأتى من شيء منهما الترك بخلاف المختار فإنه يتأتى الفعل منه
والترك معا فقد انحصر الفاعل في هذه الثلاثة عقلا لأنه إما أن يكون يتأتى منه الفعل والترك معا
ولا يتوقف على شرط ولا انتفاء مانع وهو المختار وإما أن يكون يتأتى منه الفعل دون الترك وحينئذ
إن لم يتوقف على شرط ولا انتفاء مانع فهو العلة وإن توقف فهو الطبيعة فلا بد أن يبين أن الفاعل الذي
أسند إليه العالم ليس علة ولا طبيعة ليتعين كونه مختارا وذلك بتعقل أمرين أحدهما حدوث
العالم وأنه لم يكن ثم كان وذلك يدل على أن فاعله ليس بعلة إذ لو كان علة لوجد معلوله معه وهو
العالم فيجب أن يكون العالم في الأزل مقارنا لفاعله لأنه أزلي لكن العالم حادث لا وجود له ولا شيء
منه في الأزل فتبين أن فاعله ليس بعلة وليس أيضا بطبيعة مستكملة الشرائط إذ لو كان كذلك أيضا
لوجد مطبوعه معه في الأزل الأمر الثاني ما شوهد في العالم من الاختلافات واختصاص كل شيء بما اختص
به من وجود بدلا عن عدم ومقدار مخصوص بدلا عن مقابله وصفة مخصوصة بدلا عن مقابلتها وزمان مخصوص 168
بدلا عن مقابله وجهة مخصوصة بدلا عن مقابلتها مع تساوي جواز كل من الأمرين في الجميع فذلك يدل على أن
فاعله

King Saud University

٦٢

برهان السمع والبصر والكلام

وبالجملة فمختار لان المختار هو الذي يخصص مثلا عن مثل ولو كان طبيعة مثلا لم يختلف لان مطبوع الطبيعة متماثل
وصانع العالم قد خصص مثلا عن مثل وايضا فان العلة والطبيعة لا تخصص مثلا عن مثل فيمتنع كون صانع العالم
ليس بعلة ولا طبيعة وكل ما ليس بعلة ولا طبيعة فهو مختار فصانع العالم مختار وكل مختار فهو حي
عالم قادر مريد فينتج صانع العالم حي عالم قادر مريد وهذا كله واضح بين وأما السمع تعالى وبصره
وكلامه فالدليل عليه انه لما دل الدليل الضروري على انه تعالى متصف بها لكانت نقصا والنقص عليه تعالى
محال ويصح الاستدلال على هذه الثلاثة بالسمع من كتاب وسنة واجماع كقوله تعالى وكلم الله موسى
تكليما وقوله تعالى وهو السميع البصير وكقوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون
اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا بصيرا وفي حديث الفاتحة اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول
الله تعالى حمدني عبدي الحديث واجمعت الامة على ذلك في الجملة ويكتفى في هذه بالسمع لعدم توقف
صدق الرسول عليها فان اعجاز الله المعجزة تصديقا للرسول انما يتوقف على وجوده تعالى وقدمه وقدرته
وارادته وعلمه وحياته فهذه لا يستدل عليها بالسمع اذ لا يثبت السمع حتى تثبت هذه ولا يتوقف
على السمع والبصر والكلام لانه يتصور وقوع الفعل ممن لم يتصف بهذه فصح الاستدلال عليها بالسمع
كما ذكرنا في حدوث العالم ولا حاجة الى العقل والله تعالى الموفق

قف ان الاولى بالتلفظ طول المد

الفصل الرابع في ضبط هذه الكلمة

اعلم ان اولى ما اشتغل به العاقل لا اله الا الله
ان لا يغفل عنها لا جرم انها تخترمه المنية قبل الوصول الى التوحيد فالذي في مفتاح الفلاح تطويل المد من
لا اله الا الله مستحسن مندوب اليه لان الذاكر في زمن المد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والانداد ثم
ينفيها ويعقب ذلك بقوله الا الله لانه اقرب الى الاخلاص قال ومنهم من قال ترك المد اولى لانه ربما مات
في زمان التلفظ بلا اله قبل ان يصل الى الا الله ومنهم من قال الاختصار لانتقاله من الكفر الى الايمان وترك المد
اولى ليسرع لانتقاله الى الايمان وان كان مومنا فالمد اولى لما تقدم انتهى فحاصله ثلاثة اقوال اخرى
ولا يقطع الهمزة من الله ولا يسهلها الى الياء كما يفعل الجهال وتختلس حركة الهاء ولا يزيد بعدها الفا
ولا يقطع ايضا همزة الا ويشدد لامها لتكون اداة استثناء ولا يفتحها فتكون حرف جر وأما
اسم الجلالة الواقع بعد الا فان وقف عليه تعين السكون على حكم الوقف وبه ما جرى العمل والهاء
من الكلمة في نظائرها الا ان يتوهم الضرورة الى الاشباع لقصد الاشباع فيشبع كما في الاذان وكذا
في الاقامة اذا وقف وان وصل بغيره كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له فله فيه وجهان الرفع

Copyright © King

والنصب عطفا على ما تقدم في الاعراب

الفصل الخامس في بيان حكم هذه الكلمة

اعلم ان ذاكر الكلمة المشرفة اما ان يكون مومنا قبل ذكرها واما ان يكون كافرا يريد الدخول في الاسلام ولا عبرة بغير هذين واما المومن فمندوب له في كل وقت ويكون التلفظ بها واجبا عليه مرة في عمره وقد حكي الاجماع على ذلك وفيما وراء ذلك تكرير ذكرها ورغب في الاكثار منها كما سنستحضر الورد لك بعد ان شاء الله تعالى واما الكافر فالمبادرة منه في الدخول في الايمان ان كان قادرا على النطق بها ان كان اخرس اكتفى بالتصديق القلبي ممن نطق بها مصدقا بمضمونها فهو مومن اجماعا ومن لم ينطق بها ان كان لعجز كالاخرس مثلا فهو مومن بتصديقه فيما بينه وبين الله تعالى ويكتفى منه في الاحكام الدنيوية بالاشارة ونحوها وكذا ان اخترمته المنية بعد وجود التصديق وقبل ان ينطق بها فهو مومن على الاصح وان وسعه من الزمان ما ينطق بها وطلب بالنطق بها فابى فهو كافر اجماعا عند الجمهور لان اباءه بعد الطلب دليل على عدم صدقه وانشراح صدره وان لم يطلب بذلك ولا امتنع منها غير انه لم ينطق بها حتى مات وهو مصدق بقلبه فليس بمومن فيما يرجع الى احكام الدنيا من الصلاة عليه وغسله وكفنه قطعا اذ لا دليل للناس على ما في قلبه وهل يكون مومنا عند الله تعالى في الدار الاخرة ام لا ذهب الجمهور الى انه لا يكون مومنا وذهب جمع من المحققين الى انه مومن ومبنى الاول على ان النطق شرط في الايمان او جزء منه بحسب ما في نفس الامر ومبنى الثاني على انه ليس بشرط ولا شطر بل واجب فقط او ان ذلك بحسب اجراء الاحكام لا بحسب ما ينجي عند الله تعالى واعلم ان هذا البحث انما يتم بتفسير الايمان وبيان ما هو الايمان به شرعا وهو بحث طويل يكثر فيه الاضطراب ويعم التفصيل وانا نذكر في ذلك ما لا يسعنا المختصر ان شاء الله تعالى فنقول ان الايمان في اللغة هو التصديق يقال امن به اي صدقه والمصدق فيه اما التصديق فهو كان من عالم من طار ذا امر من ان يكون مكذوبا واما الشرعية فكانه ضد محرفة اسما من التكذيب واطلق الشرع بما اختلف فيه اهو اسم لما في القلب او لما في اللسان ام لهما معا وحاصل ما تقرر من ذلك اربعة احتمالات قد قيل بكل منها الاول انه اسم لفعل القلب فقط الثاني انه اسم لفعل اللسان فقط الثالث انه اسم لفعليهما معا وحدهما الرابع انه اسم لفعل القلب مع فعل اللسان وسائر الجوارح اما الاول وهو انه فعل القلب فقط ففيه تفسيران احدهما ان الايمان هو التصديق وهذا هو المنسوب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري فالايمان هو التصديق بكل ما علم بالضرورة مجيء الرسول به لا من الاجتهاديات لا يكون كافرا وعلى هذا الراي جمهور المتكلمين وهو المشهور

ومن

ومن الناس من عبر بأن الإيمان هو التسليم وهو راجع إلى التصديق وليس قولا آخر التفسير الثاني أن الإيمان
هو المعرفة أي معرفة ما علم مجيء الرسول به ضرورة قيل وهو مذهب الشيعة وأبي الحسن الصالحي
من القدرية وهو منسوب أيضا إلى الشيخ قال العجم في شرح المعالم ثم اختلف جواب الشيخ أبي 161
الحسن في معنى التصديق فقال مرة هو المعرفة بوجود الصانع وإلاهيته وصفاته وتصديق رسله
وقال مرة التصديق حديث النفس التابع لذلك وهو الحق واختيار القاضي انتهى قلت وعن هذا الأخير
عبرنا أولا بالتصديق وجعلناه قسيم المعرفة كما وقع في شرح المقاصد قلت وفهمنا من كلام التلمساني
الفرق بين التصديق الذي عبرنا به وبين المعرفة وأن الأول هو المرضي وهو الذي قلنا أنه مذهب الجمهور
وأما الثاني وهو أنه فعل اللسان فقط ففيه أيضا مذاهب ثلاث الأول أنه الإقرار بحقية ما جاء
به الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفة ذلك بالقلب شرط فيه وليست من حقيقة الإيمان وهذا الرأي
ينسب للرقاشي ووجهه في ذلك أنه يلزم في الشرط ما يلزم في المشروط لأن الشرط مكلف به أيضا
فإنه شرط شرعي الثاني أنه الإقرار بذلك بشرط التصديق ونسب للقطان فالإقرار إن خلا
عن المعرفة والتصديق لا يكون إيمانا وعند اقترانه بهما يكون الإيمان هو الإقرار فقط الثالث أنه
الإقرار بذلك من غير شرط شيء معهما وهو مذهب الكرامية زعموا أن من اعترف بلسانه فهو مؤمن وإن
كان الكفر في قلبه قال العجم ذهبت الكرامية إلى أن مجرد الإقرار باللسان كاف في الإيمان وإن أبطن
الكفر وهؤلاء الذين سموهم مؤمنين هم الذين سماهم الله تعالى منافقين ونفى عنهم الإيمان حيث قال ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال والله يشهد إن المنافقين لكاذبون والكرامية تشهد
أن المنافقين لصادقون انتهى قيل ومذهبهم أن من أضمر الكفر وأظهر الإيمان يكون مؤمنا إلا أنه يستحق
الخلود في النار ومن أضمر الإيمان وأظهر الكفر لا يكون مؤمنا قلت وليس هذا خلافا
للجمهور بالنسبة إلى إجراء الأحكام في الدنيا بل أراد وأجمع ذلك بقولهم صحيح وأما
الثالث وهو أنه اسم لفعل القلب واللسان فالمراد به أن الإيمان هو المجموع من التصديق بالقلب والإقرار 162
باللسان وهذا مذهب كثير من السلف وينسب إلى أبي حنيفة وقد يقال في هذا المذهب أنه اسم لمجموع
من المعرفة والإقرار باللسان أو العلم والإقرار أو الاعتقاد والإقرار وهي كلها بمعنى واحد وإن كان
التعبير بالاعتقاد يشعر بالاكتفاء بالتقليد بخلاف المعرفة والعلم جريا على اصطلاح المتكلمين

واعلم ان النطق بالشهادتين في هذه الطريقة جزء من حقيقة الايمان فمن مكنه ذلك في زمن التكليف
بالايمان اذ لا يتحقق الايمان بدونه وعلى هذا من صدق بقلبه ولم يتفق له النطق بذلك حتى مات لا يكون مومنا
عند الله تعالى ولا يستحق الجنة الا ان هذا ايضا يختص بالقادر واما العاجز عن النطق فهو مومن فان قلت
كيف يكون جزءا والشيء موقوفا على شرط خارجي كالقدرة قلت معناه ان الايمان في حق
القادر خاصة الايمان في حق العاجز مجموع الاول والثاني دون الثالث واما على الطريقة الاولى وهي ان الايمان
التصديق او المعرفة فالنطق ليس بجزء من حقيقته ولكنه شرط وذلك عند جماعة من المحققين بحسب
اجراء الاحكام الاسلامية عليه فان مات ولم يتفق له النطق بالشهادتين فهو عند الله مومن في هذا
الطريق لان حقيقة الايمان وهو التصديق القلبي او المعرفة حصلت عنده وطريقة اخرى تحكي انه كامل
وذلك ينبني على ان النطق شرط في نفس الايمان وهذا كله في حق القادر الذي يطلب بالنطق فيمتنع
بل اتفق له عدم النطق واما ان طلب بالنطق وامتنع فهو كافر وحكي عليه الاجماع تمام وقال الاخرون
لا يكون كافرا الا ان اصر بقلبه وهو مبني على ان النطق غير شرط الا كمال واجب فمن عرف على ذلك ايضا من
في النطق حكما بالوجوب فيجري ايمانه على ابن عرفة دون الاصلية واما العاجز عن النطق فهو مومن وحكي عليه
الاجماع وكذا من اخترمته المنية ثم مات مغلوبا عن النطق قال في شرح المعالم فاذا لابد من التصديق
بالقلب وهو الركن الاعظم من الايمان والاقرار يعبر به عنه وهو شرط ملحق لما اشتمل عليه الجنان
وقد يكتفى معه القلب في الحكم بالايمان لمن غلب عقب ذلك ولم يتمكن من النطق ويكتفى بالاشارة في
حق الاخرس من انتهى وقد حكي الخلاف ايضا في حق العاجز وهو ضعيف لانه يرجع الى تكليف ما لا يطاق
ولم يقع واعلم انه متى ذكرنا طلب النطق بالشهادتين في هذه المذاهب فان كان ذلك باعتبار ما بين
العبد وبين الله تعالى وما يرجع الى الدار الاخرة فالمراد مجرد النطق ويكفي في ذلك حركة اللسان سواء
سمعها سامع ام لا ومتى كان ذلك باعتبار اجراء الاحكام عليه فالمراد النطق على وجه الاظهار والاعلان
الا ان يسمع ذلك في الاحكام واما الرابع وهو انه من عمل القلب واللسان وسائر الجوارح فالمراد
به ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بسائر الاركان فعمل الجوارح في هذا الطريق من
صلاة وصيام ونحو ذلك داخل في مسمى الايمان وفي هذا ثلاثة مذاهب الاول ان عمل الجوارح جزء من
حقيقة الايمان بحيث انتفت الاعمال فليس بمومن اصلا بل هو كافر وهذا مذهب الخوارج الثاني انه
ليس بمومن ولاكنه ليس بكافر ايضا بل له منزلة بين المنزلتين وهذا مذهب المعتزلة ولهم اختلاف في
الاعمال

173

الايمان ما هو فقيل فعل الواجبات وترك المحظورات وهو مذهب الجبائية منهم وقيل فعل الطاعات
واجبة كانت او مندوبة وهو مذهب عبد الجبار وابي الهذيل منهم الثالث ان الاعمال داخلة في مسمى
الايمان الا ان تاركها ليس بكافر بل هو مؤمن من اهل الجنة وهذا مذهب اكثر السلف وينسب للامام مالك
رضي الله عنه والى الشافعي والاوزاعي واستشكل هذا المذهب بان العمل ان كان جزءا اوجب ان تنعدم
حقيقة الايمان عند عدمه فكيف يكون تارك العمل مؤمنا واجيب بان المراد العمل جزء منه هو الكامل
من الايمان لا مطلق الايمان فهم يعتبرون الايمان بمعنيين احدهما الايمان الاصلي المخرج عن الكفر وعن الخلود في
النار وهو التصديق وحده او مع النطق بالشهادة على ما مر والثاني الايمان الكامل المنجي من العقاب بفضل
الله تعالى وهو ما كان معه العمل وعلى هذا فلا اشكال ولا خلاف في المعنى وقد تلخص مما ذكرنا عشرة مذاهب
الاول ان الايمان هو التصديق الثاني انه المعرفة الثالث انه التسليم وهو راجع الى الاول الرابع 174
انه الاقرار بالشهادة بشرط التصديق الخامس انه الاقرار بشرط المعرفة السادس انه المجموع من التصديق
والاقرار او المعرفة والاقرار او العلم والاقرار او الاعتقاد والاقرار السابع انه المجموع من تصديق واقرار
وعمل وتارك العمل كافر الثامن انه كذلك وتارك العمل غير كافر ولا مؤمن التاسع انه كذلك وتارك العمل
مؤمن عاص ثم الثامن على مذهبين ان العمل اما فعل الواجبات وترك المحظورات او فعل الطاعات فقط وبه
كملت المذاهب عشرة ولم نتعرض لحكم النطق باعتبار الشرطية ولو تعرضنا له زادت على العشرة وذلك
كله معلوم مما قررنا والله المستعان **تنبيه** واما الاسلام فاختلف فيه ايضا هل هو الايمان
ام غيره فقيل الاسلام غير الايمان وذلك بحسب مشهور تعريف الايمان فالايمان هو التصديق ومرجعه
الى عمل القلب والاسلام هو الانقياد والاستسلام للشرع بالطاعة ومرجعه الى الامر والنهي الا ان
الايمان شرط في الاعتداد به وهذا هو الواقع في كلام ابن الحسبي قال والاسلام عمل الجوارح والمعنى
الاول الايمان وقيل انهما شيء واحد لان الايمان هو التصديق وهو اذعان النفس وقبولها الحكم وذلك
هو مرجع الاسلام فهما راجعان معا الى معنى الانقياد والاذعان والقبول فلا يوجد مؤمن الا وهو
مسلم ولا يوجد مسلم الا وهو مؤمن وقد ذكر السعد ان هذا هو مذهب الجمهور ونسب الخلاف الى الحشوية
وبعض المعتزلة الا انه وقع في كلامه ما يشعر بان معنى اتحادهما هو عدم الانفكاك بمعنى انه متى
تحقق احدهما امتنع عدم تحقق الاخر وهذا لا يقتضي اتحاد مفهوميهما والخطب في ذلك كله بعد معرفة
الحاصل سهل وبالله التوفيق

الفصل السادس في مباحث

واحكام تلك الالفاظ بهذا المقام فصل انه لا بد في الدخول في الاسلام من النطق بالشهادة مع القدرة
ووجود المهلة ولو لم يكرر لا اله الا الله احكام الاسلامية فلا بد ان تكون لفظا صريحا يفهم به المقصود منه
ومن ثم يقول لا اله الا الله لا اله الا الله علم من لا يقع فيه التباس ولا يتصور فيه اشتراك لا اسما ولا مسمى قال 175
الله تعالى هل تعلم له سميا فلو قال المشرك لا اله الا الرب او الا البارئ او الا الاله او الا الذي هي او نحو ذلك
لم يقبل لان لفظ الرب يطلق على صنمه وكذا الاله وكذا لو قال المتبرئ لا اله الا هو لاحتمال الضمير الا ان لو
تقدم ما يدل عليه نحو قوله تعالى الله لا اله الا هو وقوله تعالى والاهكم اله واحد لا اله الا هو فهو صحيح
لتعين معاد الضمير ومن اجل هذا قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث ومنها انه هل يشترط في الدخول في الاسلام لفظ
الهيللة بخصوصه ام يكفي ما دل على ذلك من قول او فعل في ذلك خلاف بين العلماء والاول هو الشائع
على الالسنة والثاني صحيح واستدل عليه بعموم لا يحصى المنطوقة كالنعمة ونحوها اذ لا يكلف الله
نفسا الا وسعها ويدل له قصة القائلين صبانا صبانا وقتلهم خالد بن الوليد اجتهادا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد ووداهم عليه الصلاة والسلام وعذر خالدا لاجتهاده
من ذلك انهم لم يدخلوا في الاسلام بكلامهم وقال العلماء اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله كان
مسلما لانه معنى لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الفقهاء يصير مسلما بما هو
من شعائر الاسلام من الافعال كالصلاة ونحوها ولا يخفى ان هذا انما هو في الاسلام الظاهر واما كان معه
الايمان القلبي كان من اهل النجاة والا فلا ومن هذا المعنى يعلم ان المطلوب من المكلف في امر الوحدانية
مثلا انما هو معرفة الحق واعتقاده من كون الله تعالى لا مثل له ولا شبيه في ذاته ولا صفاته ولا افعاله
سواء كان سبب اعتقاده ذلك سماع الهيللة لكونه عارفا بمدلولها متصورا لمعناها او سماع
كلام دال بمعناها او وقوع ذلك في قلبه بخلق الله تعالى الحق والصواب في قلبه من غير سماع لها او
من غير فهم معناها وقد قال المشايخ ان ذاكر الكلمة لا بد له من فهم معناها واستحضاره والا لم ينتفع به
ق افتى سيدي عبد الرحمن الوغليسي وسيدي محمد بن عيسى من فقهاء بجاية في شخص ينطق بها ولا يعرف 176
معناها ولا يميز بين الرسول والمرسل انه لا يضرب له في الاسلام بنصيب فلما سمع هذا الكلام من لا خبرة له
بهذا المقام فتوهم انه لا بد من معرفة معناها منهم واعتقاد مدلولها من حيث انه مدلولها ويؤديه
هذا التوهم الى ان يعتقد ان لا ينفع لو كان منشرح الصدر بالتوحيد مطمئن القلب بالايمان عارفا

بالله

بالله تعالى الا انه ينطق بكلمة الاخلاص ولا يعرف معناها اما لكونه اعجميا لا يعرف موضوعها او لا ادرى ولا
تحصيلا او عاميا لا يصل الى حقيقة ما فيها من عموم السلب وخصوص الاستثناء على ما ينبغي انه لا يكون
مومنا ولا ينتفع بما في قلبه من المعرفة وهذا عين خطأ عظيم فان المطلوب انما هو معرفة الحق والتصديق
به وقول المشايخ لابد من معرفة معناها صحيح ومعناه انه لابد من معرفة الوحدانية وذلك معناها
سواء عرف ذلك المعنى منها او لا كذا قول اهل البداية ان من لم يعرف معناها ولم يعرف بين الرسول لا يضر
له في الاسلام فينصب معناه ان الجاهل وهو من لا يعرف الوحدانية ولا يعرف بين الرسول والرسل لا يضر
له في الاسلام بشيء وليس معناه ان من لم يعرف معنى الهيللة ولا يحسن تفسيرها لا يكون مسلما
وان كان عارفا بالله تعالى وبرسوله ومن هذا المعنى والقريب منه يجوز ما ينبغي ان يعامل به العوام في
سائر العقائد من الزهو وان لا يكلفوا من شرح الحق والتعبير عن الاعتقاد بما لا يقدرون عليه ومن عجز منهم
عن التعبير فلا ينبغي ان يحكم بأول مرة على قلبه انه لا خير عنده ولا معرفة له وقد يكون منهم من ينشرح صدره
بالحق ولا ينشرح لسانه بالنطق بما اشتمل عليه عقيدته تعتقد ولم [illegible] وهو عارف بها لكونه لا يحسن
التعبير عنها وربما يقصر عن ان يعبر عنها بلغة مخصوصة ويقع التصور [illegible] ويكون لو سئل بلغة اخرى قدر على
التعبير عنها فحق المشتغل بخطاب العامة في هذا المعنى [illegible] حالهم [illegible] ان يخاطب كلا بما
يفهم [illegible] وقع الامر بذلك في الحديث الكريم ويعتبر في ذلك امر بين اثنان والتعبير بعضه فيخاطب كلا
بلغة عربية او عجمية ويقتصر معه على المقدار الذي لابد منه من العقائد وينزع معه الرمز في [illegible]
يعرفه ويستعمله منهم فقد جعل الله تعالى بفضله ولطفه [illegible] حكمته [illegible] والمنازع
وضرب الامثال والاشارات وغير ذلك [illegible] العلم الذي يخوض معه فيه ويعلمه اياه او يسأله عنه
فينبغي ان يكون مما يصل اليه عقل ذلك العامي وينشرح له صدره ويصرفه [illegible] جنسا ومقدارا اما
الجنس فهو ان يخوض معه في العقائد الظاهرة التي هي حظ العموم ولا يتقصى به [illegible]
الى [illegible] اللطائف التي هي مشرب الخصوص [illegible] حتى يتدرج اليها ويتقوى عليها
[illegible] قبل الرياضة وهو الذي في الناس بصغار العلم قبل كباره واما المقدار فهو ان يقتصر به من هذه
العقائد المذكورة بحسب [illegible] معانيها وتفصيل جملها على المقدار الذي يحتمله عقله ويبلغه فهمه [illegible]
[illegible] التعريف بالخاصة البسيطة الواضحة على طلب الحد التام [illegible] الاجمال على التفصيل فان الجمل
[illegible] اقرب الى الفهم ويستشرع ذلك بفعل الطبيب فانه متى امكنه في العلاج ان يتغير

الدواء من جنس الغذاء كان احب اليه لملاءمته الطبع ومتى امكنه الدواء البسيط كان احب اليه من المركب
وكذا المعلم ولا سيما في العقائد التي هي راس المال والاغترار فيها خسران وبوار من ترفيه فيها او تفصيل
ما يسمعه عقل العامي مما انكره او تشكك فيه وربما وقع بذلك في الكفر الصراح وقد كان اولا في
الجهل المعفو عنه او المختلف فيه فخرج الى الكفر المتفق عليه بسبب تعاطي ما لا طاقة له به ولنضرب
لذلك مثالا فنقول اذا قيل مثلا للعامي ان الله تعالى منزه ان يشبه خلقه لا شبيه له منها ولا نظير كان هذا المعنى
مفهوما عنده مسلما في ذهنه ولو اشتغل له بتفصيل الوجه المخالف فقيل له مثلا ليس بجرم ولا عرض
لانه لا يشبه الجرم ولا العرض كان هذا اغمض عليه من الاول ولو زيد في ذلك بان قيل له مثلا ليس في مكان
ولا زمان وليس في جهة وليست له جهة كان اشد غموضا ولو قيل له ليس له مقرا وليس داخل العالم ١١٨
ولا خارجا عنه كان اشد واشد وربما اشكل على عقله صحة هذا لانه يعتبر الموجود ما هو من خواص
ما جعله ان الشيء لا بد ان يكون داخلا او خارجا ولا واسطة بينهما ثم يفهم من ذلك ان الذي لا يكون داخلا ولا خارجا
لا وجود له اصلا فيؤديه ذلك الى تعطيل اشكال الوجه مما نعوذ بالله تعالى من الخذلان وهذا من المعاسر
التي يتبرهل من يتعاطى التعليم بلا علم ويتصدى لارشاد الخلق وهو لم يشتغل بعد في نفسه ولا حنكته
التجارب ولا نظر بنور الله تعالى في البواطن منهم ذ يسمع مسألة من حقيقة العلماء ومطولها في كتبهم
او في مجالسهم ممن هو اهل لفهمها فيتلقفها ويلقيها لمن يليه من اجلاف العوام وضعفاء العقول
قصدا الى ارشادهم في زعمه فيكون ما يفسده اكثر مما يصلحه ومن يضله اكثر ممن يهديه فان هذا العلم لا
يصلح لجميع الخلق وانما يصلح لارباب العقول والنظر والافكار ولله در القائل

شاور ذكي النفس في كل مشكلة ۞ ان الفهيم لامور الدين ميزان ۞
وللجفا في اقوام بها خلقوا ۞ وللقلوب لدى الافهام نسيان ۞

قال في الاحكام الغزالي رحمه الله في نحو هذا ان الحفاظ يتبخر فيها اقوالهم فليقتصر الجعل ما يورده
والمسك وقال ايضا ان علم الكلام بمنزلة الدواء لا يصلح الا للمخصوص بخلاف الفقه فانه كالغذاء يصلح
لجميع الناس قلت والدواء انما يستعمله الطبيب ونحوه وانما يستعمل منه المقدار
النافع فلا بد ان يعرف كيفيته وكميته وفي الحديث حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله
وفي الحديث ايضا امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم وفي الحديث ايضا لا تؤتوا الحكمة غير
اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم او كما قال صلى الله عليه وسلم وقد يراد احد منهم

في ان علم الكلام بمنزلة الدواء لا للمخصوص بخلاف الفقه

بلغ

يلقي المسألة على العامي ليتكلم بما عنده فإذا لم يصح العامي بالصواب نصبه الرجل ضالا وربما كان ذلك
بالفناء أن على العوام أن يبحثوا وتفتش عقائدهم وربما استدعى العامي لذلك الى مجلس الحكام وموضع 179
فصل الخصام او نحوه من المجالس ومجامع الناس التي لو استدعي اليها مثله لم تأخر في صناعة الجدل لامتلأ
رعبا وانبهر دهشا حتى يذهب عنه بيانه ويتلجلج لسانه فكيف لا يتلجلج لسان العامي المسكين
الذي تنصرف الجبلة ولا الاكتساب ولا يكاد يفهم السؤال فضلا عن الجواب **فان قلت**
افتتركون اذا او فرشوهم منهم الضلال والفساد في عقائدهم **قلت** لا بل يشيرون ويعلمون
برفق وتدريج على الوجه الذي قدمنا ومتى بدا من احدهم فساد في اعتقاد اميل عنه برفق ما كان الرفق
في شيء الا زانه ولا باس ان ينادى عليهم ان تعلموا عقائدكم وتفقهوا في دينكم ثم ينصب لتعليم العلم من
الكيس بالكتب الذي يضع الهناء مواضع النقب فيه الناس صغار والعلم مثل كبار وبصاير كل على رتبة
واحظاره وبعد الاختبار يكون الاختيار من كفى منه بمسكة نظافة وفي مجتهد فاداه وفكرته ناهضة وفطنة
غير غايضة ادناه الى المضمار وادخله في حلبات اهل النظار ومن وجد فيه جمادا وفكرا جامدا
ابقاه على فطرته وتركه في غشاء غرته واغراه بالعبادات وتعمير الاوقات بسوابق الخيرات ففي ذلك
ارشاد له تنوير قلبه وتحصيل البغية من معرفة ربه ويكتفي منه بما ادرك من كلمات عقائد التوحيد
عن نظر او تقليد **وقد** من اشرأب منهم الى الاستدلال فليستدل له بالايات والاحاديث واقوال العلماء
وان احتيج الى الاستدلال العقلي فما توجه الا بقوي العوام وذلك ان يكون على طريقة اهل العرف من
تعقل الدليل بالنظر وتعقل النتيجة بالتبعات التي تحسب خاطر ولا تفصيل شاف كقول الاعرابي
البعرة تدل على البعير **و**كقولهم والصنعة تدل على الصانع فان هذا القدر كاف في النظر المطلوب
ومخرج من التقليد بالفعل **و**لا ينبغي ان يقدم البليد الى ميدان العقائد ويجشمه سلوك هذه الطرائق
وذلك لو صار احدهما اشتغاله بما لا يصل الى تحقيقه ولا يثبت على طريقه فاشتغاله بالبحث والنظر
180 تعب فيما لا يجديه وتضييع للعمر فيما لا يعنيه **و**في الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

قال عمرو بن معدي كرب

اذا لم تستطع شيئا فدعه ۞ وجاوزه الى ما تستطيع

الثالثة ان يتنازل العاقل الى الاحتياط والتوقف فالقناعة براس المال من طلب الربح هو الحزم اذ ربما توقع
مع طلب الربح ذهاب راس المال والربح وهكذا العامي المقلد مثلا هو في تقليده ناج على مذهب

Copyright © King

الجمهور من المقلدين المكتفين بالتقليد ولو اشتغل بالفكر مع جمود فكره خيف عليه من وسواس ومن الشيطان
ما يوقعه في أوهام لا خلاص فيها لصاحبها فيذهب عنه اليقين كله وإن زاد بحثه إلا تشويشا وضررا وبيان
ذلك أن الشيطان لعنه الله لما جبل على حسد ابن آدم صار منتصبا له بالوسواس وإيقاعه فيما يبعده
عن الله تعالى فهو يريد أن يقطعه عليه أو يحجبه عنه ويهجم عليه في ذلك بالوسوسة غاية جهده فمتى
كان سلوكه مثلا بالأسباب الدنيوية ومعاملة الله تعالى فيها بالورع وطلب الحلال وإقامة واجب
النفقة وصلة الرحم والصدقة ونحو ذلك فوسوسته هو أن يعسر عليه ذلك ليقع في المحرمات
والشبهات ويخل بالواجبات والتبرعات أو يخرج عن ذلك إلى مسلك لا يستقيم فيه
ومتى كان بالأعمال البدنية كالصلاة والعبادة مثلا فوسوسته في ذلك بإفساد الطهارة وإفساد
الصلاة والعثور عن ذلك والوقوع في المعاصي ونحو ذلك ومتى كان سلوكه في التبصر في العقائد
والبحث عن الذات والصفات فوسوسته كذلك بتعليم الشبه وإلقاء الأوهام المضلة وإطراء
الزائغة ليقع في البدعة الأصلية أو الكفر الصراح نعوذ بالله من الضلال وما من وسوسة في سائر
الطرق إلا وهو أسهل وأخف من الوسوسة في طريق العقائد فيما مر في سائر الطرق وغايتها المعصية
وغاية هذه الكفر والسقوط في مهوات المعاصي خير من السقوط في مهوات الكفر ومتى
كان الإنسان غير مشتغل بالعقائد يتكلم وأنه غائبا عن الوسواس فيها ولذلك كان اعتقاد العامي
غالبا كالطود الشامخ واعتقاد المباحث المتناظرين كالخيط المعلق في الهواء كما قال الإمام أبو حامد 101
رحمه الله تعالى وما ينبغي للإنسان أن يتصدى للبحث في العقائد حتى يعلم أنه قد أخذ لقتال العدو أهبة
وأعد له من جاهزية الزهد وممارسة القواعد عدة ولنضرب لك في هذا مثالا فيما يتضح به المراد ويذهب
الانتقاد وهو أن تعلم أنه لو رام أحد الإغارة على سرح أو غنم ونحوه أو اقتحام مدينة أو استيصال
عدو ودون ذلك المرام أعداء يصدون عنه ويمنعون منه فهو إن كان حازما عاقلا لا يشتغل بذلك
ولا يلقي نفسه حتى يأخذ أهبة ذلك من خيل الإغارة وسلاح القتال وأنصار الحماية والدفاع
ومجانيق للرمي وسلالم للتسلق ونحو ذلك ويكون ذلك كله على غرة من عدوه أن لم يكن عنده في منعه
وما دام لم يأخذ أهبة فالحزم أن يتغافل عن تلك المطالبة وأنه إن ظهر منه عدوه على إرادته قبل أن
يستعد فالعدو يجتهد في دفعه بالتحفظ والتحصن إن كان له بالعدو قوة وله عليه صولة فهو
فهو يطوى في مكانه ويستأصله قبل أن يتحرك فيكون هذا الآخر واستهواه بهيج الغي والتول

بالغنائم

بالغناء ليخرج عما هو فيه من الاشتغال وكان ذلك سبب حتفه وذهاب نفسه او ما عنده من الفوت ولو
تغافل عن العدو ولتغافل العدو عنه اذا كانت همة العدو انما هي الدفع وهكذا مسألتنا فالعامي
اذا انتشب في البحث كطلبة الحذاق الكمال قبل ان تكون له بصيرة وتمييز يخاف عليه ان يجتهد الشيطان عليه
بما يفتات اصل ايمانه والعياذ بالله قبل ان يصل الى المطلوب نسأل الله التوفيق والعصمة من كل تعويق
وهذا كله مع التزام كون العلم بالصفات كلها معتبرا في مسمى الايمان واما من لا يشترط فقد ذكرنا
فيما مر ان الايمان هو التصديق بما علم ضرورة مجيء الرسول به وقال في شرح المقاصد ما نصه فقد جعل
اي الايمان اسما للتصديق اعني تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة اي فيما
اشتهر كونه من الدين بحيث يعلمه العامة من غير افتقار الى نظر واستدلال كوحدة الصانع ووجوب
182 الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك ويكفي الاجمال فيما يلاحظ اجمالا ويشترط التفصيل فيما يلاحظ
تفصيلا حتى لو لم يصدق بوجوب الصلاة عند السؤال عنه وبحرمة الخمر عند السؤال عنه كان كافرا
وهذا هو المشهور وعليه الجمهور وقد يجعل اسما للمعرفة اعني معرفة ما ذكرنا وبيناه او معرفة
الله بوحدانيته وسائر ما يليق به وتنزيهه عما لا يليق به وهو مذهب الشيعة وجهم وابي الحسين
الصالحي من القدرية وقد يميل اليه الاشعري انتهى وقال ابن التلمساني قال اصحابنا والزبيدي به
مومنا وهو المكلف العالم ان يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا نظير له في
صفاته ولا شبيه له في افعاله وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ارسله بالهدى ودين الحق
وان كل ما اخبر به صدق انتهى ثم انظر هل يدخل في مسمى الايمان من الاعيان على التفصيل الا الوحدانية
وهي بحمد الله حاصلة بالضرورة للمومنين خاصهم وعامهم ونحوه للقاضي ابي بكر بن العربي في كتابه
المتوسط بعد ان ذكر ان الايمان لغة هو التصديق وعند الشرع قال واوقعه الشرع على تصديق خاص
قال ولما كان امرا باطنا لا يعلمه الا الباطن جعل عليه الشرع علامات يستدل بها عليه وقضى ان
بان لا يكون مومنا الا باستجماع اللسان في الاقرار به كاستجماع القلب في الاعتقاد له حتى يجمع بين
الاعتقاد والتعبير فالذي من العلامات التعبير الذي قلناه وهو الاقرار بانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فمن اعتقد ذلك بقلبه وعبر عنه كذلك بلسانه فهو مومن عند الله وعندنا ومن اخل بذلك بلسانه وخالفه
عقيدته فهو المنافق وقد ذهبت الكرامية الى انه مومن حقا وهذا اقصر من ان نتكلم عليه انتهى ملخصا
في بعضه وقال القاضي عياض انعقد الاجماع على تكفير من جحد ان الله عالم او متكلم وغير ذلك من صفاته

Copyright © King

الذاتية فإن جهل الصفة ولم ينفها كفر عند الكعبي وغيره وقيل لا يكفر وإليه رجع الأشعري بعد ما كان يكفره
وبعضده حديث القائل لبنيه إن قدر الله علي ليعذبني الحديث وفي رواية لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له
وحديث السوداء إذ لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله فقالت في السماء وأن النبي صلى 183
الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير قال ولو كشف أكثر الناس على الصفات لم يعلمها انتهى
ومراده بالصفات الذاتية الأحكام والأسماء المعنوية منها وهو العالم والقادر ونحوهما لأنها مثل
من أحد المجمع على كفر جاحده وأما العلم نفسه والقدرة ونحوهما ففي نفيها بعد الاعتراف بالأحكام ب جاحده
وهو مذهب القدرية قولان التكفير وعدمه وقال القرافي في القواعد عند ذكره أقسام الجهل
القسم الخامس جهل تعلق الصفات لا الصفات كتعلق إرادة الله تعالى بتخصيص جميع الممكنات
وهو مذهب أهل السنة أو لم تتعلق بأفعال الحيوانات وهو مذهب المعتزلة وفي تكفيرهم بذلك
للعلماء قولان والصحيح عدم تكفيرهم انتهى قلت وهذا مع جراءتهم ونزاعهم فيه فمن
غفل عن ذلك أو جهله جهلا بسيطا يكون أمره أخف ثم قال القسم السادس جهل ما يتعلق بالذات لا بصفة
من الصفات مع الاعتراف بوجودها كالجهل بنفي الجسمية والجهة والمكان وهو مذهب الحشوية
ومذهب أهل الحق استحالة جميع ذلك على الله تعالى وفي تكفير الحشوية بذلك قولان الصحيح
عدم التكفير انتهى ثم قال القسم السابع الجهل بقدم الصفات لا بوجودها وتعلقها كقول الكرامية
بحدوث الإرادة ونحوها وفي التكفير أيضا بذلك قولان والصحيح عدم التكفير انتهى وإنما ذكرنا هذه
الأقسام ليعلم المتصدي للعوام ما يلزمهم به الكفر مما لا وذلك بعد أن يحرر عنده ما انطوت عليه
ضمائرهم وذلك في غاية العسر فالحكم عليهم بالجهل وبالكفر لا قول وهذا خطر عظيم وقد قال ابن رشد
رضي الله عنه في حق أهل البدع الذين رأى وأما الغلاة من الرافضة والطائفة الواضحة وجادلوا
عليها أن الأحوط ترك تكفيرهم وأن الكفر خصلة واحدة وهي الجهل بالله تعالى وأن ترك ألف كافر في سواد
المسلمين أسهل من سفك محجمة من دم مسلم وقال الأرموي في تلخيص المحصل عند قول الإمام الكفر ف
عبارة عن إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به إلى ما نصه أقول هذا مبني على ما مضى من حصر 184
الإيمان وهو الأقرب إلى الاحتياط من قول أبيه فإن في تكفير المسلمين خطرا انتهى فما بالك بمن لم يرد
بما يريد به ولا يرى إنكار شيء مما تقول ويرميه بالكفر بمجرد التلجلج لسانه مع عدم تفوهه بما في قلبه
في حالة عكسية وهو في جملة أهل العذر بعد ما تقرر وجاء الحال يفهم منه الكفر إلا بعد ظهور الأمرية ف
فيه

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات
King Saud University

فيه ملك لحال نفسه وقد وقع لابن رشد رحمه الله تعالى الحكم للعامة بأن يحمل أمرهم في هذا الأمر والله
الموفق وما الواجب على من انتصب لنصح المسلمين وإرشادهم في هذا الباب أن ينبههم على وجوب ما لا غنى عن
اعتقاده في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم السلام ونحو ذلك ببيان وإيضاح ورفق واستصلاح من
غير تعنيف ولا تفتيش عما لم يظهر من أحد فساد في إرشاده وإعلامه أو يشعر منه جدال أو عناد فيجب إلزامه
وإرغامه فإن التحكم على قلوب الناس والتفتيش عن ضمائرهم خطر قبيح وجهل صريح كيف وقد نهي عنه قال
صلى الله عليه وسلم لأسامة رضي الله عنه هلا شققت عن قلبه وحسبه من فخ أنه لم يمض عليه عمل
السلف ولا درج عليه الخلف أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يقبل الظاهر على الناس وفيه بيان
بأنه تعالى من الكمال وكذا الصحابة وما كانوا يفتشون عن قلب أحد ولا يتبصرون لاختبار ما أضمره من
لا اعتقاد حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع شدته في ذات الله وكان يتعسف الأسواق وربما
تعسف الربانيين أو لما يعلم ما عسى أن يقع من الناس من شرب الخمر ونحوه ما علم ما عنده أنه تعسف
قلوب الناس وانتصر لتغييرها عسى أن يكون فيه من سوء بل الحق وما من سير الصحابة رضي الله عنهم
أنهم كانوا يتبينون من بحث السؤال عن مشكلات العقائد ونحوها حجة وكذا من بعدهم من أئمة المسلمين
وانظر انتصار أبي بكر رضي الله عنه للزهد عن العذر وقوله له لو كنت تقدمت إليك في هذا لجدعت
أنفك أو نحو هذا الكلام ثم صعد خطيبا فقال يا أيها الناس استحيوا من الله فإني لأذهب إلى الخلاء
فأظل مقنعا رأسي بردائي حياء من ربي فلينظر من لا جل هذا الحياء الذي طلبه الصديق رضي
الله عنه قال بعض أئمة الدين يجب على أهل الكلام أنهم يتمثلون بأسماء الله تعالى ومدلولاته هذا الإمام
حوم بها لا ترعوا الظن وربه الموذكر الله تعالى فيه وصفا واستدلالا وما الجرد العبد الخسيس أن لا يزال
مكن فاضطر تلك مهموتا سير بسيره ملك الملوك العظيم الجليل الجبار الكبير المتعال المنزه عن
مشاكلة الأشكال ومماثلة الأمثال وكا انتجاسر أن يجري اسم مولاه الرفيع على لسانه لا بأمر من
مولاه لا يتجاوزه وقال الشاعر

وإياك واسم العامرية إنني ... أغار عليها من فم المتكلم

حكى القشيري عن الكتاني قال الواو ان ذكر يعرض على ما ذكرته إجلالا له مثلي يذكره ولم يغسل فمه
بألف توبة مستقبلة عن ذكره انتهى ومنها أنه هل يكفي التقليد في مضمون الكلمة المشرفة
من الوحدانية وغير ذلك من العقائد أم لا فيه خلاف ذهب كثير من المتكلمين إلى أنه لا يكفي وأنه لا بد

قف. ما الواجب على من انتصب لنصح المسلمين الخ

قف وكذا الصحابة رضي الله عنهم الخ

قف هل يكفي التقليد الخ

Copyright © King

في كل عقيدة من عقائد الايمان ارتفع عن المكلف بها ربقة سواء كان اجماليا او تفصيليا وقالوا ان هذا
فرض عين على كل مكلف ويجب ذلك على الكفاية بالتفصيل وقيل في المقلد ثلاثة اقوال احدها
انه كافر اذ لا معرفة عنده بناء على ان الايمان هو المعرفة وحديثا التعصب التابع لها لما مر وان المعرفة
هي الجزم المطابق عن ضرورة او برهان والمقلد لا برهان معه وليس الجزم الحاصل ضرورة وقيل هو مومن
عاص بترك النظر وقيل ان مضى له بعد البلوغ زمان يمكن فيه النظر وذهب اخرون من المتكلمين
وجمهور المحدثين وغيرهم الى ان التقليد يكفي وحقيقته ان يجزم بما سمع من ائمة الدين من الحق جزما
مفيدا لا اضطراب فيه ولا تردد وان عرف ادلته لكن من الكتاب والسنة كان احرى بالصحة ولا سيما ما لا
تتوقف عليه المعجزة من العقائد قلت وهذا هو الصواب ان شاء الله تعالى لان
المطلوب انما هو اعتقاد الحق وقد حصل ولو سلم ان المطلوب كونه على بصيرة مما لا تعذر فيقول
ان ذلك حاصل ايضا لانا نقول معنى كونه على بصيرة ان يعتقد الحق مع العلم بانه حق بحيث لا يكون
من الكافرين والحاسرين ولا شك ان العلم بانه حق حاصل من العلم بصدق من جاء به لان العلم بصدق
محمد صلى الله عليه وسلم وصحة دين الاسلام وصدق العلماء المفسرين والمبلغين اليه ضروري في جميع
الملة المحمدية بل وفي كثير من غيرها من الكفرة الجاحدين وليس هذا موضع بسط هذه المسئلة
والاحتجاج لها والله المستعان

الفصل السابع

في ثمرة هذه الكلمة ونعني بالثمرة ما يحصل لذاكرها من الفوائد واعلم ان ذاكرها اما ان يكون قلبه
مواطئا للسانه وهو المومن او غير مواطئ وهو المنافق الذي يجريها على اللسان ويضمر الكفر دون
الايمان والمومن اما ان يكون من اهل النظر والبرهان وشرح الصدور وهم خواص المومنين المعروفين باهل الذكر
واما ان يكون من اهل التصديق المجرد اما تقليدا او استدلالا وهم عوام المومنين فاما من كان من
الخواص فلم نتعرض له في هذا المختصر لان غرضنا الان ما يتعلق بالكلمة من حيث معناها الظاهر لاهل
الظاهر وسنلم ان شاء الله بعد هذا بشيء مما يحصل عليه من الفوائد بالخصوص واما من كان من
عوام المومنين فانه يحصل له بمجرد ذكر هذه الكلمة المحترمة مع اعتقاد الايمان بالله تعالى ورسوله
فائدتان عظيمتان احداهما دنيوية والاخرى اخروية اما الدنيوية فهي مجموع فوائد متعددة فمنها
عصمة دمه وماله وعرضه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ودفع ارتكاب ذلك ومناكحته
وموارثته الى غير ذلك مما لا يكاد يعرف قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا

وهذا هو الصواب
١٤٦

الا

لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال صلى الله
عليه وسلم في خطبة المسلمين ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم الى غير ذلك 187
مما يكثر واما الاخروية فدخول الجنة والفوز من النار ودوام رضوان الله وناهيك بها ثمرة جليلة لا يمنحها الا اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله مفتاح الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات
وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله تعالى وروي لا اله الا الله ثمن الجنة وفي السنة كثير من هذا النمط ان شاء الله في
بيان فضلها في كونها سببا لدخول الجنة لا ينافي ان تكون موقوفة على شرط او على شيء اخر تتم به سببيتها
على ما هو في الاعمال من انها شرط او اركان وذكر الشيخ عبد العظيم المنذري الاحاديث الواردة في هذا (ع جزء او)
الباب مثل ما مر ومثل حديث معاذ رضي الله عنه انه كان رديفا للنبي صلى الله عليه وسلم على الرحل
فقال صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل فقال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من احد يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صادقا من قلبه الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله افلا اخبر
به الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا واخبر بها معاذ عند موته تأثما اي تحرجا من الاثم بالكتمان ثم قال
المنذري ما نصه وقد ذهب طوائف من اساطين اهل العلم الى ان مثل هذه الاطلاقات التي وردت فيمن
قال لا اله الا الله دخل الجنة او حرم الله عليه النار او نحو ذلك انما كان ذلك في ابتداء الاسلام حين
(ف حين كانت الدعوة الى مجرد الاقرار بالتوحيد اهـ)
كانت الدعوة الى مجرد الاقرار بالتوحيد فلما فرضت الفرائض وحدت الحدود نسخ ذلك والدلائل على
هذا كثيرة متظاهرة وقد تقدم غير ما حديث يدل على ذلك في كتاب الصلاة والزكاة والصيام
والحج وتاتي احاديث اخر متفرقة ان شاء الله والى هذا القول ذهب الضحاك والزهري وسفيان
الثوري وغيرهم وقالت طائفة اخرى لا احتياج الى ادعاء النسخ في ذلك فان كل ما هو من اركان الدين 188
وفرائض الاسلام هو من لوازم الاقرار بالشهادتين وتتماته فاذا اقر ثم امتنع عن شيء من الفرائض
جحدا او تهاونا على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر وعدم دخول الجنة وهذا القول ايضا
قريب وقالت طائفة التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار بشرط ان
ياتي بالفرائض ويجتنب الكبائر فان لم يات بالفرائض ولم يجتنب الكبائر لم ينفعه التلفظ بكلمة
التوحيد من النار وهذا قريب مما قبله او هو هو وقد بسطنا الكلام على هذا والخلاف فيه

Copyright © King

في غير ما موضع من كتبنا والله سبحانه اعلم انتهى قلت والجواب الثاني فيه نظر لان تارك الفرائض
قد يتهاون بالدين حتى يكفر بالكسل وتحيلا على الله تعالى ولا يكفر هذا عند جماهير العلماء
والتعويل على الجواب الاول والاصل المشترطية تحمل الجواب الثالث وانا اقول ان الاحاديث من قالها
دخل الجنة او انها ثمن الجنة او مفتاح الجنة او نحو ذلك ان قرنت بكلمة من جاء اخيرا لا اشكال
فيه وهو ان يقال دخول الجنة صادق بالدخول ابتداء وبالدخول بعد نفوذ الوعيد فالمراد ان من قال
لا اله الا الله صادقا من قلبه فهو من اهل الجنة لا محالة اما ابتداء واما بعد حين ولا يحرم الجنة بالخلود
في النار اذ لا يخلد في النار الا الكافر وتكون هذه الاحاديث مبشرة بان العاصي المومن لا يخلد في النار
وليس فسقه يسلبه ايمانه ولا يوجب خلوده في النار وبهذه الاحاديث يقع الرد على الخوارج
والمعتزلة فلا يبقى اشكال واما حديث من قالها حرم الله جسده على النار فهو المحتاج الى الاجوبة
السابقة ونحو ما يسلك به هذا المسلك من التاويل ايضا مع ما فيه من البعد ان يقال حرم الله جسده
على النار ان يحترق منه على الدوام كاحتراق اجساد الكفرة وهو الخلود الذي ذكرنا وربما استظهر بنحو
هذه الاحاديث من ذهب من العلماء الى ان الموحدين من المومنين لا تعدو عليهم النار بالاحراق وانما
يعذبون فيها او يلقى عليهم شبه النوم او نحو ذلك مما وقع من الخبط في ذلك المحل والله اعلم بغيبه
واما المنافقون الذين ينطقون ولا يفهمون الايمان ويكون في الظاهر مومنا وفي الباطن كافرا فانه تحصل له
العاجلة لا الولاية الدنيوية فيعصم بهذه الكلمة دمه وماله الا بحقها وغير ذلك من فوائد هذه الدنيوية
لانه مومن الظاهر فتطرد عليه الادلة السابقة في المومن واما الفائدة الاخروية فلا تحصل له
فلا يدخل الجنة بل هو في النار خالدا فيها وفي الدرك الاسفل منها قال تعالى ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين
الى قوله ولهم عذاب اليم ولا شك انه قد نطق بكلمة لا اله الا الله الا انه لما كان منتفيا عنده
لسانه وهو الظاهر الذي يدرك الناس اعطي حكمه ايضا في الظاهر وذلك في امور الدنيا ما لم
يتبين نفاقه ولما لم تكن عنده في قلبه وهو الباطن الغائب عن الناس لم يتبين حكمها في الغائب من امور
الاخرة فقد ظهرت حكمة الله تعالى في الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن فمن عامل الله ظاهرا وباطنا
جازاه الله ظاهرا وباطنا وذلك المومن المخلص ومن عامله ظاهرا فقط فقد جازاه ظاهرا فقط
وذلك المنافق وعكسه المعاملة في الباطن فقط وذلك الذين لا ينطقون بالشهادة فيعامله

الله

ولا يكفر هذا عند
جماهير العلماء

اذ لا يخلد في النار
... الكافر الخ

او يلقى عليهم شبه النوم

من عامل الله ظاهرا وباطنا
... الله ظاهرا وباطنا الخ

King Saud University

الله في الدار الآخرة معاملة المومنين على ما هم فيه من التفصيل ولا يعاملهم في الدنيا بذلك والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

المقصد الثالث في تبيان ما في هذه الكلمة من المقاصد
وهو منتهى أهل الطرائق والمعارف

اعلم أن الكلمة المشرفة يتعلق بها للناظر مباحث المبحث الأول بيان مدلول لفظها من التوحيد الثاني ذكر المنطوق به الثالث اعتقاد ذلك المدلول وعلى هذه الثلاثة تكلمنا في المقصد الأول إذ أنا تعرضنا ١٩٥
لتفسير الكلمة وذلك هو بيان مدلولها وتعرضنا لحكمها وذلك هو ذكر المنطوق وتعرضنا للإيمان وحقيقته شرعا وذلك هو ذكر اعتقاد مدلولها وبقي من هذه الكلمة مبحثان آخران أحدهما ذكر جميع ما يحتمله اللفظ لغة أو عرفا في النفي والإثبات زائدا على ما مر من الانفراد بالألوهية واستحقاق العبادة الثاني تمكن ذلك التوحيد المعتقد من القلب تمكنا زائدا على مجرد الاعتقاد بحيث يكون حالا له غالبا عليه حتى تتبعه الجوارح كلها عليه ويسعى العبد في تتميمه على مقتضاه ولهذين المبحثين وضعنا هذا المقصد الثالث نسأل الله سبحانه أن يرزقنا الفهم منه والأخذ عنه واعلم أن مشترك المقصد الأول والثاني الحاصل منه علم مكتسب من استنارة دليله واتضاح سبيله وبالدعوة إليه بعثت الرسل وتوالت عليه علماء الملة ثم كان له مرتبتان أعلاهما الدليل والبرهان وأدناهما التصميم والإذعان وأما المقصد الثالث فالحاصل منه على ما أشرنا إليه علم موهوب مخصوص بخصوص من جميع المومنين يعتقدون انفراد الله تعالى بالألوهية وخواصهم من استحقاق العبادة والإيجاد والإعدام والنفع والضر ونحو ذلك ولم يحصل لجميعهم اليقين في هذا الأمر حتى أنهم يرجون ويخافون غير الله تعالى ويستندون إلى الأسباب والوسائط على غير أدب متجاوزين الحد المطلوب فلا اعتقاد لهم صحيح والعمل والتصرف عمل مشترك وأما خصوص المومنين الذين حصل لهم اليقين وغلب على قلوبهم التوحيد بحيث يسعون بظواهرهم على مقتضى بواطنهم فلا يرجون إلا الله ولا يخافون إلا إياه ولا يتوكلون إلا عليه ولا يلتفتون بهممهم إلا إليه قلوبهم معصومة عن الأغيار مسلمة من المنازعة والاختيار ولهذا أيضا مرتبتان أعلاهما الفيض الرباني والموهبة المحضة كما هو حال المجذوبين والثانية التعرض مع الاستعداد بالمجاهدة ومراومة الذكر وصدق التوجه وغير ذلك مما هو حال السالكين وبالجملة فالمومن الذاكر للكلمة يحصل له أمران أما الأول أعني المكتسب فيكون إما بأدلة معهودة وأقيسة

Copyright © King

معلومة وهو حال المستدلين بالصنعة على الصانع واما بمحض التقليد للشرع وهو حال اصحاب العوام
واما الثالثة اعني الموهوب فيكون اما مع الاستعداد السابق كما هو حال السالكين او بدونه كما هو
حال المجذوبين وكل ذلك بالحقيقة موهوب من الملك الوهاب لانه تعالى الواهب للاسباب والمسببات ولا
تاثير للعبد ولا لعقله وفكرته ولا لمجاهدته وخدمته وقد انقسم المريد الى قسمين مجذوب وسالك
اما المجذوب فلا يتعرض له في هذا لانه لا حكم يجري عليه ولا يطلب منه ما دام كذلك واما السالك فمحل
الخطاب والمطلوب بالسلوك والآداب والذكر هو عنوانه وميزانه الذي يوزن فيه قصب السبق ومشرب
الذين اصطفتهم الذوق وقد علم ان كلمة لا اله الا الله خاص بعض الذكر بل هي افضل الذكر ففي الحديث من رواية
جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله فلاجل هذا نحتاج الى مقدمة لهذا المختصر في ماهية الذكر من حيث هو وقع ذكر التهليل
فيه عموما وفي لا اله الا الله خصوصا فجزأ ثلاثة فصول **الفصل الاول**

مقدمة المختصر الثانية تحتوي على ثلاثة فصول

في بيان حقيقة الذكر اعلم ان الذكر في اللغة هو ضد النسيان فهو حضور الشيء وحضور الشيء بالبال
قال عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تخضب بالدم

ويطلق ايضا على اجراء المذكور على اللسان قال عنترة ايضا

لا تذكري مهري وما اطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

وهو اخبار فقد يكون تعظيما وقد يكون بوصف اما مدح واما ذم ولذلك كثيرا ما يطلق الذكر ويراد به
المدح والثناء لكثرة استعماله ويطلق الذكر على الشرف والنباهة لان ذلك سبب الذكر واما الذكر
المامور به شرعا فهو الثناء عليه تعالى والطاعة له والعبادة كلها قال صاحب الكشاف في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر الله علم كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال
على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر انتهى وهكذا عند غيره ولارباب القلوب في الذكر
عبارات متفاوتة قال في الرسالة سبيل الواصلين عن الذكر قيل الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء

المشاهدة

المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب انتهى وقال صاحب مفتاح الفلاح الذكر هو التخلص من الغفلة
والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر
الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر
رسله وأنبيائه وأوليائه أو من انتسب إليه أو تقرب منه بوجه من الوجوه أو سبب من الأسباب أو فعل
من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية فالمتكلم ذاكر والفقيه ذاكر والمدرس
ذاكر والمفتي ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وآياته في أرضه
وسماواته ذاكر والممتثل ما أمر الله به أو نهى عنه ذاكر قال والذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان
وقد يكون بأعضاء الإنسان وقد يكون بالأعمال في الأعمار والجامع لذلك كله ذاكر كامل انتهى وقد تبين
لك من كلامه أن كل طاعة لله تعالى هو ذكر وأن المؤمن الموصوف ذاكر لله تعالى على كل أحيانه ومعنى ذلك
أن الذكر كما مر هو ضد النسيان فكل من عمل طاعة من قول أو فعل أو ترك فما عملها إلا وقد ذكر الله إذ لو نسيه
ما عملها إلا أن الله تعالى هو الذي حمله عليها بأمره ونهيه ولذلك وقع في كلام عمر رضي الله عنه قوله
وأفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه أي يذكر الله عند كل فعل هل أمره به تعالى فيقدم عليه
أو نهاه عنه فينتهي وكذا يذكر الله أي وعده ووعيده عند سماع الأمر والنهي فيأتمر وينتهي وهذا كله
في قلبه وبذا تعلم أن الذكر على الحقيقة هو ما في القلب وأما ما يبدو من الأفعال والأقوال فهي مظاهره
وترجمة تنشأ عنه ويتقوى بها وتتقوى به وشرح ذلك أن التوحيد مثلا إذا حل في الصدر اعتقادا وتصديقا
ثم عبر عنه اللسان بالشهادتين وعلى سائر الجوارح بالطاعات ثم إن سائر التوحيد وأمثاله من الأقوال
والأفعال يتقوى القلب بها وذلك بوجهين أحدهما أنه كلما عمل طاعة نشأ عنها نور بحكمة الله
وفضله إلى القلب فيتقوى به ويتقوى الثاني أنه بالدؤوب على الطاعات واجتناب المخالفات
تنغلق مجاري الشيطان وتنحسم مواد النفس وتنقطع تغذيتها وتقوية هواها وفي ذلك ضعف
النفس والهوى فيتقوى الروح والعقل بإذن الله حتى يتمكن فيه الحقيقة وترسخ ويتطهر من الخبث
ويمتلئ نورا فعند ذلك تنبسط أنواره على الجوارح فتسرع في طاعة الله وتنشط إلى الخير غير
كزة ولا متوانية كما في الخبر إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد الحديث فانظر كيف يستمد
القلب من الجوارح في الابتداء وتستمد منه في الانتهاء وإياك أن تستغرب هذا أو تتوهم أن هنا دورا فقد
أبان الله تعالى لك من هذا أمثلة كثيرة محسوسة تشاهدها من ذلك أن الرجل لو قام لطلب الملك

قف والذكر قد يكون باللسان الخ

قف أن التوحيد مثلا إذا حل في الصدر الخ

Copyright © King

والرياسة على الناس فمنهم من يقوم وحده لما ناصره ومنهم لما ماله ومنهم لما منعته له ثم يستعين بالناس
فمنهم يستعين به من أسباب من المطامع سابغة ومخايل النفع لائحة فيعينونه بالأموال والقوة والعشيرة
ما يؤل إلى ذلك حتى يتم له أمره ويتقوى في ملكه فعند ذلك ينعكس الأمر ويصير الناس حوله رعايا
يلجئون إليه من جهة ويستعينون بماله ويستمتعون بجاهه وقد أصبح يومئذ مليا وهم الفقراء وعزيزا وهم
أذلاء ومتبوعا وهم التابعون وأصبح سماء يحميهم ان طلبوا امتحان الحزن الحكيم وإن أردت أن تقف
على هذه الحقائق فعليك بكتب القوم فإن ما أشرنا إليه إشارة وفي البغية للإمام الساحلي رحمه الله
بيان لهذا المعنى قال رحمه الله ما معناه اعلم أن الذكر لغة هو ضد النسيان وحقيقته من الشرع هو قيام
معنى التوحيد في النفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه وهذه الحقيقة هي المطلوب من جميع العباد
وقيام معناها بالنفس قد يقوى وقد يضعف بحسب الوسائل التي تمهدها وبحسب البداية والنهاية
أما في البداية فيقوم لاتصاف بحقيقة الذكر على النفس وقتا دون وقت والحقيقة إذ ذاك تستمد من
الوسائل وأما في النهاية فتثبت حقيقة الذكر في النفس وتقوم صفة لها لا تنفك عنها فإنه إذ ذاك تستمد
الوسائل من الحقيقة والوسائل التي تستمد منها هذه الحقيقة مختلفة فمنها الباطن ومنها الظاهر ومنها
القريب ومنها البعيد أما الباطنة فكأعمال الجوارح وبعضها فيما يجري الفكر بما يحرك النفس للاتصاف
بتلك الحقيقة من أعمال الظاهرة كتحريك اللسان باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته أو غير ذلك
مما يجر إلى اتصاف النفس من قريب أو بعيد قال وكذلك سميت الوسائل بحقيقة الذكر ذكرا بنوع من
المجاز والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب انتهى الغرض منه ملخصا وسنتكلم في
أنواع الذكر وبقية مباحثه إن شاء الله عند التعرض لثمرته في الخاتمة والله المستعان

الفصل الثاني في فضل الذكر والترغيب فيه على الجملة

قال تعالى ولذكر
الله أكبر وقال تعالى فاذكروني أذكركم وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى إن المسلمين الآيات
والمسلمات إلى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية إلى غير ذلك من الآيات وهي
كثيرة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي الأحاديث
بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم
وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة

وهذا

King Saud University

وهذا حديث صحيح وعنه صلى الله عليه وسلم قال الله جل ذكره اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في ملأ
من ملائكتي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في الملأ الاعلى وعنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول
انا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله
ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فاخبرني بشيء اتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله وعن معاذ بن
جبل رضي الله عنه قال ان آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلت اي الاعمال احب قال
ان تموت ولسانك رطبا من ذكر الله وعنه صلى الله عليه وسلم قال الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند
مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم
ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله وعنه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء صقالة وان صقالة
القلوب ذكر الله وما من شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولو ان يضرب
بسيفه حتى ينقطع وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول
الله قال الذاكرون الله كثيرا قال النووي روي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والمشهور الذي قاله
الجمهور التشديد وفي رواية الترمذي قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع
الذكر عنهم اثقالهم فياتون الله يوم القيامة خفافا قال الشيخ عبد العظيم المنذري المفردون بفتح الفاء
وكسر الراء والمستهترون بفتح التاء بين المثناتين فوق هم المولعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل
فيهم وما فعل بهم وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله
كان الذاكر لله افضل وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم وليلة الا ولله عز وجل فيه صدقة
يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد افضل من ان يلهمه ذكره وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه قال المنذري
خطمه بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة هو فمه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير الا تحسر عليها يوم القيامة واعلم ان الاحاديث الواردة في
الاثار
هذا المعنى اكثر من ان تحصر وفي بعض ما ذكرناه كفاية ومن كلام ائمة الدين سلفا وخلفا ومشايخ
الهدى في هذا المعنى ايضا ما لا يحصى روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قيل له ان رجلا اعتق مائة
نسمة فقال ان مائة نسمة من مال رجل لكثير وافضل من ذلك ايمان بالليل والنهار وان لا يزال لسان احدكم رطبا
من ذكر الله وقال كعب الاحبار رضي الله عنه ذكر الله في غفلة الشيطان كالآكلة في جنب ابن آدم

وقال الفضيل الذاكر ناعم غانم سالم ناعم بالذكر غانم بالاجر سالم من الوزر وخرج ابو هريرة رضي الله عنه
الى السوق فقال اراكم هاهنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فتسارع الناس الى المسجد
وتركوا السوق فلم يروا شيئا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم فقال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون
الله تعالى ويقرءون القرءان فقال ذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن دينار قرات في التوراة
ايها الصديقون تنعموا في ذكري في الدنيا فانه لكم في الدنيا نعيم وفي الاخرة جزاء وقال القشيري رحمه الله
تعالى سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطي المنشور
ومن سلب الذكر فقد عزل ومثل هذا من كلام السلف والخلف اكثر من ان يحصى وسياتي لهذا مزيد بعد ان
شاء الله تعالى وهنالك نذكر فضل اهل الذكر ايضا وما ورد في فضلهم والله المستعان

الفصل الثالث في فضل لا اله الا الله خصوصا وهو مقصودنا من

هذا الموضوع وانما ذكرنا ما قبل هذا الا ليكون فضل الذكر على الاطلاق وفضلها اذ هي اشرف الذكر كما هو ولما
في ذلك من الامتاع بتمام الفائدة اما ادلة الترغيب في الكلمة المشرفة من القرءان فكثيرة قال تعالى فاعلم ادلة الكتاب
انه لا اله الا الله وقال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال تعالى الله لا اله الا هو
الحي القيوم وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم الى غير ذلك من الاي واما من السنة ففي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ادلة السنة
قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسالني عن هذا الحديث احد اول منك لما رايت من حرصك على الحديث
اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه او نفسه وعن يعلى ... اسعد الناس
ابن شداد قال حدثني ابي شداد بن اوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند النبي صلى ... بشفاعته يوم القيامة
الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعني اهل الكتاب فقلنا لا يا رسول الله فامر بغلق الابواب
وقال ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتني
بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال الا ابشروا فان الله
قد غفر لكم ذكره في الترغيب عن الامام احمد والطبراني وغيرهما وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا ايمانكم قيل يا رسول الله وكيف نجدد ايماننا قال اكثروا
من قول لا اله الا الله وفيه ايضا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها

عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك الا حرم على النار لا اله الا الله وفيه ايضا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكثروا من شهادة ان لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها وفيه ايضا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة لا اله الا الله وفيه ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من عبد قال لا اله الا الله في ساعة من ليل او نهار الا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن
الى مثلها من الحسنات وفيه ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تبارك
وتعالى عمودا من نور بين يدي العرش فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله
تبارك وتعالى اسكن فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول اني قد غفرت له فيسكن عند ذلك
قال راويه الحديث وهو غريب وفيه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التسبيح نصف
الميزان والحمد لله تملاه ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه وفيه ايضا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يستخلص رجلا من امته على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر
عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول الملك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بل ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم
عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء ويكفي في فضلها ما ورد
من قوله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقوله صلى الله
عليه وسلم ان افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقوله صلى الله عليه وسلم الايمان
بضع وسبعون او بضع وستون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحديث ومن كتاب العوارف التامة عن علي بن الحسين رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اخبرني جبريل عليه السلام ان لا اله الا الله انس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من
قبره يا محمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم هذا يقول لا اله الا الله
فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فيسود وجهه وفيه ايضا عن
ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة
عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم

يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وفيه أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله
خرج من فيه كالطائر الأخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت يعرج إلى السماء فيسمع له دوي كدوي
النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى يغفر لصاحبي فيغفر لقائلها ثم يجعل لذلك الطائر سبعون لسانا
يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة قال وزاد بعضهم فإذا كان يوم القيامة جاء فأخذ بيد صاحبه حتى
يكون قائده ودليله إلى الجنة وفيه أيضا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال من قال لا إله إلا الله
خالصا من قلبه ومد بها صوته تعظيما يغفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل له فإن لم يكن له أربعة آلاف
ذنب من الكبائر قال يغفر من ذنوب أهله وجيرانه وفيه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن
العبد إذا قال لا إله إلا الله تسلم فيستكملها حتى تخر ساجدة بين يدي الله تعالى فيقول لها ارفعي رأسك
فقد غفرت لقائلك واعلم أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ولحسان يرجعها بأن نهاية استشهاد
بعضها ما فيه الكفاية وفيما فيه منها عشر ذكره الأعمش وتمامها إن شاء الله تعالى وفي مصباح
الفلاح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يفتح الله أبواب الجنة وينادي
مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم لمن أنت فتنادي الجنة وما فيها نحن لأهل
لا إله إلا الله ونحن مشتاقون إلى أهل لا إله إلا الله ولا يدخلنا إلا أهل لا إله إلا الله ونحن محرمون
على من لا يقول لا إله إلا الله ولم يؤمن بلا إله إلا الله وعند هذا يقول النار وكل ما فيها من العذاب
لمن أنت فتقول لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله ولا أنا حرام
على من قال لا إله إلا الله ولا أمتلئ إلا ممن جحد لا إله إلا الله وليس غيظي إلا على من أنكر لا إله إلا الله
قال فتجيء رحمة الله ومغفرته ويقولان أنا لأهل لا إله إلا الله وناصر لمن قال لا إله إلا الله ومحبة
لمن قال لا إله إلا الله ومتفضلة على من قال لا إله إلا الله ويقول الله تعالى أبيحت الجنة لمن قال لا إله
إلا الله وحرمت النار على من قال لا إله إلا الله وأغفر كل ذنب لمن قال لا إله إلا الله فلا أحجب رحمة
ولا مغفرة عمن قال لا إله إلا الله وما خلقت الجنة إلا لأهل لا إله إلا الله ولا تطأ إلا أهل
لا إله إلا الله لا أبا بأبو أبو لا إله إلا الله ولنكتف بهذا القدر ففيه إن شاء الله الغنية
وغاية المنية ولنشرع فيما نحن بصدده من تفسير هذه الكلمة على لسان العارفين
ونظار أهل الباطن من الموحدين وذكر تمكن معناها في القلب ورسوخه فيه فها هنا مطلبان
المطلب الأول في تفسير معناها قال في مصباح الفلاح ذكر العارفون في تفسير

King Saud University

لا إله إلا الله وجوها أحدها قال ابن عباس لا إله إلا الله معناها لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطي ولا مانع إلا الله ثانيها لا إله يرجى فضله ويخاف عقابه ويؤمن جوره ويؤكل رزقه ويقضي أمره ويقبل عفوه ولا يرتكب نهيه ولا يحرم فضله إلا الله فقال وأيضا لا إله إلا الله إشارة إلى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتشمير إلى الملك الجبار إذا قال العبد لا إله إلا الله فمعناه لا إله له الأسماء والصفات والتعالي والبقاء والعظمة والثناء والنعم والفناء والسخط والرضا إلا الله الظاهر في العالمين خالق الأولين والآخرين ومالك يوم الدين انتهى الغرض منه

ولا بد لنا من شرح هذه الجملة وبسط هذا المعنى بعون الله تعالى وإرادته ولسنا نتكلم في هذا الآن بحسب ما انتهى إليه نظرنا مما على الحقائق السابقة وجريا على الطريقة العلمية النظرية متبرئين من الحول والقوة غير معتمدين في ذلك ذوقا ولا تقليدا بالمقامات التي عسى أن نخرج من الألفاظ ونتجلى في منصات العبارات ونعوذ بالله أن نتعدى طورنا ونتبع ما ليس لنا وإنما نحن خائضون بحسب العلوم الرسمية من ما حققنا من الدلالات اللغوية والمدارك العقلية والمواقف الشرعية فإن وافقنا ما يجري العارف في قلبه رمية لنا من غير رام فذلك غاية المرام والحمد في ذلك والمنة لله الملك العلام وإن زلت الأقدام وكاشفت السهام فذلك من زلة الوهم وسفاهته وفرط شتات الدهر مرتبا عنه نوع الزهو متشوفين إلى ذلك المضمار ولا بد منا تلك الأنوار ومارقين كل موهم مشغوفين بذلك الجمال وهو مغرى بطلب الكمال وما نحن في ذلك إلا كما قال الخويي عامر

فكان على أنيابها الخمر شجها ... بماء الندى من آخر الليل غابق

وما ذقته إلا بعيني تفرسا ... كما شيم في أعلى السحابة بارق

فنقول إن تابع هذا المقام مصطلحا **المسلك الأول** أن نلاحظ تقسيم الكلمة بمعناها السابق في المفصل الأول إن المنفي عن غير الله تعالى والمثبت له هو الإله الحق ثم ننظر في الإله الحق فنجده على ما مر في بيان الاشتقاق هو المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه وإن ذلك يقتضي أنه متصف بكل أوصاف الكمال ومنزه عن كل أوصاف النقصان فنعلم أن هذه الكلمة المشرفة تقتضي أن الله تعالى متصف بالكمال ومنزه عن النقص لأنه الإله الحق وأن غير الله تعالى ليس متصفا بالكمال ولا منزها عن النقص ثم نبسط هذه الجملة بعد فنقول لنا فنقول من الكمال وجود الله تعالى ووجوب وجوده وغيره تعالى ممكن معدوم أو حادث ما ... ومن الكمال في حقه تعالى

بخلقه واستغنائه وانفراده بملكه والوهيته فمنزه تعالى عن جوهر او عرض مع عرض للعلة والغرض ومتنزه
على الزوال والدخول في الجهات ولا جنايز ولا انفصام ومن الكمال علمه تعالى بكل معلوم من موجود
او معدوم وقدرته على كل ممكن وارادته لكل كاين من كل شيء يبدا او يبرز من العدم الى الوجود فبقدرته تعالى
ومشيئته وعن علمه فنعلم انه تعالى هو الخالق الباري المصور وانه هو الرزاق وانه هو الذي يحيي
ويميت وانه هو النافع الضار والمعز والمذل والناصر والمعين وانه القادر على ثواب المطيعين
وعلى معاقبة العاصين وانه فاعل مختار لا يجب عليه شيء ولا يمتنع عليه شيء فلا يجب عليه نفع العبيد
ولا صلاحهم ولا رعي صلاحهم ولا يمتنع في حقه اضلالهم ولا عذابهم ولا الغفران لمن شاء منهم وانفراده
باستغنائه تعالى لا ينتفع بطاعتهم ولا يتضرر بمعصيتهم ومن كماله تعالى سمعه تعالى وبصره لكل
موجود فهو تعالى على كل شيء رقيب وعلى كل موجود شهيد ومن كماله تعالى اتصافه بالكلام
المتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل فهو الزام بالطاعة ونهي عن المخالفة ووعد بالجنة ووعيد
بالنار فاذا انبسطت هذه الجملة الوجيزة من الكمالات التي تذكر في هذا الباب كان للناظر المتعبد
فيها ثلاث جهات من النظر الاولى ان يلاحظ هذه الكمالات من حيث نسبتها الى الله تعالى وانها وصف له
فيثبتها له تعالى وينزهه تعالى عن كل ما ينافيها من النقصان وهذا القدر يشترك فيه العارف والعالم
المتكلم لان هذا كله هو مما من العقايد الكلامية جملة وتفصيلا غير ان العارف يفوق المتكلم
في ذلك بما من اجله يرجع الى مدلول الكلمة وهو ما نحن بصدده والثانية ان يرجع الوصف
الموحد لما في رجع الى الكلمة فهو ان المتكلم يعتقد فيها كمال انها سيقت لاثبات الالوهية
لله تعالى واستحقاق العبادة ونفي ذلك عن كل ما سواه وهذا هو معناها عند المتكلم الذي يحصل
به التوحيد المكلف به وما ذكر من الكمالات المفصلة يعتقده المتكلم لله تعالى من خارج بحسب ما
اداه اليه اجتهاده ونظره ولا ينحاز التفصيل ~~الصـ~~ الهيللة ذلك في مدلولها الا من اهل الارادة منهم
اذا لاح لهم عند ابطال الشرك الجلي لا غير واما العارف فهو مع اعتقاده ما مر فيها ومع اعتقاده
جميع تلك الكمالات لله تعالى يزيد على ذلك بان يستحضر ذلك كله في الهيللة عند ما يذكرها
ويجعل ذلك معناها ويوسع الدائرة لما خص به من سعة النظر وانشراح الصدر ومزيد الحضور
واليقظة فاذا قال لا اله الا الله فهو يقول لا مستحق للعبادة ولا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا
مثيب ولا معاقب ولا معين ولا هادي ونحو ذلك الا الله تعالى وبذلك يحصل له التوحيد المطلوب بذهب

عن

في بعض النسخ بدل
يبرز من العدم / صح

٧٦

عن الشرك الجلي والخفي بالكلية فانه يثبت لها ان لا اله يستحق العبادة غير الله تعالى
وانه لا نافع ولا ضار ولا رازق ولا معين ولا ناصر غير الله تعالى وان من يكون كذلك الغير لا اهلا لان يستحق
للعبادة لانه هو ايضا مقهور وانه تعالى القادر المختار دون غيره ويعلم ان كل ما يبرز من نفع او ضر في
الا بحوال كالعطاء من الناس والصحة والاسقام منهم والري من الماء والشبع من الطعام والدفء
والتبرع من اللباس والاستراحة واللذة من المحبوب والتمتع بالعشيرة وسائر انواع اللذات الحسية
والمعنوية وكل ما يقابل ذلك من المضار والالام كل ذلك من الله تعالى ليس شيء منه صادرا عن غيره
تعالى وانما تلك الاشياء الموجودة فيها تلك المنافع والمضار وما اسباب عادية يبرز الله
تعالى ما شاء عندها لا بها وبذلك كله استحق للعارف انه لا ينبغي ان يرجو ولا يخاف الا الله تعالى لان
الرجاء منوط بالرغبة والرغبة نفع والنفع كله لله تعالى والخوف منوط بالرهبة والرهبة ضر
وهو كله لله تعالى ولا يتوكل الا عليه ولا يفزع الا اليه الى غير ذلك مما سنذكره ان شاء الله تعالى
واما ما يرجع الى اعتقاد الموحد بمقام المتكلم فقد حصلت له تلك الكمالات المنسوبة الى الله
تعالى حصول تصديق وعلم واما العارف فقد حصلت له مع ذلك حصول ذوق ووجدان وذلك ثمرة
العلم ونتيجته كما سنبينه ان شاء الله تعالى الجهة الثانية من النظر ان يلاحظ ثمرة هذه الكمالات
وحاصله على طريق الاجمال وذلك وجهين احدهما ما يرجع الى الله تعالى والاخر ما يرجع الى غيره
اما ما يرجع الى الله تعالى فان يستشعر ان المتصف بهذه الكمالات كلها المنزه عن هذه النقائص
جميعها متصف بغاية العظمة والجلال ونهاية الكبرياء والجمال وهذا هو المعبر عنه في علم
الكلام بالصفة الجامعة وليست صفة بعينها يقام عليها برهان تفصيلي مثل الصفات السوابق
بل هي حاصل الجميع ونهايته ويحصل لذلك حالا وذوقا فيحصل مقام الهيبة والخشوع والخضوع
وما يناسب ذلك من احوال العارفين ومقامات المريدين واما ما يرجع الى غيره تعالى فان يتصف
بالنقائص المذكورة ويعتقد تلك الكمالات باجمعها ساقطة متلاشية معدومة معدوم وموجوده في حكم
المعدوم فان خاصية المعدوم انه لا يضر ولا ينفع ولا يجلب ولا يدفع وذلك هو وصف كل موجود سوى
الله تعالى على التحقيق الا بنسبة جعلية من الله تعالى اودعها في الموجودات اما التعريف
واما التكليف وبذلك ظهر الفضل والعدل ووقع الثواب والعقاب وبسبب حصول ذلك المعنى
للعارف حالا يصل الى التخلي عن الاغيار والفناء عنها ويكون ذلك على مراتب سنشير اليها

قف كون الكل من الله تعالى

Copyright © King

ان شاء الله تعالى **المبحث الثالث** من النظر ان يلاحظ كل امام من اهل الكمال على التفصيل بحسب الالتفات
الى ثمراته ونتائجه وحاصل ذلك احوال تنشا عن علوم فان كل من حصل في قلبه علم ثمار من شانه ان يتصل
به حال في القلب يناسبه ومن ثمار تلك الحال ان يحصل عنه من الاقوال والافعال ما يناسبه ولهذا يقول
اهل هذا الطريق العلم مقدمة نتيجتها الحال والحال مقدمة نتيجتها العمل ونريد الان ان نشير الى شيء مما
تثمره تلك العقائد السابقة من الاحوال الشريفة في قلوب العارفين وما ينشا عن هذه الاحوال
من احوال اخرى او اعمال تناسبها من غير ان نتعرض لاستقصاء ذلك فان استقصاءه موكول الى اربابه
وانما غرضنا غرض الاشارة الى ان الكلمة المشرفة مرعية بالغرض كافية في العقائد الظاهرة واحوالها
بالمطلبين فيهما مشرب للعام والخاص من السالكين ورافيهما عنية جميع المومنين فنقول تعلى
وبالله التوفيق قال الشيخ عز الدين رحمه الله في قواعده جعل الله لكل معرفة حالا ينشا عنها فـ
فمن عرف نقمة الله كان حاله الخوف ومن عرف سعة رحمة الله كان حاله الرجاء ومن عرف توحد الرب
تعالى بالنفع والضر والرفع والخفض لم يتوكل في جلب النفع ودفع الضر الا عليه والجمهور لا
عليه ولم يفوض امره الا اليه ومن عرف عظمته وجلاله كان حاله الاجلال والمهابة ومن عرف اطلاعه
على احواله استحيى منه ان يخالفه ومن عرف سماعه لاقواله كل رجل خطاب الاجلال استحيى ان يقول ما لا يرضيه
ومن عرف احسانه اليه وافضاله عليه كان حاله المحبة لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها ومن قـ
عرف جماله كانت حاله المحبة العليا وكانت محبته افضل من محبة من احبه لاحسانه وافضاله واكثر
ما تقدم المعارف بالاستحضار والافكار او بالسماع من الابرار والاخيار من استحضر صفة وتلك
الصفات اثمرت له حالا يناسبها ويوافقها وينشا عن تلك الحال من الاقوال والاعمال ما يلائمها
ويوافقها فمن لاحظ شدة النقمة حصل له الخوف وما ينبني عليه من الحذر والبكاء والانقباض وتغويه(?)
العبادة ومن لاحظ سعة الرحمة حصل له الانبساط ورجية(?) التنافس ما يناسب ما حصل له من الرجاء
ومن لاحظ صفة الجمال حصل له الحب وما ينبني عليه من التشوق وخوف الفراق وانس اللقا والسرور
والفرح ومن لاحظ سماعه لاقواله ورؤيته لاعماله كانت حاله الحياء المانع من مخالفته في
الاقوال والاعمال وما يرى من الاحوال انتهى الغرض منه **قلت** واوردنا كلام هذا
الامام ليكون لهذا المبحث اصلا ينبني عليه ومثابا يعود اليه ونحوه قول بعضهم اعلم ان الذكر الدائم
هو ذكر الله تعالى بالقلب وحضور القلب يطرد الشيطان ويذهب الغفلة والنسيان وهو افضل من الذكر

اللساني

King Saud University

اللسانى لان اللسانى تصحبه الغفلة ولذلك قالوا وعلم الاسرار من يذكر بحقيقة العلم لحجة الحق ولكن
احب الله سبحانه عادته ان يذكر بالقلب ويصلح عند مداومة العارف الذكر به والذكر انواع على وجوه
فتارة يذكر الله تعالى لعظمته وعلائه وكبريائه فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة يذكر العبد لعظيم
قدرته واليم اخذه وشديد بطشه فيورث ذلك الخوف والحزن وتارة يذكره بالفضل والرحمة فيورث
ذلك الرضى وتارة يذكره بوعده فيتولد منه الشوق وتارة يذكره لانه تعالى يذكره اذا ذكره فيتولد منه
الشكر وتارة يذكره لان له الحمد والملك والثناء الحسن والاسماء الحسنى والصفات العلى والخلق
والامر والقدرة النافذة والمشيئة الماضية فيتولد من ذلك الحب والتبتل وتارة يذكره لانه الكافي
للمهمات الموجود عند ما ينزل به من جميع الملمات المتكفل بالارزاق وايصالها الى العبد قبل وجود
الحاجات فيتولد من ذلك التوكل والتفويض وتارة يذكره بما نصب من العبر والعلامات وبما استشهد به
من الشواهد واقام من البينات واظهر من الايات فيتولد من ذلك زوائد اليقين وتارة يذكر العبد ان بيده
مفاتيح الامور ومباديها ونهاياتها منه ظهرت واليه تعود فيتولد من ذلك فناؤه عن نفسه وبقاؤه
بربه عز وجل انتهى المراد منه وقد ذكر رحمه الله انواعا من آثار الصفات اقتصر ابن العربي وغيره
غيره ان نبسط هذه الجملة ايضا ببيان اتصال هذه الآثار بالصفات ليتبين انتشاء هذه الاحوال
كلها التي الصفات المندرجة في مضمون الكلمة المشرفة ليتصل الفكر وينساق الامر على حده ونتبع ما
اردناه من بيان ما يستمد من الكلمة المشرفة واستيضاح ما خفي من رموزها واستثارة ما خفي
من كنوزها واستثمار ما تدلى من فروعها واستصفاء ما تفجر من ينابيعها وذلك هو موضوع الكتاب
ومراد هذه الابواب وانا لا احب ان نخرج عن المنهج الذي نبهنا له شبرا ولا ان نزحزح عن موقفنا فترا تعلى
والله ولي التوفيق وبه الهداية الى سواء الطريق وقد مر لنا التنبيه على ان الكمالات الالهية
كلها مندرجة في مضمون الالوهية المثبتة لله تعالى في الكلمة المشرفة وبينا وجه اندراجها فيها
هنالك ونريد الان تقريرها باوضح مما مر ليتصل بذلك ما نقصده والله المستعان فنقول
ان الاله ان كان هو المعبود كما هو تفسير المشهور وهو المعبود بحق كما مر فلا شك ان الذي يخضع له
ويطاع هو الذي يفتقر اليه ويكون هو مستغنيا عن غيره وان كان هو الذي يفزع اليه الغير او يلجأ
اليه فاوضح اذ ذاك هو معنى احتياج الغير اليه فتبين ان الاله يكون مستغنيا عن الغير والغير
مفتقر اليه وهذا ان اعتبرنا مفاده اللغوي وان اعتبرنا المشرع فاوضح اذ الاله هو المستغني عن كل ما

Copyright © King

سوى الله المفتقر اليه كل ما سواه ومن لم يكن كذلك فباطل ثم باستغنائه تعالى عن غيره وجب له الوجود
والقدم والبقاء والمخالفة لكل ما سواه ويكون افعاله ليست بواسطة يتوقف عليها او بقوة يفتقر عليها
والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك وبافتقار الغير اليه وجب ان يكون تعالى واحدا في ملكه لا شريك
له وان تكون له القدرة والارادة والعلم والحياة وان يكون جميع العالم حادثا من صنعه ثم ان المتكلمين
قد قسموا الصفات الى اربعة اقسام نفسية وسلبية ومعان ومعنوية وقد يجعلونها خمسة ويزيدون
صفات الافعال وقد يجعلونها ستة ويزيدون الصفات الجامعة والمراد عندهم بالنفسية الوجود
لانه ما لم يثبت لا ينظر في وصف اخر اذ هكذا كانه نفس الذات والمراد بالسلبية ما يرجع الى تنزيه الله
تعالى كالقدم والبقاء والمخالفة والقيام بالنفس والوحدانية والمراد بالمعاني ما هو صفة قائمة
بالذات كالقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والمراد بالمعنوية الحال
الواجبة من قيام المعنى بالذات ككونه قادرا وكونه مريدا الى اخر المعاني والمراد بصفات الافعال
ما يرجع الى تكوين الاشياء كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فيوصف الله تعالى بذلك فيقال
خالق ورازق ومحيي ومميت ونحو ذلك وهذا التقسيم ليس معتبرا في الصفات عند امام اهل السنة
الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه اما المعنوية فهي عنده عبارة عن قيام المعنى بالذات وهو
ولا صفة الافعال
نسبة الصفة الى الموصوف وليس بصفة في نفسه واما صفة الافعال فهي عنده عبارة عن التعلق
التنجيزي للقدرة الازلية وانما تعددت الاسماء بتعدد التعلق فان تعلقت بالايجاد سميت خلقا وان
تعلقت بايصال الرزق سميت ترزيقا وان تعلقت باعطاء الحياة سميت احياء الى غير ذلك وليس شيء
من ذلك صفة موجودة في ذات الله تعالى انما هي اثار القدرة متجددة الا انه لما كانت امورا نسبية 28
صح ان يوصف بها الله تعالى فيقال خالق ورازق ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث بذاته تعالى اذ لم يكن شيء
من ذلك قياما بالذات العلية قيام الصفة بالموصوف وقد اوضحناه لك في غير هذا الموضع
نعم التقسيم ثابت عند غير الاشعري اما المعنوية فعند من يقول بالحال والواسطة بين الوجود
والعدم كالقاضي وامام الحرمين واما الصفات الفعلية فقد اعتبرها الامام ابو منصور الماتريدي
ومن تبعه من الحنفية وقالوا ان التكوين صفة اخرى غير القدرة وغير تعلقها فجعلوا القدرة تأتي
بها الايجاد والاعدام والتكوين يقع به الايجاد والاعدام بالفعل لان جمهورهم قالوا هو
صفة واحدة من المعاني وتسمى باعتبار خصوصيات التعلقات تخليقا وترزيقا واحياء

واماتة

واماتة ونحو ذلك وذهب قوم من اهل ما وراء النهر الى ان كل واحد من ذلك صفة وهي لا تكاد تنحصر
المعاني عندهم وليس الموضع موضع تحقيق هذه المذاهب والتصحيح منها والابطال والمراد بالصفات
الجامعة ما هو حاصل الاتصاف بالكمال كله والتنزه عن النقص كله وذلك الالوهية وكذا
العظمة والجلال والكبرياء المختصة بالله تعالى اذا تمهد هذا فلنرجع الى ما نحن بصدده من
اعتبار ما تثمره الكلمة المشرفة في القلوب وما تتضمنه من معاملات علام الغيوب فاول ما تلتفت اليه
معناها الظاهر المطابق وهو ان الله جل اسمه منفرد بالالوهية واستحقاق العبادة ثم فاذا
نظرنا في استحقاق العبادة وانه للمولى تعالى لا غيره وانه هو الاله لا غيره حصل لنا من ذلك التوحيد بها
من وان شئنا قلنا حصل لنا الاخلاص ويكون الاخلاص على مراتب الاولى الاخلاص في الشهادة وذلك
بان نقول لا اله الا واحد لا شريك له في الالوهية والمعبودية بالخصوصية وذلك معنى قولنا لا اله الا الله
وبذلك ينتفي عنا شرك التثليث والتثنية ونحوهما من الشرك الجلي الثانية الاخلاص في الاعتقاد
وهو ان يكون القلب فيما ذكر موافقا للسان وبذلك ينتفي النفاق الثالثة الاخلاص في العمل
وهو ان يكون امتثال الامر واجتناب النهي مقصودا به الله تعالى وحده وبذلك ينتفي الشرك
الخفي وهو المسمى بالرياء وحقيقة الرياء المذكور في هذا الباب ان يقصد رؤية الناس بفعل
الطاعة لغرض من حصول المنزلة في قلوبهم بذلك مثلا فالرياء من الربوبية لان العامل يرى الناس اعماله
او يعمل ليرى عمله اذ ظن الناس في عبادته ولم يعملها لله تعالى وحده كان مشركا وانما كان خفيا لان الشرك
اذا اطلق فهم اثبات الشريك مع الله تعالى في الالوهية او استحقاق العبادة وهذا المرائي
لا يعتقد في الناس شيئا من الالوهية ولا استحقاق العبادة فلم يشرك في الظاهر ولكن لما راعاهم
في العبادة فاوقعها لاجلهم فكانه قد اثبت لهم خاصية من خواص الالوهية وهو لا يشعر فكان مآل
امره الى الشرك وهذا اذا اعتبرنا الشرك الخاص واما ان اعتبرنا مجرد الاشراك في العبادة فهو ظاهر غير
خفي واعلم ان استيفاء هذه المسئلة بحسب ما تتصوره الافكار وتتمادى اليه الانظار
ان نقول انه ينقسم التوحيد والشرك اقساما الاول ان يثبت الالهة لغير الله تعالى وذلك
اما مع الله تعالى او بدونه وهذان القسمان هما اعظم الشرك واخبثه والاول منهما هو الشرك الاصطلاحي
كشرك الثنوية والمجوس والمثلثة من النصارى والوثنية ونحوهم واما الثاني منهما فليس بشرك
الا باعتبار التركيب والنظر الى اعتقاد الكلام ومعناه في نفس الامر ولا يعلم من قال بهذا القول الا

من شر من غلاة الجبابرة المتمردة كفرعون لعنه الله ما علمت لكم من اله غيري وليس المجسمة من هؤلاء لان
الجسم الذي يثبتونه هو الاله المعبود عند العقلاء في زعمهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولا الفرقة الدهرية
المعطلة اذ هم لم يثبتوا الاها اصلا الحال الثاني ان يثبت مع الله مستحقا للعبادة وان لم يكن الها
حقيقة كحال بعض الوثنية وهؤلاء كلهم كفار مخلدون في النار الثالث ان يوحد الله تعالى ذاتا
بالالوهية واستحقاق العبادة ولكن ينظر الى غيره تعالى في عبادته وطاعته ولا يعتقد ان ذلك الغير
اله او مستحق للعبادة وهذا يكون على احوال الاول ان ينظر الى الناس ليمدحوه او يعظموه او ينفعوه
بوجه وهذا هو الرياء وفيه قسمان الاول ان يكون هو الحامل على العبادة بحيث لا يوجد معه نية الامتثال
وقصد التقرب الى الله اصلا وهذا الرياء المحض والعبادة معه باطلة بل لا عبادة اصلا فيعاقب عليه ويمثل
ومع ذلك هو عاص آثم لوجهين احدهما يرجع الى العبادة وهو انه اوهم انه مطيع لله
تعالى عابد له وهو ليس كذلك فذلك خداع ومكر وتلبيس وتدليس وهو حرام قال الامام ابو حامد رضي
الله عنه الثاني ما يرجع الى الله تعالى وهو انه حيث يقف بين يديه بصورة الطاعة والحرمة
ومقصوده غير الله تعالى كان مستهزئا بالله تعالى وفي حال من يعتقد ان غير الله تعالى اقدر على تحصيل
المنافع من الله تعالى وناهيك بقبح هذا وشناعته القسم الثاني ان يكون مع الرياء قصد الامتثال
وطلب الثواب وفيه ثلاثة اقسام لان قصد الثواب اما ان يكون مرجوحا او مساويا او راجحا فان كان
قصد الثواب مرجوحا بان يكون لو تجرد عن الرياء لم يستقل بالحمل على العمل ولو تجرد الرياء وحده
لاستقل بهذا العمل فيه باطل والاثم حاصل كالاول وان كان مساويا بان يكون كل منهما بحيث لا يستقل
بالحمل وعند اجتماعهما انبعثت النفس والذي استظهره الغ الرازي متساقطا لا له ولا عليه وان كان
راجحا فاصل العمل ثابت وينتقص الاجر بما فيه من الرياء او يعاقب على ذلك القدر مع حصول
الثواب على العمل الحال الثاني ان ينظر الى حظ ذاتي من حظوظ نفسه العاجلة اما مع النظر
الى الناس وهو الرياء او بدونه اما مع قصد التقرب او بدونه ومثال ذلك ان يصوم ليصح بدنه بالجوع
او ليوفر نفقته ويحج ليكتسب بالسفر الصحة او المال ورؤية الناس وعجائب البلدان ونحو ذلك
ويتوضأ للتبرد عند الحر او للتسخين في الشتاء الى غير ذلك فهذا يقال فيه مراء ولكنه ليس بمخلص
ولم يتعبد وهذا لا خلاف فيه كما قال الجمال رضي الله عنه ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى
خاصة والخلوص في النية ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى وحده فمن راجع

الى

...ان يصوم ... بدنه الخ

الى معنى الاخلاص وهذا القسم ايضا فيه من الشرك ما ينافي التوحيد لانه اشرك مع الله تعالى الغرض
المطلوب والشهوة المرادة. الحال الثالث ان ينظر الى حظه لاجل نيل الثواب بدخول الجنة والنجاة
من النار وهذا ايضا قادح في صفاء التوحيد كالذي قبله اذ النفس هي النفس وحظوظها هي حظوظها
مقدمها ومؤخرها فمن عبد لحظ نفسه فقد عبد نفسه ولم يعبد ربه ولم يصدق في قوله لا معبود الا الله
الا ان الحظ في القسم الثاني وهو الاخروي ماذون في طلبه شرعا تخفيفا من الله تعالى لعباده الضعفاء
لاجل ما جبلت عليه النفوس من طلب الحظوظ فهي حظا زجر الله تعالى النفس عن اعراضها واذن
لها في الاخر. واذا تاملته وجدت الماذون فيه هو اجود الحظين وابقاهما رفقا من الله تعالى وتكرما
على عبده الجهول الكفور فما اغزر رحمته تعالى واوسع فضله واعظم منته واجل طوله. الرابع
ان يثبت فاعلا غير الله تعالى فان كان يعتقد الاها او مستحقا للعبادة فقدم في التفسير الاول من
الحكم الظاهر والشرك انواع وان لم يعتقد الاها ولا مستحقا للعبادة فان اعتقد علة كخصوص
الفلسفيين وان اعتقد طبيعة كخصوص الطبائعيين وحكم هؤلاء معلوم وان اعتقد مختارا فان كان
على التاثير والاختراع كالقدرية المعتقدين في نفوسهم انهم يفعلون افعالهم ويخترعونها على حسب
فهو ما سوا اتفاقا وفي كفره خلاف وان كان على الاكتساب فقط دون الاختراع كمذهب اهل السنة
فهو موحد ولا ينافي التوحيد الذي يصح معه انه لا فاعل الا الله ولا معبود الا هو ولا اله الا هو ثم
هذا ان تخلص من ايات الناس ومطالعة الحظوظ كان من المخلصين العاملين لله تعالى وفيه مع ذلك
بقية من الشرك بعد وهي التفاته الى نفسه ورؤية الافعال لها وما دام يلتفت الى نفسه فلا
يكاد يخلو عن لوازم ذلك من طلب الحظوظ ولا يتحرر عاجلة تكدر اجلة. الخامس ان لا يلتفت وف
الى نفسه ولا فاعل غير الله تعالى فاصبحوا تحركه بالله وسكونه به وهذه حال الفقير واهل مقام
الاحسان وهؤلاء لا يلتفتون الى نفوسهم ولا اعمالهم وقال بعض المشايخ من بلغ الى حقيقة الاسلام
لم يقدر ان يفتر عن العمل ومن بلغ الى حقيقة الايمان لم يقدر ان يلتفت الى العمل ومن بلغ الى حقيقة الاحسان
لم يقدر ان يلتفت الى احد سوى الله تعالى انتهى واعلم ان العبد ما دامت نفسه باقية معه وهو يسعى
في حظوظها وحقوقها فهو لم يوحد الله تعالى لعدم توحيده لان الله تعالى اذ ذاك يقول انا فعلت
وافعل والعبد يقول انا فعلت وافعل والله تعالى يقول افعلوا كذا وكذا والعبد يقول افعلوا كذا وكذا
والله تعالى يطلب حقوقا والعبد يطلب حقوقا فهذه منازعة وتشبه من العبد المضطر الضعيف

Copyright © King

هو الله العلي الكبير. وبسبب هذه الورطة الشنيعة التي وقع فيها العبد من التشبه يقع منه التكبر
والتجبر مع أن الكبرياء من صفات المولى العظيم تبارك وتعالى ويقع من العبد العجب والافتخار والسمعة
وحب الثناء وكراهة المذمة ونحو ذلك. وذلك كله نتيجة رؤية نفسه فاعلا ومستحقا للحمد ويقع
منه الحسد والحقد والبخل ونحو ذلك وذلك كله نتيجة طلبه لحظوظه إذ التزاحم على الحظوظ هو
سبب ثوران الحسد واستكثار الحقد وإمساك البذل وتجد العبد أيضا لذلك يقول أنا فلان ضاع حقي
امتهنوا حقي أو يحب أن يطلع الناس على خيره ويستلذ أن يعظمه الخلق ويخضعوا له ويخشعوا بين يديه
ويخاطبوه ويعاملوه بالتعظيم والاحترام. وذلك كله من معنى الألوهية وأوصاف الربوبية. وفي
هذا المعنى قال المشايخ إن قول فرعون لعنه الله أنا ربكم مركوز ومستكن في غيره من بني آدم إلا من
عصمه الله غير أن فرعون وجد له مجالا فأبرزه. فلو قال العبد على هذه الحالة لا إله إلا الله لم يكن صادقا فيما يعمل
على ما ينبغي إذ أثبت لنفسه ربوبية وذلك ينقض الوحدانية فلو تطهر العبد من رؤية نفسه وتتبع
حظوظه فتخلص من هذه الورطة فصفت أحواله وزكت أعماله وأسلم نفسه لمولاه وتركها له
يتولاها فيصير يعلم من الآفات ويتخلص من رعونات ويتحلى بمقامات اليقين ويكون من عباد الله المخلصين
فلا يراءى بأعماله ولا يعجب بها ولا يسمع بها إذ لا يرى أحدا ولا يعجب ولا يسمع بفعل غيره وهو فعل
رب العالمين وبذلك يتحقق له الرجوع إلى الله تعالى في كل حال فيكون التجاؤه إليه وتوكله عليه وخوفه
منه ورجاؤه له ورضاه به ومحبته له. وكذا إذا التفتنا إلى معنى لا إله إلا الله بحسب مقتضى خواص
الألوهية من انفراده تعالى بالقدرة والاختيار والنفع والضر والعطاء والمنع وغير ذلك فإنه
يحصل لنا جميع مقامات اليقين وذلك في غاية الوضوح. **وقد استفتح** أبو العباس بن عطاء
الله مقامات اليقين من إسقاط التدبير والاختيار غير أنه نبه بكلامه على أن إسقاط التدبير أصل
لها وشرط في صحتها وهي تسعة التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل
والمحبة والرضى. فالتائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه فإن
التدبير مع الله من كبائر القلوب. والتوبة هي الرجوع إلى الله من كل شيء لا يرضاه لك والتدبير
لا يرضاه لك لأنه شرك للربوبية وكفر لنعمة العقل ولا يرضى لعباده الكفر. فالزهد ترك الحظوظ
والتدبير منها فلا يصح الزهد إلا بتركه. فالصبر حبس النفس عن الحظوظ البشرية وحبسها على
لوازم العبودية ومن لوازم العبودية إسقاط التدبير مع الله تعالى. فالشكر كما قال الجنيد

أن لا يعصى

ف وسبب هذه الورطة الخ

ف وهي تسعة الخ

King Saud University

أن يعصمه الله بنعمه والتدبير معه تعالى عصيان له بنعمة العقل وقال الخوف أنه إذا نزلت سطوته على القلب
شغلته عن التدبير وكذا الرجاء يملأه به فرحا فيشتغل عن التدبير وقال التوكل إنما هو إلقاء القياد
إلى الله تعالى وذلك عين إسقاط التدبير وقال المحبة إذا تمكنت من القلب شغلته عما سوى المحبوب
فكيف يوجد تدبير وقال الرضى إنما هو اغتباط بما اختار الله تعالى وذلك هو إسقاط التدبير هذا
معنى ما ذكره ابن عطاء الله رحمه الله تعالى مع تلخيص وتقريب وقد علمت أن غرضنا من هذا الكتاب ذكر
ما تضمنته الكلمة المشرفة وما يرجع إلى معناها فلا بد أن نبين رجوع هذه المقامات كلها إلى مضمون هذه
الكلمة وقد ذكرنا ذلك إجمالا فيما قبل بما فيه غنية للبيب ونزيد الآن بيانا وتفصيلا فنقول إن إسقاط
التدبير والاختيار هو من مضمون التوحيد ومقتضى الوحدانية المدلولة للكلمة لأن الكلام في الوحدانية
كلام في عدم الكثرة في الذات والصفات وعدم الشريك في الأفعال وإن شئت قلت نفي ما ينافي الألوهية
وخواصها والتوحيد كما هو في كلام سعد الدين هو إفراد الله تعالى بالألوهية وخواصها ولا خلاف عند
أهل الحق من خواص ذاته العلية أن له التأثير والاختيار والتدبير وذلك بمقتضى قدرته ومشيئته
وعلمه وكمال هذه الصفات لا تثبت حقيقتها على ما هي إلا لله تعالى وإن ما ثبت من ذلك لغيره تعالى فإنما
هو أثر مستمد منه تعالى ومشارك في التسمية لا في الحقيقة على ما هي كذلك هذه آثار الصفات من
الإيجاد والاختيار لا يثبت حقيقته إلا لله تعالى فمن أثبت لنفسه من ذلك شيئا زائدا على مجرد الكسب
الذي هو مناط التكليف فإنه قد أثبت لنفسه خصلة من الربوبية فهو مشرك منازع والمنازع
أعظم جرما من مطلق المشرك فإن كثيرا من المشركين قد يعترفوا بالتوحيد على تمام إيمانهم وكما ينبغي للعبد
تسليم الملك كله والتصرف فيه لله تعالى الواحد القهار ومن الملك نفسه وحظوظه والتصرف
في مصالحها ودفع مضارها فيثبت له بتسليم كل ذلك إلى الله تعالى أن لا يدبر ولا يختار وهو كما هو
وأن يتوكل على الله تعالى ولا يكون مشاركا غير موحد وأن يرضى بقضائه ولا يكون منازعا وأن يرجع إليه
تعالى بالتوبة عن كل ما لا يرضاه ولا يكون مستمرا على ما هو ومنازعا وعابدا للهوى فلا يعبد غيره لا إله
إلا الله لا معه سلطانا آخر هو الهوى قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وفي الحديث أبغض إله عبد
في الأرض الهوى وأن يزهد في العاجلة وفي كل ما سوى الله تعالى ولا يكون مشركا به في العبودية والخدمة
والتعظيم وعابدا أيضا للهوى بعينه كما مر وأن يصبر ولا يكون منازعا غير مسلم وأن يشكر آلاء الله
ولا يكون جاحدا لها وهي من صفاته تعالى وهي آثار الصفات بل هي الصفات وذلك نقيض التوحيد

لا ينازعون

مع وأن يرضى بقضائه

لف للنفع والضر الخ

وأن يكون خوفه ورجاؤه من الله تعالى لا غير لأنه المتكفل للنفع والضر ولا يكون مثبتا لنافع وضار غيره وهو نقيض التوحيد وأن يحب الله تعالى ولا لم يكن عارفا بما هو كمال من عرف الله تعالى وأنه تعالى المتصف بجميع المحاسن والكمالات المنزه عن جميع الرذائل والنقائص أحبه لا محالة طبعا ومن عرف أنه المحسن الجواد المنعم أحبه قطعا إذ قد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها **قال ابن عطاء الله**

واعلم أن أجل مقام أقيم فيه العبد مقام العبودية وكل المقامات إنما هي كالخدمة لهذا المقام **قال** والدليل على أن العبودية أشرف مقام قول الحق سبحانه سبحان الذي أسرى بعبده وقال لنا على عبدنا ذكر رحمة ربك عبده زكرياء وأنه لما قام عبد الله يدعوه ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار العبودية لله ففي ذلك أدل دليل على أنها من أفضل المقامات وأعظم القربات انتهى المراد منه **قلت** وإنما كانت العبودية أشرف مقام لأن بها تحقق التوحيد المذكور وبيان ذلك أنه لما استحال أن يكون في الوجود إله إلا هو وأنه جل اسمه على الدوام متفرد بالوحدانية علم أن ليس إلا إله واحد وما سواه جميع مخلوقات له وهم عبيده ومماليكه فليس إلا إله وعبد ومالك ومملوك وخالق ومخلوق ورب ومربوب ولا ثالث أصلا وبينهما من التباعد والتقابل نحو ما بين الضدين ولم يكن ليوجد الرب دون العبد ولا العبد دون الرب أما أنه لا يوجد الرب دون العبد فلأن ذلك [illegible] وحكمة عند السادة الكبير وهذا بمقتضى الحكمة ومحض الفضل فإن وجود العبد هو مظهر للرب ولأوصافه الباهرة كما ورد كنت [illegible] لا أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف أو كما ورد وليس هذا على سبيل الوجوب فإن لله تعالى الاختيار التام وهو غني عن الظهور وعن موجباته وثمراته وأما أنه لا يوجد العبد دون الرب فهي الخارج وجودا عينيا وهذا بمقتضى الوجوب العقلي لاستحالة وجود الأثر بلا مؤثر وكما أنه لو تنازل الرب عن صفات الألوهية إلى أوصاف العبيد تعالى عن ذلك لبطلت هذه الصورة الثانية لاختلاف الموجود الآن عينيه وأشباههما وصيرورتها كلها عبيدا وفي ذلك بطلانها كلها لاستحالة قيامها بدون رب يعطيها أوصافها وينفعها من نقصانها واحتياجها كذلك لو تعالى العبد عن صفات العبودية وتطاول إلى أوصاف الألوهية لبطلت الصورة الأولى لصيرورة الكل آلهة وفي ذلك بطلان الحكمة من تجلي الحق وظهوره ثم في ذلك بطلانها هي أيضا لحكم ما تقدم فكان في بقاء العبد على عبوديته صحة التوحيد وانتظام الحكمة أما صحة التوحيد فلأن في بقاء العبد على عبوديته فيه انفراد الرب بالربوبية إذ لا مشارك له في ذلك وهذا هو المطلوب من التوحيد وأما انتظام

الحكمة

الحكمة فان العبد ما دام عبدا يظهر فيه تصرف القدرة الازلية والمشيئة القديمة ويظهر فيه الفضل تارة
والعدل اخرى وهذا هو مقتضى الحكمة **واعلم** ان هذا المعنى اعني بقاء العبد على عبوديته حاصل في
نفس الامر على الدوام للعبد قال العبد لا يزال عبدا كما ان الرب لا يزال ربا وكما ان الواجب يستحيل ان ينقلب
ممكنا والممكن يستحيل ان ينقلب واجبا كذلك الرب تعالى يستحيل ان يخرج من وصف الربوبية الى وصف
العبودية ابدا والعبد يستحيل ان يخرج عن وصف العبودية الى وصف الربوبية ابدا والناس
كلهم مومنهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم عارفهم وجاهلهم متيقظهم وغافلهم في مقام العبودية التامة
باعتبار نفس الامر وكلهم باعتبار الخارج منقاد لاحكام قدرته تعالى ومنفعل لمشيئته غير متعاص
عن حول الله تعالى وقوته ليس لهم شيء من الحول والقوة لنفسه ولكن الله تعالى يفعل بهم بمشيئته ونافذ
حكمته فهم عشرة اقسام قسم اطلعهم على كنه هذا الامر واثبته في قلوبهم فآمنوا به وصدقوا وهم
المومنون وقسم حجبهم عن هذا العلم او عن اعتقاده بكفر واما جحودا واما كفرا بوجوده تعالى
كالمعطلة او بوحدانيته في ذاته كالثنوية او في افعاله كالقدرية وهو كفر وزيغ وقسم من اقسام
فسمين قسم اوجدهم ذلك وجعله حالا فاوقعاهم قلوبهم مترتبا عليه ثم انه لا تزيغ بهم الاراء ولا تستفزهم
الاهواء وهم العارفون اهل اليقظة الخارجون عن الدعوى المتبرءون من الحول والقوة رضي الله عنهم
ونفعنا بهم وحشرنا في زمرتهم وهم عباد الله المخلصون الذين لا سبيل للشيطان عليهم وقسم منهم حجبهم
عن الذوق فجعلهم سكارى بشهواتهم واسارى لطباعهم وجعل قلوبهم مغلوبة بظلماتهم واعيانهم
تحت سلطان نفوسهم وهم اهل الغفلة امثالنا فان الواحد منا اذا رجع اعتقاده وقطع التشوف
عن اغراض الشهوات يجد فيه ان الله تعالى منفرد بالملك والتدبير والحول والقوة وان العبد معدوم لا حكم
له ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى ولا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى ثم لا يبرح مكانه حتى يصول
الطبع بسلطان جنوده فتحمل عليه صولة الهوى ورماة الوسواس وتتراكم في جو العقل غبار الالتفات الى
الاغيار وتغيب في ذلك شمس العقل وتنهزم كتيبة الاعتبار وتظفر بمملكة الروح فتغدو النفس فيها
لنيل شهواتها مملكتها الموهومة فاذا الهوى يتعلق بنيل المخلوق ويرجو هذا ويخاف هذا ويسخط
على هذا ويفرح بهذا ويذم هذا ويعصي الطبع ويتعجب ويتكبر ويدعي فيما يفعل وينهى ويجتهد في التدبير
ويضع ويبرم من الاستبداد والاستقلال الى غير ذلك وذلك كله نتيجة رؤية الامور والمنافع
والمضار من غير الله تعالى ورؤية الفعل من نفسه فصار ما عنده اولا من التوحيد مغلوبا بالطبع

Copyright © King

لم يبق له كيف تصرف كالأسير المسجون وصار الحكم لا عن أمره ولم تظهر ثمرة التوحيد بل ظهرت ثمرة غيره فصار
اعتقاده اعتقاد سيد وحاله حال فردي أو أشد منه والعبودية أن يتخلص من ذلك كله فلا يرى غير
سيده ومولاه لا نفسه ولا غيره فإن العبد متى أثبت الأمر لنفسه فقد نازع سيده وكذا لو لم
ومتى أثبته لأخ غير سيده فقد أشرك بسيده وكلا الأمرين يوجب مقت العبد والانتقام منه
وإنما يكون عبدا مرضيا بأن يكون مسلما لربه مطيعا وحاضرا بربه يقلبه ربه كيف شاء عبودية تقابلها
ربوبية وهذا هو الترقي الأول والإكسير الأكبر وجميع المقامات دائرة على هذا المعنى فإن جميع
التكاليف مرجعها إلى تحقيق ذلك كالسجود والركوع والزكاة والحج ونحو ذلك عند من تأمل
ذلك بنور البصيرة جعلنا الله من أولي الفهم عنه والأخذ منه به ولعلنا نستكمل بحث شيء من ذلك
فيما يأتي إن شاء الله تعالى فقد ظهر شرف العبودية وبانت جلالة خطرها وفخامة قدرها
والعبودية تنقسم قسمين [illegible] أحدهما حقيقي والآخر نسبي فلتعقول
كماله من حيث هو عبد إنما هو في تحقق العبودية وبيان ذلك أن تعلم أن الكمال النسبي في كمال
كل شيء إنما هو بحسب ذلك الشيء والذي يكون كمالا بحسب غيره كمال نقصه بحسبه وإن كان ذلك النقص
كمالا في غيره وكمال الشيء يرجع في الجملة إلى أمرين أحدهما الكمال الذاتي ومرجعه إلى تحقق
ماهية الشيء وتكميل ذاته إما بحسب الوجود العيني أو الذهني الثاني الكمال الوصفي
ومرجعه إلى تحقق وصف الألوهية وكلما كمل ذلك الوصف في جنسه كمل ذلك الموصوف به مثلا
الفرس أو الجري فكماله بالسبق لا بقوة الحمل والحمار والجمل على العكس والأمة المستعربة مثلا
كمالها بالملاحة ولين الجسد وثقل الردف ونحو ذلك لا بالصرامة في العمل والخفة للخدمة
والمستخدمة على العكس والعبد المشترى للخدمة كماله بكمال الطوع لسيده وخفة الأعضاء
للخدمة وحصر الأدب والتواضع لسيده لا بعزة النفس وشموخ الأنف فإن ذلك نقصان
لا سيما بينه وبين سيده يوجب أن يغيب عنه بحسبه من بين أترابه وأن يمنعه سيده ويعرضه للتعنيف
والأدب علم ولو عز ذلك الوصف على ذوي العقول الغافلين أنه ليس بوصف لا يوصف أن عزة النفس
فمن تكون في غيره كمالا ولو اجتمع عبد وسيد مطلقا [illegible] يكون عبد الغير لكانت عزة النفس والتمنع
في حق السيد كمالا وفي العبد نقصانا والتواضع والتذلل في العبد كمالا إذ ذاك هو الوصف
الألوهي وفي سيده نقصانا على التقابل ولا تنكر [illegible] سادات الناس مع عبيدهم وإن التواضع

مطلوب

مطلوب منهم لانهم ليسوا بسادات مطلقين بل بالاضافة الى عبيدهم وهم في انفسهم عبيد لسيدهم الحقيقي
ملك الملوك تبارك وتعالى فكان التواضع مطلوبا منهم من حيث انهم عبيد وهو وصفهم اللازم لا من
حيث انهم سادات وهو وصف عارض مجازي حتى يتصفوا بسببه بعظمة والكبرياء والا فهو للسيد
العزة والكبرياء والعظمة واما الذلة والتواضع فهو للعبد لان ذلك من حقيقته وروح معناه
اذا فهمت هذا فاعلم ان الانسان كله عبد لله تعالى ملك الملوك لا شريك له تعالى فيه وكمال الرب هو
الله تعالى من حيث انه اله العظمة والجلال والكبرياء وذلك رداؤه تعالى وازاره وليس لاحد ذلك
فكمال الانسان من حيث انه عبد الذلة والافتقار الى سيده والتواضع والتسليم والانقياد والطوع
وبذلك يحسن حاله ويكمل امره ويقال انه عبد على الحقيقة ولو خرج عن ذلك كان معيبا ناقصا
مذموما وما هو بخارج عن ذلك الوصف ابدا بحال وانما يغلط المتكبر ويتوهم انه يتصف بالكمال
والعزة وانما جرى الى ذلك من عشقه للعزة والعظمة بما يرى انها كمال فحيث لا قدرة له عليهما يتوهم
من انه يتكمل بها وفي الحديث حبك الشيء يعمي ويصم وهيهات فان العزة والعظمة وكمال الاقتدار
ونحو ذلك كمال لمن يليق به ذلك وهو الملك الكبير لا لمن لا يليق به ذلك وهو العبد الذليل الحقير
والى تحقيق هذا الوجه الاشارة بما في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وفي رواية انه اشار اليه جبريل عليه السلام عندما خير ان تواضع
لربك فاختار العبودية وفيها حصل له صلى الله عليه وسلم غاية الشرف ونهاية الكمال نسأل
الله تعالى الدنو من عندها وان يحشرنا في زمرة نبيه وعبده صلى الله عليه وسلم واما
المعنى الثاني فهو ان ينظر الى العبودية من حيث الاضافة الى السيد الكبير الملك العظيم جل وتعالى
فنقول ان العبد لا محالة قيامه انما هو بسيده لعدم استقلاله واستغنائه بنفسه فلا جرم يتقوى
ويعظم بعظمة سيده ويضعف بضعفه فاذا كان السيد في غاية العظمة ونهاية العزة وكان
السيد اعظم السادات وليس ذلك الا الله تعالى فلابد ان يكون عبده اعظم العبيد لان عبد العظيم
عظيم وقد قال علماء البلاغة انهم قد يأتون بالاضافة لان يكتسب المضاف من المضاف اليه تعظيما كقولك
عبد السلطان حاضر فيعظم العبد بكونه عبد السلطان ومن تكون الاضافة في نحو هذا للتعجيب
والتغريب كما تقول لي رغيف وعبد وفي هذا ايضا من كمال المرتبة وشرف المنزلة وعظم الحظوة اذا
وقعت الاضافة الى ملك الملوك المستغني عن كل ما سواه ما لا يخفى فان التعجيب منه تعالى لعبده

يطير به العبد حتى ينشق قلبه فرحا ويعلو على السماء كبيرا من جاه وإلى نحو هذا كله الإشارة بما في
الآيات المذكورات في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نحو قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده
وقد مرت مع آيات أخرى مثلها وقال الشاعر

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

فإن قلت إذا اعتبر هذا الوجه الثاني كانت العبودية منزلة كبيرة ودرجة رفيعة
تخرج من وصف العبد من الذلة والافتقار فكيف يليق به أن يدعيها أو يعتبرها قلنا
هو كذلك ولا تنافي الوصفين الأول والثاني فإنهما واقعان على العبد لاعتبارين مختلفين فالعبد من حيث نفسه
ذليل حقير ومن حيث أنه عبد للملك الكبير كبير وهو من حيث نفسه فقير وفير ومن حيث أنه عبد
للغني تعالى غني مليء وهو من حيث نفسه ضعيف ومن حيث أنه عبد للملك القوي قوي وجيه وعلى هذا
القياس وعلى هذا الاختلاف أيضا يجري ما يعرض لأهل الصوفية رضي الله عنهم من القبض والبسط وما
ينشأ عن ذلك من الحزن والخشوع والبكاء مثلا ومن الأنس والطرب والصولة وقد ينشأ عن
النظر إلى الصفات كصفتي العدل والفضل أو عن النظر إلى ما دون ذلك كالمخالفة والموافقة
واعلم أن ما ذكرناه من الوجهين في العبودية قد ينعكس بنظر آخر وهو أن يقال إن العبد إذا لاحظ
نفسه أي لا من حيث أنه عبد بل من حيث أنه موجود قائم بنفسه كان قويا عزيزا وإذا لاحظ
نفسه من حيث أنه عبد لملك قاهر كان ضعيفا متلاشيا إذ هو مملوك مقهور ولا منعة له
وأيضا فإنه حادث فان والفاني إذا انتسب إلى الباقي بقي باقيا وذهب الفاني وتميز أتعلم أن
العبودية المضافة يعظم الاعتبار أن يعظمها بنفسها ثم قال إنه عبد الله أمكن أن يكون قد افتخر بالله
تعالى وتعظم لأن عبد العظيم عظيم وعبد السلطان ليس كعبد الفلاح ولا كأحد ولله المثل الأعلى
وأمكن أن يكون قد تواضع وتذلل لأنه عبد مملوك وعبد السلطان وإن عظم عند الرعية في غيبة
السلطان فهو إذا كان بحضرة سيده يصير كلا شيء لتلاشيه في جانب عظمة السيد ومعلوم أن
عبد الله تعالى حاضر مع الله أبدا لا يغيب عنه لحظة غير أن عظمة تنفرد مع ملك الملوك الذي
خضعت لكبريائه الرقاب وذلت لعظمته السموات والأرض وما فيهما تبارك الله رب العالمين
فالعبد إذا لاحظ ربه تبارك وتعالى معينا له وناصرا له ومؤيدا تقوى وتعزز حتى كأنه ليس عبدا
مقهورا وإذا لاحظ ربه تبارك وتعالى مالكا له قاهرا تلاشى حتى كأنه ليس شيئا مذكورا

والعبد

والعبد الصالح اي المتقلب بين هذين الحالين بحسب ما اشهده الله تعالى منهما في الوقت وكلاهما حال
شريف حسن لمن اقيم فيه ومتى خرج العبد عنهما بان يتعاظم بنفسه وحوله وقوته او يجزع مع ربه
لعدم معرفته باهل قدرته على نصره او عدم الثقة به فقد هلك مع الهالكين وخسر مع الخاسرين نسال
الله تعالى التوفيق والهداية الى اقوم طريق و قد كدنا نخرج عن الغرض فلنرجع الى ما نحن بصدده
من ذكر ما يقتضيه التوحيد المذكور لكلمة الاخلاص من سنى الحالات ورفيع المقامات وقد ذكرناها
قبل بحسب معناها المتعارف عند القوم ورأينا ان نذكر ما وقع من ذلك في كلام الامام العارف
الشيخ ابي العباس بن العريف رضي الله عنه ونلخصه بالمعنى ليكون للمام من بدايات ونهايات ان
شاء الله رؤية عيان فانه والله من الشموس الغالية والانوار العالية و قد عبر هو بالمنازل وجعلها
عشرة وهي الارادة و الزهد و التوكل و الصبر و الحزن و الخوف و الرجاء و الشكر و المحبة
و الشوق واما الارادة فهي علة للعوام لانها تجريد القصد وجزم النية والاجتهاد في الطلب
وذلك في طريق الخواص نقص وتهمة ورجوع الى النفس فان ارادة العبد عين حظه وذلك
راس الدعوى وانما الجمع والوجود فيما اراد به العبد لا فيما يريد وان يترك ما اراد لفضله فيكون
مراده ما اراد به واختياره ما يختاره له اذ لا اختيار ولا ارادة للعبد مع اختيار سيده وارادته فتقع
الارادة بترك الاختيار والسكون الى مجاري الاقدار ليكون كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء
قلت وهذا معنى التوحيد وهو افراد الله تعالى بالملك والتصرف فلا اله ولا فاعل
ولا مدبر الا الله واما الزهد فهو من منازل العوام ايضا لانه حبس النفس عن مرادها
وامساكها عن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما لا يعني من الاشياء وهذا
ايضا نقص في طريق الخواص لانه تعظيم للدنيا ومبالاة بها ورجوع من العبد الى ذاته وشهوده
نفسه وانما الزهد صدق الرغبة اليه تعالى وتعليق الهمة به والاشتغال به عن كل شيء يشغل
عنه وهو تعالى المتولي بحسم الشواغل والكافي عبده ذلك قلت وهذا ايضا
من نتائج التوحيد والعلم بان لا معبود الا الله تعالى وغيره تعالى باطل فلا اشتغال بشيء ولا تلتفت
اليه فضلا عن ان يبالى به ويعظم وانما عن الاله هو تعالى فلا ان النفس اقبالا ولا ادبارا واما
التوكل فهو للعوام ايضا لانك توكل امرك الى مولاك وتلتجئ اليه ليدبر امرك ويكفيك همك
وهذا عند الخواص خروج عن التوكل الى الاسباب لانك ربطت الاسباب ووقفت مع التوكل

ب
ما يختار

ح وانما الزهد

Copyright © King

بدلا عن الاسباب لانه صار بعينه هو السبب والحجة **و**حقيقة التوكل عند القوم تخليص القلب
من علة التوكل وذلك ان يعلم ان الله لم يترك امرا مهملا بل فرغ من الاشياء فهو تعالى يدبر الامور ويسوق
المقادير الى اوقاتها فلا ينفع طلب ولا يمنع توكل فلم يبق للعبد الا السكون الى سابق حكمته وانتظار
قسمته قضاء حقه تعالى بالطلب لا لعوض **قلت** وهذا ايضا من نتائج التوحيد والعلم
بانفراد الله تعالى بالملك والتدبير وان علمه تعالى ومشيئته سابقان بكل شيء فلم يبق للعبد في
سعيه الا تحصيل حاصل او طلب ما لا يحصل وكلاهما عبث وضلال فما بقي بعد الا سبب من جهة الحقيقة
الا ما كان من طلبنا منه شيئا بان امرنا به فكان ان نشتغل به قضاء لحق الحكمة التكليفية غير معتمد
عليه ولا ملتفت بقلبه اليها لانها لا تزيد حظا ولا تدفع وما يكون المتسبب بهذا المعنى متوكلا
على الله تعالى به مسببه لا على سببه فيصح التوكل مع وجود الاسباب كما يصح مع التجرد عنها
واما الصبر فهو من منازل العوام ايضا لان الصبر حبس النفس عن مكروه وحبس اللسان
على الشكوى وانتظار الفرج عند عاقبته وهو عند اهل الخاصة تجلد ومقاواة للحق ومنازعة
بان حاصله راجع الى كتمان الشكوى والصبر في الحقيقة الخروج عن الشكوى والتلذذ بالبلوى
والاستبشار باختيار المولى **و**قالوا انه على ثلاث مراتب **الاولى** تجرع مرارة المكاره رجاء
الثواب وخيرا لعاقبته وهذا هو الصبر لله **و**مثاله ان يمزج لك من يشربه مر علقم وهو في غاية
المرارة فيتكلف شربها رجاء البرء وهو صبر العوام **الثانية** شهود يخفف بعض الالم ويذهب
بعض المرارة وهو الصبر بالله **و**مثاله ان يمزج لك من يشربه من علقم وعسل وهذا صبر المريدين **الثالثة**
التلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى وهذا هو الصبر على الله **و**مثاله ان يمزج الشربة من
عسل وسكر ويفاد له الاطبار وهو صبر العارفين **قلت** وهو نتيجة التوحيد الخاص وهو
الاستغراق مع الله تعالى ونسيان النفس وحظوظها فلا يبقى سرور الا في اختيار الله تعالى وموانع
الغرور ما قبله معلوم **واما** الحزن فهو من منازل العوام ايضا لانه توجع على الفائتة وفيه نسيان
المنة والبقاء مع الطبع وذلك عند الخاصة حجاب لان معرفة الله تعالى جلا نورها كل ظلمة وكشف
سرورها كل غمة فبذلك فليفرحوا **و**خرج عتبة الغلام على رابعة العدوية وهو في قميص جديد
يتبختر فيه ويمشي على غير عادته فقالت له يا عتبة ما هذا العجب الذي ارى منك قبل اليوم
فقال يا رابعة ومن اولى مني بهذا وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا **قلت** وذلك من نتائج

التوحيد

King Saud University

التوحيد ومعرفة الله تعالى فمن عرف الله وحده ومن وجد الله لم يفتقد شيئا لأن من فقد الله لم
يجد شيئا أخذ الله الكفاية من كل شيء ولا يكفي عن الله شيء كما قيل

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله إن فارقت من عوض

وأما الخوف فهو أيضا من منازل العوام لأنه حذر من سطوات العذاب ونفوذ الوعيد وليس عند
الخواص خوف لأنهم شاهدوا المبلي في البلاء والمعذب في العذاب فصار الوعيد وعدا والعذاب عذبا
في جنب ما شاهدوا وربما يؤديهم ذلك إلى أن يطلبوا العذاب ويلتمسوا العقاب كما قيل وفي ما يزيد يزيد

أريدك لا أريدك للثواب ... ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب
وكيف أروم إدراكا ببكاء ... وفي مضمونه كشف الحجاب

والعارفون هيبة وهي أفضل درجة يشار إليها في غاية الخوف وليست كالخوف فإن الخوف
للعوام والهيبة للخواص والأدب لأنها مختصة لله تعالى بوصف التعظيم والإجلال **قلت**
وفرق ذلك أن معرفة عظمة الله تعالى وهي معنى مجموع ما وجب له تعالى من الاتصاف بالكمال كله
والتنزه عن النقص كله توجب الهيبة وذلك بعد الغيبة عن نفسه وعن نوازع حظوظه حتى
لا يبقى إلا الله تعالى على نعت الكشف والمشاهدة فيحصل ذلك وتحققه إلى هذه المدارج
ولا يمكننا فهم ذلك بالمعاينة في المثال المشهود فنقول ووجه المثال لو أن رجلا مستدبرا
استقبل جهة فقيل له إن ثم الأسد وهو ببصره لم يقع في الأسد ولا يرى الشخص فهو إن صدق
الخبر فيحصل له توقع وحذر على نفسه وعلى ذاته أن يفترسه الأسد وهذا هو حقيقة الخوف
ثم إذا دنى من الجهة فيقع بصره على الأسد تحصل له حالة أخرى من الخوف قوية وما غلب عليه الخوف
حتى ينسى ذاته ولا يبقى إلا في نفسه وربما ينسى نفسه أيضا ثم إذا دخل الجهة فوقع عليه
الأسد فأغراه ضاربا برجليه فهو إن لم يكن قد باشر معه ذلك تحصل له حالة أخرى وهي
أن يخوض غيابا فهو تارة ينسى نفسه وذاته ووظيفته وإذا أنسي نفسه لم يحزن عليها فكأن معنى
الخوف عندي إذا الخوف إنما هو توقع شيء مستقبل وهذا لا يتوقع شيئا لأنه قد ذهب عنه محل الشيء
المتوقع وهو نفسه وذاته وغيرهما لما اشتغل بالهيبة من عظمة الشخص الذي علم يتفرغ بالهيبة
للحزن على شيء وهذا هو مثال الهيبة المشار إليها **وأما** الرجاء فهو انتظار غائب وطلب مفقود

وهذا ايضا من اضعف منازل العوام وانما ذكره الشيخ ليدل وقع في النسخة لعايرة واحدة وهي تبين فساد
الخوف لما يقتضي بصاحبه الى الياس محمود وداء من الخوف وهذا المرض لا يعرض للعوام اهل هذه
الطريقة واما الخواص فالرجاء عندهم مشكور وعمل لا الصبر من يسير على سبيل البر والجود غريق
في ذلك ولم يرع له ما شاهد من موالاة محسن اذا والاه له وجوده غرضا وسئل بعضهم ما مراد العارف
فقال دوام الحضور اشار بذلك الى ان مراده بالله دائم لا يعني قلت وهذا
ايضا من نتائج التوحيد على ما تقرر في الحزن واما الشكر فرؤية النعم تولت على معطيها
والقيام بحقها والاقرار بوجودها ويعني الشكر الى معرفة النعمة وقبولها والثناء بها وهو
من منازل العوام لانه معاوضة لكونه بقولك ومقابلة نعمته بقولك وانما يكون من منازل الخواص
لانهم راوه فيما ما يكافئه دالة المعطي وهم يامرون المنة فالشكر عند القوم ان لا يشاهد في حال النعمة
سوى المنعم فاذا شاهده استعظم منه النعمة واذا شاهده حياء استحيا فيها الشكر واذا
شاهده تجريدا لم يشاهد منه شكرا ولا نعمة فيكون مشتغلا به واستغرقه فيه وغيبته
في حال شهوده مشتغل له عن معرفة النعمة والمحنة قلت وهذا ايضا من نتائج التوحيد
ومعرفة الله تعالى واما الشغل او عنه والفناء به عما سواه الكامل واما المحبة فهي اخص منزلة
تلتقي فيها مقدمة العامة بساقة الخاصة وقد اختلفت اشارات اهل التصوف في العبارة عنها وكل
تكلم بحسب ذوقه وانفتح له مقدار شوقه وهو على الاجمال اقبال تقتضي الى التفصيل وجود
تعظيم في القلب يمنع الشخص من الانقياد لغير محبوبه وقيل ايثار المحبوب على غيره وقيل غير
ذلك فاما محبة العوام فهي محبة تثبت من مطالعة المنة تقطع الوسواس وتلذذ الخدمة للمحبوب
على غيره وقيل غير ذلك وتسلي عن المصائب قلت وهذه ايضا من نتائج التوحيد
غير ان الاولى من معرفة ذاته واستقلاع جلاله والثانية من معرفة صفاته والنظر الى احسانه
وانعامه والكل داخل في مضمون الكلمة المشرفة واما الشوق فهو انتظار الرغائب واعواز
الصبر على فقده وهو من مقامات العوام واما الخواص منهم فالشوق عندهم علة عظيمة لانه انما يكون
الى غائب ومذهب هذه الطائفة انما قام على المشاهدة ولهذا المعنى لم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة
صحيحة لان الشوق مخبر عن وجود معنى الرغائب وهو معكم اينما كنتم وقال قائلهم

وما معنى لشكوى الشوق يوما ⁂ الى من لا يزول عن العيان

قلت

قلت وهذا أيضا كان قبله **تحسين** بذكر وجوه من التنزيه ولأذكر شيئا فيما بعض
ما ينطوي تحت ذيل الكلمة المشرفة من علم الصفات وسنن الجلالات ونظم من ذلك ما يعمه الذاكر عند النطق
بها وما يستثمر بسببها **قلت** فأنا منها لا للفكر ثانيا في كل ما يعمه الذاكر عندها إذا تأمل وما ينبغي أن
يستحضره مما يتفرع منها وما يتصل بها في ذلك وجوه **الوجه الأول** أن تعتقد علم من الكمالات الثابتة
لله تعالى وأنها مندرجة في طي الألوهية المقصورة على الله تعالى المنفية عن غيره فإذا أتى الذاكر
الكلمة المشرفة فهم أن تلك الكمالات كلها ثابتة لله تعالى وعلى تمام هذا التنزيه أن يكلمها يستشعر
حالا تناسبه ويكون الذاكر مع المداومة إن أيد بالتوفيق تحلى قلبه بتلك الاعتقادات وتمثل بجميع
المذكورات حتى ينصبغ بذلك وهو فائدة دوام الذكر فيتسع قلبه وقالبه ويجتمع شاهده وغائبه
وعند ذلك يحرز المقامات ويبلغ النهايات **الوجه الثاني** أن تعتبر أن الإله لغة هو المعبود
بحق والعبادة الخضوع والانقياد ويكون الخضوع تارة بالقلب وتارة بالقالب أما الأول
فيرجع إلى المحبة والميل والادعاء والتعظيم والإجلال وأما الثاني فيرجع إلى الخدمة والطاعة
والامتثال والإقبال وذلك نتيجة طاعة القلب فإن القلب هو أمير الجسد إذا تقرر هذا فتمثل الذاكر
لا إله إلا الله وكأنه يقول لا محبوب ولا مميلا إليه ولا معظم ولا مخدوم ولا مطاع إلا الله تعالى وعند
ذلك تقول متى أحب غير الله تعالى أو مال إلى غير الله أو خدم غير الله أو ادعى أو خضع لغير الله في
الجملة فقد انتقض عليه هذا التعبد وهم يصرون دعواه أن لا إله إلا الله جاءوا وجدناه يميل إلى
الدينار والدرهم والزوجة والولد والجاه والرياسة وغير هذا من الشهوات علمنا أنه أثبت
لا آلهة أخر بل آلهة كثيرة وكيف إذا كان مشغولا بها مشغوفا بمطالبها ومتشبثا بطول دهره
في مطالبها ما يقدم غيرها ولا يصير لا أسيرها فأي معنى للعبادة إلا ذلك وأي معنى لا إله
إلا تلك الشهوة المعبودة ولهذا سمي الهوى إلاها قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلاهه هواه
وعلى مقتضى هذا كان على الذاكر لهذه الكلمة المشرفة أن يتهم نفسه ويجتهد بتفريغ قلبه وقالبه
من الشهوات التي تعبدها وأن عونات التي هو أسيرها ليصح بذلك أنه ليس له معبود غير الله
تعالى فيصدق في قوله لا إله إلا الله وإلا كان قائلا بلسانه ما ليس في قلبه فيكون منافقا نسأل
الله التوفيق والعصمة من التعدي وإنه ستر رفيق **فصل** انقسم الناس في ذكر هذه الكلمة المشرفة
على قسمين **القسم الأول** العامة ومراتبهم منها نفي الشرك الظاهر وذلك بتنزيه الله تعالى

Copyright © King

عن أن يكون له شريك في الألوهية أو في استحقاق العبادة فمشربهم منها غسل الباطن من كل شرك صراح
كشرك الثنوية والوثنية والمثلثة من النصارى ونحوهم وبذلك يثبت لهم الإسلام ويخرجون من
سواد الكفار ويخرجون بفضل الله من الخلود في النار وهذا المعنى الظاهر هو الذي ذكرناه في المختصر
أولا بناء على أن الإله هو المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه أو هو المستحق للعبادة
وهذا القدر قد حصل لعوام المؤمنين وقد حصل لهم فيه تخلية وتحلية تناسب مقامهم بحسب ما
اشتملت عليه الكلمة المشرفة من نفي وإثبات فالنفي يقتضي التخلي عن الشرك وذلك باعتقاد أن
ليس مع الله متصف بالألوهية ولا مستحق للعبادة والإثبات يقتضي التحلي بالتوحيد وذلك
باعتقاد أن الله جل اسمه هو المتصف بالألوهية المستحق للعبادة ومن لم يحصل له هذا القدر لم يثبت
له في الإسلام نصيب **القسم الثاني** الخاصة ومن أدهم منها نفي الشرك الخفي زيادة على نفي الشرك
الظاهر وذلك بتنزيه الله تعالى عن أن يكون معه من يستحق أن يلتفت إليه ويشتغل به إلا بإذن الله
فمشربهم منها غسل الباطن من الالتفات إلى الأغيار والاستشراف لغير الواحد القهار ويحصل لهم في
هذا المطلب التخلية والتحلية التي تناسب مقامهم الشريف ومنصبهم المنيف وذلك أيضا بحسب
النفي والإثبات فالنفي يقتضي انتفاء كل إله أي معبود فيتخلى القلب من كل ما يستعبده من
الأغيار كالمال والولد والجاه وجميع الحظوظ وهو كل ما فيه للنفس منصب أما حسي كالدينار
والدرهم والمركوب والملبوس ونحو ذلك وأما معنوي كالجاه والحظوة والعز كالولاية وظهور
الكرامة وارتفاع المقام وميل القلوب وصفاء السر ونحو ذلك ويتبرأ من جميع ذلك بل ومن
الكونين جميعا ويبرأ لكل عرضه فيغتسل من باطنه أدرانهما ويضمحل دخانهما والإثبات يقتضي وجود
الله تعالى الملك الحق إذ إنه إله هو فيتحلى القلب باعتقاده موصوفا بأوصاف الكمال مبرأ عن أرداء
الجلال والجمال لا إله غيره ولا معبود سواه تبارك الله رب العالمين **تنبيه** وما ذكرنا
في هذا المطلب من تخلي القلب عن الأغيار وتفرغه من الالتفات إلى ما سوى الفاعل المختار إنما
هو مطلوب حيث يكون الالتفات إلى الأغيار مذموما موجبا للشرك الخفي وذلك حيث لم يكن من
الله إذن فيه ولا أمر به وإنما العبد ساع لنفسه بنفسه وعابد لهواه أما إذا كان من الله طلب في ذلك
فليس بمذموم ولا مناقض للتوحيد ولا موجب للشرك لأن الالتفات إذ ذاك امتثال لأمر الله تعالى
وطاعة له والمطاع حينئذ والمعبود واحد وهو الله تعالى وإنما تنوعت العبادة واختلفت الجهة

وإن

والرب واحد وهو الله تعالى وانما تنوعت العبادة واختلفت الحرمة والرب فاعل مختار يامر باي نوع
شاء من العبادة ويطلب اي صفة شاء من الحرمة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لهذا امتثال امر الله
تعالى بطاعة الرسل وطاعة اولي الامر وتعظيم حرمات الله على الجملة كان ذلك كله محمودا غير مناقض
للتوحيد لان المطاع في الكل والمعظم هو الله تعالى وكذا القول في الاسباب العادية وهي كل
ما يستجلب به نفع او يستدفع به ضر في العادة كالطعام للاشباع والماء للارواء واللباس
للستر والسيف للقطع والتجارة لتنمية المال والزراعة لتنمية الزرع والنكاح لبقاء النوع
والعلاج لذهاب المرض الى غير ذلك متى كان الامر من الله تعالى والاذن بالنظر اليها نوعا من الشكر
فليس النظر اليها منافيا للتوحيد كما ذكرنا واعلم ان الناس في جميع ذلك احوال الحالة
الاولى حالة من يلتفت الى شيء من ذلك على انه اله يستحق ان يعبد كالنصارى في عيسى عليه
السلام وكالجاهلية في اصنامهم وفي معناه من يلتفت الى شيء من ذلك على انه مؤثر كالطبائعيين
في الطبائع والفلاسفة في العقل فهذا كله كفر لانه ابطال للوحدانية اما وحدانية الذات واما
وحدانية الصفات وفي معنى ذلك من يلتفت الى شيء من تلك الاسباب على انها ارتبطت بها فعلها
ارتباطا عقليا لا يصح فيه الانفكاك عقلا لان ذلك والعياذ بالله سلب للاختيار عن الفاعل المختار
الحالة الثانية حالة من يلتفت الى ذلك على انه امر عادي ولا تاثير له ولا الوهية لانفراد المولى
تبارك وتعالى بالالوهية وخواصها ولكن لم يكن غفلته واستيلاء الحظوظ النفسانية عليه
يهتم به ويعكف عليه ويعتمد اعتماد من يرى انه اله او مؤثر فهذا مؤمن بقلبه وباطن اعتقاده
مشرك بفعله ووهمه وهذه حالة اهل الغفلة من عوام المؤمنين امثالنا وتقدم تقرير هذه
الحالة وسببها عدم تمكن الايمان والتوحيد من القلب بحيث ينفخ فيه رسوخا حاليا ذوقيا فيغلب
عليه وانما وقع التصديق في القلب وهو مشحون بالشهوات والرعونات مغلوب بها وتلك
الشهوات والرعونات من نتائج الكفر وثمرات الجهل لا الايمان والمعرفة فصارت الاعمال جارية عليها
لانها هي الغالبة وبقي الايمان في القلب لا اثر له فصار العمل عمل الكافر والاعتقاد اعتقاد مومن
ومثال هذا والي ابتلي بمستضعف ويتردد عليه حتى لا يبعد به ثم هم بالناس يتصورون على مقتضى
هواهم وهم لا يقدرون مثلا على قتله ولا عزله لتوقع عادية الخليفة او لشخصه شكلا فيشير هؤلاء بينا دون
باطن الرأي وفعلهم فعل من لا ولي له وكذا روح هذا العامي الغافل تردت عليها الجوارح وحب

على حكم الهوى والشيطان ولو سلك المشيطن على وجه لكان كلا او لا يكن نخص بعصمة الله تعلى
ولطفه فصارت الجوارح جوارح المومن وهي كانت جوارح من ايمانه **الحالة الثالثة** حالة من
يلتفت الى ذلك امتثالا لامر الله تعلى الا لانتباهات اليه واقتضاء لحكمة الله تعلى في اعتباره والتفكر
اليه وهذا لا يكون الا لمن هذه الاحوال الوهبية ولا تاثير النعمة توحيده وسلامته من الشكوك
ولا يكب عليها بمقتضى شهوته والطبعه لتيقظه وسلامته من الغفلة وهولاء هم خاصة المومنين
اولياء الله تعلى فهم وان نظروا الى هذه الكاينات بعيون الابصار موجودة ينظرون اليها بعيون
الابصار معدومة متلاشية اذ العدم لها من ذاتها فلم يقفوا عندها بل نفذوا الى خالقها وموجدها
وهو الله تعلى الذي له الملك والامر وبيده النفع والضر كما قال قايلهم

ما اثبتت لك المعالي الا • لذي بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من لم يرض • حالة دون ان يرى سواها

وعلموا انما ما ابرزت للوجود الا ليتجلى فيها الحق تعلى لعباده المتفكرين وتعرف اوصافه واحكامه
وحكمه تفضلا منه تعلى على عباده بهذه الحكم والمصالح فجعلوا يستثمرون هذه الثمار ويستنتجون
هذه النتايج على الدوام وهي البحار التي غاص فيها اولوا النهى وخاض فيها العارفون فحصلوا وكثر
وليس لهذه البحار ساحل نسال الله تعلى ان ينيلنا منها الحظ الاوفى وان ينفع علينا من وردها
ولا يصدوا ان يجعلنا من عباده الذين خلقهم ليعبدوا عليه فهولاء متى قالوا لا اله الا الله فهم
صادقون في قولهم اذ ليس لهم معبود سوى الله تعلى وكل ما سوى الله تعلى فليس بمعبود
لهم اذ لم تستعبدهم الكاينات كما استعبدت الغافلين ولا اخرجوها بل هي التي تخدمهم فقولهم
لا اله الا الله تطابق فيه اعتقادهم وما في نفس الامر وجرت عليه افعالهم واحوالهم فقد
صدقوا قولهم بفعلهم واعتقادهم واستوى ظاهرهم وباطنهم فسلموا من النفاق فهم الصادقون
المخلصون نسال الله تعلى ان يجعلنا منهم • واما الغافلون فحتى قالوا لا اله الا الله كان بحسب
نفس الامر حقا وهذا لا مرية فيه لقايل اذ لو قاله المنافقون لصدق كان كذلك واما بحسب
اعتقادهم وفعلهم فليس كذلك اذ لهم معبودات كثيرة على عدد شهواتهم قد تمكنت من قلوبهم
وجرت عليها افعالهم واحوالهم فقد كذبوا قولهم بفعلهم واعتقادهم فكانهم يقولون ما نعرفه
ليس نعبده كذبوا كما قال تعلى في المنافقين قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله

والله

والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم حيث شهدوا بما ليس في قلوبهم فهم كاذبون في اعتقادهم وان كان
المشهود به حقا وصدقا بالنظر الى نفس الامر وكذا لا اله الا الله كلام في الحقيقة صدق بحسب
الصدق المتعارف وهو النظر الى ان صدق الخبر مطابقته للواقع كان موافقا لاعتقاده ام لا غير انه قد يسجل
على نفسه بالصدق وذلك حيث تم احواله علما ومعرفة وذوقا وقد يسجل على نفسه بالكذب وذلك
حيث تكون افعاله واحواله على خلاف التوحيد الذي ينطق به لسانه فيكون اذ ذاك بلسان
مقاله مثبتا وحدانية الله تعالى وبلسان حاله نافيا لها ومكذبا نفسه فيما يقول واعلم
ان هذه الحالة التي ذكرناها اعني حالة اهل الغفلة تتفاوت الدرجات فيها تفاوتا عظيما وذلك
بحسب التخلي عن ذلك فمنهم من يكون كليا ومنهم من يكون جزئيا اما كثيرا واما قليلا فان النفس اشبه
شيء يتبع الاشياء بالاحوال وعدم تخليها عنه — الحرباء اي بل السا و الامسكا
سافلة فالنفس متى جذبها السالك عن حظ من الحظوظ لم تتخلص منه حتى تتشبث بحظ اخر
مثله او ادنى وهكذا حتى يخلصها من الجميع سابق العناية لمن سبقت له من العباد وقليل ما هم
ومثال ذلك من اول الدرجات ان الانسان ربما يكون مطبوعا على حب المال وعلى الشح به كما قال تعالى واحضرت
الانفس الشح وحبه للمال اشغاله عن الله تعالى وحجاب بينه وبينه لانه يصير القلب مشتتا لا يسمح
بتسليمه لله تعالى وذلك ضد التوحيد المطلوب من العبد وتلك الشركة تصدر عن الجوارح الافعال
والاقوال والاحوال القلبية المبعدة عن الله تعالى فان العبد بسبب هذه العلة ان يعود بالمال لا يكون
خروجه من ايديه سببا لخروجه من القلب لحول الهم وتوقيفه فيعسر ذلك على النفس لما فيه من الشح
الكامن فيها فاذا كلفها صاحبها الجود وجاهدها في الخروج عن المال والانتقال من هذا الحظ 24/31
فهمها بان ذلك لله تعالى واعطى المال تشبثت له بطلب المدحة والثناء عليه ان سلمت من طلب
الاعواض والحسنات والمدحة والثناء حظ اخر انتقلت اليه من الاول وهو ايضا شاغل
عن الله تعالى ومخل بالتوحيد كالاول والاخر فكان ايضا ان يجاهدها في الخروج عن هذا الحظ
والانتقال عن هذا الشاغل الاخر وربما كان اصعب من الاول لان دفع المال ربما يسهله وجود
الاخلاف او توقعه وليس للنفس من ميراث الثناء والجاه والمزية خلف يخلفهم لها فيصعب
عليها الخروج منه حتى اذا جاهدها وكلفها الاخلاص وخرجت من ميراث الدنيا والاخرة بزهادة
المال وذهاب ... من الله تعالى فحينئذ ينتقل الى طلب الثواب الاخروي وهو حظ اخر شاغل

صح
التي انتبع له ... تنضبة

السفر ...

من الله تعالى فان الله تعالى لولا انه اباح طلب الحظ لما اخذ دون رفقا بعباده الضعفاء لم يكن بينه وبين
الدنيوي من وقت الا اخروي نعم الا الحظير واشتهار اهلها اشغلهم الا ان فيه صعوبة على النفس من
حيث تاخره ولذلك مدح الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ومع ذلك فهو حظ من الحظوظ
النفسانية الذي هي طلبه للعبادة والزهادة وذلك منصبهم ولم يوذ رعيه للعارفين الموحدين اللهم
الا قدر اقتضاء الحكمة الشرعية من التعبد واظهار الفاقة والعبودية وقد تشتغل عن ذلك الى
طلب الكرامات وظهور الولاية وهذا ايضا حظ شاغل عن الله تعالى ولو ظهرت له فالخروج عن
ذلك كله اولى منه ان تشتغل الى حب الوصول وطلب الدنو والقرب لا استشعارها انها تحت هوى
شعرت او لم تشعر او قصدت الى التحقيق او امتثال وهذا ايضا حظ شاغل فان حب الوصول
شاغل عن الوصول وقد قال المشايخ لا يصل المريد حتى تنقطع عنه شهوة الوصول اي انقطاع
ادب لا انقطاع ملل وهذا والله اعلم حيث يكون باعثا على العمل ان العمل اذ ذاك يكون معلولا
فيختل الاخلاص الذي هو شرط في قبول الاعمال قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء الاية وعلى هذا ما وقع للشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال كنت انا
وصاحب لي نتعبد في موضع ونقول غدا ننفصل الى الله تعالى فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا يوما رجل
ووقف بباب المغارة وسلم فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه ولي فقلنا له كيف انت
فقال كيف انت كيف انت بصفة الانكار ثم قال كيف حال من يقول انا غدا في الوصول ولا يفلح
ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبدين الله تعالى مخلصة وانصرف عنا قال الشيخ ابو
الحسن فعلمنا من اين اوتينا قال فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها اين شئت
وما قدرك حتى تطلبي ما تطلبين قال فجاء الله تعالى بالفتح عن قريب ومن هذا المعنى قول ابي
العباس بن العريف رضي الله عنه علو العباد بالاعمال والمريدون بالاحوال والعارفون بالهمم
والعبودية ثم ذلك كله ثم قال اما الاعمال للجزاء والاحوال للكرامات والهمم للوصول وانما يبدوا
الحق عند اضمحلال الرسم ثم قال وما سوى الله حجاب عنه انتهى ومن جملة ما سوى الله الوصول
اليه وطلبه فافهم فان ذلك كله حجاب وقال الشيخ ابو العباس المرسي عبد الحال بالحال
وعبد الحال بالمحول فالذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول هو عبد
المحول قال ابو العباس بن عطاء الله ومعنى كلام الشيخ ان الذي يكون في الحال بالحال

هو

هو الذي يكون بها مستشرفا لها قبل وجودها يفرح بها عند وجودها ويحزن عليها عند فقدها فهذا هو عبد
الحال وهو الحال او ليست الحال له ولو كان عبد الشيخ يكن له استشراف لغيره ولا فرح بغيره ولا حزن على
فقد غيره ولا يشغله الفرح بالعطاء على المعطي واردت ان تكون ايها الحبيب مكرما فلا تحب الا وليس
والحالة والمنزلة انتهى الغرض منه وقال في قوله تعالى فان اصابه خير اطمان به اي اطمان بذلك الخير
ولو هجم عليه الا اطمان بشيء دونه ولكانت طمانينته بالله وحده انتهى وهذا المعنى مقرر
مشروح في كتب القوم غاية الشرح تنبيه واعلم ان الداعي لهذه الكلمة المشرفة
من تعلق قلبه بالله تعالى او تخلى عن غيره تعالى بان انفصل باطنه من الالتفات الى الاغيار على ما قررنا ولا
لزم من ذلك بفضل الله تعالى ان يتخلى عن جميع الصفات المذمومة ويتحلى بجميع الصفات المحمودة
فالصفات المذمومة كالكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه
والمال وما يتفرع عن هذه الاوصاف كالبطر والاشر والغلظة والفظاظة وقلة الرحمة والعداوة
والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وعدم الثقة بمضمون الرزق وخوف سقوط
المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والغل والغش والمباهات والتصنع والمداهنة
والعشرة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الحياء وعدم
القناعة وحب الرياسة والانتصار للنفس الى غير ذلك من الاوصاف الذميمة وانما قلنا ان التخلي
المذكور يوجب بفضل الله تعالى الطهارة من هذه الاوصاف لان هذه الاوصاف الخبيثة كلها ناشئة
عن عدم تحقيق التوحيد وذلك بان الالتفات الى الدنيا والنفس ومراعاتها والرضى عنها من الالتفات
الى النفس والنظر اليها بعين الكمال تولد التكبر فيها اما على الله تعالى كنمرود وفرعون وغيرهم
من الجبابرة [illegible] واما على عباد الله تعالى وهو الاكثر ومن نسبة الافعال اليها تولد العجب
وحب الثناء ونحو ذلك ومن الالتفات الى الدنيا واهلها جلبا ودفعا تولد الرياء والسمعة
والحسد وحب الجاه والمال وذلك كله راجع بالاخرة الى النفس فهي التي يعظم ويجل من
ويسعى لها في جلب المنافع ودفع المضار ومن الجلب لها والدفع عنها نشا جميع ما مر من
الاخلاق الذميمة التي رسمناها ولو قدر تخلي العبد عنها وقصر نظره وسعيه ومرجعه على الله
تعالى وفيما يرضي ربه عز وجل لسلم منها كلها فصحت عبوديته لربه وثبت له التوحيد والسلامة
من الشرك ولذلك قال الامام الواسطي رضي الله عنه النفس صنم والنظر اليها شرك في

العبادة وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر ان النفس مشاكلة بصفات الربوبية كالكبر
والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومشاكلة باخلاق الشياطين من الخداع والخيانة والحيلة
والحسد والظنة ومشاكلة بطبايع البهايم وهي حب الاكل والشرب والنكاح وهي مع ذلك
مطلوبة باوصاف العبودية مثل الافتقار والخوف والتواضع والذلة قال فلا يكون العبد
عبدا مخلصا حتى يكون لهذه المعاني الثلاثة مخلصا فاذا تحقق باوصاف العبودية كان خالصا من
المعاني التي هي بلاوي من صفات الربوبية قال والاخلاص بالعبودية للوحدانية عند العبيد
الموحدين اشد من الاخلاص في المعاملة عند العاملين وبذلك رفعوا الى مقامات القرب
وذلك انه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فكيف يكون عبدا لمن هو
عبد عبد لا ما شأنه اليه جعله الله وما ترتب عليه هو ربه وهذا اشرك في الالوهية عند المتالهين
ومزج بالربوبية عند الربانيين فهو معدود من المشركين بدعاء الرسول عليه السلام اذ يقول
تعس عبد الدينار تعس عبد الزوجة تعس عبد الخملة فهولاء عبيد العبيد الذين قال فيهم
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا انتهى وقال
ابن العربي الحاتمي في رسالة الانوار اعلم وفقنا الله واياك انك اذا اردت الدخول الى حضرة
الحق سبحانه والاخذ منه بترك الوسايط والانس به فانه لا يصح لك ذلك وفي قلبك ربانية
لغيره فانك لمن تحكم عليك سلطانه هذا ما اشك فيه انتهى وقال الشيخ ابو عبد الله محمد بن
علي الترمذي رضي الله عنه كيف يطمع قلب ان يصل الى الله مع شهوة نفس فان شهوة النفس
هي الدنيا فتطمع ان تسير الى الله تعالى مع الدنيا ان هذا لمحال ثم قال فان اردت ان تفرده سبحانه
بالعبودية فاجتهد في خروجك من رق النفس الى رفقه انتهى وهذا المعنى مما اجمع عليه ارباب
القلوب واتفق معناه لجميع ارباب البصاير نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم بمنه وطوله فاذا
خلص الله تعالى بفضله العبد من رق نفسه ودنياه وطهره من كل وصف ذميم على ما رسمناه
فعند ذلك يتحلى بمحامد الصفات ويتعلق في المقامات فيتصف بينه وبين الله تعالى بالانتقال
وبالتوبة وبالانابة وبالورع وبالزهد وبالارادة وبالايثار وبالصدق وبالنصح ثم بالصبر
والرضى والاخلاص والتوكل الى غير ذلك من المقامات وبالمحبة والرجاء والخوف والحياء
والشوق والانس والطمانينة واليقين والمشاهدة الى غير ذلك من الاحوال السنية

والواردات

والواردات اللطيفة وتصفية بينه وبين عباد الله تعالى بالرأفة والرحمة والبر والعفو وسعة
الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والشفقة والعطف والثناء والوقار
والسخاء والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاق المومنين واوصاف
الربانيين **واعلم** ان هذا المعنى الذي اشرنا اليه في هذا المحل هو المعبر عنه في علم التصوف
بالتخلي والتحلي وقد يقال التخلية والتحلية وقد يقال التزكية والتحلية اي التخلي من الوصف
المذموم والتحلي بالوصف المحمود وفي هذا المعنى يقع ما يذكرونه من السلوك وعنده يصير
العبد بدلا من الابدال اوصافه السيئة بالحسنة **قال ابو طالب المكي** رضي الله عنه ولا يكون
العبد من البدلاء حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين اوصاف
المومنين وبطبايع البهايم اوصاف الربانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا حقا **قال**
الحكيم في الزهد ان يسلك نفسه فيملكها وتتخلى له فيتسلط عليها ان اردت ان تملك نفسك
فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان تضيق عليها اتسعت عليك فان
اردت الطمانينة فلا تعرضها للهوى واحبسها عن معتاد بلايها فان تمسكها انطلقت به وان اردت
ان تقوى عليها فاضعفها فاقطع اسباب هواها واحسم مواد شهواتها ولا تقويها عليك فتصرعك
انتهى **واعلم** ان ما ذكر من التخلي بعد التحلي هو بطريق التقابل بمعنى انه ينتفي الوصف المذموم
عن العبد فيخلفه ضده المحمود فاذا انتفى الكبر مثلا خلفه التواضع واذا انتفى الرياء خلفه
الاخلاص وهكذا فقد يتبدل الجميع وقد يتبدل البعض دون البعض وقد يكون العبد مجبولا
على بعض الخصال المحمودة كالسخاء والشجاعة والحياء والحلم من اول فلا يحتاج فيها الى تكلف
الرياضة والمجبول على الذميم قد يسهل علاجه لكرم طبيعته وقد يصعب عليه العلاج لخبث طينته
وزيادة همته نسال الله العافية **قال الامام الغزالي** رضي الله عنه ان سلطان
ملك الله على مدينة انسانيتك بقوة دائرة ذاتك دينارا ولم يملكها احد من الخلق ان دم بيوتك
معه من قرار يتبعه ولا تزال الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فيصير
عن كبرك مذلة وتواضعا وعن كثرتك قلة وعن جودك فقرا وعن بقائك فناء وتتبدل كل صفة
مذمومة بصفة محمودة وتنتقل من عن حدود الذي دهرت ويقطع منها شجر صفاتك المذمومة
وتزال عنها عقارب الكبر والتعطيل ويذهب منها شوك التشبيه والتمثيل ويغرس فيها رميان

Copyright © King

الايمان والتوحيد ويثبت فيها التنزيه والتجريد وتتنوع صفاتك المحمودة والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا انتهى قلت الملوك الربانية دخلوا قرية النفس وافسدوا ما
ملكه الهوى وامن جعلوا الروح مملكته وللعقل وزارته ورجع الاوصاف اذلة حلوا ما لا اذلا العز لا
فتبارك الله احسن الخالقين وقال الشيخ مشايخنا ابو العباس زروق رضي الله عنه المخاوف
القلبية اربعة **الرياء** واصله الطمع ودواؤه الورع **والعجب** واصله الكبر ودواؤه رؤية
المنة لله تعالى وانك لا تستحق شيئا من حيث انت **والبخل** واصله خوف الفقر ودواؤه العلم بان
الرزق بيد الله وحالها دائل **والغضب** واصله رؤية حق النفس ودواؤه النظر في مخلوقاته
مكرا ونفعا فمن الكبر يتولد عدم الانصاف وبطر الحق واحتقار الخلق والترفع على عباد الله
واتباع الهوى وانكار الكرامات وادعاؤها الى غير ذلك ومن خوف الفقر يتولد الحسد والشح
والغضب والتعدي والسرقة واكل مال اليتيم والربا واكل المال بالباطل الى غير ذلك من الآفات
المتعلقة بالمال ومن رؤية النفس والشفقة عليها يتولد الحقد والمكر والخديعة وطلب
التشفي ونحو ذلك انتهى وذكر في جملة الاشكال في منهاج علماء الاخرة في عدد انواع الخصال
المحمودة نحو تسعين خصلة وفي اضدادها المذمومة نحو ذلك وفي الافعال والمساعي الواجبة
والمحظورة نحو ذلك وذكر ان الاشياء التي لا بد منها في علاج القلب ولا غنية من التحرز منها اربعة
وهي طول الامل والاستعجال والحسد والكبر فهي من امراض القلوب واصول البليات
وتقابلها اربعة هي الاصول في صلاح القلوب وهي قصر الامل والتأني في الامور والنصيحة للخلق
والتواضع والخشوع اما طول الامل فيورث التكاسل عن الخير وتسويف التوبة والحرص على
الدنيا والغفلة والقساوة بنسيان الاخرة واما الاستعجال فيورث عدم الرفق وعدم التثبت
وعدم التيقظ ويتم ذلك كله الا بالحق والتدبير وبه تفوت المقاصد ويقع في المعاصي واما
الحسد فيورث افساد الطاعات كما ورد انه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وفعل المعاصي
بالاغتياب والشماتة ونحوهما وتعب القلب والغم اللازم بلا فائدة والخسران والحرمان واما
الكبر فيورث العمى عن الحق وحرمانه بالاعراض كما قال تعالى سأصرف عن آياتي الآية ومقت
الله تعالى له وبغضه قال تعالى ان الله لا يحب المستكبرين والخزي في الدنيا روي عن حاتم رضي
الله عنه قال الخبيث المرء على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله من

الدنيا

فمن بلاء المتكبر
لا يخرجه الله

ف والحرص لا يخرج العبد من الدنيا حتى يحوجه

من الدنيا حتى يرى الهوان من اراذل اهله وخدامه والحرص لا يخرج العبد من الدنيا حتى يحوجه الى
كسرة او شربة ولا يجد مساغا والحسد لا يخرج العبد من الدنيا حتى يرى غم الله بموته وقبره والنار
والعذاب في الآخرة وفي الحديث ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد
منهما ادخلته جهنم والمعنى ان الكبرياء والعظمة مختصان بالله تعالى لا يكونان لغيره كما يختص
باللابس لباسه وانظر تفصيل هذا الجمل في كلامه وهذا المقام يحتاج الى بسط كبير وتفصيل شافي
في ذكر جميع المهلكات والمنجيات وما لها من الحقائق وما لها من الاسباب والثمرات ولو اشتغلنا
بذلك لاحتجنا الى ديوان اخر وليس من غرض هذا الكتاب ذكر التصوف بالقصد الاول وانما
نشير الى شيء عند اجراء الحديث اليه مع التحرز من الاطناب والمحافظة على موضوع الكتاب
والله المستعان **الوجه الثالث** ان لا نعتبر ثبوت الله تعالى بذاته ولا انتفاء غيره بذاته
ولكن نعتبر الانفراد به تعالى ثبوت حكمه واعتبار شأنه وعدم الانفراد بغيره تعالى وقد اشرنا الى
هذا المعنى في وجوه تفسير الكلمة المشرفة قبل ونضرب هنا لذلك مثالا يتضح به الغرض ولا بد ان نسم
هنا مثالا اخر نستوضح به المرام وننبه عليه ما قصدناه فيه من الكلام فنقول انه لو بعث
امير رسله الى طرف اقليمه فكلفوهم ان يقولوا لا امير الا فلان وهو اسم ذلك الامير الباعث
فان هذا الكلام وهو قول اهل البلد لا امير الا فلان يصدق بصورتين احداهما ان لا يوجد امير في
ذلك الاقليم اصلا غير ذلك المذكور فيكون معنى الكلام لا امير موجود الا فلان الصورة الثانية
ان يوجد امراء اخر او امراء الا انه لا عبرة بهم ولا اعتداد بهم امامه او لا وهلة واما انه ان يريد ان خلعهم
والتبرئ منهم ويكون معنى ذلك الكلام لا امير يعتد به وينفذ حكمه الا فلان وقد علمنا ما فيه على الاعتبار
الثاني من هذين من معنى الانشاء وكذا الكلمة المشرفة اذا قلنا لا اله الا الله احتمل ان يكون
المراد لا اله موجود او معبود بحق الا الله واحتمل ان يكون المراد لا اله معتبر ومعتد به الا الله
اما الاول فقد تقدم من تقريره واما الثاني فهو الذي نريد ان نذكره الان فنقول متى اريد بعدم الانفراد
والاعتبار بغير الله ما يرجع الى ذات الغير ووجوده بمعنى انه لم يوجد غير الله او لم يعتبر وجوده
لكونه جائز العدم او واجب الوجود ولا ... نحو الالوهية فقد رجع الى المعنى الاول بنفسه ومتى
اريد به عدم الاعتداد بشأنه وامره وحكمه والاعتداد بالله تعالى هو الاعتداد بشأنه وحكمه
وطاعته فهذا مقصودنا من هذا الوجه فنقول انه متى تعدد الامراء في الظاهر او توهم تعددهم

فقال من يريد الانتماء الذي هو الامر مخصوص والنهي من غيره لا امير الا فلان وهو كذلك المخصوص فمراده لا طاعة
الا طاعة هذا الامير ولا امر الا امره وحيث تعدد القضاة او توهم تعددهم فقال من يريد الاقتصار على
قاض مخصوص والانقياد لحكمه لا قاضي الا فلان فمراده لا حكم الا حكم هذا القاضي ولا دعوى الا اليه ومتى
تعدد الاولياء على المراة المخطوبة او توهم تعددهم فقال لا ولي الا فلان فمراده لا قول الا قوله
وهكذا ما يقع من مثل هذا ولما كثر الالهة المعبودة في الجاهلية من دون الله تعالى كالاصنام والاوثان والنجوم
والملائكة والجبابرة من الانس والجن فيقول من يريد الاقتصار على عبادة الله تعالى والتزام الطاعة
والبراءة من طاعة غيره وعبادته لا اله الا الله فمراده ايضا لا عبادة الا عبادة الله ولا طاعة الا
طاعته فتفطن اذا وقع هذا المعنى في جميع اللوازم لهذه الكلمة المشرفة فكانه يقول لا حكم الا حكم
الله ولا امر الا امر الله ولا نهي الا نهي الله ولا تدبير الا تدبير الله ولا تشريع الا تشريع الله ولا طاعة الا طاعة
الله ولا عطاء الا عطاء الله ولا منع الا منع الله ولا رجاء الا رجاء الله ولا خوف الا خوف الله
والى اخر ما يقدره العقل ويتصوره العقل **فان قلت** هذا التفسير وغيره
للكلمة المشرفة اليس من باب احالة النصوص التوقيفية عن ظواهرها وهذا لا يجوز **قلنا**
لا نسلك مسلك الاحالة ولا نريدها ولكن ما نذكره من الوجوه هاهنا فيما لم يستعمل به دلالة
الكلمة على التوحيد ولو لم يكن لها استلزام له فلا نسلم انها بذلك خرجت عن معناها المراد منها
لانها وردت من الشارع للتوحيد ولم يرد التوقيف بتفسير مخصوص ان نتعدى الى غيره والى ما يستعمل به
التوحيد بعبارة اخرى فالمراد حينئذ انها تدل بتلك العبارة زيادة على معناها ويكون ذلك
من باب ما يفهم من اللفظ على طريق الاشارات وهو واقع في الايات القرانية والاحاديث وكلام
الحكماء والائمة ونخرج هذا الكتاب بتفاضل من لوازم الكلمة عند العامة وذكر جميع ما يليق منها
عند الخاصة فكل ما يمكن ان يستخرج من الالزام لها من اللطائف ويصل اليه فكر عند هاتين من المعارف
فلا باس ان نذكر هنا ونوضحه ليتنبه له ويعرف واذا انحصر ما ذكرناه من المعنى في انها جعلت تصير
بذلك ترجمة في كل مطلب ومستندا في كل مارب وتصير بذلك فجرا او مدار الكلام فهو نشير وعن
ياتي من وساوس الشيطان الذي هو مشير وذلك على ما اشرنا اليه انها عند التفريق مما لا يحتاج
معه عند اللبيب الذي يريد مشكلا اذا تردد الناظر في ان يسلك سبيل الاسلام او الكفر فليقل
لا اله الا الله اي لا حكم الا حكم الله ولا دين الا دين الله ولا شرع الا شرع الله وهو الاسلام

[margin:] ... اذا تردد الناظر الخ

٧

لا الكبر فيأخذ الا سالم ويدع الكبر وهكذا في التوحيد وأما الصغائر كلها وإذا تردد فيه بمقتضى
عارض الوسواس الشيطاني أو الكسل في أن يصلي أو لا فليقل لا إله إلا الله أي لا حكم إلا حكم الله
أي لا أمر إلا أمر الله وهو أمر بالصلاة فيصلي وإذا تردد في أن يصليها بطهارة أو لا فليقل لا إله إلا الله
أي لا أمر إلا أمر الله وهو أمر بالطهارة وإذا تردد في أن يتطهر بالمطلق أو بكل ماء وجد فليقل لا إله
إلا الله أي لا أمر إلا أمر الله وهو أن يتطهر بالماء المطلق فيطلبه وهكذا القول في الاستقبال والتستر
وجميع شرائط الصلاة وفرائضها وسننها وآدابها وكذا في الزكاة والصيام والحج وجميع العبادات
وكذا في الإيقاعات من النكاح والطلاق والعتق والمعاملات من البيع والقراض والشركة وأنواع
التصرف وحكم القاضي بالعدل أو الجور والتنزه عن الرشوة أو قبضها وتمام الوصي والتوكيل
بالسداد أو غيره وغير ذلك ففي كل ذلك يرد على العبد أمر من الله تعالى ويرد عليه أمر بخلافه من النفس
أو الشيطان فيقول لا إله إلا الله أي لا أمر إلا أمر الله ولا حكم إلا حكمه ولا طاعة إلا طاعته ليتنبه
بذلك ويتذكر فيمتثل أمر الله تعالى فيما يرد منه ويعصي أمر الشيطان والنفس والهوى إن كان موفقا
وكذا في أمر الباطن وفي مراعاة الحالات ومنازلة المقامات وانفتاح الرحمن من بسطه وتقرير بفقر
زدنا على الإشارة التي فيها للبيب مقنع وانظر كيف صارت هذه الكلمة المشرفة العزيزة الجامعة
مفزعا لكل موحد وملجأ في كل حالة ومفتاحا لكل باب وعنوانا لكل كتاب ومقياسا لكل مدرك
ومقياسا في كل مسلك فما أعظم قدرها وأجل خطرها جعلنا الله من أهلها المتحققين في شهودها
ولعلك تفهم من هذه الإشارة قوله صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا
الله وفي الحديث يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي واعلم أنه بعد
كتبي لهذا الوجه على حسب ما وقع في فهمي رأيته في تفسير الإمام الثعلبي نحوه قال في قوله تعالى فاعلم
أنه لا إله إلا الله قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل المعنى فاثبت على ذلك
من علمك وقال الكتاني هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضجر ويضيق صدره من طعن الكفار
والمتعنتين فيه فنزلت أي فاعلم أنه لا كاشف لما بك إلا الله تعالى فلا تعلق قلبك بمخلوق وقال
أبو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله أي فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيام الساعة إلا إلى
الله تعالى وقال ابن عطية معناه فاعلم أنه لا قاضي ذلك اليوم إلا الله تعالى نظيره مالك يوم الدين
انتهى فانظر فإنه في القول الأول حيث أراد التعميم المشهور احتاج إلى التأويل في خطابه صلى الله عليه

على سقط كذا بخط تلميذ المولف رحمه الله
فيتطهر

قف فيما تعلق قلبك بخلق

وسلم وفيما بعده من التقاسيم لم يبق لبعثته فيه صلى الله عليه وسلم **الوجه الرابع**
ان نعتقد ان الله هو المعبود وان العبادة الخضوع والذل الكامل ونعتقد ان الموجود لا ابراز بها الا به
في الجملة ويجب بنوع محبة اذ لا يخلو موجود من فائدة ما المستفيد ما يجب لا محالة وحبك
الشيء يعمي ويصم فيصير معبودا بذلك المقدار فكل موجود يمكن ان يصير الاها عند غافل
ما فيقصر نفي الموجود على العموم سوى الله تعالى لتحقيق التوحيد فاذا قلنا لا اله الا الله
فكانا قلنا لا موجود الا الله ولا يخلو القائل حينئذ من حالتين اما ولي او ان يكون في الغيبة
والاصطلام عن الاكوان راسا ظاهرا وباطنا فالتزم بالنفي وقيل له من لقيت في طريقك فقال
لا احد فالنفي المشهورة بهذا ان قال لا اله الا الله اي لا موجود الا الله فعبر فانه على الحقيقة
لا المجاز لانه يخبر عما في ضميره وليس عنده موجود اصلا غير الله تعالى ما دام في هذه الحالة الغيبية
عن سائر الموجودات التكوينية انما يتم هذا لمن يغيب عن نفسه ايضا في جملة الاكوان **الحالة الثالثة**
ان يكون من اهل الصحو والبقاء بحيث يشاهد المكونات غير انه غائب عنها في المعنى وهي معدومة
عنده حكما وان وجدت صورة فيقول لا اله الا الله اي لا موجود الا الله نظرا الى التحقيق وباطن
الامر والفناء للظاهر الذي هو منظر الغفلة وتقرير ذلك عنده من وجهين احدهما ان هذه المكونات
كلها مسبوقة بالعدم ملحوقة به حصرا او قبولا فالعدم لها من ذاتها كلها وانما الوجود لها عارض
لها من خارج وهو فعل الفاعل المختار فيكون اسم العدم اولى بها من اسم الوجود لا بالذات اولى
مما بالغرض وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه كان لا نفس بعد ان لم يكن وسيفنى
بعد ان كان ومن كان طرفيه عدم فهو عدم قال ابن عطاء الله رضي الله عنه ومعنى كلام الشيخ
هذا ان الكائنات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق لان الوجود الحق هو لله وله الاحدية وانما
للعوالم الوجود من حيث ما اثبت لها واعلم ان من الوجود له من غيره فالعدم وصفه في نفسه
انتهى ولان الوجود العارض لها بصدد الزوال ولو بعد حين والشيء اذا تحقق اتيانه يعتبر واقعا
كما قال تعالى انك ميت وقال تعالى اتى امر الله الوجه الثاني ان الكائنات وان كانت لها
صورة الوجود هي في حكم المعدوم وذلك انها مفتقرة متلاشية لا قيام لها بنفسها ولا غناء
لها وتنزيل الموجود منزلة المعدوم لعدم غنائه كثير كما قال تعالى ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الاخرة من خلاق ولبيس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فنفى العلم عنهم في تأويل بعد

ان

King Saud University

أن أتته إذا لم ينتفعوا به فكأنه غير موجود. وقال الشاعر:

وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى ... يعد من الأحياء وهو عديم

وقال آخر:

خلقوا وما خلقوا لمكرمة ... فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد ... فكأنهم رزقوا وما رزقوا

فمن رأى الكائنات بهذه الصفة فهو لها معدوم منتقص ثم فيصح له أن يخبر بأنه لا موجود إلا الله كمن يخبر رجال البلد ولم يجد في أحدهم خيرا ولا غناء فإنه يصح أن يقول لا رجل في البلد إلا فلان ويصدق كلامه وإن كثر الرجال في البلد لأن مقصده أن موجودهم كالمعدوم ولله در القائل في نحو هذا المعنى:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... والله يعلم أني لم أقل فندا

إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه وإنا لا نرى أحدا من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وإن كان ولا بد فكالهباء في الهواء إن فتشته لم تجده شيئا ولهذا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لا موجود معه وإنما حجبك عنه توهم موجود معه وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح مركوزة هنالك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم ير هنالك أسدا وإنما هو صوت الرياح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وإنما حجبه توهم أسد فمن كان في أمرها تيقن الحقائق التي وصفنا صح منه أن يقول لا إله إلا الله ويريد بها نفي كل موجود سوى الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى لمن يقول أن الألوهية هي الوجود المطلق مع أن هذا القول باطل وقد عز أئمة من العلماء كما تعرفه في كتب علم الكلام ومن لم يكن على شيء من هذه الحقائق بأن يكون من الغافلين أو الجهلة لم يصح منه أن يقول لا إله إلا الله بهذا التوجيه لأن الموجود الآن عنده سوى الله تعالى كثير فلو أخبر بأن لا موجود سوى الله تعالى كان مخبرا بالكذب في زعمه كما قال تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون واعلم أن هذه الأوجه الثلاثة التي ذكرناها في الكلمة المشرفة وقعت الإشارة إليها في كلام القوم حيث تكلموا على الفناء فقالوا الفناء على ثلاثة أوجه فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله وفناء في الصفات لا حول ولا قوة ولا مريد إلا الله وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق

Copyright © King

الا الله **حكاية** ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في سراج المريدين محنة الامام الشافعي
رضي الله عنه وانه حمل الى ابن بشير معتقلا واحضر بين يديه واجلس له بشر المريسي يسائله عن
التوحيد فقال الشافعي ان لا تهتمه ولا تتوهمه فبهت بشر قال القاضي ولله دره فلقد جمع العلم
بالله في كلمتين **قلت** بل جمع رضي الله عنه في هاتين الكلمتين علوم التصوف وعلوم
التوحيد جميعا وبيان ذلك بالاشارة ان عدم الاهتمام هو الثقة بضمانه والتوكل عليه والتفويض
له والتسليم وهذا هو جوهر التصوف وحقيقته وعدم التوهم هو العلم بانه منزه عن سمات
المحدثات متعال عن جميع التغيرات مخالف لجميع الكائنات مباين لكل ما يخطر بالاوهام والخيالات
وهذا هو اساس التوحيد والغرض المطلوب اعتقاده اذ العقول محجوبة عن الكنه ولم يبق لها الا التنزيه
فبذا احتوت الكلمتان على العلمين معا ثم اذا رجعنا الى الاولى وجدناها وحدها كافية في التلبس
بعبكة بالعلمين وذلك انك لا ينتفي عنك اهتمامه ولا يثبت في قلبك الوثوق بضمانه الا بعد ان تعلم
انه موجود اذ المعدوم لا ضمان له وتعلم انه قديم باق اذ لو كان حادثا لافتقر الى غيره وكان ذلك الغير
هو الذي يجب التسليم اليه والتفويض وتعلم انه مخالف لخلقه اذ لو كان مثلك لاحتاج كما
احتجت فلا يصح الوثوق به ولا التسليم له وان تعلم انه غني بالاطلاق اذ لو كان محتاجا لما قام بما وعد
وان تعلم انه واحد في ملكه لا منازع له اذ لو كان معه شريك لما وثقت به دون شريكه ولان الشركة
تقتضي التمانع وتعطل الفعل احكاما وكفاية فلا يتاتى له ان يوصل اليك ما ضمن لك وان تعلم انه قادر مريد
اذ لو كان عاجزا او مستكرها لتعذر عليه انفاذ ما وعد به فلا تثق به وانه عالم اذ لو كان جاهلا
بالاشياء لتعذر عليه تخصيصها وايجادها لك وانه حي اذ لو كان ميتا لما علم ولا خصص وانه
صادق في كلامه اذ لو تكلم وامكن الكذب تعالى عن ذلك لما وثقت به وانه ارسل الرسل وايدهم
بالمعجزات وعصمهم من الكذب والخيانة اذ لولا ذلك كله لما ثبت عندك ما بلغك عنه تعالى حتى
تثق به فقد علمت ان الوثوق بوعده وضمانه يستلزم جميع عقائد الايمان على ما ذكرنا وما لم نذكر
ولا حاجة بنا الى تفصيلها مع وضوحها جعلنا الله تعالى من اولي الفهم وتعلم بهذا ان ما اعطيه صلى الله
عليه وسلم من جوامع الكلم يكون لاهل الوراثة من امته كالشافعي رضي الله عنه نصيب منه
ومصداقه في الحديث ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم الحديث رزقنا الله
واياكم منه اوفر نصيب بمنه وارشدنا قلنا الكلمة الاولى تتضمن التحلية كما قررنا والثانية
تتضمن

…عن هذين الكلمتين
…الابد ١٤

تتضمن التخلية عن النقائص والله الموفق لا رب غيره

المطلب الثاني في ذكر معنى هذه الكلمة المشرفة فلنذكره

اعلم ان اكثر هذه الكلمة ما يتلوا الناطقون بها غير معتقدين لمعناها وذلك اما لكونهم لم يتصوروه اصلا او تصوروه ولم يصدقوا بمدلوله وعليه بمقتضى كما هو الظاهر والناس اليوم الا من سلم ويجري عليه احكامه الدنيوية كلها ولا ينتفع بها في الاخرة اصلا واما الذين يتكلمون بها ويعتقدون معناها اي انفراد الله تعالى بالالوهية وذلك بعد تصور هذا المعنى من الموحد وقد سمي تصديقه ايمانا وانه هو التصديق والمعتبر كون التصديق من جملة افعال النفس حصولا اتفاقيا لا التصور فقط ولا بد ان تعلم في هذا المحل ان الكيفيات النفسانية اذا حصلت في النفس فقد تحصل فيها باعيانها وهو المسمى بالحصول الانضمامي ويقال له الوجود المتاصل وقد تحصل بصورها وهو الحصول التصوري والوجود غير المتاصل كنسبة كل الشيء من الشيء على ما مر ان للشيء وجودا في الاعيان وفي الاذهان وبين الامرين المذكورين عموم وخصوص من وجه فان النفس قد تتصور الشيء وتتصف به كالمومن العارف يتصور معنى الايمان ويتصف به وقد تتصور الشيء ولا تتصف به كالكافر يتصور معنى الايمان ولا يتصف به وقد تتصف بالشيء ولا تتصوره كبعض المومنين يتصف بالايمان ولا يتصور حقيقته وكذا الانسان قد يتصف بالكرم ولا يعرف معناه وقد يعرف معناه وهو بخيل اذا علمت هذا فاعلم ان ما به الخلاص من التصديق بمضمون الكلمة المشرفة له ثلاث درجات الاولى الجزم تقليدا للشريعة وللعلماء الدالين على الله تعالى كما هو ايمان عوام المومنين ولا اقل من هذه الدرجة اذ ليس دون الجزم الا الشك والظن والوهم وليس بشيء من ذلك بمعتبر اتفاقا الثانية المشاهدة بنور اليقين وهو ايمان العارفين وبين الدرجات الثلاث التفاوت اليسير في الثبات وعدمه وقد ضرب ارباب القلوب لذلك مثالا يتبين به التفاوت وهو انك لو صدقت بوجود زيد في الدار مثلا فتارة يكون تصديقك بسبب ان اخبرك مخبر وثقت بصدقه فاعتقدت ما اخبرك به ولم تشك فيه وهذا هو التقليد وشبه ايمان العوام بانه لما بلغوا سن التمييز سمعوا من ابائهم واهليهم وجود الله تعالى وقدمه وبقاءه وقدرته وعلمه وارادته وسائر صفاته وبعثة الرسل وخصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وثبوت القيامة والحشر والجنة والنار وغير ذلك من العقائد فامنوا

الجزم المستند الى الاستدلال كما هو ايمان المتكلمين الثالثة صح

Copyright © King

بذلك وصدقوا به ولم يشكوا فيه ثقة بصدق آبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وحصل لكثير منهم تبصر ولا استناد
الى شيء غير مجرد سماع الخبر المتفشي ولا شك أن هذا جزم ليس معه كشف ولا بصيرة وتكلم والخطأ
ممكن في مثله بجواز الخطأ فيما يسمع من الآحاد بل ومن الأعداد لكنهم يجزمون به عند المحققين وإن
لم يكونوا من العارفين وتارة يكون تصديقك بوجود زيد بسبب أن دنوت من الدار فسمعت صوته من
خارج فاستدللت به على وجوده فيها ولم تكتف بسماع ذلك من الثقة ولا شك أن الاعتقاد في هذا
أقوى والجزم فيه أثبت من الذي قبله فإنك إذا سمعت من الثقة أنه في الدار ثم دنوت فسمعت كلامه
فإنك لا محالة تزداد يقينا وطمأنينة وانشراح صدر غير أن الخطأ في مثل هذا أيضا ممكن إذ الصوت
قد يشبه الصوت ولكنه أبعد من الذي قبله ومثله إيمان أرباب الاستدلال فإنهم بعدما سمعوا من
الخبر ما سمعه العوام تفهموا الأدلة واستدلوا بها فأفادتهم قوة وطمأنينة وقد تعرض الشبهة
برهانا وذلك عند السلامة من الهوى بعيد وقد يكون التصديق بالمذكور بسبب أن دخلت الدار
وشاهدت زيدا بعينك فهذه معرفة يقينية وكشف حقيقي ومثله إيمان المقربين والصديقين
فإنهم صدقوا على مشاهدة وانشراح تام فانطوى في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين وتميزوا
بمزية يستحيل فيها الخطأ والغلط واستغنوا فيها عن الاستدلال والاعتبار وفي ذلك قال
الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنا لننظر الى الله تعالى ببصيرة الإيمان والإيقان فأغنانا
ذلك عن البرهان نعم تتفاوت درجات هؤلاء أيضا فإن من دخل الدار في ذلك المثال
قد يرى زيدا في قرب الدار أعني داخلها في المتوسم المتمهل وقد يراه نظر مستعجل وقد يراه بعيد ليلا وقد يراه في الغبش وقد يراه مراغ
وقد يرى الصور فيها وقد يرى بعضه وقد يرى كله وكما تختلف أحوال المرئي تختلف أحوال الرائي أيضا
في حدة البصر وضعفه والقرب وغير ذلك فيتفاوت الإدراك بسبب ذلك في القوة والضعف
والكمال والنقصان وهكذا المعارف الربانية والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف
الحق وبين طريق أهل الاستدلال من المتكلمين أن تعلم أن العلوم التي ليست بضرورية إذا وردت
على القلب فتارة ترد عليه بواسطة الاستدلال والاعتبار والتعلم وهذا طريق العلماء أهل النظر
وتارة تهجم عليه من غير استعمال ولا تكسب وهذا ينقسم الى قسمين الأول أن يهجم الشيء على القلب
بلا مشاهدة واسطة أصلا كأنه وقع فيه من حيث لا يدري وهذا يقال له الإلهام والنفث في الروع
الثاني أن يكون معه الاطلاع على السبب والواسطة وهو الملك الملقي في القلب وهذا يقال

الدليل

له

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات
King Saud University

له الوحي ويختص به الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثاني قبله يكون للاولياء ايضا وهي المعارف
التي يختصون بها عن النظار وهي وهبية لا تنال بالتكسب والتعلم والاستدلال وانما هي محض فضل
بعد تصحيح التوبة والانابة وصدق الرجوع الى الله تعالى والانقطاع اليه ورفض ما سواه على
الدوام وكذا قال امام الطايفة ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه التوحيد الذي انفردت به الصوفية
هو افراد القدم عن الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل وان يكون الحق
مكان الجميع وقال بعضهم التوحيد اسقاط الياءات لا تقول لي وبي ومني وقال ابو محمد رويم رضي
الله عنه التوحيد محو البشرية وتجرد الالوهية وقال القشيري قال الجنيد اشرف كلمة في التوحيد ن
ما قال ابو بكر رضي الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته قال
الاستاذ الامام رضي الله عنه ليس يريد الصديق رضي الله عنه انه لا يعرف لان عند المحققين العجز
عن الموجود دون المعدوم كالمقعد عاجز عن قعوده اذ ليس بكسب له ولا فعل لان القعود موجود
فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لانها ضرورية وعند هذه الطايفة
المعرفة بالله سبحانه في الانتهاء ضرورية فالمعرفة الكسبية في الابتداء وان كانت معرفة على
التحقيق فلم يعدها الصديق رضي الله عنه شيئا بالنسبة الى المعرفة الضرورية كالسراج عند
طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه انتهى قلت وكلام الصديق المذكور مشهور
خ الاعتقاد
عند المتكلمين وهم يحملون لفظ المعرفة الواقع فيه على ما هو المتعارف عندهم من انها العلم المرتفع
عن درجة التقليد بادلة الموجب ويحملون الكلام على ان المراد ان الخلق بعد اثباتهم لله تعالى الكمالات
ونفي النقايص فقد اقروا بالعجز لان العقول محجوبة عن الكنه فلا ينفي الا التحير والتوقف وذلك
هو المعرفة كما وقع في الكلام لا في العجز عن الادراك ادراك فانظر رحمك الله الى لطافة
اذهان الصوفية ورجاحة افكارهم كيف حملوا هذا الكلام على مقتضى اصطلاحهم وحملوه على وفق
طريقهم وهو ان سبيل المعرفة الوهبية المحض والالهام الرباني ولا يكون العبد عارفا الا حيث يكون
عاجزا الى غير مكتسب بالاستدلال والنظر فتاتيه المعرفة من الله تعالى اكراما من اكرم الاكرمين ونعم ع
عليهم او انعاما لحصر التقليد وكذا يحملوا المعرفة على ما هو المتعارف عندهم من انها ما يحصل للعبد
من الله تعالى بلا تعلم ولا استدلال وعلى هذا فقوله بالعجز عن معرفته معناه مع العجز عن معرفته بمعنى
ان المعرفة تحصل مع هذه الحالة وهي العجز لا مع حالة اخرى كالاستدلال وكالاعراض او معناه بسبب

Copyright © King

العجز وهو على حذف ذاته قيل بسبب الاعتراف بالعجز بمعنى انه انما تحصل هذه المعرفة بسبب الاعتراف
بالعجز والتبرى من الحول والقدرة وصدور الافتقار والالتجا الى الله تعالى ولا شك انه كذلك وما وجه به
الشيخ المذكور من ان العجز انما يتعلق بالموجود دون المعدوم بيانه ان اهل الكلام اختلفوا في صفة
العجز فقيل معنى وجودي يضاد القدرة واليه ذهب الجمهور وقيل هو عدم القدرة عما من شانه
وعليها ولذا ذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري رحمه الله الى ان العجز انما يتعلق بالموجود لا المعدوم لان
تعلق الموجود بالعدم لا معنى له فقال ان المقعد مثلا عاجز عن القعود الحاصل له الان تتعلق به قدرته
وليس عاجزا عن القيام اذ هو عدم لا وجود له وذهب بعض الى خلاف ذلك وقال لا مانع من تعلق العجز
بغير صحة كونه وجوديا بالامر العدمي كالعلم والارادة ولهذا اطبق العقلاء على ان عجز العرب حيث
تحداهم الشارع ان ياتوا بمثل القرءان انما هو عن الاتيان بالمثل وهو امر يفهم من السكوت وترك المعارضة
الواقع لهم فالتاويل المذكور مبني على راي ابي الحسن كما رايت وتاويل المتكلمين مبني على هذا الثاني
وقال الغزالي رضي الله عنه اذا قلت لا اله الا الله اركانه وسكنها منك اللسان وثمرته لهذا في القلب
فانت منافق وان كانه وسكنها منك القلب فانت مومن وان كانه وسكنها منك الروح فانت عاشق وان كان
مسكنها منك السر فانت مكاشف فالاول ايمان العوام والثاني ايمان الخواص والثالث ايمان
خواص الخواص فالاول ثمرته صدق وعبد والثاني ثمرته بصيرة وانشراح صدر والثالث ثمرته مشاهدة ومكاشفة
انتهى اذا علمت هذا وبان لك ما تميز به اهل المعرفة من اولياء الله تعالى في درجات التوحيد واختصوا
به في مضمون هذه الكلمة فاعلم انهم فرقتين وايضا بوجدان ثمرتها باطنا وظاهرا وذلك ان الكلمة
المشرفة عند دوام ذكرها مع التجرد التام وصدق التوجه تتشبث بسويداء القلب وينصبغ
معناها ويصير ذلك كله حالا فتجري الجوارح كلها على مقتضاها وانابة باطنة بالاقبال عليه تعالى
والعكوف عليه والتخلي عن جميع الاغيار الى غير ذلك والظاهرة بالسعي في مرضاته والمسارعة
في محابه وقد قررنا ذلك في المطلب الاول وقال الغزالي رضي الله عنه انت اذا قلت لا اله الا الله
وانت عابد هواك ودرهمك ودينارك ما ذا يكون جوابك يا عبد لم تقول ما لم يكن لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وانت عابد هواك افرايت من اتخذ الهه هواه وانت عابد
دينارك ودرهمك تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
ما دمت تقول لا اله الا الله وانت تسكر الى اهل ومال وولد وتحرك الى ولد ومسكن ولست بقايل

قف اذا قلت لا اله الا الله

قف على قول الغزالي رضي الله عنه

King Saud University

كل قول يجزيه العمل بمفهوم ورود بلسان الحال ولسان الحال افصح من لسان المقال الا كان قولك لا اله الا
الله يثمر معنى في القلب ولم تتعود بعد ان تحرك به جوارحك او تخاف فكانما ما دمت تقول لا اله الا الله وتانس
بغيرنا فلسنا نكون نحب لنا من كان الله له وكانوا لنا خاشعين وكنا لهم حافظين كانوا لنا
وكنا لهم يا عبدي تلوذ بغيري وازمة الامور كلها بيدي انا مالك الملك اتصرف في ملكي كيف اشاء
ولا يكون في هذا العالم الا ما اشاء ولا ينفع في الكون الا ما اريد فلا تلتزم بهواك ولا تياس من رحمتي
فانه لا يقنط من رحمتي الا الكافرون ولا يامن من مكري الا الخاسرون انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ايضا رضي الله عنه كلمة لا اله الا الله
هي الحصن الاكبر وهي كلمة التوحيد من تحصن بها فقد حصل سعادة الابد والنعيم السرمد ومن تخلف
عن التحصن بها فقد حصل شقاوة الابد وعذاب السرمد ومهما لم تكن هذه الكلمة حصنا دائرا على
دائرة قلبك وروحك نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارسا يمنع نفسك وهواك وشيطانك
من الدخول الى تلك النقطة والا فانت خارج عن الحصن ومنه قولك لا اله الا الله لا يزن مثقال
ذرة ولا يعدل جناح بعوضة انتهى وقال الشيخ طاهر بن زيان رحمه الله عليه اعلم وفقني الله
واياك ان من قال لا اله الا الله لزم ذكرها الموحد لله بها هو نوع من نفيه ومعانيها التفريدية والاثباتية
وقيام ذلك بالقلب وثبوته له ثبوتا حاليا لا اعتقاديا فقط ولا مقاليا انتهى وقال الامام
الغزالي رضي الله عنه قال فان قلت لم كانت اعمال البر كلها دون الجهاد والجهاد وسائر اعمال
البر دون الذكر قال الجواب ان اعمال البر كلها انما مقصودها الاعظم تصفية النفوس وتطهيرها
بازالة عما الهوى وازاحتها عن هواها حتى تلحق بعالمها الذاتي من الالتفات الى شيء من
متعلقاتها فما كان من الاعمال اقرب لهذا المعنى واعون عليه فهو افضل مع ان علل النفس منها ما
يظهر لاول تامل ومنها ما هو اخفى من دبيب النمل واعمال البر مسلطة على محو هذه العلل واذهاب
اثارها بطهارة النفس لكن اعمال البر متفاضلة في احكام هذه الطهارة منها ما يذهب بما من
العلل ما ظهر دون ما خفي ومنها ما يذهب الظاهر والخفي دون الاثار ومنها ما يذهب الظاهر
والخفي واثارهما حتى تعود النفس الى غاية صفائها مطمئنة بربها ولا شك ان الجهاد الحقيقي موذن
باتلاف النفس عن عالم الوجود واخراجها عن عالم الحس الى عالم الغيب لكن لا يعري ذلك عن العلل
الخفية المعروفة بالابقاء على النفس بعض اوهامها والنفس تتحمل المشاق والعظائم مع الابقاء

عليه ولو بعضا او هامها وتميز الاعتبار فهم الجهاد عن الاشتغال بفضيلة الذكر لان الذكر اذا استعمل
في طريقه المعروف وجميعه المألوف مبنيا على قواعد الشرع محفوظا من خطرات الزيغ فانه لا يدع من
علل النفس شاذة ولا فاذة ولا اثرا الا اتى على ذلك بالذهاب حتى تبلغ النفس غاية طهارتها ولا يبقى
عندها التفات لغير الله تعالى كل ذلك عن علم وذوق ولذلك سمي طريق الذكر المؤدي لخلاص النفس
جهادا اكبر وسمي الضرب بالسيوف والطعن بالرماح جهادا اصغر فجهاد طريق الذكر من قطع المفاوز
والمخاوف التي تخرج النفس عن جميع متعلقات الجسم كخروج الشعرة من العجين وليس يدرك ذلك
بشيء من اعمال البر جهادا او غيره وان كان من شأن اعمال البر ما يؤدي لخلاص النفس وتصفيتها فللذكر
خاصية في ذهاب الاثر اذ لا يكون تخليص البر منها من كدرات او هامها واثرها الا بتشمير
الذكر فظهر لك ان للذكر اختصاصا عجيبا في طهارة النفس الطهارة التامة وتصفيتها التصفية
التامة حتى تصير لها الطهارة صفة ذاتية وغير الذكر قد يشفي معه من علل النفس ما هو
غائب عن الحس وان كان خفيا وقد تنقمع النفس بذلك الخفي وتتحمل لاجله المشاق وتقتحم المضايق
من الطاعات راضية بذلك لا لاخراجها عن جميع هواها ابتغاء العظيم لا كن وراءه من المعارف الالاهية
والاسرار القدسية والحكم الربانية ما تقر به الاعين وتنشرح به الارواح وتذهب به الاتراح ان ما حصل
من علل النفس الا بالذكر وبيان ذلك ان العبد اذا داوم على الذكر حتى انطبع معناه في النفس
وقام بها صارت النفس تنقلب الى مقتضى الذكر متصفة بمعناه وان كانت الاذكار مختلفة المعاني فلكل
ذكر اختصاص بصفة حميدة فاكثر تتحلى به النفس وتتخلى عن اضداده فالاكثار من الاذكار تصفي
النفس من كدوراتها وتخلصها من عللها حتى تطمئن بخالقها ولا تجد انسا بغيره قال الله تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وليس المراد من
الذكر هنا دورانه على اللسان فقط لا كن المراد منه تلمح معناه بغير الفكرة حتى ينطبع معناه
في النفس فتتحلى به وتتصف بمقتضاه اتصافا ذاتيا او كالذاتي انتهى وهذا هو غرضنا من هذا
الكلام وهو ان النفس تتحلى بمقتضى الذكر حتى يصير حالا لها وتصير كانها جبلت عليه كما جبلت
على اوصافها الذاتية ونحو هذا للامام الغزالي رضي الله عنه لما ذكر خطر الخاتمة وما يخاف فيها
لمن لم يتجرد عن الحظوظ من ان يقع له الالتفات في ذلك الموطن الى الدنيا فيتمنى والعياذ بالله الرجوع
اليها قال واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال

شجاع

وبيان ذلك الخ

٩٦

قف ومعنى الاخلاص

شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها القرءان
بان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا
بالاخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله تعالى وكل
مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له
سواه ولسان الحال افصح من لسان المقال ومن يقول ذلك بلسان حاله ولم يساعده حاله فمشيئته
لله ولا يومن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا
في مواضع الترغيب وذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال من قال لا اله الا الله مخلصا
ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال انتهى وما ذكره الساحلي رحمه الله تعالى من كون المجاهد
لا يخلو عن العلل الخفية يتبين ذلك بالقصة التي ذكرها ابن عن احمد بن ارقم البلخي رضي الله عنه
حيث قال دعتني نفسي الى الجهاد مستتم الحسنيين فقلت شان النفس ان لا تدعو الى الخير وهذه
تدعوا الى الخير تالله ولاكن تريد ان اخرج الى المغازي فتلقى وتكرم فقلت لها اني لا اسلك طريق
العمران ولا انزل على احد فاجابت الى ذلك فقلت لها اني القى العدو حاسرا فتكونين اول قتيل
فاجابت الى ذلك فقلت يا رب انا لها متهم فنبهني فالهمني الله تعالى انها تقول انك تقتلني بترك
شهواتي كل يوم مرارا او غير ذلك ان اقتل قتلة واحدة فيقال قتل فلان شهيدا في سبيل الله فارادت
ان تستريح من كلف العبادة وتنفر لها شهرة ومزية ولو بعد الموت نسأل الله النجاة من خدع
النفس ودسايسها وقال في مفتاح الفلاح ما نصه البحث التاسع في فوائد هذه الكلمة
على اعلى او ادناها التلفظ بها تحقن دم صاحبها وتحرز ماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا
بحقها وحسابهم على الله ويشترك في ذلك المخلصون والمنافقون فكل من تعلق بهذه الكلمة
نال من ثمرتها وحاز حظا من فوائدها فمن طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة ومن طلب الاخرة
فقد جمع بين الحظين وحاز السعادة في الدارين وليس ما فاز به الانسان منها درجة واحدة
الحالة الثانية ان يضم الى القول الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد والمقلد ليس بعالم ولا عارف بل القصد
ان يكون مسلما الا وللاعتقاد بالقلب درجات بحسب قوة الاعتقاد وضعفه وكثرة الاعتقادات
وقلتها الحالة الثالثة ان يضم الى الاعتقاد بالقلب معرفة ادلتها بل الاقناعية المعرفية له والحلولية

قف

Copyright © King

متعاونون تعاونا غير مضبوط. الحال الرابع أن يثبت اعتقاد البراهين القطعية إلا أنه ليس من أهل
المشاهدات والمكاشفات والتجليات ونسبتهم إلى أصحاب البراهين القطعية كنسبة أصحاب
البراهين إلى عوام الخلق. قال: واعلم أن علوم المكاشفات لا نهاية لها لأنها عبارة عن سير العقل
في مقامات الجلال والجمال والعظمة والكبرياء والقدس. تنبيه: من انكشف له أسرار
لا إله إلا الله وأخلص عبادته لله ولم يلتفت إلى أحد سواه ولا رجا ولا خاف غيره ولا يرى الضر
والنفع إلا منه وتبرأ مما سواه وتبرأ من الشرك الظاهر والباطن. انتهى. وهذا كله واضح في معنى
لا إله إلا الله يجلب التحقق إن شاء الله تعالى التوفيق والهداية إلى العمل والتخلص والتحقق. وحاصل
الأمر أن كلمة الإخلاص متضمنة لما ينبغي لله تعالى من الكمالات. وقد بينا ذلك في أول الفصل الأول
وأقمنا البراهين عليه وتلك الكمالات ثلاثة أحوال ثلاثية. وقد بينا ذلك في أول هذا الفصل الثاني
ومقصد المتكلمين اعتقاد تلك الكمالات. ومقصد العارفين استثمار هذه الأحوال. وإنما يكون
كمال الأمر عند الغير بالتغيير وهو مختلف. أما عند المتكلمين فبالاستناد إلى البراهين
العقلية والنقلية فيما تقرر فيه النقلية. وأما عند العارفين فبالكشف والمشاهدة. وذلك
عند المتكلمين كسب لأنه نظر وفكر بترتيب أمور معلومة على وجه يستعلم به ما ليس بمعلوم. وعند
العارفين وهبي وفضل من الله تعالى إما جذبا كما هو حال المريدين وإما بعد سلوك كما هو حال المريدين
فإن العبد بعد أن يصحح توجهه ويفرغ نفسه من الحجابات التي هي الحجاب على ما مر في ذكر الشمائلية
يلقي نفسه بين يدي مولاه منتظرا منته وموهبته كما يغسل الصحيح وينتظر الماء فعند ذلك
يفيض المولى جل جلاله عليه ما هو اللائق بكرمه وفضله من المعارف والأسرار ولا يكون ذلك
إلا بعد صحة الإيمان أولا باعتقاد الكمال إما تقليدا أو اكتسابا. وأما عن النظر إن اشتغل بذلك
فعند ذلك ينشرح صدر الولي ويقع المعارف في قلبه وينطبع بذلك ويخرج عليه أحواله وأقواله
وأفعاله. وليس بالبراهين العقلية يحصل هذا الشرح فإن البراهين إنما فائدتها دفع الوسواس
وحراسة المعتقدات من تشغيبات شياطين الإنس والجن وليست تزيد على الجزم الحاصل معها شيئا
ولا فتحا وإنما الفتح طريقه التوجه إلى الله تعالى بصدق العزيمة والإعراض عن العلائق ولزوم التقوى
ظاهرا وباطنا. قال تعالى: واتقوا الله ويعلمكم الله. وقال تعالى: إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا. وفي
الحديث: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم. وفي الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق رحمه الله يقول

من

295
34

قف على طريق الفتح

من برّ ظاهره بالمجاهدة حسّن الله باطنه بالمشاهدة وقال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله
بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا
سليمان يقول اذا انعقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد
بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما فقام الامام احمد ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت
في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث المذكور من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم
ثم قال لابن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك وقيل لابي يزيد بم وجدت هذه المعرفة فقال ببطن
جائع وبدن عار وقيل للجنيد نحو ذلك فقال بالجلوس بين يدي الله والفرق بين المعرفة والعلم عند الصوفية
هو ما اشرنا اليه من ان المعرفة ما حصل في القلب عن الله الهاما والعلم هو ما حصل من الطريق
نقلا وعقلا وتقدم هذا المعنى وفي الرسالة المعرفة على لسان العلماء هو العلم فكل علم معرفة
وكل معرفة علم وكل عالم بالله عارف وكل عارف عالم بالله وعند القوم المعرفة صفة من عرف الحق
سبحانه باسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ثم تنقى عن اخلاقه الردية وآفاته ثم طال
بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل اقباله وصدق الله في جميع احواله
وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق
اجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا وادام في السر مع الله
مناجاته وحق في كل لحظة اليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق بتعريف اسراره فيما يجري من
تصاريف اقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وبالجملة فبقدر اجنبيته من نفسه
تحصل معرفته بربه انتهى واراد بالعلماء علماء الكلام واشار في تعريف العلم عندهم الى قول
القاضي ابي بكر الباقلاني رحمه الله العلم هو المعرفة ولو قيل اما المعرفة لقلنا العلم فان حاصل السائل
العبارات كلها وضعفا هذا الكلام ولم يفرق بين العلم والمعرفة وكذا غيره من المتكلمين
لا يفرقون بين العلم والمعرفة فانه هو الجزم المطابق لموجب والموجب اما البرهان او الضرورة نعم
فرق قوم بين العلم والمعرفة بشيئين احدهما ان العلم كثيرا ما يتعلق بالكليات والمعرفة
بالجزئيات ثانيهما ان المعرفة كثيرا ما تستعمل في العلم الحاصل بعد جهل فانه ولذلك يقال الله عالم
ولا يقال عارف مع ان التوقف في ذلك واراد بالقوم الصوفية وهم المعرفون المعرفة بما ذكر فيما قوا

ف: حصول في القلب

ع
ابي بكر

فع
يقال الله عالم ولا يقال عارف

Copyright © King

بينها وبين العلم فإن قلت ــــ أي الأمرين أولى باعتبار الفقيه والصوفي العلم أم المعرفة
قلت ــــ العلم أضبط وأعم نفعا والمعرفة أقوى وأوضح وبيان ذلك أن العلم مرجعه إلى
ضوابط وقوانين اخترعت بمحض العقل أو استنبطت بالعقل من النقل كل ضابط منها يشمل جزئيات
لا تكاد تنحصر فشمولها لا يقع فيه انخرام ولا يتوهم عليه اختلال وأما المعرفة فمرجعها إلى أمور ذوقية
جزئية تشهد كل عارف منها بعض ما شهده فلذا تجد العالم أقدر على تحقيق الحقائق وتفصيل
الكليات من العارف غير العالم فإن العارف إذا نطق نطق عما في ضميره ولا يتعدى الموقف يكون مختصا به
فلا يطرد في غيره والعالم إنما ينطق في الأغلب بما تقرر في الخارج من الحقائق الشاملة العامة ومن تأمل كلام
الصوفية في التعبير عن حقائق الأحوال والمقامات ونحوها عرف ذلك وقد أشار الشيخ أبو حامد في
الإحياء إلى هذا المعنى وهو واضح ولكون العالم يعبر عما تقرر في الخارج فلا يختلف فيه ولا يتوقف فيه بل
ولا يعتقد رأسا ولهذا صح أن يحتج به أهل الظاهر من هو عليم الأعمال المستفاد منه تفصيل أحكام
العامية ولكون العارف يعبر عما وجد في باطنه وشاهده في قلبه يكون كلامه عن بصيرة واضحة وأمر
راسخ قوي ولذا يكون نافعا شافيا فإن الكلام الخارج من القلب يصل إلى القلب وقد روي أنه كان
رجل يجلس في مجلس محمد بن واسع يوما يعظ أصحابه ويبكيهم وهو يقول ما لي أرى القلوب لا تخشع
وما لي أرى العيون لا تدمع وما لي أرى الجلود لا تقشعر فقال له ابن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أتوا
إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب انتهى وقيل لحمدون القصار رضي الله عنه
ما بال كلام السلف الصالح أنفع من كلامنا قال لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضى
الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق انتهى ولذا قال صاحب الحكم رضي الله
عنه كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز وقال قائلهم

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

خاتمة تشتمل على فصول ــــ الفصل الأول

اعلم

قوله وقد روي أنه كان رجلا صالحا

King Saud University

اعلم ان معرفة مضمون هذه الكلمة المشرفة هي حكمة خلق العالم وايجاد الكائنات كلها علوياتها
وسفلياتها نورانياتها وظلمانياتها جواهرها واعراضها وجعل ذاتها ان وجدت والدليل على ذلك
من الكتاب المجيد قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ان علق المجرور بخلق او بيتنزل او بسواه
بالامر تصاريف القضاء كانزال المطر واخراج النبات ونحو ذلك والمعنى انه فعل ذلك ليحصل
لكم العلم بكمال قدرته واحاطة علمه ومن علم انه تعالى قادر عالم علم انه موجود حي مخالف للمخلوقات
المنافيات لما طلع بذلك على سائر الكمالات وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قال مجاهد الا ليعرفون قال الثعلبي في تفسيره وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم ما عرف وجوده
وتوحيده انتهى وفي الاحاديث القدسية المروية كنت كنزا لا اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف
او كما ورد وما يتعلق بالكلام في هذا الفصل مباحث الاول اعلم ان ما ذكرناه من الحكمة في خلق
العالم من التوصل به الى معرفة الله تعالى هو محض كرمه وفضله من غير وجوب على الله تعالى فانه تعالى
لا يجب عليه خلق العالم اصلا ولا يعتريه في عدم خلقه نقص اذ لا ينقلب له تعالى بخلقه كمال ولا شيء
من المنافع كيف وهو تعالى الكامل بذاته الغني مطلقا ازلا وابدا ولا يندفع عنه بخلقه ضرر ولا ضر
ولا ضير كيف وهو تعالى المنزه عن كل نقص ازلا وابدا القاهر فوق عباده فلو شاء لم يخلق العالم ولا
شيئا منه اصلا ولو شاء اذ خلقه لم يجعل فيه من يستعد لمعرفته ولا يهتدي اليه من العقلاء ولو اذ
جعلهم فيه فلو شاء لم يرشدهم ولم يعرفهم به ولو كلفهم اذ لا يبالي وانتفت البراهين وكل من خلقه تعالى للعالم
ومن جعل بعضه عقلاء ومن تعليم العقلاء ما لم يعلموا من اوصافه تعالى واحكامه وحكمه فضل ومحض
كرم لا يجب عليه شيء من ذلك ولا يمتنع وكذا عندنا لا يجب على الله تعالى شيء في العبيد ولا يستحيل عليه حتى
لا حرج انما اثنى تبارك وتعالى على نفسه بالفضل والامتنان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويرحم من يشاء
ويعذب من يشاء ويؤتي من يشاء وينزع من يشاء له الملك والامر وهو على كل شيء قدير المبحث
الثاني انه تعالى لما خلق الكائنات لارشاد عباده العقلاء وهدايتهم ندب تعالى عباده الى
استحضار تلك العبارة واستفادة تلك الحكمة وامرهم بالنظر في المخلوقات والتفكر في المصنوعات
فقال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض الاية وقال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض الاية وذم تعالى من تعامى عن النظر في اياته فقال جل اسمه وكاين من اية في السموات

Copyright © King

والارض بيده وعليها وهو عنها معرض وان غير هذا من الايات الدالة على الامر بالنظر والتفكر في ايات
رب العالمين وبهذا احتج من ذهب من اهل الكلام الى ان اول واجب النظر ولا شك ان النظر مطلوب
لانه مبدا وغاية مبادئه الفصل فيه بقطع العلائق الظاهرة والباطنة الشاغلة عنه وغايته
المعرفة وهي المقصد والنظر وسيلة فمن اعتبر المقاصد قال اول واجب المعرفة ومن اعتبر الوسائل
قال اول واجب المعرفة ومن اعتبر الوسائل قال اول واجب النظر ومن اعتبر وسائل الوسائل قال اول
واجب القصد الى النظر فمن اراد المولى تبارك وتعالى بالامور الثلاثة في كتابه فاما النظر فتقدم دليله
واما المعرفة فقال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ونحوه في القران كثير واما القصد بقطع العلائق
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الاية والنهي عن الشيء امر
بضده ونحو هذا في القران كثير ايضا وذكر بعض العلماء ان الاعتبار فرام به في كتاب الله تعالى
في نيف من سبعمائة اية وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم ايضا من التحضيض على المعرفة
وعلى النظر وعلى قطع العلائق ما لا يحصى وقد جاءه رجل فقال يا رسول الله علمني من غرائب
العلم فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت في راس العلم قال وما هو قال هل عرفت الله الحديث
وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته وقال صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة الحديث **البحث الثالث** انه تعالى
عند ما ذهب عباده الى النظر في مصنوعاته لاستفادة العلم بكماله اعلمهم ان فيها دلالة لمن
يجوده وكفاية لما يطلبون فقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر الى قوله لايات وقال تعالى في الاية الاخرى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
الى غير هذا من الايات ووعدهم تعالى بانه معطيهم ما يطلبون منها فقال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وفي الحديث من هذا ايضا قوله صلى الله عليه وسلم من
عرف نفسه عرف ربه **البحث الرابع** اعلم انهما مخلوقان مخلوق خلق لنعرفه ومخلوق خلق لنعرف
به فالمخلوق الذي خلق لنعرفه هو العاقل من الانس والجن والملك والمخلوق الذي خلق لنعرف به هو
غير العاقل ومن جملة غير العاقل في المعتبر ذات العاقل فانه يعرف بها ولذلك قال تعالى في الافاق
وفي انفسهم وقال وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم الاية **البحث الخامس** لما كانت هذه

الكائنات

King Saud University

الكاينات خلقت مظاهر ودلايل الالوهية وما ينبغي لها من الاوصاف كان لكل من العرب بغير اعني
المتكلمين والعارفين فيها مشرب ومنزع ومنصب لانها خلقت رحمة للجميع وهداية للوضيع والرفيع
ووجه الاستدلال انها لكل من العرب بغير تقدم في بيان ادلته ولابد ان نشير هنا الى ذلك بايسر مما
هو على سبيل الايجاز والاختصار ان شاء الله وبالله التوفيق فنقول اما المتكلم بغرضه الاطلاع
على صفات الله تعالى التي سبق ذكرها فاذا انظر في وجود الكاينات وعلم انها حادثة بما شوهد
فيها علم ان لها محدثا اذ لا تحدث بنفسها ولا تحدث بغير شيء يحصل له وجود الفاعل ثم ينظر في ذلك
الفاعل فيقول انها جايزة الوجود فلا بد ان يكون فاعلها واجب الوجود ازليا اذ لو كان جايزا
لافتقر كما افتقرت فيتسلسل الامر الى غير نهاية وهو محال واذا وجب وجوده كان قديما باقيا
مستغنيا عن الفاعل غير جرم ولا عرض ولا مماثل لشيء من خلقه والا وجب له الحدوث كما وجب لها
ثم ينظر في وجه ايجاده لهذه الكاينات فيقول انه لو كان ذلك بذاته على طريق التعليل او الطبع
لكانت الكاينات قديمة معه ازلية لوجوب اقتران العلة بمعلولها والطبيعة بمطبوعها واذا
تبين حدوثها وان لا وجود لها في الازل وما علمنا ازلي علم انه ليس بذاته اوجدها بل بالصفة
وهي القدرة التي يتاتى بها الايجاد ثم ينظر في وقوع التخصيصات المختلفة فيعلم ان الفاعل مختار
واذا كان كذلك فهو عالم بالوضع ثم يقول لابد ان يكون واحدا اذ لو كان معه شريك لنازعه ومانعه
فيختل النظام ثم اذا كان خالقنا قادرا على التصرف فينا بكل وجه ان اذا كان مالكنا على الحقيقة
فجاز ان يامرنا وينهانا ويختبرنا ويستعبدنا بما شاء وجاز ان يكون ذلك بواسطة بعض عبيده
فاذا جاء احد عبيده وادعى انه ارسله وقال علامة صدقي ان يخرق عادته بكذا كشق القمر
وقلوا بعبيده مثلا ففعل الله ذلك ونحن نعلم انه هو فعله باختياره تنزل منزلة قوله صدق عبدي فيما
يرعى عني فنصدقه فاذا اخبرنا ذلك العبد المرسل ان الفاعل سميع بصير متكلم صدقناه واذا
اخبرنا انه امر بكذا ونهى عن كذا وانه اعد الجنة لمن اطاع ثوابا والنار لمن عصى عقابا صدقناه
في جميع ذلك وفي غيره مما يخبر به من الصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك هذا نظر المتكلم
وله في جميع ذلك طريقان احدهما النظر في العالم والاخر النظر في نفسه كما قال تعالى في الافاق
وفي انفسهم وانما كان ذلك لان نفس الانسان فيها كل ما في العالم فقد احتوت ذاته من اللطيفة
الربانية والحكمة الانسانية على جميع ما احتوى عليه العالم من العرش الى الفرش وذلك

يطرد المقايسة والمقابلة والمحاكاة فهو نسخة من سائر العالم فهي نسختان كبرى وهي العالم
بأسره وصغرى وهي ذات الإنسان وحده فهو العالم الأصغر وهذا الذي قرره أرباب العقول رضوان
الله عليهم فيستوي قال الإمام أبو بكر بن العربي رضي الله عنه في أحكام القرآن عند قوله تعالى
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ما نصه ليس لله خلق هو أحسن من الإنسان فإن الله خلقه حيا
قادرا عالما مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب تبارك وتعالى وعنها عبر
بعض العلماء ووقع البيان بقوله عليه السلام إن الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته
التي قدمنا ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن المحال أن تكون للرحمن صورة مشخصة فلم
يبق إلا أن تكون معاني وقد تكلمنا على الحديث في موضعه بما فيه بيانه قال وقد أخبرنا المبارك
ابن عبد الجبار الأزدي أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه يوما كان
عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجه حبا شديدا فقال لها أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن حكاية
من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما أصبح غدا إلى دار
المنصور فأخبره الخبر وقال يا أمير المومنين إن تم علي طلاقها تلفت نفسي غما وكان الموت أحب إلي
من الحياة وأظهر للمنصور جزعا عظيما فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر
قد طلقت إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة فإنه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك
لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم يا أمير المومنين فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه
فقال المنصور لعيسى بن موسى الأمر كما قال فأقبل على زوجك فأرسل أبو جعفر المنصور إلى
زوجة الرجل أن أطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا
وهو أحسن خلق الله ظاهرا جمال هيئة وبديع تركيب الرأس بما فيه والصدر بما جمعه والبطن
بما حواه والفرج وما طواه واليدان وما بطشتاه والرجلان وما احتملتاه ولذلك قالت
الفلاسفة إنه العالم الأصغر إذ كل ما في المخلوقات أجمع فيه هذا على الجملة فكيف مع التفصيل
بتناسب المحاسن فهو أحسن من الشمس والقمر بالمعنيين جميعا وقد بينا القول في ذلك في كتاب
المشكلين قال وهذه الصفات الجليلة التي ركب عليها الإنسان استولى على جميع
الكبراء وغلب على طائفة الكفار حتى قالوا أنا الله وأنا ربكم الأعلى وحين علم الله هذا

من

King Saud University

من عبره وقضاء صاحب امر عنده رده اسعد سلاطين بان جعله ملوا فزادت مشحونا بخاصته انتهى
وقال صاحب التدبيرات الالهية ما نصه اعلم وفقك الله لطاعته ان الله سبحانه قد شاء ان يبرز
العالم في الشجرية ليبين سبحانه بالوترية فيجمع اسم الواحد الوجود ويتميز الكثير من العدد فقال
لما وقفنا اوقفكم الله على حقائق نفوسكم واطلعكم على ما اودع فيكم من لطف حكمته وغريب
صنعته تجلى قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فاخذت في الفكر والاعتبار في هذه
الاية وان الانسان من جملة الثمرات ينمو اكمامها ويغتذي بغذائها ثم ينتهي كمال نباتها وتوخذ منه
البذور كالاخذ منها ثم يأخذ في النقص كنقصها ثم يهرم كهرمها ثم يموت كموتها غير انه يوتر كتوليدها
فيوخذ بذورها فيزرع فيجري فيه الشباب كذلك حتى يصير الى مثل حالها فقد يوخذ منه كما يوخذ
منها وقد يترك فينقطع النسل من تلك الثمرة المعينة وكذلك الانسان في التوالد والتناسل على ذلك
الصنيع فقلنا هذه شجرة بابراجها التي تنبع بها شعبتها واكلها وهذه الاية عليها فكرا واعتبارا
فتتبعنا وجود الحكمة في الانسان وتفضيله على سائر الحيوان وتفضيلنا اسراره وحكمه ولطائفه
ورأيناها باعيانها في العالم المحيط الاكبر فما بقي فيه فلم نزل نقابله جزءا جزءا ومعنى معنى
حتى وجدته كانه هو وعلمنا ان الثمرة الواحدة العالم الاكبر المحيط والثمرة الاخرى الانسان الذي
هو العالم الاصغر وطلبنا على ذلك تنبيها من الكتاب العزيز فوقفنا على ايات تيرات منها
وفي انفسكم افلا تبصرون سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما باطلا افحسبتم انما خلقناكم عبثا فتبين ان الامر فيهم خبير ان الله تعالى على ما الهم وان علمنا
ما لم نكن نعلم وكان فضل الله علينا عظيما فانظر نور الله بصيرتك الى ما ثم وفي العالم الا تجد
نظيره في هذا العالم الانساني من ملك وملكوت حتى اذا نظرت في العالم مثل السماء وجرمه في
الانسان كالشعر والاظفار ونحو ذلك وكما ان في العالم ماء ملحا وعذبا وزعاقا ومرا وذلك
موجود كله في الانسان فالملح في عينيه والزعاق في منخريه والمر في اذنيه والعذب في فيه وكما ان
في العالم ترابا وماء وهواء ونارا فهي في الانسان كذلك بعينه ومنها خلق جسمه وقد نبه عليه الحكيم
سبحانه في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم قال من طين وهو امتزاج الماء
بالتراب ثم قال من حما مسنون وهو المتغير الريح وهو الحمأة الهواء من الذي فيه ثم قال

Copyright © King

خلق الانس من صلصال الفخار وخلق الجن من النار وهذه حكمة منه سبحانه يخلق ما يشاء وهو العليم
القدير وكما ان في العالم رياحا اربعا شمالا وجنوبا وصبا ودبورا ففي الانسان اربع قوى جاذبة
وماسكة وهاضمة ودافعة وكما ان في العالم سباعا وشياطين وبهائم ففي الانسان اوصافها من
طلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والاكل والشرب والنكاح والتمتع كما قال
الله عز وجل يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم وكما ان في العالم ملائكة بررة صفوة
ففي الانسان طهارة وطاعة واستقامة وكما ان في العالم ما يظهر للابصار ومن يخفى ففي الانسان ظاهر
وباطن عالم الحس وعالم العقل فظاهره ملك وباطنه ملكوت وكما ان في العالم سماء وارضا ففي
الانسان علو وسفل وامثل هذا الاعتبار على العالم بين التشبيه الالهية صحيحة ما اختلف ولا نقص
معقول ومع جزلة في مقابلة ان الانسان هو منتهى الكرم الاخر شيء علو بسبق علم فهو بالوجود بقاء الله
عز وجل انتهى فقف نفهم لك من التفسير ان كل ما يجري المستدل في العالم من التكوين الدال على قدرة
الله تعالى والتخصيص الدال على ارادته والاتقان الدال على علمه وحياته والانتظام الدال على وحدانيته
اليه اي الاستدلال يجري كله في ذاته ويتعرفه في نفسه لانه بنفسه لم يكن ثم كان وهو نوع في ذاته
من التخصيص المتفاوت والاتقان الباهر ما لا ينحصر وذلك كله امر ظهوره عن كل عاقل اذا تامل
المستدل العاقل علم ان الله تعالى جعل له في نفسه ما يعرف به معنى الكمال الذي به ثبت لله تعالى
وما يعرف به ثبوت ذلك الكمال فعز افهام المولى جل جلاله له من نفسه ما يعرف به التصور
والتصديق وما ينال به من معرفة الله التحقيق فسبحانه من لطيف ما اكرمه ومن كريم ما احلمه
ومن حليم ما اعلمه ومن عليم ما احكمه ومن حكيم ما اعظمه فتبارك الله احسن الخالقين وبيان
ذلك ان تعلم ان العقل لم يجعل له بحسب العادة ومقتضى اكتسابه الوصول الى الغيب المحض
وهو ما لم يكن مشهود الظاهر او الباطن ولا متعلقا بالمشهود نوع تعلق فان العقل انما له التصرف
فيما حصل في الفكرة من الامور الفكرية او الحسية او الوهمية والوهم انما يجتلب ما له مادة
في الحس او تعلق ما به اما ما هو غيب محض فلا اكتساب للعقل في تصوره ولا الحكم عليه الا ان
يلقى فيه بطريق الوحي او الالهام كما مر ولا شك ان ذات الله تعالى وصفاته هي من الامر الغيبي
فشأن العقول ان تعجز عنها ولا تجد سبيلا الى تصور الذات ولا شيء من الصفات ولا الشعور بما
اضافة غيب ولا يمكنها ان تثبتها لان الحكم مشروط بالشعور وقد تعذر على العقل الشعور

بما غاب عنه فلما ان سبقت مشيئة الله تعالى وحكمته بان يكلف عباده العقلاء معرفته تعالى
وان يثبتوا ذاته وصفاته او جرمه تعالى بمحض فضله وكرمه على صفة استعروا بها للمعرفة التي
تطلب منهم بان خلق لهم في انفسهم وجدوا فيهم امورا اتبعهما ويسر هذا الامر المعتاض ضربا من التشبيه
نتج به المقايسة ويمكن به التوصل حتى يعم ذلك الشيء نوعا من الفهم ويشعر به نوعا
من الشعور اما اثباتا واما نفيا فان الشيء يعرف بنده تارة وبضده اخرى فجعل لنا سبحانه
ذواتا واوجد في قلوبنا قضايا فطرية اولية مثل الكون والنفي والاثبات لا يجتمعان وكون
الشيئين اما ان يتشابها او يتقابلا ونحو ذلك فلما اردنا معرفة الله تعالى واثبات ذاته العلية
فهمنا معنى الاثبات لان الاثبات والنفي مما جعل في انفسنا من الضروريات وكان من اوائل
جعله التمهيد لهذا الغرض الاسنى ولما وصفته تعالى بالوجود فهمنا معنى الوجود من
وجودنا الا انا نظرنا بعقولنا في ان ذلك الوجود وهذا الوجود اهما متماثلان ام متخالفان
فظهر لنا تخالفهما بالوجوب في حقه تعالى والجواز في حقنا ثم قلنا انه تعالى ذات موصوف
بالصفات لا صفة وفهمنا معنى الذات من ذواتنا انا نقول هو موجود قائم بنفسه اي غني
مفتقر الى ذات اخرى يقوم بها وهذا المعنى شاهدناه في ذواتنا انها موجودة مستغنية
عن المحل غير انا نظرنا في ان ذاته كذواتنا ام لا فعلمنا انها في الغذاء وانتا اجرام متحيزة
فوجب لها الحدوث وذلك مستحيل على الله تعالى فلم يبق الا تنزيه ذاته تعالى الا المعنى الاول
وهو انها موجود مستقل بنفسه مع زيادة السلب والتنزيه وهو انها ليست بجرم ولا حال
في جرم ولا متغيرة بمكان ولا زمان الى غير ذلك وهذا القدر يكفينا في الخروج عن عهدة التكليف
والنكتة في تكلفه بطلبه بالدليل وهذه الامور التي نسلبها فهمناها لانها كلها عندنا ثم فهمنا
قدمه تعالى من مقابله وهو الحدوث الموجود عندنا ومن القدم الاضافي ايضا وفهمنا بقاءه تعالى
مما نشاهد عندنا من بقاء الموجود زمانا بعد زمان وفهمنا استغناءه من استغناء بعضنا
عن بعض وفهمنا وحدته مما عرفنا من الوحدة والكثرة عندنا وفهمنا قدرته مما نتخيله في
انفسنا من القدرة على شيء دون شيء وارادته مما نجد في انفسنا من ارادة الشيء والقصد
اليه وعلمه مما نجد من اطلاعنا على بعض المعلومات وكذا حياته من حياتنا وسمعه وبصره وكلامه
من كلامنا وفهمنا ذلك ايضا من اضداد الموجودة عندنا فهمنا القدرة من العجز والعلم من

الجمل الذي هذا من الاحتجاج الذي بسطه وفي الاشارة الحبيب مقنع وبالجملة فلم نثبت في حقه تعالى الا ما له مثل في نفوسنا وكذا قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه ولو اردنا ان نثبت شيئا وراء ما نشاهد لعجزنا لانا لم نستفد منه فلا منه كما لا نستفيد الله تعالى من ذلك من شاء من اصفيائه عبيده بشي يلقيه في قلبه فليس بمستغرب من كرمه حتى ان الامور التي وعد الله تعالى بها من النعيم واوعد من الجحيم في تلك الدار ما عرفنا الا بان خلق الله تعالى اشباهها في هذه الدار فسمّاها لنا فقلنا لها الماء واللبن والعسل والخمر والحرير والنساء والمراكب والغرف وغير ذلك لنتوصل بها الى فهم ما لم نشاهد وخلق النار والاغلال والسلاسل والحيات والعقارب لنتوصل بها ايضا الى فهم تلك ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الكلاليب وانها مثل شوك السعدان قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارايتم شوك السعدان فالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان الا انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فاشار صلى الله عليه وسلم بالاستثناء الى ان المثلية ليست من كل وجه وانما هو تشابه في الجملة على قدر ما يكون وصلة الى الفهم والا فشتان ما بين الشي والشي وهكذا في اصناف العذاب واصناف النعيم ولذا ورد في الحديث ان نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الاخرة فغمر فانها نار الاخرة بتسعة وستين جزءا ولذا ايضا الا ربع الجنة تتشارك نعم الدنيا الا في الاسم وادا فهم هذا التشابه العظيم بين الاشياء الاخروية والدنيوية مع ان الجميع حادث مخلوق فما بالك بالتشابه بين صفات القديم وصفات الحادث فما ابعد ما بين الخالق والمخلوق والرب والمربوب ليس كمثله شي وهو السميع البصير فقد استبان بهذه المكونات مفهومات الصفات ووقع بها الشعور بما عدا القدر الذي يمكن معه الحكم واستبان بها ايضا الحكم وصحته واتضح ذلك اتضاحا يرفع الشك فلا والريب من خاطر من كان ذي نظر اليه ولا اينا فيه وجود الله تعالى وعلمه وارادته وحياته وقدرته ولله در القايل

وفي كل شي له اية ... تدل على انه واحد

وقال ابو نواس

تامل في نبات الارض وانظر ... الى اثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات ... على اطرافها الذهب السبيك

على

قف: نار الدنيا

على قضب الزبرجد شاهرات • بأن الله ليس له شريك

وقد أشرقت شمس الإيمان في هذا المعنى بفضل الله تعالى وامتنانا حتى بلغت العلم بعد
الغمام كما قال الأعرابي البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحور
ذات أمواج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير وقد تكلمت العرب بهذه الدلالة
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع في أخبار قس بن ساعدة وأشعار أمية بن أبي
الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم روي أنه لما وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أيكم يعرف قس بن ساعدة وكان حكيم العرب وخطيبها وكان زعموا أنه عاش نحو من
سبعمائة سنة فقالوا يا رسول الله كلنا نعرفه فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيته بعكاظ
يعظ الناس على جمل له أورق وهو يقول أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا من عاش
مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا مهاد موضوع وسقف
مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور إلى آخر خطبته وقال زيد بن عمرو بن نفيل

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا • وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه • إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى • فإنك لا تخفى من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره • فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم • وأنت إلهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى • أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل من ورحمة • بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا • إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أأنت رفعت هذه • بلا عمد أرفق إذا بك بانيا
وقولا له أأنت سويت وسطها • منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة • فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى • فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه • وفي ذاك آيات لمن كان واعيا

Copyright © King

وإنّا بعض منك بغيت يونسا ... وقربات في أضعاف حوت لياليا
وإني وإن سبحت باسمك ربنا ... لأكثر إلا ما غفرت خطائيا

وقال زيد بن عمرو أيضا

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا

إلى غير هذا مما لا يحصى كثرة وبالجملة فكلمة التوحيد مسطرة على صفحات ذوات الكائنات كلها يقرؤها بأبصار البصائر ذووا الألباب كما قال تعالى إن في خلق السموات والأرض لآيات لأولي الألباب وربما سطرت بالخط المدرك بالعيون الناظرة رفقا من الله تعالى بضعفاء العباد ومبالغة في الإرشاد وإقامة للحجة على الخاص والعام الذي لا يتدبر وإدراك الأجسام فقد ذكر المؤرخون في عجائب بلاد الهند أن في جبل سرنديب شجرا له ورق والورقة وجهها أحمر وباطنه أخضر مكتوب في الحمرة بالبياض لا إله إلا الله وحده لا شريك له وفي الخضرة مكتوب بالحمرة سبحان الله العظيم الأعظم ونحوه كل ورقة في الشجرة على هذه الصفة قالوا وفي هذه الشجرة طائر على قدر الحمام مرقشة ألوانها تسبح الله تعالى بألسنة عربية وسريانية قالوا وفي هذا الجبل أيضا ورد أحمر عنبري الحمرة مكتوب في الورقة بالصفرة بين الفرزة لا إله إلا الله وفي باطنها مكتوب بالخضرة بسم الكبير المتعال وذكر واحد من هذا المعنى وقد خرجت جويات إلى بعض البساتين أيام كنا بزاوية الدكرية بوجدور وردة حمراء مكتوبا فيها مثل ذلك وقرأتها ورأيتها أنا بعدما ذبلت وكادت تتناثر ورأيت فيها مكتوبا لا إله إلا الله بخط أبيض رقيق ما رأيت أجود منه قط ولا أحسن رونقا ولا أدري ما ذهب في الساقط من الورقة غير ذلك ورأيت مثل ذلك أيضا في حجر مجلوب من بعض السواحل وهو خط أبيض أيضا لا إله غليظ جدا وذكر المفسرون أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة توسل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أن يغفر له فأوحى الله تعالى إليه ومن محمد فقال يا رب لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أحب خلقك

ولنحق

فق
في عجائب

King Saud University

ولنكتف بهذا القدر هنا لما اوضح من ان يعتقد الى الاطناب والله ولي التوفيق وملهم الصواب
وكما انا قد علمنا من وجود الكائنات ما لله تعالى من الكمال ونفي النقصان كذلك علمنا بوجودها
ما لله ان يفعله من الافعال الجائزات كالبعث مثلا وقد نبه المولى تبارك وتعالى على ذلك في كتابه
العزيز بالآيات البينات قال تبارك وتعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم اي لنبين لكم ان البعث
وانه جائز فان الذي هو قادر على ان يجمع بين العناصر المختلفة اعني التراب والماء والنار والهواء
ويؤلف بين الكيفيات المتضادة من البرودة واليبوسة والرطوبة والحرارة ويسوي من ذلك
خلقا ثم ينقله في الاطوار المختلفة طورا بعد طور من النطفة الى العلقة الى المضغة الى الجنين
281/32 المخلوق قادر على ان يعيده بعد اعدامه او يجمعه بعد تفريقه فان هذا اوضح في الامكان وايسر
في تعقل القدرة ولذا قال في الآية الاخرى وهو اهون عليه اي بحسب ما يتعاهدونه بينهم من ان الاعادة
ايسر من البدء قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت الآية وهذا مثال آخر يتبين به المراد وهو صحة احياء الموتى ولذلك قال تعالى
بعد ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وقال تعالى في الآية الاخرى
قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الآية فاشار تعالى بكونه انشاها اول مرة
الى انها قابلة للحياة لكونه اقبلها اولا وانه تعالى قادر عليها كما قدر عليها اولا اذ الحقيقة الواحدة
لا تتبدل ولا تنقلب بتبدل الزمان واشار تعالى بقوله وهو بكل خلق عليم الى دفع ما يستبعد من
جمع الاجزاء البدنية بعد تفرقها واختلاطها باجزاء اخر فاوضح انه تعالى عليم بكل شيء على دقته
الى الغاية فلا يعزب عنه ولا يشتبه عليه شيء بشيء وذكر المفسرون ان سبب نزول الآية
ان ابي بن خلف او العاصي بن وائل مر بعظم بال فقال اليوم اغلب محمدا ثم جاء اليه وقال يا محمد انت
الذي تزعم ان الله يعيد هذا الحائل وفتته بيده حتى طار هباء فانزل الله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي — وضرب لنا مثلا
خلقه الى آخرها واشار تعالى بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى دفع شبهة المنكرين
للبعث وذلك انهم قالوا ان البدن اذا صارت اجزاؤه ترابا فقد تغير عن طبع الحياة التي هي
الحرارة والرطوبة فرد الله تعالى عليهم بانه اذا قدر ان يخرج النار من العود الاخضر الذي هو ماء
فقد تبين اقتداره على اخراج الحي من التراب الى غير هذا من الآي في هذا الباب وهي كثيرة فقف

Copyright © King

من الله تعالى لنا بالخلقة الواحدة ووجوب الواجبات وجواز الجائزات والله واسع عليم ولله الحمد على
ما انعم وله الشكر على ما الهم وأما العارف فيعرف بعد ما حكى جميع ما من به من انشراح بصيرته
واتساع نظره فيعرف ان الله تبارك وتعالى ظهرت منه النعم الكثيرة الجليلة فمنها في هذه الدار ما
لا يحصى من النعم الدينية كالايمان والمعرفة واليقين والتقوى والاستقامة ونحو ذلك والدنيوية
الحسية المتصلة كالعقل والعين والسمع والرجل وسائر الاعضاء والمنفصلة كالمآكل والمشارب
والملابس والمناكح والمراكب والمساكن ونحوها والمعنوية كالقوى الظاهرة والباطنة وتمام
الخلقة وجمال الصورة والعافية والعزة والجاه والفرح والسرور وغير ذلك مما لا يحصى الى
ما يكمل ذلك كله او بعضه كالاخوان والاعوان والاخدان والعشائر والحصون والاسوار والسلاح
والانهار والحكام ونحو ذلك ومنها في الآخرة ما وعد به من النعيم المقيم الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر الى النعمة العظمى والمنة الكبرى وهو النظر الى وجه الله الكريم في الدنيا
بالبصائر وفي الآخرة بالابصار وظهرت منه تعالى النقم العظيمة الفظيعة فمنها في الدنيا ما لا يحصى
من النقم الدينية كالكفر والجهل والمعصية والتهاون بالدين والاستئناس مع الشهوة والغفلة ونحو
ذلك والدنيوية الحسية المتصلة كالعور والعرج والعمى والشلل والبرص والجذام وغير ذلك
مما يكثر والمنفصلة كالاعداء المضرة بالنفس او بالمال او بالحريم والسباع العادية والكلاب
العاقرة والحيات والعقارب والحر والبرد الفادح والنار المحرقة والجراد والفار والبوق وغير ذلك
مما يكثر والمعنوية كالمرض والجوع والعطش والفشو والهم والذل والهوان والفقر والغم
وغير ذلك ومنها في الآخرة ما اوعد به من العذاب الاليم بالنار والسلاسل والاغلال والمقامع
والحيات والعقارب وغير ذلك الى النقمة العظمى والمصيبة الكبرى وهي مصيبة الحجاب في
الدارين نسأل الله العافية فاذا نظر الناظر في النعم العظيمة علم بذلك قوة كرم الله تعالى واتساع
فضله وكثرة جوده وعظم منته ووفور احسانه فيحدث له الرجاء عند ذلك ويتقوى بكثرة
الالتفات الى الفضل والكرم واذا نظر في النقم والمصائب الكثيرة علم بذلك قوة انتقام الله تعالى
وشدة بطشه وعظمته فيحدث الخوف عند ذلك ويتقوى بكثرة الالتفات الى العقوبات
والى اسبابها وحينئذ يعتدل العبد ويتغلب ما بين الرجاء والخوف ومن اعظم ما يلتفت اليه
صور تارة احداهما ان من الله تعالى من توجه الى شخص كأنه جاحد متلبس بكل معصية وشر

في الآخرة بالابصار

بعد

قف ومثله كمثل الكلب

بغير من طاعة وخير مجاهد لله ورسوله فشاع في الافساد والشقاق فينشرح في لحظة صدره للظالمين
ويجعل في الخير كفره ايمانا وهواه اعتزالا ومعصيته طاعة ونشره خيرا فاذا هو صريح معادي
مناصح لله ورسوله سيفي من سيوف الله تعالى على اعدائه **الصورة الثانية** على عكس هذه
ان يتوجه والعياذ بالله الشخص مؤمن عارف عالم بمنزلته وينزع منه الايمان والمعرفة وخير الدنيا
والاخرة في لحظة ويتركه كالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث نسأل الله العافية فاذا انظر الى
هاتين الصورتين تقوى رجاؤه وخوفه ولم يبق نفسه من دوراته فلا يرى الاغترار بدنيا ولا مقام
ولا حال فاثمر ذلك ارتياحه الى الطاعة ونشاطه الى الخدمة وانقباضه عن المعصية ونشره
التوقي والتورع والتيقظ والمراقبة والمحاسبة ونحو ذلك واذا تامل علم انه لا ينبغي ان يكون
الملك الا هكذا فان الملك في المشاهد لا يستقيم الا بقوة الرغبة والرغبة موردها الاكرام
والاحسان والعطاء والجود والرهبة موردها القوة والشدة والانتقام والنكاية وبالرغبة
يقع ارتياح الرعية الى الطاعة ونشاطهم الى الخدمة بانعطاف القلوب وغاية المحبة وبذلك
تكون النصيحة والمعاونة وبالرهبة يكون الانقياد والاذعان والتسليم والسكون تحت
الحكم وبذلك تنحسم الشوكة وينقطع الشقاق ويخمد العدو ومتى لم تكن الرغبة تقع البغضاء
والشحناء والنفور ومتى لم تكن الرهبة يقع التمرد والتعاصي وطلب الظهور فاذا اجتمعت
الرغبة والرهبة تم الملك واستقامت السياسة فاذا تامل الناظر علم ان اجتماعهما على الحقيقة
انما هو لله عز وجل وان الملك انما هو ملكه سبحانه وحده لا شريك له فاذا علم انه هو الملك الحق
المبين توفر له من ذلك التعظيم والاجلال له تعالى لان ذلك مقتضى عظمته تعالى وكبريائه والتفويض
والتسليم لان ذلك مقتضى ملكه تعالى والتوكل عليه تعالى والتبري من الحول والقوة اليه لان ذلك
وصف العبد مع سيده والرضى بما يجري عليه من مولاه لان حق المملوك الرضى بفعل مالكه واذا تامل
الناظر فيما يقع له من الخير والشر والنفع والضر وعلم ان ذلك من الله تعالى وانه هو المالك
لذلك لا شريك له اذ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن توكل عليه وانقطع بالكلية اليه وفرغ
قلبه من جميع الكائنات فلا يخاف ولا يرجو الا الله ولا يلتفت الا اليه ولا يعتمد في الامور الا عليه
واذا راى ما وقع عليه من الاحسان من لدن نشأته في الرحم الى ان خرج طفلا لم يعقل مستسقطا
ثم غذاه وعطف عليه ابويه يسعيان له ويجعلان غذوره وادره ثم رزقه عقل التمييز ثم عقل

لما رأى وكم من مثله أحمق مطبقا وجاهل قد أعطاه النعمة إلا ما ولكم عبر مثلهم بل النعم الكبرى أن ثم
رغبة في النظر إلى أن اطلعه تعالى على كماله وجلاله وجماله الذي غير هذا من النعم وعلم أن ذلك كله
من مولاه تعالى لا شريك له أحبه لا محالة فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ولا محسن بالحقيقة
إلا الله تعالى ولأن الحب تعلق بإحسانه بالغ في خدمته لأن ذلك شكر نعمة الإحسان وعسى أن يتفضل
الله تعالى عند ذلك بفضله إلى أن يحبه تعالى لما له من الكمال وغاية الجمال وشتان بين من يحبه لإحسانه
الواصل وبين من يحبه لوصفه الكامل إذ الأول ينتقص حبه بانتقاص الإحسان والثاني لا ينتقص
حبه أبدا لاستحالة انتقاص الكمال واستحالة التغير على واجب الوجود وعلى صفاته وكذلك
الخوف والرجاء يتغيران إلا إذا كان منشأهما الأعمال المشترطة وهذا الكلام كله مناقض ونستعيذ
الله منه وإنما غرضنا أن نشير إلى وجه الاستنباط وكيف يحصل العارف لا رباني جعلنا الله
منهم بفضله فقد جعل الله تعالى لهم في تصاريف أحكامه علما بجلاله وكماله بل جعل لهم فيما
يورد عليهم ما يفهمون به عنه ما ينبغي من الأدب بين يديه وبينهم وبين خلقه وما يفهمون به
الأدب في التصرف وعموم الإذن فيه وبسط هذه الأمور موكول إلى أربابه نسأل الله تعالى أن
يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين بمنه وكرمه إنه قريب مجيب

الفصل الثاني

اعلم أنه كما دل أفعاله تعالى تدل على ربوبيته وتوحده في ملكه وما له من نعوت
الجمال والجلال على ما هو مضمون كلمة الشهادة كذلك أحكامه التي أنزلها وشرائعه التي
شرعها تدل على ذلك ويفهم هذا من قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير
الخ إذ المتعلق الحكم وربيتني أو يكون الأمر هو الوحي قال الثعلبي والمعنى يتنزل الأمر بينهن بالوحي
من السماء السابعة إلى الأرض السفلى والإشارة إلى ذلك بقوله تعالى أقم الصلاة لذكري
وفي الحديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله عز
وجل ذكره في النعوت ولنذكر لهذا ولما ذكرناه في الفصل قبله مثالا ينتفع به وهو أن ملكا من
الملوك انتصب للسياسة وانتهض لافتتاح البلاد وتملكها فإذا استقبل أقاليم وبرز
أهله ما هو لا ما فوقه وبطشه ولا ما يرى من إحسانه ولا عقله وفطنته وضبطه للأمور
بان ذوي العقول منهم بالحضور أفعاله وأقواله فيها يستدلون على أمره فإذا انكشف واطلع
حنكه وبطشه بأعدائه وكيف كرمه وإحسانه لأوليائه وكيف وعده ووعيده وإبرامه
وسياسته

قـ بأن القلوب الخ

نوع

King Saud University
جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

وسياسته فيما يامر به وينهى عنه علمنا احاله من خفي عنهم او طابه واطلعوا على ما يوجب
لهم الاستغنا عن مراعاته ورفض تكليفاته فاذا علمنا هذه الحكمة المجعولة في ملك الشاهد
كانت لنا من قاله التي غرضنا ومثالة لمعنى قصتنا وكانت من ايات الله التي نعرف بها على ما ذكر
في الفصل قبله فنعلم ان الله تعالى انما تعرف الينا بافعاله تعرف الينا باحكامه وقد استدل
الاستاذ رحمه الله تعالى على اثبات الكلام بجواز ورود الخطاب بوعد امر مطاع ونهي متبع والذي
يظهر في العقل الان والعلم عند الله تعالى ان التعرف بالافعال ذريعة الى ثبوت الاحكام وذلك
حظ العوام وتقدم بيان ذلك في استدلال المتكلمين والاحكام عنوان الجلال والجمال وذلك
حظ الخواص وللخواص ايضا في الافعال ذلك كلام في الفصل قبله وللمتكلمين ايضا منصب في
الاحكام من حيث انها افعال الاعتبار الا التعلقات القائمة بذوات المكلفين لا من حيث انها كلام
والارجع الى الادلة الاقناعية لا البرهانية وبيان ما اشرنا اليه في هذا الفصل ان نعتبر ثلاثة
اوجه الاول ان نلاحظ الاحكام جملة من غير تفصيل فنقول ان من وزان الاحكام من الله تعالى لخلقه
دليل كونه مالكا لهم وهم العبيد لان السياسة شان السادات والملوك فمثال السيد ان يكون
امرا ناهيا واعدا متوعدا ومثال العبد ان يكون مامورا منهيا ولا يكون السيد امرا ناهيا الا وهو
قاهر ولا يكون واعدا متوعدا الا وهو مالك للنفع والضر وذلك مقتضى الوعد والوعيد وهما
من مادة الجمال والجلال وعنوان الفضل والعدل فانظر ايها السامع الان هذا الاستدلال على ثبوت هذه
الكمالات في عموم ينكرها حتى تقول انها اقناعات كلا وانما هو استدلال لا استشعار والتنبه
في حق عارفها اما بدلالات الافعال لهم واما بالتوهب من الله تعالى وانما غرض العارف ان يكون بحيث
لا يلتفت الى غير الله تعالى وماله من الكمال فيه فافهم الوجه الثاني ان نلاحظ ب
الاحكام بتفصيل فنقول انها على لجهة التقسيم احدهما الامر والاخر الحظر فاذا التفتنا راجعة
الى الامر علمنا انه من مادة الفضل والجود وما يرجع اليه من اوصاف الكمال ومن هذا الباب
ينبعث الرجاء والبسط والانس ونحوها من الاحوال واذا التفتنا الى الحظر علمنا انه من مادة
النقم والقهر ومن ذلك ينبعث الخوف والقبض ونحوهما من الاحوال ثم انا نجري كلام الامام ليس
في كل من القسمين فانا اذا لاحظنا قسم الامر وجدنا كثيرا ما يكون معه الحظر في جانب الترك
اما جزما فيها في الوجوب واما رجحانا فيها في الندب فصار الحظر ضمن الحكم الاخر وهو انه تلاحظه

Copyright © King

من جانب فنتذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته ووفور احسانه ونلاحظه من جانب فنتذكر قهره تعالى
وشدة انتقامه وقوة عظمته فنسبح المولى الحكيم وكذا اذا لاحظنا قسم الحظر فانا نجد معه الاذن
في الضد اما في المحاظر التحريم فانه منع من الشيء وايجاب لتركه واما في غيره فلان في الكراهة وطرف
الايجاب وحده تنعدم منه فضل الله تعالى من حيث انه اذن في مباشرة الشيء وقهره من حيث ذلك
الالزام فنسبح الحكيم العليم المتفضل الكريم الذي وسع على هذا العبد المقهور
معالم العلم وفتح له مجاري الحكمة ونزله في جميع كل شيء حتى لا يلتفت الى شيء الا وجد فيه مولاه
وذلك غاية في اعتناء المولى الكريم بخادمه وامتنانا بعبده ومسارعة لما به يعبده ان سبقت
له السعادة المعرفة بربه والوصلة به فلا يهلك على الله الا هالك **الوجه الثالث**
ان لاحظنا الاحكام مفصلة حكما حكما من حيث نلاحظه بعينه الا وجدنا فيه بغيتنا من معرفة
الله تعالى وفي هذا جرى اهل النظر والاعتبار اقتداء احواله ولسنا نقدر على استقصائه في الكتاب
لو قصدنا استيعابه كيف ولم يحصل لنا منه الا شمة ولمحة ولسنا نستطيع شرح تلك اللمحة
شرحا شافيا ولكن نشير اليها اشارة فنقول ان الاحكام ترجع اولا الى الامر والنهي وثانيا
الى خمسة اقسام وهي الايجاب والندب والتحريم والكراهة والاباحة فاذا اعتبرناها من
حيث مفهوماتها المعقولة حصل من ذلك ما اشرنا اليه في الوجه الثاني وان اعتبرناها من حيث
ما صدقاتها فذلك انما هو في المتعلقات التي هي اعيان الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات
والمباحات فنقول انها ترجع الى ثلاثة اقسام مامورات ومنهيات ومباحات **اما**
المباحات فلا حاجة بنا الى التعرض لها الآن من حيث ذواتها وهو ما اعتبرنا في هذا القسم افعال
حادثة وقد مر في الاشارة اليه في الفصل الاول ومن حيث وصف الاباحة تقدم امرها في الوجه
الثاني وما يستفاد منها من الفضل او الجود لا تفاداخله في الاذن المذكور هناك **واما**
المامورات فكثيرة ونحن نشير الى امهاتها وهي الخمس التي بني عليها الاسلام وهي شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله
الحرام لمن استطاع اليه سبيلا **اما الشهادة** فلسنا ننظر فيها الآن ونقتصر بها لانها تمييز الاول
من المقصد الذي يريد ان نذكره وانما غرضنا ان نعرف معنى الشهادة في غيرها من المامورات
حتى انا لا ننظر الى شيء مما امر الله به الا دلنا على وحدانية الله تعالى والاذعان له والاعتراف له

بان نوديه

١٠٦

بالربوبية او الثناء على شيء من كمالاته تعالى التي تليق بجلاله وترجع الى صفاته او متعلقات صفاته
وذلك كله هو مضمون الشهادة على ما رأيت تقريره بعد المقصد الثاني **واما الصلاة**
فانا ننظر فيها بحسب نظرنا الخاص وفهمنا القاصر فنقول ان تعلم ان المقصود الاعظم عندنا انما
هو التوحيد وهو مضمون الشهادة وهو كمال افراد الله تعالى بالالوهية وبخواصها من استحقاق
العبادة ولايجاد الاعراض ونحو ذلك وانما يتم ذلك بان يكون قولا واعتقادا وحالا وفعلا
بان ينطق بالشهادة الدالة على التوحيد ويعتقد مضمونها ويصير ذلك المعتقد حالا للقلب
غالبا عليه وعلامة ذلك ان يعمل به ظاهرا وباطنا فلا يعبد غير الله تعالى كما لا يعتقد ان غيره
يستحق ان يعبد ولا يلتفت الى غيره تعالى الا بان يذكر من الله تعالى اذ لا التفات الى شيء بمحض شهوته
الا كان معبوده من دون الله تعالى فينتقض توحيده ويكذب مقاله بشاهد حاله فنقول
ان الصلاة بحسب هيئتها وصورتها موضوعة بهذا الغرض لانها وقوف العبد بين يدي مولاه متخليا من كل
شيء اذ ليس يشتغل حالة الصلاة باكل ولا شرب ولا نكاح ولا تجارة ولا غير ذلك بغير اذن مولاه
فتلك الحالة لم يشرك معه شيئا اصلا فهو قائل بلسان حاله لا اله الا الله ولا معبود الا هو تعالى
ولم يكن فرق بين الصلاة والشهادة الا ان الشهادة الدلالة فيها قولية والدلالة في الصلاة حالية
وفعلية وقد يكون لسان الحال ابلغ من لسان المقال والبيان بالفعل اوضح ولهذا كانت الصلاة
ام العبادات البدنية ولذلك فرضت في الذكر وفي الحضر وكانت على الرجال والنساء والاحرار
والعبيد كما لا يخفى ولذلك يقال الصلاة صلة بين العبد وبين ربه وقال صلى الله عليه وسلم وجعلت
قرة عيني في الصلاة وكما ان الشهادة يكون معها الايمان الخالص ويكون معها النفاق اما بعدم
اعتقادها وهو نفاق الكفر المشهور واما بعدم الجريان عليه وهو نفاق الغفلة وانا واياكم من
الاول في الردى الا اسفل من نار جهنم والثاني في الردى الا اسفل من نار الشهوة لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين اللهم اجرنا من هذه النار عاجلا يا ارحم الراحمين
بشفاعة نبيك ومولانا النور المبين الهادي الى صراط مستقيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه كذلك الصلاة يكون معها الاخلاص وهي صلاة الخاشعين اهل الحضور ويكون
معها النفاق اما بعدم ارادتها راسا وعدم الايمان بها وهي صلاة المنافقين الذين لا يأتون الصلاة
الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله واما

281/37

Copyright © King

١٢١

بالغفلة فيها وعدم الحضور وهي صلاة الغافلين والشك ان الذي يصلي وهو حاضر بمنزلة من
يتطهر وهو موفر لذنوب الظاهر وباطنه والذي يصلي وهو غير حاضر بمنزلة من يتطهر وهو غير
محتفل لا يطهر غير الظاهر والذي يصلي وهو غافل بمنزلة من يوحد الله وهو مشغول
بالالتفات الى غيره لا محالة يكذبه حاله وكذا افعاله هنا يكذبه حال قلبه اذ وقوفه بين يدي
مولاه يقتضي انه منقطع اليه وقلبه بما فيه من الشغل عن الله تعالى يابى ذلك ويصدق حديث
النفس يناقضه فان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم وانما لك من صلواتك ما عقلته
كما ورد ذلك في الحديث ثم ان الصلاة تشترط لها الطهارة وستر العورة واستقبال
البيت وفرائض كالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والسلام ونحو ذلك فاما
الطهارة فيعلم منها من حيث انها عبادة من العبادات المطلوبة فضل الله تعالى وكرمه باعتنائه
بتنظيف عبده وتعليمه تعالى له كيفية ذلك وتهيئته له اسبابه وفهم الله تعالى وحكمته من حيث
الزامه ذلك والتكلف به ومن حيث انها شرط للصلاة يعلم منها الاشارة الى الطهارة المعنوية
قبل سر الصلاة الذي هنا التوحيد وهو مطلب المومن ان يتحلى به وهو موقوف على التخلي من القبائح
والرذائل فجعلت الصلاة موقوفة على الطهارة الحسية ليكون الحسي عنوان المعنوي فيهما
فالصلاة عنوان التحلي والطهارة عنوان التخلي والتخلي وهو الطهارة المعنوية يكون من شيئين
من الخبائث اما باطنة كالكبر والعجب والرياء والحسد ونحوها واما ظاهرة كالزنى والسرقة
وشرب الخمر ونحوها فخصت الاعضاء المخصوصة وهي الفرج والايدي والرجل والوجه ونحوها
بالغسل لانها مواقع الخبائث الظاهرة ومظاهر الخبائث الباطنة وقدم غسل النجاسة ○
بالاستنجاء مثلا اشارة الى ان الاجتهاد في الرياضة وتزكية النفس انما يتاتى بعد الاعراض
عن الدنيا والتجرد عنها لانها منبت جميع الاخلاق الردية وجهة راس كل خطيئة والدنيا هي النجاسة
والعذرة القذرة كما جاء وصفها بذلك في كلام الانبياء والحكماء خلفا عن سلف حتى ان اهل
التعبير يفسرون العذرة في الرؤيا بالمال وجعل الوجه اول الاعضاء اشارة الى اولية التوجه
الى الله تعالى بالعزم وان فيه العين وهي سبب الاولية العين لا او وقعت على شيء وصل بذلك
الى القلب فحرك القلب الجوارح لتعاطيه ولذلك يقال العين رائد القلب وفي كلام الحكماء من
ارسل طرفه جلب حتفه وقال الشاعر

وانت

قف انما لك من صلواتك

قف من الخبائث الخ

قف يفسرون العذرة الخ

King Saud University

وانك اذا ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

وآخر والله يا طرفي الجاني على بدني ... لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

ويعم من طهارة الثوب طهارة القلب وطهارة الاوصاف التي يتحلى بها من شوائب النقصان الى اوصاف العبد الحسنة هي جماله وهيئته عند الناس وعند الله تعالى كما يهتم بالثوب ويتجمل به ولذا يعبر بالثوب عن القلب في كلام العرب كثيرا **قال امرؤ القيس**

وان كنت قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال ايضا

ثياب بني عوف طهارى نقية ... واوجههم عند المشاهد غران **وقال عنترة**

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وفي لطائف المنن قال الشيخ ابو العباس كنت مع الشيخ ابي الحسن بالقيروان وكان شهر رمضان وكانت ليلة الجمعة وكانت ليلة سبع وعشرين فذهب الشيخ الى الجامع وذهبت معه فلما دخل الجامع واحرم رايت الاولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل فلما اصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ما كانت البارحة الا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس قلت يا رسول الله وما ثيابي قال اعلم ان الله قد خلع عليك خمس خلع خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الايمان وخلعة الاسلام فمن احب الله هان عليه كل شيء ومن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله امن من كل شيء ومن اسلم لله قلما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه ومن اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت معنى قوله تعالى وثيابك فطهر انتهى ويعم منها بحسب الامر بالامر في الطهارة كلها وشيء آخ وهو الجمال اذ الصفة مشار الجمال والهيبة يقتضي التعظيم والاجلال وذلك ناشئ عن معرفة جلال الرب وكماله وعظمته ثم يختلف حال المصلي فقد يغلب عليه الالتفات الى انه عبد حقير وفقير الى مولاه فيشاهد الخضوع والذلة والتواضع ويناسبه التبذل في الملابس والامتهان والسجود على الارض ونحو ذلك وقد يلتفت الى انه عبد السلطان العظيم فيلبس الغنا والملك

قف من راحب الدراج

Copyright © King

وشانه العظمة بصيرة والتجمل للقاء الملك باللباس الفاخر وتحسين الهيئة اظهار النعمة التيسير
على نفسه ويعم شيء ذا اخر وهو انه مع تجدده حصل الرتبة محتاج الى ما لابد له منه ويختلف
ذلك ايضا باختلاف الناس واختلاف الاحوال ويعم من كون الطهارة بالماء المطلوب الطهارة
المعنوية التي هي عنوان عليها انما تكون بالعلم وانه حياة القلوب وكما ان الماء به حياة الابدان
قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي كذلك العلم هو حياة القلوب فالعالم حي والجاهل ميت
قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه الاية ايضا [illegible] ولذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم
القلوب بالارض والعلم الذي جاء به بالغيث فقال مثل ما بعثني الله به كمثل غيث اصاب ارضا
فكانت منها نقية الحديث المشهور في الصحيح وكما ان من الماء ما هو مستحصل بالعمل من اماكن مشاهر
كالجب بالحفر والنقل من الانهار والبحار وما هو حاصل بلا عمل ولا مشاهدة اصل كالامطار والانهار
كذلك العلم منه المكسوب وهو الماخوذ بالتعلم والمتلقى من السطور والصدور ومنه
الموهوب وهو غيره كما مر وكما ان الارض قد يرد الماء عليها من خارج كالمطر والسيح وقد يتفجر
في باطنها كذلك القلب قد يرد عليه العلم من خارج بالسماع والنظر وقد يخرج منه العلم
اذا انفتح واتسع وكالتعلم كما ورد في الاحاديث القدسية ما قيل لبني اسرائيل لا تقولوا العلم في
السماء من ينزل به ولا في الارض من يصعد به ولكن العلم في قلوبكم الى اخره وهو كلام مشهور
وقد نقل منه حكاية احمد بن ابي الحواري عن شيخه ابي سليمان الداراني في هذا المعنى فالعلم الذي
تقع به حياة القلوب والاهتداء الى علام الغيوب علمان مكسوب وموهوب وكلاهما
يقع به التطهير الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن ويعم من شرط الماء المطلق وهو غير النجس
والمضاف ان الذي يقع به التطهير المعنوي انما هو العلم الصحيح الصافي دون الباطل والوساوس
اما المكسوب فقسمان ظاهر وباطن اما الظاهر فالمعتبر منه ما اخذ من اصول الاحكام
وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس بشرط ان يكون ذلك كله جاريا على سنن تاويل
الراسخين والفقهاء المعتبرين وان يكون كل واحد بانيا على اساسه راجعا الى اصله فالمجتهد
المطلق يرجع الى الكتاب والسنة وما ينبني عليهما من الاجماع والقياس وانواع الاستدلال
والمجتهد المذهبي يرجع الى قواعد امامه مما ذكر ومجتهد الفتيا والمقلد المحض يرجع الى راي مقلده
واما الباطن فالمعتبر منه ما اخذ ايضا من الكتاب والسنة على حسب ما فهمه ذوو ارباب

في العلم حياة القلوب

القلوب

القلوب من الصوفية واهل البصائر المحققين بالجملة المرعيين ولهذا ما ذكر الشيخ ابو القاسم
القشيري جماعة من الصوفية في صدر رسالته ليعلم امثال من يقتدى بهم ويسار بهديهم ويهتدى
بانوارهم رضي الله عنهم واما العلم الموهوب فالمعتبر منه ما هو من جنس ما يحصل للاولياء
العارفين مما هو وارد رباني او ملكي لا شيطاني ولا نفساني وهذا هو ماء الغيب المشار
اليه المتطهر به في قول قائلهم وينسب للامام الجنيد رضي الله عنه تطهر بماء الغيب ان كنت
ذا سر الابيات المشهورة وفي هذا الماء تقع الاضافة والنجاسة بورود الواردات النفسانية
او الشيطانية بما يضر او بما لا يضر ولا ينفع ويفهم ايضا من اشتراط طهورية الماء لكونه مصححا
للطهارة المصححة للعبادة ان العبادة التي هي طريق الوصول والمجاهدة التي هي سبب
القرب لا بد ان تكون صافية غير مشوبة بما يكدرها من اخلاط الشرك او غرض او ادب ظاهرا او باطن
سالمة من الزيادة التي لا تنبغي والا لم توصل الى الغرض ولم تثمر المطلوب ويفهم من الاستقبال
بالتوجه الى الجهة الواحدة التوجه الى الواحد الحق تعالى والاعراض عن كل ما سواه فوجه الجسد
يتوجه الى البيت الحرام ووجه القلب يتوجه الى رب البيت والاول توجه محسوس من الحدود ذي جهة
ومسافة والثاني توجه معنوي الى من لا جهة له ولا مسافة ولا اين ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ويفهم من القيام الطاعة والاستسلام والانقياد والتاهب للخدمة مع الاعظام والاجلال
فان ذلك هو فعل العبد يقوم بين يدي سيده ممتثلا لما امر منتظرا للاوامر وذلك نتيجة العلم بانه
هو المالك لا شريك له لكونه هو الخالق الرازق المحيي المميت الى غير ذلك ويفهم من التكبير ما هو
معناه وطلب الاعتراف بذلك واعتقاده باطنا والتلفظ به ومعنى اكبر ان لم يقصد التفضيل
انه الكبير تعالى المتعالي عن النقص كله والمتصف بالكمال كله وليس كذلك الا هو تعالى وغيره
حقير ذليل ناقص محتاج متلاش معدوم على التحقيق لا يضر ولا ينفع وهذا ان لوحظ التفضيل
وقع ذلك على كل مشرب المصلي وهو انه اذا استحضر عظمة الله تعالى وكبرياءه وحقارة كل
ما سواه تعالى وتلاشيه توجه اليه تعالى وعكف بالهمة عليه واعرض عن غيره بالجملة وهذا
هو التوحيد الذي هو سر هذه العبادة وهو مضمون كلمة الشهادة ولهذا جعل التكبير ملزوما
من اول الصلاة الى اخرها استذكارا وتنبيها للقلب على هذا المعنى لئلا يغفل عنه وهو ايضا
فيصدق لسانه بقلبه وقد يكذبه اذا كان عنده كبير غير الله تعالى قال الامام ابو طالب

رضي الله عنه ومن كان في قلبه الملك الصغير الفاذ اكبر من نصيبه من الملك الا اكبر مما عمل بقوله الله
اكبر وقال ايضا حدثنا ان المومن اذا توضا للصلاة تباعدت منه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه
لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا اكبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر الى
وجه الجبار عز وجل بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر
من الله عز وجل يقول صدقت الله عز وجل في قلبك كما تقول قال فيشع شعاع من قلبه نور فيلحق
بملكوت العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور
حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام للوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب
على نقطة العسل فاذا اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا كان شيء في قلبه اكبر من الله عز وجل
عنده فيقول الملك له كذبت ليس الله عز وجل في قلبك كما قلت فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان
السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيزيد ذلك الحجاب ظلمة ويلتقم الشيطان
قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه
انتهى واذا رجع الى التفضيل كان للعارف ان يفهم من كل ما يقع بباله من جلال الله وجماله وعظمته
وكبريائه فالله تعالى اكبر من ذلك وهذا هو معنى العجز عن الادراك ادراك ولا يعرف الله الا الله
وقالت الملائكة سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وايضا كل ما يقع له من غرايب الفتوحات
وعجايب النفحات وسوابغ الاحسان وغرايب الفضل فالله تعالى اكبر من ذلك كله جودا وكرما
وكذا ما يقع للبعداء من عظيم الحجاب واليم العقاب وغريب الانتقام وبليغ الانتقام فالله
تعالى اكبر من ذلك قوة وبطشا واعلم انك هاهنا غرائب تجمع في الهيللة من التقريرات
فتارة يفهم كون الله تعالى بذاته اكبر بما له من غاية الجلال والجمال التام وتارة كون ملكه اكبر
وتارة كون ما عنده اكبر وتارة كون فضله اكبر وتارة كون عدله اكبر وتارة كون امره اكبر وتارة
كون طاعته اكبر الى غير هذا ويفهم من الترجمة مضمونها ايضا ولنتكلم عن فهم الفاتحة المشتملة
على المقصود كله لتصديرها بالحمد المضاف لاسم الجلالة تعالى الذي يقع فيه اشتراك
كما وقع في الهيللة والحمد ثناء عليه تعالى بجميع الكمالات على سبيل الحصر المستفاد من كون
المسند اليه معرفة وذلك هو اثبات الالوهية له تعالى ونفيها عن من سواه كما في كلمة الشهادة
سواء اذ الالوهية هي جمع تلك الكمالات المشتمل فيه مجملا ومفصلا وقع الوصف رب العالمين

انما

فيه ان المومن اذا توضا الخ

فيه الجاهل اذا قام للوضو

اشارة الى ان استيلاء على ذلك كله فان العالمين اجناس مختلفة فاختص كل منها بوجود ومقدار وصفة
وزمان ومكان وجهة فنفس ايجاده دليل على وجود الله تعالى وعلى قدرته وعلى وحدته اذ لو كان معه شيء
لمانعه عن الفعل وما فيه من التخصيص المختلف دليل على انه اوجدها بارادة ومشيئة لا بتعليل
ولا طبع والمشيئة دليل العلم والعلم دليل الحياة وكونه ربا لها دليل على كونه فعالا لما يريد هو
واجب الوجود قديم باق غني عن خلقه غير جرم ولا عرض وبكونه الرحمن الرحيم على ان له الفضل
العظيم وبكونه ملك يوم الدين اي الجزاء على ان له البطش الشديد وايضا اشير برب العلمين
الى انه موجدهم وبالرحمن الرحيم الى انه مربيهم وبملك يوم الدين الى انه مرجعهم هو الاول والاخر
وايضا لما كان المطلوب من العبد ان يعرف ربه ويوحده وان يعبده ويخدمه وهو نهاية المعرفة وهو
الجمع بين الحقيقة والشريعة وذلك باعتبار المنشا ايجاد الذوات والعقول والعلوم والشرايع
والمعاد ايجاد الثواب والعقاب وما بينهما وهو سير الى التكاليف ومحال التعبدات ايجاد الهدى
والتوفيق والارشاد اشير الى الاول برب العلمين والى الثاني بالرحمن الرحيم والى الثالث
بملك يوم الدين وفي الحكم من كلام علي رضي الله عنه في خطبة له رحم الله امرءا عمل لنفسه
واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين انتهى واذا تامل المصلي في هذا الامر واطلع
على هذا المعنى فعلم ان الله تعالى هو الذي بيده الايجاد وبيده الامداد وبيده الارشاد والتقريب
والابعاد والاشقاء والاسعاد توجه بكلية قلبه اليه ومرير الضراعة اليه فقال اياك نعبد
اي فيا اما بالشريعة وفي طيها الحقيقة الا انما نعبد الا اياك لانه لا معبود الا هو اذ لا اله
الا هو واياك نستعين اي فيا اما بالحقيقة والله خلقكم وما تعملون وفي طيها الشريعة
لانا انما استعنا به امتثالا لامره اهدنا الصراط المستقيم وهو لكل احد بحسب منزلته
وحاله وذلك من مرتبة الاسلام الى اعالي منازل الاحسان وهذه اشارة لطيفة
باختصار والا ففي كل اية بل في كل جملة بل في كل كلمة بحار من العلوم والمعارف تتلاطم فيها سفن العقول
كيف وهي فاتحة الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سبحانه
وتعالى ويعم من الركوع التبجيل والتعظيم والخشوع والخضوع لانه تحية الملوك وفعل العبيد
بين يدي الموالي وهو كناية عن انخفاض درجة الراكع وارتفاع درجة المركوع له وليس ذلك حقا
الا لمعبود الرب في غاية الرفعة لوجوب وجوده واستغنائه واتصافه على الانفراد بغاية الكمال

والعبد في غاية الانغماس في ذله وحروشه وافتقاره ونقصانه وهذا هو التوحيد المعتبر في الشهادة
والركوع دال عليه بالدلالة الفعلية كما دلت عليه كلمة التوحيد بالدلالة القولية ثم يفهم من
السجود النهاية في هذا المعنى فيه سقوط منزلة العبد رأسا واضمحلال نفسه وبطلان كونه
وذهاب اعتباره اذ وضع اشرف اعضائه وهو الوجه على احط الموجودات واسفلها وهو الارض
وذاك ما يقتضي بين العبد من الاكوان نفسه فاذا ابطلها واسقطها كمل التوحيد بذهاب ما يفنى وبقاء
ما يبقى وهو الواحد القيوم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولهذا ورد اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد ولهذا السر منع شرعا السجود لغير الله تعالى مع الاذن في تعظيم من امر الله
تعالى بتعظيمه ولم يوذن في السجود لاحد غير الله تعالى فقد منع اشرف العالمين حبيب الله **محمدا**
صلى الله عليه وسلم استئذانه الاعرابي ان يسجد له فمنعه وقال صلى الله عليه وسلم لو اذنت لاحد
ان يسجد لاحد لاذنت للمرأة ان تسجد لزوجها او كما قال صلى الله عليه وسلم اي ولم يقع ذلك ولا يقع
كما لا يوصف احد بالربوبية والعظمة والتوحيد كذلك غير الله تعالى لا يسجد لاحد الا الله تعالى
ولنكتف بهذا القدر من التنبيه في كتاب الصلاة فان الكلام فيها لا ينحصر **واما الزكاة**
فاذا انظر فيها فنقول ان المطلوب من التوحيد الذي هو مضمون كلمة الاخلاص هو افراد الله تعالى
بالالوهية واستحقاق العبادة ومن لازم ذلك افراده بالعبادة فلا تصح عبادة غيره تعالى ولا الميل
ولا التعلق بغيره لان ذلك كله عبادة له ثم لما كان المال متعلقا بالقلب كان معبود الانس
ادم فجاء بالزكاة اخراجه من اليد ليكون اخراجه من اليد عنوانا على اخراجه من القلب
وكانت الزكاة كالجزء من الصلاة من حيث ان الصلاة تبرى فيها من كل شيء والزكاة تبرى فيها من بعض
الاشياء وهو المال فلذا كانت الصلاة مقدمة عليها غير انه لما كان المال هو اعظم العلائق
في القلب اذ هو مجمع مآرب النفس وفيه شهواتها كلها كانت الزكاة القريبة من الصلاة فلذا قرنت
بها في الاحكام وهي اختها من حيث ان الصلاة حق الابدان والزكاة حق المال ولذا قال الصديق رضي
الله عنه لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة **واما الصوم** فننظر فيه كالنظر في الزكاة
فنقول انه ايضا تبر من بعض علائق القلب وهي شهوة الاجوفين ولم يبلغ ذلك مبلغ الزكاة
من حيث ان دفع المال في ابدانهم واصعب على النفوس ولذا جعل عشرا او ربع عشر وفي الصوم
ترك موقت فهو اسهل غير ان شهوة الاجوفين اقوى الشهوات بعد الشهوة المالية المطلقة اذ

هي

فقد لا يسجد لاحد الا الله
تعالى الخ

فهي مخرج معظم المنافع ان صورة الصوم لو دام صورة ملكية ولا سيما صوم اهل اليقظة
الحافظين المتورعين وكان للصوم الفضيلة وفي الحديث الصوم جنة ما لم يخرقها قيل بم يخرقها قال
بكلمة او غيبة فمن حافظ في صومه بان صان جوارحه زيادة على صون البطن والفرج التحق بالملائكة
المطهرين وخرج عن رق الشهوات وصار عبد الله تعالى لا لغيره وذلك هو ثمرة التوحيد المدلول
لكلمة الشهادة. واما الحج ففيه زيادة على ما يرجع من المنافع لما تقدم فيه وما يخلف
من الشهوات ويرفض من العلائق التوجه الى بيت الله الحرام وهو عنوان التوجه الى رب البيت
بقلبه كما في الصلاة وفي ذلك اظهار للعبودية واذعان للربوبية ولذا كانت اكثر مناسك الحج
امورا تعبدية غير معقولة المعنى وهذا النوع عند الفقيه لا تظهر فيه حكمة ولا تبين فيه علة
لان الغرض عنده علة يجمع بها بين فرع واصل او يستنبط حكما من حكم ولا يوجد هذا في النوع
الاخر وهو ما تعلقت فيه العلة فهو احب النوعين عند الفقيه واما العارف فاحب
النوعين اليه هذا الذي تظهر فيه العلة لان غرضه تبيين الربوبية في اطوار العبودية ولا شك
ان هذا النوع ابين دلالة واتم حكمة لان معناه ان يكون عبدا فعالا لما امر به محض عبودية محضة
تولتها ربوبية من غير التباس بشبهة ولا تعرج على علة ولا التفات الى عارض ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك اللهم بحجة حقا تعبدا ورقا هكذا نسب هذا الكلام الى
النبي صلى الله عليه وسلم ابو حامد رضي الله عنه ونسب نحوه في السيرة لزيد بن عمرو بن نفيل
قال ابو الربيع الكلاعي في الاكتفاء وقد روي ان زيدا كان اذا استقبل الكعبة داخل المسجد
قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال
انفي لك عان راغم مهما تجشمني فاني جاشم البر ابغي لا الخال ليس مهجر كمن قال انتهى واذا فهمت
ما اشرنا اليه من التعبد والخروج عن رق الاغيار واذعان للربوبية فيما اجمعوا الوحدانية المدلولة
لكلمة الاخلاص علمت ان هذا المعنى سار في جميع التكاليف وانواع العبادات من جهاد وصدقة
وامر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك ولا معنى لتتبعها واطالة الكلام في تقريرها واذا فهمت
ما في العبادات من معنى لا اله الا الله فاعلم ان فيها ايضا صورتي من النفي والاثبات فالايمان
مثلا فيه انتفاء الجحود وثبوت الاذعان والطهارة فيها انتفاء الخبث او الحدث وثبوت الطهارة
والزكاة فيها انتفاء حب المال وثبوت حب الله تعالى وما عنده وهكذا باقيها واما

المنهيات فلسنا ننظر فيها من حيث ذواتها اذ ليست بعبادات وانما هي افعال وانما ننظر فيها من
حيث النهي وقد تقدم ذلك في الوجه الثاني ومن هنا نشأ فنقول ان النهي عن الشهوات كحظر
الخمر والزنى وسفك الدم بغير حق ونحو ذلك من حيث ان ذلك منع للنفس عن شهوتها وحيلولة
بينها وبين لذتها وهو نوع تروع في عنها هو سطوة عظيمة ومحنة شديدة من الجليل جل جلاله وذلك
دليل ما له من عظيم القهر وشديد البطش وبليغ النكاية ووبيل العذاب ومن حيث ان ذلك سبب
النجاة من عذاب النار وسبب النعيم في دار القرار لطف عظيم وحظ جسيم واحتفاء كبير واعتناء
بهذا العبد الضعيف من مولاه اللطيف الخبير وذلك دليل ما له من الفضل والجود والامتنان الزاخر
عمن كل موجود ثم اذا نظر العارف في خلقة النفس وتراميها على هذه الشهوات وتهالكها عليها وانغماسها
بكليتها الهمة اليها راى من هذه الخلقة امرا غريبا وشكلا عجيبا شاهدا بالقدرة القاهرة والمشيئة
الباهرة والعلم المحيط بالمعلومات وبديع الاتقان في المصنوعات ثم اذا نظر الى المجاهدة التقوى
عليها حتى يقهر هذه الشهوات وتزهد في هذه اللذات حتى تستحيل عندها قاذورات وقبائح
مكروهات راى من ذلك اغرب واعجب وادل على غاية الاقتدار وباهر الاختيار وبالغ الفضل وسابغ
الجزال فاجتنى العارف من هذه الافراح ويجري عليه بثمار معارفه من انواع صنوان وغير صنوان
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

الفصل الثالث

اعلم انه كما انك ناطق بمعنى الكلمة المشرفة
شاهد بمقتضاها كذلك كل موجود شاهد بها وناطق بها اما مقالا واما حالا اما الملك والمؤمن
من الانس والجن فانه ينطق بها مقالا واما غيرهم فانه ينطق بها بلسان الحال الدلالة الكل على
وجود الله تعالى وتنزهه تعالى عن جميع النقائص واتصافه تعالى بجميع الكمالات كما مر في الكتاب
وقد خلت ذوات الموحدين من العقلاء في هذا العموم فلتعد دالة ايضا فان قلت
ان كون الكائنات دالة على وجود الصانع وما له من الكمال قد تقدم في الفصل الاول فما فائدة هذا
الكلام قلنا هذا النظر اخص فانا اعتبرنا ثم هذه الدلالة من حيث حصول العلم بها
للعاقل الناظر وها هنا اعتبرناها من حيث تنزيلها منزلة النطق والكلام والشهادة والاقرار
فكان النطق هنا مجازا لا النطق هناك من اعتبارين او نقول انا هنالك نظرنا في الكائنات
من حيث ان الناظر يستفيد منها وجود الله تعالى بالدلالة العقلية والنظر الذي هو العلم المرتب في

النفس

نعم كل موجود شاهد بها الخ

التفتيش على طريق يفضي الى العلم وها هنا نظرنا اليها في انفسها فوجدناها لابد لها من يعرفها على
نقصها انه ربها فاعترفت بذلك وتشهد بذلك وهذه الشهادة بلسان الحال كما يكون الرعاء والكلب
بلسان الحال اذا رأى الجائع والعطشان والعريان كالب بلسان حاله للطعام والماء والكسوة
وكذا الكائنات كلها مفتقرة الى من كانت لها على ان يوجدها ويدبرها واذا حصل لها ذلك لا محالة
ولا مرية في شاهدة بلسان حالها ان لها على الوجود المقر للعالم الفاعل المختار الحي موجود
لا باعتبار الثاني انا نظرنا هاهنا في ان العاقل فيه فطنة له معرفة الله تعالى وتوحيده والشهادة
له بذلك ام لا نظرنا واما الملائكة وها هنا نظرنا في انه هل هو مخصوص بهذه الفضيلة اعني
الشهادة بالوحدانية فقلنا انه غير مخصوص بل الكائنات كلها شاهدة بذلك وهذا كله
ان اعتبرنا الاختصاص بالنطق بالحرف او بالعاقل واما ان جوزنا ذلك في كل موجود فلا سؤال ولا
اشكال الا لاحتياج حينئذ الى ذكر الدلالة لا عقلية ولا حالية وفي هذا المقام للعلماء كلام قال
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال الامام الواحدي المراد بالتسبيح
في هذه الاية الدلالة على ان الله تعالى خالق حكيم مبرأ من الاسواء والمخلوقات كلها تدل
على هذا التنزيه وقال في الكشاف المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته
فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت
كيف تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم معلوم قلنا الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه
الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما
كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت
من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه
قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة
في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انتهى وقال ايضا ولا يجوز ان يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليه
مرجوح كالا واللفظ على معنييه انتهى الحمد لله صوليين وهم كثير يجوزون الكلام المشترك على
معنييه معا وكذا الحقيقة والمجاز ومثل هذا لغة تفسير ابي حيان وقال الثعلبي في تفسيره قال ابن

نف ان التسبيح بلسان الحال

نف لما جعلوا معه الهة

في تفسير الآية المذكورة النطق والمنطق في التعارف كل لفظ ويعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا
وقد يطلق لكل ما يصوت على التشبيه كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان
والجماد فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات بمنزلة العبارات سيما وفيها ما
يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع
صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به فقال ومن ذلك فع
ما حكي أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فقال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح
الفاختة كان عن مقاساة الشدة وتألم قلب انتهى وقال في قوله تعالى بعده قالت نملة يا أيها النمل
دابة كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي نفرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة
تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا
مجراهم مع أنه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق انتهى وقد أخرجنا القول حتى كدنا نخرج عما
نحن فيه فلنرجع إلى غرضنا وهو أن الكائنات كلها شاهدة بوجود الله تعالى ووحدانيته
واتصافه بغاية الكمال ومفصحة بذلك كلها إما مقالا وإما حالا وهي كلها مستسلمة
لقهره تعالى منقادة لقدرته خاضعة لعظمته منادية على نفسها بالافتقار وغاية الاحتياج
إليه ودوام الالتجاء والاستناد إليه بريئة من التعاصي عن حوله وقوته والخروج عن حيطته
وكفايته والاستغناء عن علمه وكلاءته وخرج عن هذه الجملة كل الإنس والجن ما سبق
من حكمة الله تعالى ومشيئته أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولو شاء ربك لآمن من في مف واعلم أن الكافر
الأرض كلهم جميعا واعلم أن الكافر وإن عصى وأن ذاته كلها شاهدة بما عصى ومعترفة بما أنكر
من وحدانية الله تعالى وما له من الكمال وهي خاضعة لله تعالى مستسلمة له كرها منه كما قال
تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ومنعه الله
الاعتراف بذلك لتنفيذ مشيئته فيه في الدارين فهو في الدنيا ليكون جزرة لسيوف الله تعالى
ونهبة للغانمين وفي الآخرة ليكون من الخاسرين يوم يتوقف شيء على شهادته فإن الله تعالى قد استغنى
عن شهادة الكافر وجودا أو عدما إذ الموجد له الله تعالى قائم بنفسه مستغن عن تعرف الخلق فيستغني
وعلم العالمين وإيمان المؤمنين وعبادة العابدين وإنما أجرى تعالى تعرفه إليهم لما يعود إليهم من
رضوانه

رضوانه وسوابغ فضله والوارد فيه من الثناء يعود اليه تعالى لتعاليه عن الاغراض والاعراض ۝
واستغنائه عن النفع والضر فتبارك الله رب العالمين وأما علما فلانه تعالى معلوم عند العموم
الواصلين بما اشهدهم وكشف الحجب عن بصائرهم حتى راوه بعيون قلوبهم وعند الناس بآياته بالآثار
فعرفوه من بدائع صنعته وفرقا بين التسمية على ذلك من الملائكة اجمعين والانبياء والمرسلين
وجميع عباد الله المومنين والكائنات كلها كما هو المشاهد من حاجة الى اعتراف الكونين
بان استكبروا فالذين عند ربك يسبحونه وهم لا يفترون ومسبحوا الله تعالى الكائن في الآخرة ليكون
اعترافه على نفسه بالحكم حجة عليه وسائح الوبال فيه فيصير من جعل لسانه حجة عليه في الدارين
بالسكوت في الدنيا وبالنطق في الآخرة وذلك ادل دليل على انقياده لحكم الله تعالى وجريانه على
مقتضى مشيئته نسأله سبحانه ان يعاملنا بفضله ويدخلنا من ابواب الامن بجوده وطوله

الفصل الرابع

في بيان احتواء هذه الكلمة المشرفة على معاني
سائر الاذكار ودلالتها عليها كلها مطابقة او تضمنا او التزاما فهي العائدة الجامعة المحيطة
وبذلك شرفت كما قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله
قال بعض المشايخ وهذه الكلمة نسبتها من الاذكار كلها نسبة اسم الله الاعظم من الاسماء
الحسنى فانه سار فيها كلها وهي كذلك سارية في الاذكار كلها فعرفت لها مزيتان احداهما
الاشرفية اي انها اشرف من غيرها والاخرى الكفاية بمعنى انها تكفي عن كل ما سواها وليس كل ما
سواها يكفي عنها وبيان الامرين معا ان ننظر فيها مع غيرها اما افرادا او تركيبا اما الافراد فهو انا نقول
كل ذكر من الاذكار او دعاء او استغفار او تعوذ او غير ذلك فلا بد ان يضاف الى الله تعالى بذكر اسم
من اسمائه جل وعز اما الاسم الاعظم وهو الله واما اسم اخر كالرحمن او الكريم مثلا ولا شك
ان الكلمة المشرفة قد اشتملت على الاسم الاعظم وهو الله تعالى مالك كل شيء فان كان ما سواها مشتملا
عليه ايضا فقد كفت عنه وان كان مشتملا على غيره من الاسماء فلا شك ان هذا الاسم اشرف واعم
وسيأتي بيان هذا في فصل على حدته واما تركيبا فيكفينا بيان احتواء هذه الكلمة المشرفة وبيان
انها منطوية فيها وهي سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وهذه الاربع مع الكلمة المشرفة هي الاذكار الخمسة التي هي افضل الكلام وغرر اسمائها وهي
الباقيات الصالحات وقد ورد فيها الفضل العظيم في الاحاديث الكثيرة فمعنى سبحان الله تنزيه

Copyright © King

ف ومعنى الله أكبر الخ

الله تعالى عن كل عيب وتبرئته من كل نقص وذلك هو الشطر من مضمون الهيللة ومعنى الحمد لله
الثناء عليه تعالى بكل كمال وذلك هو الشطر الآخر ومعنى الله أكبر إثبات الرفعة والمكانة
والعظمة وذلك لازم لما وجب له تعالى من التنزه عن جميع النقائص والاتصاف بجميع الكمالات
الذي هو مدلول الهيللة ومعنى لا حول ولا قوة إلا بالله التبري من الاقتدار والتأثير في شيء وإفراد الله
تعالى بالقدرة وجميع آثارها وذلك بعض ما يندرج في الهيللة فقد بان لك رجوع الكلمات
الأربع إلى الكلمة المشرفة أما بعضها فبالمطابقة وأما بعضها فبالالتزام وبذلك تعلم سر تسميتها كلها
رسمنا وهو أكثر ما يجيء عليه مرتبة وإن ورد لا يضرك بأيهن بدأت جميعا واسطة عقدها ونقطة
دائرتها **واعلم** أن هذه الباقيات الصالحات قد اشتملت على جميع علوم التوحيد على
الاستيعاب والاستقصاء كما جمعت من هذه الترجمة التي أشرنا إليها في تفسيرها وقد نبه لذلك
ذلك صاحب الأسرار العقلية رحمة الله عليه ومباحث ذلك موكولة إلى علم الكلام والقدر
الذي يحتاج إليه الفقير السالك ذكرناه هنا يتفق بالاختصار في ثلاثة مباحث **المبحث**
الأول اعلم أن للذاكر في هذه الكلمات الخمسة وكثير من العلم إذا رتبها كما رتبناها أولا في

ف أن يستحضر الخ

الكتاب **الأول** أن يستحضر عند التسبيح تنزيه الله تعالى وتنزهه عن جميع النقائص ما علمنا
منها وما لم نعلم وعند ذكر التحميد الثناء على الله تعالى بجميع الكمالات ما علمنا منها وما لم نعلم
واتصافه بذلك وعند ذكر التهليل الحكم بأن الموصوف بما ذكر من التنزه عن جميع النقائص وثبوت
كل الكمال واحد لا شريك له في ذاته ولا صفاته وثبوت ذلك التفرد له تعالى وعند ذكر التكبير
الحكم بأن الله تعالى المنفرد بما ذكر من الكمال أكبر كمالا وعظمة وجلالا مما نظن ونعتقد وما
قدروا الله حق قدره لا أحصي ثناء عليك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك العجز عن الإدراك
إدراك فإذا بلغ الذاكر إلى هذا المقام وبلغ من التوحيد منتهى المرام أوشك أن ينظر نفسه
بعين الجاهلة الناقصة أنها قد حازت قصب السبق في ميدان الأدب وأنها قد وفت من الحقوق ما وجب
وبلغت من المعرفة كل أرب وهذا هو مفتاح باب الدعوى والخروج عن التقوى فيأتيه عند ذلك
بالحوقلة إشعارا لنفسه أن كل ذلك من الله تعالى لا من نفسه ولا عقله وحدسه وأن كل ما وقع
له من الأدب والمعرفة والرشد فبفضل من الله تعالى وكرم محض وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله ثم الله لولا الله ما اهتدينا تبريا بنفسه من السوء ولا يثبت لها فعلا ولا حولا ولا قوة

King Saud University
جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

٢١٥

فكما لا يجعل الغير من سائر الموجودات شريكة مع الله تعالى فكذلك لا يجعل النفس شريكة مع الشيء
تعالى وبذلك يكمل التوحيد ولهذا كانت الحوقلة ختاما وقد علمت مما قررنا أن التوحيد
قد يكمل بدونها أعني توحيد العامة وأما توحيد الخاص فقد يكمل بدونها أيضا في حق المخلصين أرباب
النفوس من القدسية ونحوهم ولهذا تسقط الحوقلة في بعض الروايات وتذكر في بعض
والله أعلم **الوجه الثاني** أن يستحضر عند ذكر التسبيح تنزيه الله تعالى عن النقائص كلها
وفي ذلك اتصافه بجميع الكمال إذ لو انتفى شيء من الكمال لزم ثبوت مقابله وهو نقص أو مشكل
إذا انتفى العلم ثبت الجهل وهكذا فيلزم من انتفاء جميع النقائص على العموم الاتصاف بجميع
الكمال فيكون التسبيح موجبا لجميع ما يعتقد في جانب الله تعالى ولذا قال الزاهد لك معتقدا
له كان قد وحد الله تعالى ومجده بكل ما ينبغي له وهذه نعمة عظيمة يطلب منه شكرها فيقول
الحمد لله شكرا لهذه النعمة وعلى ما أسدى من المعرفة والنعم من الجود ومولاها عزوا في بذلك
وأصبح به ثم إذا علم أنها يعوقه من توحيد الله تعالى ومن الشكر على ذلك أوشك أن يدعي نفسه
شركة في هذا العمل فحينئذ يقول لا إله إلا الله إعلاما للنفس أن الله تعالى منفرد في ملكه وأن كل
ما وقع من العبد من أعمال الصالحات أو الخبائث أو غيرهما بأمر الله تعالى إلهاما وتوفيقا واقتراعا
لا شريك له وبعد ذلك فإذا أقر بما ذكر من كمال الله تعالى وانفراده في ملكه وتوحده بالكمال أوشك
أن تستعظم النفس أحكام الربوبية المذكورة وتستغرب ما أضيف إلى الله تعالى من ذلك الكمال وربما
توهمت أنه لا مزيد على ذلك فحينئذ يقول الله أكبر إشعارا للنفس أن عظمة الله تعالى فوق ما تسمو
إليه العقول وفوق ما تصل إليه الأوهام والظنون وهذا القدر هو منتهى سير السالكين ومطمح
أنظار ذوي الفهوم وشك أن يحتاج في النفس أيضا عجب ودعوى كما في الوجه الأول فيأتي بالحوقلة محوا
لبقايا النفس واضمحلالا لعلائقها **وأعلم** أن الأنسب في هذا الوجه فصل الجمل والأنسب في الوجه
الأول وصلها فتدبر ذلك يظهر بينا **فإن قلت** إذا كان التكبير يدل على كون الله تعالى
أعظم مما ذكر قبله كان التكبير دالا على أزيد مما دل عليه التهليل وذلك خلاف ما قررتم في التهليلة
إنها تكفي عن غيرها **قلنا** ليس معنى التهليلة الدلالة على انفراده تعالى بمضمون
ما علمناه من الكمال فقط بل الدلالة على انفراده تعالى بالألوهية والألوهية تقتضي ثبوت
جميع الكمال ما علمنا وما لم نعلم وانتفاء جميع النقص ما علمنا وما لم نعلم والتكبير ملحوظ فيه

قف دال كل ما وقع من العبد الخ

Copyright © King

ما علمنا بعد أن الله تعالى أعلم وأجل مما علمنا وكل ما علمناه وما لم نعلم داخل في مضمون الوهبية التي
اقتضت الهيللة أنه الله تعالى وكان التكبير إما جاء وإما مساوٍ لا زائد وأعلم **المبحث الثاني**

اعلم أن هذه الأذكار الخمسة وإن كانت كلها دائرة على محور التوحيد ومن ثمة حول التحميد والتمجيد
هي مختلفة المفهومات ومتفاوتة الاعتبارات كما علمت من تفسيرها فلزم من ذلك اختلاف
مشاربها واختلاف أحوال ذاكريها فكان لكل منها مذاق غير مذاق الآخر وثمرة غير ثمرة الآخر ولا ريب أن
مشرب كلمة لا إله إلا الله هو أعذب المشارب ومذهبها هو أوضح المذاهب ومنصبها أجل المناصب
وسعتها أشرف المناقب وهو مشرب الصديق رضي الله عنه الذي لم تطلع الشمس ولا تغرب بعد
النبيين والمرسلين على أفضل منه فقد روي أن هجيرا أبي بكر لا إله إلا الله وقال الإمام الساحلي
في بغيته وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم سائر تلك الأذكار بحسب الأحوال فمن ذلك ما
روي أن هجير أبي بكر لا إله إلا الله وذلك أنه كان لا يرى في الدارين غير الله تعالى فكان هجيراه يحفظ
عليه مقامه من علل التقصير في ذلك ومن ذلك ما روي أن هجير عمر كان الله أكبر وذلك لأنه كان
يرى ما سوى الله صغيرا حقيرا في جنب عظمة الله تعالى فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من علل
التقصير في ذلك ومن ذلك ما روي أن هجير عثمان كان سبحان الله لأنه كان لا يرى الكمال إلا لله تعالى
وأن الموجودات فانية به مفتقرة إليه خاضعة بين يديه فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من
علل التقصير في ذلك ومن ذلك ما روي أن هجير علي كان الحمد لله وذلك لأنه كان لا يرى النعم في
النفع ولا في الرفع ولا العطاء والمنع والمحبوب والمكروه إلا من الله فكان هجيراه يحفظ عليه
مقامه من علل التقصير في ذلك فليس من نظر الموجودات حتى لا يرى مع الموجد غيره كمن رأى أن
الموجودات صغيرة حقيرة وليس من رأى الموجودات صغيرة حقيرة كمن رآها على حالها
لكن ناقصة وليس من رآها ناقصة كمن رآها من حيث إن الله موجد لها فاختلاف أذكار
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ينبئك على استعمال الأذكار بحسب الأحوال لأن كل واحد منهم رضي الله عنهم
التزم الذكر الذي يناسب حاله الغالب عليه في وقت استعماله إياه وهم وإن اختلفت
أحوالهم وتنوعت مشاربهم فكلهم قد بلغ الذروة العليا ووصل إلى ربوة التخصيص بصدق
اليقين وصحيح التوحيد فلا يدرك شأوهم ولا يشق غبارهم فظهر لك من مجموع هذا الكلام
أن استعمال الأذكار بحسب الأحوال هو من الحكمة التي تتضمن صلاح الحال وتقضي بطهارة

النفس

١١٦

النفس ونصيبها من جميع علمها واوصافها انتهى وهذا الكلام كما يتعلق به احوال الخلفاء رضي
الله عنهم فربما به درجات هذه الاذكار وان لا اله الا الله هو اعلاها واجلها منصبا
واوفاها منزلا والله المستعان البحث الثالث اعلم ان هذه الاذكار تسمى
الباقيات الصالحات بكلام وليس من حيث الفاظها تسمى بذلك بل من حيث معانيها وذلك ان الصالح
هو ما يعود نفعه والباقي منه هو ما لا يفارق بالموت ولا شك ان هذه الاذكار حاصلها معارف
يتحلى بها الروح ويبقى معه فان الانسان اذا مات ذهب بدنه للتراب والديدان وبقي ماله للورثة ۝ قف بيان الانسان اذا مات الخ
وذهبت روحه الى ربها ولا يصاحبها الا ما اكتسبت في هذا البدن من خير او شر وذلك العلم والجهل
والطاعة والمعصية ولا شك ان الصالح من هذا الباقي هو العلم والطاعة والعلم هو مضمون
هذه الاذكار وقد علمت مما ذكرنا ان الخيرات كلها باقية وهي كلها صالحة ولهذا اختلف
العلماء في قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك الاية فمنهم من يعني بها هذه الاذكار
ومنهم من يحمله على العموم ووجه التعميم ظاهر ووجه التخصيص فيما ذكر اربعة اشياء
احدها ان العلوم والمعارف اشرف قدرا وانفس قيمة فاعتبارها اولى الثاني انها اي
الاعمال وهي مقصودها وثمارها فالكلام للتنبيه عليه الثالث ان المعارف حلية الروح
والروح باقية فتختص ذكرها بالبقاء واما الاعمال فحلية البدن والبدن فان الرابع ان الكلام ليس
فيه حصر ولا عموم يقتضي فلا مانع ان هذه المعارف باقيات صالحات ونوه بها من حيث ولا ينافي
ذلك ان يكون غيرها ايضا باقيا صالحا والله الموفق فائدتان الاولى استعمال
هذه الاذكار الفاضلة يكون على الجمع ويكون انتظامها على نحو ما فسرناها اولا ويكون على
التعيين لكل منها كل في بابه واقسامه ذكر والعبد يعتني بكل منها ويستشعر منه معنى
الابواب استشعارا فانا ينبغي به ولا سيما الاربع الاول وشرح ذلك يطول مع ان ذلك
مفهوم مما فسرنا اولا والله الموفق الثانية في ذكر شيء مما ورد في فضائل هذه الاذكار
الخمسة اجمالا وتفصيلا اما اجمالا فعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانها الباقيات
الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وهن من كنوز الجنة وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات قيل

خ
الاربعة الاولى

Copyright © King

وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وعن ابي
المنذر الجهني رضي الله عنه قال قلت يا نبي الله علمني افضل الكلام قال يا ابا المنذر قل لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة
مرة في كل يوم فانك يومئذ افضل الناس عملا الا من قال مثل ما قلت واكثر من قول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانها سيد الاستغفار وانها ممحاة للخطايا
احسبه قال موجبة للجنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال الله اسلم عبدي واستسلم والاحاديث في هذا كثيرة واما تخصيص من ذلك ما ورد في
الاربع اولا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا جنتكم
قالوا يا رسول الله من عدو حضر قال لا ولكن خذوا جنتكم من النار قالوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فانهن ياتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات
او كما قال صلى الله عليه وسلم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وعن سمرة بن جندب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات زاد النسائي في رواية وهن من
القرءان وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الكلام سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرئ امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة
التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وعن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من
الكلام اربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فمن قال سبحان الله كتبت له
عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة ومن قال الله اكبر فمثل ذلك ومن قال لا اله الا الله
فمثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه
ثلاثون سيئة ومن ذلك ما ورد في التهليل وحده وقدمت منه جملة كافية وما ورد في التسبيح

وحده

King Saud University

وحديثه فعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام
الى الله سبحان الله وبحمده وما ورد في التهليل والتكبير والحوقلة فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الارض احد يقول لا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله الا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الحوقلة ومنها عن ابي موسى
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة
والاحاديث في هذا الباب تكثر ومن اراد الاستيفاء فعليه بكتب الترغيب وانما غرضنا الاشارة
بما ابديناه والله الموفق **الفصل الخامس** في بيان كون الاسم الواقع
في هذه الكلمة المشرفة اشرف الاسماء الحسنى واعظمها واعمها وفي هذا المطلب مطلبان
احدهما في كونه اشرف **الثاني** في كونه اعم اما كونه اشرف الاسماء واعظمها فهو قول العلماء
قديما وحديثا **قال حجة الاسلام** الغزالي في كلامه على هذا الاسم الشريف وهو الله ما
نصه واعلم ايدك الله بمواد الخير وجمعك معالم اسرار التوحيد بفضله ومنه ان هذا الاسم
المعبود المعظم المجيد اعني الله عز ذكره هو اسم الذات العلية الموصوفة بصفات الالوهية
المعروف بنعوت الربوبية المتصف بصفة الاحدية المنفرد بوحدة الوحدانية المنعوت
بصمدانية الصمدية المنزه عن عنصر الكيفية وانواع المثلية المقدس ان يحيط بمعرفة كنهه
ادراك عقول البشرية فهو الله اسم لا اله الا الواحد القديم الحي القيوم العلي العظيم الدائم
الباقي السرمدي مالك الملك الكبير المتعالي الموجود المطلق الوجود الازلي الذي لم يزل اولا
وابدا باطنا وظاهرا المتحقق بالوجود الحقيقي الواجب الوجود وكل موجود سواه
استفاد منه الوجود فهو من حيث ذاته هالك فان ومن حيث موجده ثابت موجود وهو اعظم
الاسماء لانه دال على الذات العلية الجامعة لكمال صفات الالوهية انتهى الغرض منه وقال
ايضا في قوله تعالى ولذكر الله اكبر فيه خمسة اوجه احدها ان ذكر الله لنفسه بتوحيده وتعظيمه
وتمجيده اكبر واعظم من ذكر خلقه الضعفاء العجزاء وتوحيدهم له لانه الغني الحميد الثاني
ان ذكر هذا الاسم الله اكبر واعظم من ذكره بغيره من اسمائه انتهى **وقال الشيخ ابو
العباس المرسي** لبعض اصحابه ليكن ذكرك الله سبحانه فان هذا الاسم الكريم سلطان
الاسماء وله بساط وثمرة فبساطه العلم وثمرته النور ثم النور ليس مقصودا لنفسه

Copyright © King

وانما هو لينفع به الكشف انتهى وقال في مفتاح الفلاح وهذا الاسم الاعظم هو اعظم التسعة
والتسعين اسما لانه دال على الذات الجامعة لجميع صفات الالوهية وسائر الاسماء لا يدل احادها
الا على احاد المعاني من علم وقدرة وغيرها وقال بعض الائمة واسماؤه تعالى وصفاته كلها وان كانت عظيمة
الا ان هذا الاسم له تخصيص عند اهل التمام كما فضل على سائرها كما ان التوراة والانجيل والزبور والصحف
والفرقان الكل كلامه عز وجل ولكنه اختص منها الفرقان وفضله على سائرها فكذلك هذا الاسم
من بين سائر اسمائه خصصه وفضله ونزهه انتهى وقال ابن عطية والمكتوبة انه لفظة الله
ابهر اسماء الله تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم على سائرها في الاغلب وانما تجيء الاخر
اوصافا انتهى وفي هذا كان الاشهر انه اسم الله الاعظم قالوا وانما تخلف الاجابة في اكثر
الاحيان لعدم استجماع الشرائط وقد ذكروا لهذا الاسم الشريف من الخصائص والمزايا كثيرا
يشير الى وجه اعظميته منها انه جامع للذات والصفات كما في كلام الائمة وهو
معنى قولنا انه اعم وسيأتي شرح ذلك في المطلب الثاني ان شاء الله تعالى ومنها
انه هو الاسم الخاص به تعالى وقد حفظه الله تعالى بالخصوصية فلم يكن احد من التسمي به مع
كثرة الجبابرة والفراعنة المدعين للالوهية وفي هذا اية باهرة ومعجزة ظاهرة ومنها
انه يضاف اليه غيره من الاسماء ويوصف به فيقال العزيز او الرحيم من اسماء الله ولا يضاف هو
الى غيره ولا يوصف بشيء فلا يقال مثلا الله من اسماء الرحيم وذلك دليل انه الاعم والاهم فان قيل
متى قلنا مثلا العزيز من اسماء الله فلسنا نريد الله الاسم الذي الكلام فيه بل المسمى وهو الذات
الواجب الوجود قلنا الامر كذلك ولكن ما المانع ان يقال الله من اسماء العزيز ويراد
ايضا بالعزيز مسماه لولا رجحان دلالته على الذات الاعم والاوضح وهذا معنى كونه اعظم ومنها
انه يوصف بغيره ولا يوصف به وهذا كله مبني على انه الاسم الخاص وفي هذا الوجه ايضا
من البحث مثل ما في الذي قبله والجواب هو الجواب ومنها ان كل اسم يصلح للتعلق والتخلق
سوى هذا الاسم الشريف فانه يصلح للتعلق فقط ولا يصلح للتخلق ومعنى التخلق الاتصاف
في العبد يتصف مثلا بمعنى الغفور الرحيم الحليم العدل الكريم فيستغفر في نفسه حرصا
ويتراحم وحلما الى غير ذلك وعند ذلك يكون ربانيا كما قال تعالى ولكن كونوا ربانيين
اي متخلقين وورد في حديث تخلقوا باخلاق الله وفي حديث ان لله مائة خلق من تخلق ان لله مائة خصال خ

بواحد

بواحد منها دخل الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم ومعنى كون هذا الاسم الأعظم لا يجوز التخلق
به أن الألوهية ليس للخلق أن يتخلقوا بها وإنما للعباد التعلق بها تعلق الاحتياج والاستناد لا الإيجاد
والإمداد ثم التخلق وإن جاز في سائر الأسماء فليس معناه أن العبد يتصف بأوصاف الرب على الحقيقة
هيهات هيهات أين صفات المخلوق المحتاج الناقص من صفات الخالق الغني المجيد وإنما ذلك
ضرب من التشبيه والتقرب بصفة العبد من صفة الكريم المتفضل ومنها أن هذا الاسم
العظيم قد اختص بخاصية غريبة عن سائر الأسماء وهي أن معناه يتم ولو بقي كتبه ونقص منه
شيء لأن من أسرار أنه لو زالت الألف الأولى منه لبقي لله ولو زالت اللام الأولى لبقي له ولو زالت
اللام الثانية بقي هو وهو كناية عنه تعالى ما إذا أشبعت ضمته صار هو وهو كناية مستقلة
والكناية وإن احتاجت إلى مرجع تتم به فإنها وعاد بعضهم هاهنا عن هذه الطائفة غنية
عن ذلك لأن المشار إليه حاضر عندهم وهو دائما دائما في خاطرهم ومطلبهم وانظر هذا الذي وقع
لبعضهم هو العبد رضي الله عنهم قيل له ما اسمك فقال هو فقيل من أنت فقال هو فقيل من أين
جئت فقال هو فقيل ما تعني بقولك هو فقال هو فما سئل عن شيء إلا قال هو فقيل لعلك تريد
الله فصاح صيحة وسقط إلى الأرض ميتا ومنها أن الكلام هنا قد اشتمل على معان
وأسرار لم يشتمل عليها اسم من أسمائه تعالى مشتمل على المعنى وقد كثر في ذلك عن أهل اللطائف
ما ينبغي لأمثالنا الخوض فيه ولكن حيث انجر الحديث إلى ذلك فلا بأس أن نذكر ما ذكروا على طريق
الحكاية لكلامهم فنقول الحروف أربعة الألف واللام واللام والهاء وهذه أسماء مسمياتها
الحروف الملفوظة في اسم الجلالة فالألف من حيث أنها اسم فيها معنى الألفة والتألف
والتأليف وبهذا المعنى ألف الله تعالى جميع خلقه على توحيده والمعرفة به لأنه ألهمهم ودلهم
وموجدهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وتقدم ذكر أن جميع الكائنات حتى الجمادات تشهد بمبدئها
والتأليف بين عباده المؤمنين على الإيمان به وبرسوله والتناصر والتعاون والتراحم قال تعالى لو أنفقت
ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم قلت والتأليف أيضا
بين الأجساد والأرواح وهو من أبدع التأليف لجمعه بين الضدين وهما الأرضي والنوراني والظلماني
ومن حيث أنها أول فهي استفتاح الحروف المعجمة كما أنه لا شيء قبله وفيه إشارة من جهة الحق

Copyright © King

سبحانه الذي هو الأول ولا شيء قبله والأشياء كلها بعده ومنه كانت والوحدة له والشفعية
لغيره **والألف** غيب إذ لا ينطق له بمخرج وهو واحد وليس بعدد ولكنه هو مبدأ الأعداد كلها وهو
مبدؤها وجزء الحروف أجمع فهو مبدأ الأعداد إجمالا وأجزاؤها وهو معنيها بكل شيء فهنالك
الأوجه ومرجعه الخلوة وفيه إشارة إلى آدم هو أول النوع والأجزاء منه تولدت وهو مبدأ الألف
نقطة وهو إشارة إلى الجوهر الفرد الذي هو مبدأ ذوات العالم كلها وفي اللام الأولى بعد اسقاطك
الألف إشارة إلى تمام الملك لأن الباقي هو صورة لله قال تعالى لله ما في السموات وما في الأرض الآية
وقال قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله الآية وقال قل لمن ما في السموات والأرض قل
لله الآية وقال تعالى وإن تكم وإما لله ما في السموات والأرض الآية وقال تعالى ألا إن لله ما في السموات
والأرض الآية وقال تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد **واللام** الثانية إشارة إلى تمام الملك بعد حذف
اللام الأولى فيصير له قال تعالى له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون له ملك السموات والأرض
ثم إليه ترجعون له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ذلكم الله ربكم له الملك لا إله
إلا هو فأنى تصرفون وقال تبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما الآية ألا له ملك السموات
والأرض يغفر لمن يشاء الآية له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت وقوله الحق وله الملك
بعز اكله ونحوه إشارة إلى تمام الملك فهو تعالى المالك والملك حقيقة قال تعالى ملك يوم الدين
في باب الألف ويجزيها على التغيير **والهاء** هاء الإشارة إلى مطلق وجود الحق وإثباته وحرابيته
وإحاطته بجميع الأشياء كلها علما وإرادة وقدرة وملكا وهي من هاء هيبة البهاء وعظمة
الألوهية وذلك بعد حذف الألف واللامين يبقى ترى وإذا أشبعت حركتها تولدت الواو وظاهر
قال تعالى قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت الآية إنما هو إله واحد هو الأول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو
الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله
عما يشركون هو الله الخالق قل هو الله أحد وهو اسم مضمر يبين عند أهل الظاهر بما بعده
وما يحتاج عند أهل الرسالة أنه كناية عن الحق والحق تعالى حاضر عندهم وهو الصاعد إلى
قلوبهم فافهم وهو من هاء مخرجه أقصى الحلق والواو مخرجه الشفتان فالأول والثاني من أول المخارج ٥
والثانية من آخرها وذلك إشارة إلى أنه تعالى هو الأول والآخر مبدأ كل شيء منه ومرجعه إليه

وقال

١٢٩

المطلب الثاني

وقال البوني في شمس المعارف الله هو اخص الاسماء واعظمها اتفاقا وهو اسم دال بالذات وتفسيره
مخرج الاشياء من العدم الى الوجود وله معاني يجب على الباطن فيها كتمها عن الاشقياء ليلا
يتوصلوا بها الى فعل المنكرات والمحرمات فيسقطوا من عين الله كما سقط بلعام بن باعورا لما
اراد به معصية الله نعوذ بالله من غضبه وان لا يجعلنا ممن يستعين باسمه العظيم على معصيته
وذلك ان هذا الاسم العظيم له حروف اربعة الالف واللامان والهاء ولذلك كانت الطبائع اربعة
والاقطار اربعة شرق وغرب وجنوب وقبلة وكانت ملائكة التسخير اربعة جبريل واسرافيل
وعزرائيل وميكائيل وقد اطال في هذه المناسبات واما كون هذا الاسم العظيم اعم الاسماء
بمعنى انه جامع لجميع معاني الاسماء وتقدم ذلك في كلام الغزالي وقال ايضا واعلم ان الاسماء
الحسنى هي الف اسم منها في التوراة ثلاثمائة وفي الانجيل ثلاثمائة وفي الزبور ثلاثمائة وواحد
في صحف ابراهيم وتسعة وتسعون في القرآن وقد جمعت معاني تلك الاسماء كلها وادخلت
في التسعة والتسعين اسما التي في القرآن واشتملت على فضائلها واسرارها وثوابها وان الاسماء
كلها التي في جميع الكتب اولها الله ولهذا كان الاسم الكريم بانا على السر الناشر في جميع الامور
من كل ما يحاول من الاشياء وفي الاقوال وفي الافعال وفي الاسباب كلها يبتدأ فيها باسم الله تعالى
وقال البوني في شمس المعارف فاما الله تعالى فهو الاسم الاعظم الجامع لمعاني الاسماء ولذلك
بدا به كتابه وختم به كتابه وتعبد به عباده واشار اليه وعرفه بقوله قل هو الله احد انتهى
ويقال هو الاسم الجامع للذات والصفات وربما قيل الذات والصفات والافعال وهذا كلام
مشهور متداول على الالسنة مستودع في بطون التصانيف كثيرا وكثيرا ما يغلط فيه من لا يعود
له في حقائق الاشياء فيتوهم ان مفهومه كذلك انه دال على تلك الجملة كلها دلالة اللفظ على ما
وضع له فلابد من تحرير هذا المقام بعون الله فنقول اعلم ان اللفظ الدال اما ان يكون دالا على جزئي وهو العلم
اما شخصي كزيد وعمرو واما جنسي كاسامة وثعالة او دالا على كلي وهو اما مشتق كقائم ○
ومضروب وعليم ورزاق واما جامد والجامد اما اسم عين كرجل وفرس واما اسم معنى كعلم
وقعود وقدرة وحياة فاذا كان اللفظ علما فله مفهوم وهو الشخص الموضوع هو له
وذلك المفهوم هو المصدوق بعينه فقد اتحد حينئذ المفهوم والمصدوق فاذا اطلق
ذلك اللفظ فالمفهوم منه هو الشخص على سبيل المطابقة واذا حضر الشخص فقد حضر

Copyright © King

او صفاته وخواصه وجميع ما يلازمه فاللفظ موضوع للشخص الموصوف بذلك لا لكل واحد منه الدلالة
بكل اجزائه العلمية اما على الشخص فعليه بالمطابقة وما سوى ذلك من اللوازم والعوارض موجودة
معه غير مدلول له عند التخاطب الا ان يكون شيء من ذلك مشهورا لحضور بالبال عند سماع المسمى فيدل
اللفظ عليه بكونه لازما اما عقليا ذهنيا او عرفيا وقد يلاحظ مع العلمية شيء اخر من اصل
او وصف خاص او مفهوم فيفهم ذلك زيادة عليها كما يلاحظ في الحارث معنى الحرث وفي الفضل وابي
الفضل معناه الاصلي وفي حاتم معنى السخاء لاشتهاره به وفي حجة الاسلام كونه حجة له اما
بعد الحصول واما طمعا وتفاؤلا ولهذا قال الشاعر

اتيته ابا المحاسن كي اراه ... لشوق كان يجذبني اليه
فلما ان رايت رايت فردا ... ولم ار من بنيه ابنا لديه

يريد انه خال من المحاسن ومن هذا المعنى تخير الناس في الاسامي عند تسمية المولود والمملوك والبلد
والبستان ونحو ذلك فقيل لاعرابي لم تسمون غلمانكم صالحا ومرزوقا وابناءكم حربا ومرة وحنظلة
فقال انا نسمي غلماننا لانفسنا وابناءنا لاعدائنا ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ابردتم
الي بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وكان صلى الله عليه وسلم يغير الاسماء التي لا
يستحسنها قال لرجل ما اسمك فقال غاوي بن عبد العزى فقال بل انت راشد بن عبد ربه وقال لاخر
ما اسمك فقال حزن فقال بل انت سهل فقال ما كنت لاغير اسما سمانيه ابي فقال سعيد بن المسيب
وكان من نسل هذا الرجل فما زالت الحزونة فينا بعد وسال عن اسم ماء فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه عذب فكان كذلك ببركته صلى الله عليه
وسلم وقالت العرب في مثل لهم انما سميت هانئا لتهنا وقال الشاعر

وللحرب سمينا فكنا محاربا ... اذا ما القنا امسى من الطعن احمرا

وامثلة هذا كثيرة لو تتبعناها لخرجنا عن الغرض وان كان اللفظ كليا اي دالا على كلي فالمفهوم
هو ذلك الكلي المشترك وله مصدوق وهو حقيقة ذلك الكلي اي افراده التي يصدق عليها فالمفهوم
في هذا القسم غير المصدوق ومدلول اللفظ فيه انما هو المفهوم وهو الذي وضع له لا المصدوق
فالقائم مثلا معناه ذات اتصفت بالقيام فمفهوم القائم الكلي المفهوم في الذهن ومصدوقه
قائم خاص موجود في الخارج كزيد وعمرو مثلا فالمفهوم متحد ابدا والمصدوق يصح تعدده وكذا

رجل

(هامش: حسن الوجه الخ)

رجل

مثلا مفهومه الرجل الكلي الموجود في جميع افراده وما صدقه على اصطلاح المتقدمين عندهم في وضع
النكرة ومصروفه كل رجل بعينه كزيد وعمرو ومدلوله انما هو ذاك او هو موضوعه دون افراده وكذا
الضرب مثلا مفهومه هذا المعنى المفهوم في العقول الكلي ومصروفه افراده الواقعة في الوجود
كضرب زيد لعمرو وضرب خالد لبكر مثلا والضرب بالسيف والضرب بالعصى ونحو ذلك ومدلوله ايضا
هو المفهوم الكلي لا افراده غير ان التلازم واقع في الوجود بين هذه الامور فانه كما تستلزم الذات
الصفات التي تتصف بها كذلك الصفات تقتضي ذاتا تقوم بها والكلي ان حصل له وجود في الخارج
اقتضى افرادا يوجد فيها اذ لا يوجد لنفسه والدلالة والفهم شيء واخ ما الشيء يدل على الشيء مطابقة
بشرط ان يوضع له ويدل على لازمه بالالتزام ان كان اللزوم بينا واما ولا اذا علمت
هذا فاعلم ان الاسم الاعظم وهو الله ان اعتبرناه علما سواء كان بالاصالة او بالغلبة ولم نلاحظ
فيه شيئا من الاشتقاق واصل مفهومه دال على الذات العلية الموجودة في الخارج الجزئية التي لا يتصور
ان يكون لها ثان وهذا هو دلالته لا غير كدلالة لفظ زيد على شخص زيد ولفظه المثل الا على ان الذات
العلية مقتضية لاوصاف من التنزيهات والصفات الوجودية والثبوتية والفعلية دل العقل
والشرع على ثبوتها كلها للذات العلية وهي مع الذات لا تفارقها فالاسم الاعظم دال على الذات
المتصفة بهذه الاوصاف كلها وهذا معنى كونه جامعا للذات والصفات والاسماء الحسنى كلها
راجعة الى هذه الصفات الداخلة في هذه الجملة ولما كانت الصفات العليا والاسماء الحسنى
كلها ثابتة للذات العلية ثبوتا لا خفاء به عند الموحد حتى كانه بهذه الصفات كانت الذات
ذات ماهية ذاتا كان الاسم الاعظم الدال على الذات العارف تفهم منه الذات العلية بكل ما لها من
الاوصاف كما تفهم ماهية الشيء من ما لها من الذاتيات عند سماع اللفظ الموضوع لها فهو بهذا
الاعتبار الاسم دال على الذات والصفات ومثاله في الشاهد ان يذكر الاسم العلم الدال على ملك
من الملوك عند من سمعه وكان عارفا بذلك الملك واوصافه واحواله في زيه وحشمه وهيبته
وقوته يفهم عند سماع اسمه ذاته ويفهم احواله معها لمقارنتها له في الخيال وانه ما صار ملكا الا
بها وهذا نوع من الدلالات الالتزاميات العرفيات وهي في حق العارف اما الجاهل بالصفات او الغافل
عنها فاللفظ عنده دال على الذات وهي جامعة لما العاقل انما يعقلها واي مهم من اللفظ
فتحصل ان اللفظ جامع للذات والصفات لا انه دال على مجموعها ولا يقال دال على الذات والصفات

في هذا الاعتبار بل جامع لذلك وبهذا يعرف المشار اليه ثم هذا كله انما هو ان اعتبر ان الاسم اسم للذات من غير
ملاحظة الصفات في التسمية وأما ان اعتبر انه اسم للذات الموصوفة بالصفات من حيث انها موصوفة
بها فدلالة الاسم حينئذ على ذلك كله بالمطابقة واضح ويتأيد هذا بان اول ما الى اذهان الخلق فيما عرف
من الكلام الاسم الاعظم انما هو الذات الموصوفة بهذه الصفات اذ هم يصلون في العادة الى ان يعبر
عن ذلك من كنه الذات فيقال المعبود هو المسمى ثم يقال اذا اعتبر الموصوف كان المسمى كليا
والغرض انه جزئي لانا نقول لم يعتبر الموصوف من حيث المعنى الكلي بل ذات معينة موصوفة باوصاف
معينة وهذه اعتبارات عقلية والله اعلم بغيبه وأما ان اعتبرنا في الاسم الاعظم اشتقاقا فان ما حكينا
انه المعبود كما قيل ذلك فيه في قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض اي المعبود فيهما وتعتبر
ذلك من حيث جمع الالوهية منه او من حيث ان اصله الاله ووقع الاله علم كما ان والاله هو المعبود
او المستحق للعبادة فلا شك حينئذ في جمع الذات وجميع الصفات من هذا الاسم لان الذي يستحق
ان يعبد هو المنزه عن كل النقص المتصف بكل الكمال المستغني عن الغير المفتقر اليه غيره وهذا
جامع الصفات كلها اذا علمت ما في هذا الاسم الاعظم من المعنى فاعلم ان سائر الاسماء
ليست كهذا الاسم ولا تحتوي على ما يحتوي عليه لانها كلها مشتقة فكل واحد منها انما يدل على معناه الكلي
ولا يدل على الذات ولا على غير ذلك المعنى من سائر الصفات وكذا الصفات بعضها كالقدرة انما تدل
على معانيها وتقتضي الذات عقلا لا لفظا **قال قلت** المشتق يدل على الذات لانها جزء
مفهومه بدلالة التضمن **قلت** نعم ولكن الذات الكلية لا المعينة التي الكلام فيها
نعم ربما تفهم بطريق اللزوم او غيره كما في جميع الصفات من تعلق الذات **قال قلت**
وحينئذ فالاسم كالاسم في انه اذا كان الاسم الاعظم جامعا لاستلزام الذات للصفات فالمشتق ايضا
جامع لاستلزام معناه للذات **قلت** نعم يستلزم الذات واي ما يقتضي من الصفات وبالجملة
فالاسم الاعظم دال على الذات وهي مستتبعة لجميع الصفات وكل اسم سواه فانما يدل على مفهومه
وعلى تقدير ان يستلزم الذات فغير مقتضي ما اقتضيت لك غايته انه مستلزم المستلزم فلا يكون مثلا
والسكتة اولى **واعلم** انا قد اعتبرنا في هذا الباب الاعمية المنسوبة للاسم الاعظم بمعنى الكثرة
اي انه دال بحسب تفاصيل المعاني على اكثر مما دل عليه غيره ولو اعتبرناها بمعناها المصطلح عند
ارباب الاستدلال في الضد والتلازم كان اخص لا اعم لان الجزء اخص من الكل لا انه يعم والكل اخص

من

من الجزئي والكلية اخص من الجزئية فيه قوله الاخصية بكل اعتبار من الثلاثة ثم هذا كله ظاهر في ما بينه وبين
الاسماء الدالة على الاسماء المحصلة كالعليم والقدير والمريد والسميع والبصير ونحوها وكذا
المومن والسلام والبارئ والخالق ونحو ذلك واما الاسماء الدالة على الصفات الجامعة كالعظيم
والجليل والرب والكبير ونحوها فقد يقال انها تدل ايضا على جميع الكمال الجايز عليه والجواب انها لا تدل
على الذات بنعوتها فهو يعرفها في ذلك ولهذا فقد يقال الاعرض اخص من ماهيته وان كان الواجب الوجود
ليس معروضا للتشخص وفي هذا من البحث ما لا ينبغي في هذا المقام الكلام عليه فلنتم المقال الذي
تم هذا مع ما ذكرنا ان شاء الله الكفاية وفي اثبات النتيجة عن الثمرة **الفصل**

السادس في كون هذه الكلمة المشرفة افضل الاذكار وفيه بيان كونها اذ لابد للسالك المختار
وبيان ما في ذلك من اختلاف السالكين في الاختيار اما كونها افضل الاذكار فهو معلوم بالنص
والنظر اما النص فقد ذكر فيه من الاحاديث ما فيه كفاية حيث تكلمنا على فضلها وناهيك بقوله
صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيئون من قبلي لا اله الا الله واما النظر فهو ان تنظر في
معناها على ما مر تقريرها عند العامة والخاصة فتعلم انها افضل وحسبك من ذلك ما مر في
الفصل الرابع من هذه الخاتمة وانها محتوية على معاني سائر الاذكار وانها سارية فيها فمن بان
له ما سمر الاعظم في سائر الاسماء فمن ذلك ان سر الاذكار اسرار الانوار ولا يشبهها شيء من الاقوال
ولا الافعال ولهذا اخترنا هذا الفصل ليكون كالانبات بالشيء بعد بيان دليله واما كونها الاصلح للمريد
السالك فهو يتبين من هذا ايضا ولابد من ذكر ما في ذلك من الاختلاف على وجه الايجاز فنقول
قد اختلف اهل السلوك بالذكر في اختيار الذكر الذي يلتزم فمنهم من اختار لا اله الا الله ومنهم من
اختار لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الابتداء والانتهاء ومنهم من اختار
الاقتصار على الاسم المفرد وهو الله ومنهم من اختار الهو هو ووجه الاول ما مر من الاحاديث
والاثار ووجه الثاني ان الشهادة بالرسالة متممة للايمان ولا يكمل الا بها ووجه الثالث ان الاسم العلم
جامع هذا المقصود فهو بالذكر اولى ولان الجلالة اول ما يفهم من التعبير والاثبات ولانه اسهل على
اللسان واقرب للتاثير القلبي ولان نفي التعب عمن يستثقل عليه النفي عنهم ولا نفي الاغيار في الى
شغل القلب بالاغيار وذلك ممتنع على المستغرق في التوحيد ولان من قال لا اله الا الله فهو مشتغل
بغير الحق ومن قال الله فهو مشتغل بالحق وايد اهل المقامات من الاخر ولان نفي الغير انما يكون به

Copyright © King

عند خطوره بالبال واهل الله لا يخطر لهم غير الله تعالى فلا معنى لتكليفهم بنفيه فيكفيهم ان يقولوا الا
الله وان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل الله ثم ذرهم في خوضهم فامره بذكر الله ومنعه من
الخوض في اباطيلهم والقول بالتشريك من الاباطيل وفيه خوض فالاولى تركه والاقتصار على ذكر الله
وذكر صاحب مفتاح الفلاح هذه الوجوه ثم قال وجوابه من قال بالنفي والاثبات عن هذا من حيث
المعنى ان النفي للتطهير والاثبات للتنوير وان شئت قلت النفي للتخلية والاثبات للتحلية واللوح
اذا لم يكن منقوشا لا يكتب فيه شيء والقلب الواحد لا يصلح ان يكون محلا لشيئين فضلا عن اشياء ومن
امتلا قلبه بصور المحسوسات لو قال الله الله الله الف مرة فلما يشعر بمعناها واذا فرغ القلب
عن غير الله لو قال مرة واحدة الله يجد من الخير ما لا يستطيع اللسان وصفه انتهى وقال بعض العلماء اذ
القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفي لنفي الاغيار فاذا صار خاليا يوضع فيه منبر التوحيد
ويجلس عليه سلطان المعرفة وما وضع في العموم الا افضل الاشياء واعمها منفعة واثقلها
وزنا لانه يماثلها اضعاف كثيرة فلا بد ان يكون في ذلك الموضع من القوة ما يقابل به كل ضد ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيئون من قبلي لا اله الا الله فكم من جوهرية من ادعى
الخصوص من ذكر الله الله وهو من جملة الاقوال التي لا اله الا الله افضل منها عند العلماء بالله
فعليك يا ولي بالذكر الثابت في العموم فانه الذكر الاقوى وبه النور الاضوى والمكانة الزلفى
ولا يشعر بذلك الا من لزمه وعمل به حتى احكمه فان الله ما وضع رحمته الا للشمول وبلوغ المامول
فمن نفى لا اله عنده اثبت الا الله لكونه افتقر. واعلم انا لا نقصد بهذا الفصل الا تفضيل لا اله الا
الله على سائر الاذكار الخارجة عنها كذكر التنزيه والتمجيد مثلا واما ما وقع فيه الاختلاف المحكي
هنا فمتقارب اما قولنا لا اله الا الله وقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله فلا ينبغي ان يقع بينهما
اختلاف من حيث ان الشهادة بالرسالة مقرونة بالشهادة بالالوهية ولا يتم الاسلام الا بمجموعهما
فهي جملتان متواخيتان متلازمتان حتى كانهما جملة واحدة والاولى في باب المفاضلة والثانية
في باب التوسل فان الطرق كلها مسدودة عن الخلق كما قال امام الطائفة الجنيد رضي الله عنه
الا من اقتفى اثاره صلى الله عليه وسلم فكيف وهو صلى الله عليه وسلم سر الوجود ومفتاح
الشهود ومظهر الانوار وقطب دائرة الاسرار صلى الله عليه وسلم وسنذكر حكم الجملة الثانية
ان شاء الله في فصل على حدة بعد الفراغ من الاولى التي نحن فيها الان فنقرر الكلام فيما بين لا اله الا الله

وبين

King Saud University

وصل لعبد ما اراده وهو الله وقد رأيت ما قيل في ذلك وقال بعض المشايخ والتحقيق في ذلك أن هذا
أمر يرجع إلى الذاكر فإن وجد التأثير في قلبه بلا إله إلا الله لزمها وإن وجد التأثير بلفظ الجلالة لزمها
وهذا الذكران أيضا ليس في النزاع بينهما ما يؤدي إلى كون لا إله إلا الله مفضولة لأنها أيضا
شيء واحد فإن المقصود من لا إله إلا الله إنما هو الاسم الأعظم من منطوقه وقد أثبته ومن نفي غيره
فإنما نفاه ليثبت هذا الاسم فالحاصل هو إثبات الله إلا أنه مع التصريح بنفي غيره أولا وذلك
يحتاج إليه من يريد الخروج من الشرك بإثبات ذي النعمة فلابد له من النفي والإثبات ولهذا جعلت
الكلمة المشرفة ترجمة على الإسلام وأما الصالح من الشرك فلا عليه ولكن قد يقتضي حاله النفي
والإثبات ويكون في ذلك شربه وبه من يده وقد يقتضي الاسم المفرد ويكون في ذلك شربه وبه
من يده فما أشار إليه في ذلك القائل المذكور وتعيين ذلك موكول إلى الذوق والوجدان والذي يظهر بالنظر
العقلي أن النفي والإثبات صالح في الابتداء وفي الانتهاء مع الكمال التام والاسم المفرد صالح في
المتمسك بمن هو فيه وبيان هذا أن تعلم أن العباد أربعة قسم مشاهد للكون غائب عن المكون
وأما قسم بعكسه مشاهد للمكون غائب عن الكون وأما قسم مشاهد للكون والمكون
مع بقاء نفسه وقسم مشاهد للمكون والكون مع فناء نفسه والبقاء به فأما الأول
وهو المشاهد للكون الغائب عن المكون فهذا فليس ينفع منه الذكر بشيء من الوجوه لأنه جاهل كافر
وأما المشاهد للمكون فينفع منه الذكر سواء شاهد الأكوان أو لم يشاهدها غير أنه تختلف
أحوالهم بحسب مشاهدتهم فالمريد ما دام باقيا مع الأكوان محصورا في سجن نفسه يناسبه النفي
والإثبات فالنفي يفيده التطهير عن غير الله تعالى والإثبات يفيده التحلي بالمعرفة كما قررنا ذلك
فيما مضى من الفصول ثم إن الذاكر إن سبقت له العناية من الله تعالى حتى تحرر الأغيار كلها
عن قلبه فلا يشاهد إلا الله تعالى ويكون ذلك إما بعد السلوك والرياضة وإما جذبا بلا سلوك
ولا معاناة وحينئذ يناسبه أن يقول الله الله إذ لا شيء عنده غير الله تعالى حتى ينفيه وهي حالة
من تحقق في هذا المقام ويمكن أن يستعمل ذلك قبل التحقق به ليتحقق به ولذا لم يشاهد إلا الحق
تعالى ولم يشاهد غيره أصلا كان في حالة الفناء والله تعالى بفضله يتولاه بما يتولى به في مشيئته
فإن أبقاه في تلك الحالة كان من أهلها وذهبت عنه التكاليف الشرعية وإن رده إلى الأكوان
بعد التمكين وجعله مشاهدا للجانبين رافع القدم في الجانبين وفانيا عن نفسه بالقيام به

Copyright © King

كان كاملا ولا شك ان الحالة المتوسطة هي كاملة بالنسبة الى التي قبلها ولكن هذه الثالثة اكمل منها
لانها مرتبة الخلافة الربانية وهي منزلة الانبياء والمرسلين والصديقين الذين هم الورثة فان صاحبها
هو الصالح لان يقتدى وان يكون حجة لله تعالى على عباده وواسطة بينه وبين خلقه فيعطي كل ذي
حق حقه يعطي الغيب حقه والشهادة حقها والشريعة حقها والحقيقة حقها وهذا ايضا نسبة
النفي والاثبات اذ من جملة الحقوق ان يعطى الحق حقه من الاثبات والباطل حقه من النفي وبهذا
بعثت الرسل ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم كلمة الاخلاص ذكر المراد كان ذكره بل افضل
الاذكار حيث قال افضل ما قلته انا والنبيئون من قبلي لا اله الا الله وورث هذا المعنى الوارثون
للانبياء لانه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وبهذا تعلم ان كلمة الاخلاص فيها مشرب العام
والخاص كما اشرنا الى ذلك في صدر الكتاب وتضمينه بذلك فالعامي يقولها في بدايته والمنتهي
يقولها في نهايته ولكن الحال مختلف فالعامي يقولها ليتكمل بها ويتحلى والمنتهي يقولها اما في
حق غيره وليكمل بها ويحلو واما في حق نفسه فقياما بشهادته واعطاء كل ذي حق حقه واما
المتوسط فلم يقلها لانه متطهر فلم يحتج اليها ولم تقع له النيابة فلم يقم بها والكامل الذي يترك الاسم
المفرد لكونه مشغولا عنه بالاغيار بل القيام بحقوق الاغيار والحقوق لا تشغله عنه اذ ظاهره مع الخلق
وباطنه مع الحق فقد حصل له ما حصل للمتوسط باطنا وزاد عليه بالظاهر لقوته بتقوية الله تعالى ○
ويتضح في هذا المقام المجال الفضول وغرضنا نستغفر به وانما هو شيء نتعلله فالاولى الامساك عنه
بل هو مثل الفضول نستغفر الله منه وانما ذكرنا هذا الشيء لان غرض الكلام الذي انك اذا فهمت
من هذا الكلام ان الاشياء تتفاضل وتتفاوت باختلاف حال الشخص امكنك ان تفهم من ذلك معنى
الاختلاف المشهور الواقع بين الهيللة والجلالة ولا شك ان ظاهر كلام العلماء في ذكره لك الاختلاف
هو انه اختلاف في ايهما اكثر ثوابا لانهم يذكرون ما ورد في الحديث من عدد الحسنات لكل منهما وهذا امر
خارج عما نحن فيه من الخفا يوفان ما ذكره من التفاوت بين هذه الاذكار انما هو باعتبار معانيها
واسرارها ونتائجها ووجه ذكر الاختلاف بين الكلمتين المذكورتين هو ان نقول من كان مشربه اثبات
الحق وابطال ما سواه وافراد الله تعالى بالالوهية والغناء عن الاغيار وهم العارفون الموحدون
المخلصون المتوكلون فمقامه الهيللة وفيها من يدري ومن كان مشربه الالتفات الى النعماء والالاء
وملاحظة جلال الله تعالى وما له من الكمال فمقامه الجلالة وفيها من يدري ثم كل منهما تستتبع معنى

الاخ

King Saud University

٢٤٣

لا اخر وان توحيد الله تعالى هو اعظم الثناء وان الثناء عليه تعالى محض ذلك فيه توحيده فافهم ولاجل
اختلاف الحال كان الاستعظام محلا للتكبير والتعجب محلا للتسبيح والمصيبة محلا للاسترجاع والضيق
محلا للحسبلة الى غير ذلك فكل يكون في محله اليق من غيره وقد يختلف ذلك باختلاف طبايع الذاكرين
وما جبلوا عليه من الاخلاق التي يطلب غسلها بالذكر وتفصيل ذلك موكول الى الفراسة المرعية
الناظر بنور الله تعالى وقد من هذا المعنى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه ادعية
واذكارا مختلفة كل بحسب ما يليق بحاله والله الموفق

الفصل السابع

في اداب الذكر على الجملة وفيه يعلم اداب الكلمة المشرفة لانها افضل الذكر اعلم ان للذكر ادابا
كثيرة ذكرها اهل الفن فمنها اداب سابقة على الذكر ومنها اداب مقارنة ومنها اداب
لاحقة ثم منها ظاهرة ومنها باطنة فمن الاداب السابقة تصحيح التوبة وتهذيب النفس بالرياضة
وقطع العلايق الظاهرة والباطنة والاعتزال وتحصيل العلم المعروف على الاغيار وطهارة الملبس
من النجاسة ومن الحرام واكل الحلال ومن الاداب المقارنة ان يخلص ذكره لله تعالى لا يشوبه بحظ
من نيل مال ولا جاه ولا رياسة ولا مقام ولا درجة ولا كشف ولا غير ذلك وان يطيب رايحة المجلس والملبس
لان مجالس الذكر لا تخلو من الملايكة ومومني الجن وان يستاك ويستقبل القبلة ويجلس جلسة
التشهد او متربعا قالوا وينبغي ان يكون في جماعة ان يكون في خلوة مظلمة لا منعزلا او يغمض
عينيه وان كان فقد نظر شيخ ان يتخيله بين عينيه وينوي الاستمداد منه وان الشيخ مستمد من
النبي صلى الله عليه وسلم وان يختار من الذكر ما يناسب حاله فان ذكر لا اله الا الله فليذكرها
بتعظيم وحضور وينوي بالنفي نفي كل ما سوى الله تعالى كانما كان ليحصل له التخلي عن كل ما
سوى الله تعالى كما امرنا تفرغ ذلك وينوي بالا الله اثباتها الى القلب الجسمي الصنوبري الشكل
ليتمكن في القلب ويسري في جميع الاعضاء ومن الاداب ان يحضر التلفظ به فيمد لا بقدر الحاجة
ومن الناس من يكره مدها لخشية ان يموت بين النفي والاثبات ومنهم من قال ذلك فيمد بين الدخول
في الاسلام ثم يتلفظ بالهمزة ثم بين لام الله جرا ويحترز من مدها ومن تحصيف الا ومن الاهمال كما
يفعله العوام اهل الاغافل بذلك كله يحرق واما اسم الجلالة فان وقف فيعلى علم الوقف ٥
والسكون وهو الاصل وان وصل كان يقول مثلا لا اله الا الله وحده لا شريك له فالرفع او النصب
على ما هو معلوم ومن الاداب اللاحقة ان يسكت عند الفراغ من الذكر مع الخشوع والحضور

قـ

قـ وينبغي الخ

وقـ

Copyright © King

متلقيا لما يرد عليه من واردات الذكر من الله تعالى كما فعل الشيخ نفعنا الله به رحمة الملكية جعل الذكر
نفس ابن رحمة الضيعة وعسى ان يرد عليه في لحظة ما يتحلى به قلبه مما ابتناه بالمجاهدة الكثيرة
والرياضة الطويلة فالذاكر هذه الاذكار كلها انما يحتاج اليها الذاكر لها دائم على اختياره واما
المسلوب الاختيار فهو تابع لما يرد عليه في وقته فقد يجري على لسانه الله الله الله وقد يجري عليه هو
هو وقد يجري عليه لا لا وقد يجري عليه اواه اواه ونحو ذلك وقد يقع منه صوت لا يكاد ينضبط وادبه
في ذلك كله التسليم للوارد وعدم انفصاله عنه حتى يكون هو الذي ينفصل عنه فهذه الاذكار ايضا انما
هي لمن يحتاج الى ذكر اللسان واما من صار الذكر الى قلبه فخارج عن هذا والله الموفق

الفصل الثامن في ذكر كيفيات متعلقة بذكر هذه الكلمة المشرفة وغيرها

من الاذكار اعلم ان كل ما ذكرناه من الاذكار في هذا الفصل الذي فرغنا منه هو كيفيات غير
ان الكيفية اما ان تكون مقابلتها لها من خارج الفضيلة ايضا في بعض الاحيان او تكون من داخل
لها في الفضيلة او من خارجها في الحق وعدمه فان لم يكن للمقابلة من خارج المشروعية اصلا
تعينت هي كالاخلاص فان مقابله غير مشروع اصلا وان لم يكن لها من خارج الفضيلة تعينت هي
في التوجه الا مجملا وان كان مقابله ايضا يحصل معه الثواب وذلك كالاستقبال فانه اجمل وقد
ذكر الله وهو مستدبر فغير محروم من الثواب ولكن الاستقبال اجمل وان كان للمقابلة من خارج
الفضيلة ايضا فانها تتغير هي على الاطلاق ولا ينظر الى اختلاف الحال وذلك كالذكر سرا فان له
فضيلة وقد تكون الفضيلة للجهر دونه ولا بد من ذكرهما معا فعقدنا هذا الفصل لبيان هذا الجنس
من الكيفيات التي تختلف باختلاف الاحوال فنقول ان الذكر له كيفيات تعرض له باعتبار نفسه
وباعتبار زمانه او مكانه وباعتبار الذاكر اما باعتبار نفسه فكان يكون بلفظ كذا كالهيللة
او بلفظ اخر كالتكبير او التسبيح وكان يكون باللسان او بالقلب مثلا او بهما وكان يكون سرا او
جهرا الى غير ذلك من الاحوال واما باعتبار زمانه او مكانه فكان يكون في وقت كذا او وقت كذا
وكذا في مكان كذا او مكان كذا واما باعتبار الذاكر فكان يكون وحده او في جماعة وتفرع غير ذلك
من الاحوال ككونه مصليا وماشيا او نائما ومستقبلا وغير ذلك وهي احوال مضافة للذكر ايضا
كما ان احوال الذكر تضاف ايضا الى الذاكر ولنذكر هاهنا بعض ما لم يتقدم ذكره من ذلك فنقول
الذكر قال بعض المشايخ ان الاذكار التي تستعمل عند الذاكرين عشرة اجناس وتحت كل جنس

انواع

ـه الا باعتبار
نفسه الخ

١٢٤

انواع واقسام لا تنحصر فاولها التعوذ وما في معناه فان ويكون له ثلاث درجات الاولى لمشتغل
التعوذ من العوارض الجسمانية فيستعمله الصوفي عند النزغات الشيطانية في الخواطر الجسمانية
ان لا يحصل له البراءة من ذلك كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله والثانية
التعوذ من الخواطر الروحانية والثالثة التعوذ من خطور ما سوى الله تعالى ثانيها البسملة
وكل ما في معناها وتستعمل للربح في الدعاء والظاهرة والباطنة بالخروج عن الحول والقوة وان يكل الشيء
بالله تعالى ثالثها الاستغفار وله ثلاث درجات الاولى الاستغفار من الكبائر والصغائر الثانية
الاستغفار من الغفلة الثالثة الاستغفار من كل ما سوى الله تعالى رابعها الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم وهي في حق الزاكر وجود الرحمة وتكون لاهل الظواهر ولاهل البواطن وللاولياء
والانبياء خامسها التقديس من المطاعم والمشارب ومن الجهات والتصورات سادسها التسبيح
وهو تنزيه الحقيقة عن مشابهة الخليقة وعن مشابهة الارواح والنفوس وعن مشابهة العقول
ويرجع الى تمييز القديم من المحدث سابعها الحمد لله فان له ثلاث درجات الاولى الاتصاف بظواهر
اسماء الله الحسنى ثم الاتصاف ببواطنها ثم الاتصاف بمعانيها ثامنها التهليل ومعناه افراد المعبود
وله ايضا ثلاث درجات الاولى الخلاص من الشرك الجلي الثانية الخلاص من الشرك الخفي الثالثة
الخلاص من شرك الانانيات وما يثبته افراد المعبود في كل وجود تاسعها التكبير ومعناه التعظيم
والاجلال وله ايضا ثلاث درجات الاولى تصغير الدنيا وما فيها الثانية تصغير كل ما سوى الله جملة
الثالثة تعظيم المعبود كشفا عاشرها لا حول ولا قوة الا بالله وهي ذكر الاعتصام وله
ثلاث درجات الاولى توحيد الافعال الثانية توحيد الصفات بحسب تعلقها بالافعال الثالثة
اضمحلال كل ما سوى الله تعالى فيكون العبد بالله تعالى وفي ذلك الغنى الذي لا فقر معه كان بالله تعالى
مجردا لا ينقطع ابدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة ومما
ذكر هنا انما هو الاذكار المشهورة والحصر لا خيرة منها هي الباقيات الصالحات وقد مضى
الكلام فيها وهم ينقسم الذكر في هذه الاعتبارات الى انواع هو اعظم الاذكار وتفرع الى العبادات
كلها قولية كانت او فعلية او اعتقادية فالذاكر في المصلي ذاكر والمعلم والمتعلم ذاكر والمتفكر
ذاكر وذكر ذلك لتعرف ماهية الذكر ومن ذلك يكون الذكر باللسان او بالقلب فنقول ان الذكر
يكون باللسان وهو الجاري اعلامه ونحوه على اللسان ويكون بالقلب وهو الجاري معنى ذلك في القلب

قد لا بالغه ان ذكر الخ

Copyright © King

فإن اجتمع اللسان والقلب فهو الكمال لأنه هو ذكر الحضور وإن انفرد أحدهما فالقلبي أعظم فائدة من اللساني ه
وإن لم يوجد الكمال فاللساني أضعف ولا يحتقر ولا يترك فقد ورد فيه فضل كثير لأنه الذكر يوصل إلى ذكر القلب
ولأن اشتغال اللسان به عصمة من اشتغاله بالسوء. **قال في الرسالة** الذكر ركن قوي في طريق
الحق سبحانه بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر. والذكر على ضربين
ذكر اللسان وذكر القلب فذكر اللسان يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير بذكر القلب
فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه انتهى. وقيل لبعض
المشايخ ما لنا نذكر الله والقلب غافل فقال اشكر الله على ما وفقك من ذكر اللسان ولو
أن يفتح لك الغيبة فإذا كنت تصنع. **وقال** المشايخ الذكر ثلاث درجات ذكر اللسان وذكر القلب
وذكر السر. **قال** في مفتاح الفلاح فذكر الجوارح بلا حضور هو ذكر اللسان وذكر الحضور في القلب
هو ذكر القلب وذكر الغيبة عن الحضور في المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفي انتهى. **وفي** كلام حجة
الإسلام رضي الله عنه في هذا المعنى ذكر درجات الذكر وأن أعلاها أن يغيب عن نفسه في أهل الذي به ويغيب
عن الفناء أيضا. ثم **قال** وإنما مراتب ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور
وامحاء الذكر. **وفي** الحكم لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد
من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن
ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى
المذكور وما ذلك على الله بعزيز. وقد يريد بذكر القلب ذكر الله تعالى عند أمره ونهيه وهو من أعظم
الذكر ويتعلق بذلك صورتان **أحدهما** ذكر الله تعالى عند سماع أمره لتتحرك داعية الامتثال
وعند سماع نهيه لتتحرك داعية الانتهاء وذلك على وجوه أي ذكر ثواب الله تعالى وعقابه أو ذكر
تكليفه أو ذكر عظمته وربوبيته المقتضية الإطاع ولا يعصي وهو أرفع. **الصورة الثانية**
ذكر الله تعالى عند الحركة أو السكون أو الفعل أو القول من أمر عبادة أو معاملة أو إيقاع أي ذكر أمره
ونهيه فيفعل أو يترك ويتسع هذا الباب إلى غير هذا فإنك تذكر عظمة الله تعالى فتخشع وتذكر
نظره إليك فتستحيي وتذكر ضمانه فتتوكل عليه وتطمئن وتذكر وعده ووعيده وفضله وعدله
فترجو وتخاف إلى غير هذا مما تقدم والذكر في هذا كله ونحوه معناه حضور الشيء وهو ضد
النسيان والغفلة والله الموفق. **فائدة** وقع في كلام أهل هذا الطريق ذكر القلب والسر

والنفس

ولا يصل أحد إلى الله تعالى

فعسى أن يرفعك الخ

والنفس والروح والباطن وقد خاضوا في معانيها وتفسيرها وأمعنوا النظر في تحقيقها ومن أراد ذلك
فلينظر كتاب عجائب القلب من إحياء علوم الدين وأوضح كلام في ذلك رأيته فيما للمعتبرين من أشياخنا
ما وقع في بغية الإمام الساحلي رضي الله عنه فإنه قال أفرد لنا أستاذنا كلاما في هذا المجموع ذكر
النفس والقلب والروح والسر والباطن فقد يظن الظان أن اختلاف هذه الأسامي لاختلاف مسمياتها
ولسنا نريد بها إلا شيئا واحدا واختلاف أساميه لاختلاف صفاته وهو الروح الجوهر اللطيف
الصافي الشريف الزاكي العارف مهبط الأنوار الإلهية الصادر من أمر الله تعالى فإذا دام ما في
الرتبة النقص في غلبة الأحوال أعبر عنه بالنفس ولأن الأمر فيامه بوظائف مقام الإسلام تقع
فيه جنبة النقص وتقوى فيه جنبة الكمال حتى إذا تخلص من مقام الإسلام تفاوت عنده الجنبتان
فينقلب عندهما ومن ذلك أعبر عنه بالقلب ولأن الأمر فيامه بوظائف مقام الإيمان تغلب جنبة
الكمال على جنبة النقص حتى إذا تخلص من مقام الإيمان العزة فيه جنبة الكمال إلا ما يبقى معها
أثر من تلك النقص كما يبقى أثر الجراحات بعد البرء ومن ذلك أعبر عنه بالروح ولأن الأمر فيامه
مقام بوظائف الإحسان حتى تزهقه تلك الآثار وتتخلص تصفيته ومن ذلك أعبر عنه بالسر وربما
استكن الأمر فيما رقي إليه أو رقي عنه فأعبر عنه بالباطن وقد أعبر ببعض الأسامي عن مقتضيات
بعضها على وجه الاتساع والمجاز وذلك في التعليل وفي الكتاب والسنة من ذلك كثير انتهى وما
ذكره واضح إلا ما فسر به لفظ الباطن فإنه يوضحه ما سبق وتوضيحه على ما استنتج من كلامهم
هو أنه إذا قيل الباطن الإنسان فالمراد به هذه الأشياء أعني النفس والقلب والروح وقد يراد
به ما فيها من الأخلاق والخبرة والرحمة وإذا قيل علم الباطن فالمراد به العلم بالباطن عن ذلك
كله وما يتعلق به من الأحكام والآداب وهو يقابل علم الظاهر والله الموفق ومن ذلك كون
الذكر سرا أو جهرا أفضل وإلا فالأمر بالذكر جهرا جائز وقد حض على الجملة للأمة من السلامة عن
قف بسبعين ضعفا الخ الآفات التي يخشى عليها عند الجهر وقد روي أن الذكر الخفي يفضل ذكر الجهر بسبعين ضعفا وورد
أيضا تشبيه الذكر بالصدقة سرا أو جهرا وقد مر ح النصر ومن أعز ما تعلم منها ذلك ما تقدم
وأما الجهر بالذكر وإن كان له سبب يقتضيه فهو مطلوب وحكمه بحسب السبب فمن ذلك التبليغ
كالخطبة والتعليم والتعلم والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعمير المسجد والكلام
المطلوب بالإسلام ونحو ذلك مما لا يحصل إلا بالجهر وقد يندب لذلك الجهار الإسلام مثلا كما في

Copyright © King

العربين والمنع التشنيع والرباط والتلبية والتذكير ونحو ذلك فان لم يكن سبب يقتضيه من الشرع فهو
جائز في الجملة مع انه لا يخلو من بدعة عند حضور النية الصالحة كالتنبيه وقصد التأثير في القلب ونحو
ذلك ويختلف باختلاف الحال وقد يمتنع لادائه الى مفسدة كتشويش المصلين او نحو ذلك او توقع
رياء مثلا وبين الجواز الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته
في ملأ خير منهم وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج فوجد ابا بكر يخفي في اخفاء فسمع ذلك فقال
لقد اسمعت من ناجيت وكان عمر رضي الله عنه يجهر فقال له صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال اوقظ الوسنان
واطرد الشيطان وارضي الرحمن فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ارفع قليلا وقال
لعمر رضي الله عنه اخفض قليلا **قال المشايخ** ارباب القلوب رضي الله عنهم انما قال ذلك
ليخرجهما عن اختيارهما وذلك هو التربية ويؤخذ منه طلب التوسط بين الجهر المفرط والمخافتة
وكذا امر رسوله كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ ... وفي الاسرار والمحكم
بين ذلك سبيلا والمراد القراءة فكان اذا جهر سمعه المشركون فسبوا القرآن ومن انزله واذا
خافت لم يسمع اصحابه وهذا ايضا مما يحمل طلب الجهر عند قيام دواعيه وطلب السر عند توقع
افات الجهر ومن الافات ذهاب الخشوع والوقار بقوة الجهر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اربعوا ... ن الاحاديث الخ
على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا الحديث المشهور ولم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالاسرار
بل بالجهر على سبيل التوسط وبالجملة فما ادى الى وقوع مفسدة او فوات مصلحة يترك وما لا فهو
تابع لحال الذاكر وبحسب نشاطه ومن كان وحده فلا حجر عليه في السر والجهر وانما ينظر الى ما هو
اوقع في قلبه وقد قال في مفتاح الفلاح ينبغي للذاكر ان كان وحده ان كان من الخاصة ان يخفض صوته
وان كان من العامة ان يجهر به قلت لان قلب العارف حاضر معمور بالذكر والسر يكفي ... ن كان وحده
فيه وقلب العامي فاتر مشتغل بالوسواس فيحتاج الى الصوت ليثار القلب بقوته كالحجر
لا يكفيه الا الضربة القوية وليشتغل باله بما يسمع من الذكر ولا اضطلاع او دفعه الوسواس ويرحم
جبرا ما يقول والله الموفق ومن ذلك تكرار الذكر في وقت ما من الاوقات فتعين لان الذكر مشروع
بالاصالة في سائر الاوقات ما لم يعرض عارض من خارج وذلك دليل شرف الذكر وفضله ولا شك
ان الاوقات بحسب الفضيلة تتفاوت فمن الاوقات ما هو اشرف واحرى بالحضور كالاسحار وما بعد
صلاة الغداة وما بعد العصر وانفع الاوقات للذاكر ما وجد فيه فراغ سره والقرب من ربه وذلك

لا يتقيد

King Saud University

لا تتغير بمكان ولا تختص بأوان وهي بحسب الفضل من نفحات الله تعالى والالتفات لنفحته لينال بركتها
العباد بوجوده ولا يشعر أحد بها إلا الحكيم ومن ذلك كون الذكر في مكان ما فنقول أيضا إن الذكر
مشروع على كل حال وفي كل مكان ما لم يعرض عارض من خارج من كون الموضع نجسا فلا يذكر فيه باللسان
ولا سيما المعرّف كالكنيف وقال قوم لا بأس بذلك لأن الذكر مرفوع كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب
فلا يتعلق به من نجاسة الموضع شيء وينبغي أن يختلف ذلك باختلاف الوارد ومن المواضع
المستحسنة المتعينة بالخير المساجد وهي محل الذكر كما قال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها
اسمه الآية وكذا مشاهد الخير ومحاضر أهل الخير وأنفع بقعة للذاكر بقعة يحضر فيها قلبه وحضور
سره وأكثر ما يكون ذلك في الخلوة إما في خلوة الخلاء بأن يخرج إلى الفلوات وحده وأما
في خلوة البلد بأن يدخل موضعا يستتر فيه وهي الخلوة المشهورة عند أهل الطريق ويقولون
إن الخلوة على الحقيقة هي محادثة السر مع الله تعالى بحيث لا يرى غيره وصورة الخلوة هو ما يكون
وصلة إلى هذا المعنى من قطع العلائق والشواغل والاعتزال وهي الخلوة الظاهرة والحكمة
فيها أن ترك الكائنات التي تنتقش في القلب والغيبوبة عنها يكون سببا بفضل الله تعالى لإماطتها
عن القلب وبذلك تحصل الحقيقة وصفة بيت الخلوة أن يكون ارتفاعه على قدر قامة صاحبه وطوله
قدر سجوده وعرضه على قدر جلسته وأن يكون مظلما لا ثقب فيه ينفذ منه الضوء ولو كان أغلق
وأن يكون بعيدا عن الأصوات وأن يكون بابه وثيقا قصيرا في دار مهجورة بالناس قالوا والأحسن فيها
أن يبيت أحد من بابه الخلوة وأما شروط دخولها وآداب ذلك فلم نتعرض له مخافة الطول
ولأنا لم نتصد لهذه المقاصد بالذات وأما تعيين الجهة التي يطرقها فنقول إذا انضم إلى الذكر
على أمر من أركان عبادة ذكر كما بين أن يقع هنا أيضا أنه قد يكون الاجتماع للذكر يقتضيه سبب
شرعي كالجماعة للصلاة ولتعليم العلم ونحو ذلك وقد لا يكون له سبب كالاشتغال بالأذكار
المعلومة من التهليل والتسبيح ونحو ذلك فهذا النوع الانفراد فيه جائز قطعا وحسن والجملة
بعد ما مر من الآيات وإنه فعل السلف الصالح وأما الاجتماع للذكر فإن كان على أمر من الاجتماع
لتحصيل العلم أو الذكر وغير ذلك وغيره أو أدائه أو جلاله وعظمته أو حكمته أو أيامه على وجه
التعلم أو على وجه التفكر فلا خفاء في جوازه وحسنه مع السلامة من الآفات كالرياء والتصنع
والتبجح إلى غير أهلها أو نحو ذلك وإن كان على ذكر الأسماء تبركا أو ما هو ذا فهذا هو محل اضطراب العلماء

Copyright © King

واختلف الشيوخ فمنهم من منع ذلك وبعضهم أباحه من غير نكير عملا بما عليه الصحابة ولو كان من البدع لما
ما أنكروه وهم أحرص الناس على الخير ومنهم من يجيزه بل ويستحسنه للاحاديث الواردة في مجالس
الذكر والترغيب فيها وعظيم ما امتن الله تعالى به على أصحابها وهي كثيرة **منها** حديث أبي هريرة
المشهور ان لله ملائكة يطوفون في الطرق ويلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله
تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الحديث بطوله **وفيه** يقول الله
تعالى ما يقول عبادي قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك وفيه يقول الله رب العزة
تعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فقال
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم والاستدلال به من الثناء عليهم والغفران لهم ولغيرهم ببركتهم
يدل على الجواز ويدل على كونه مطلوبا مرغبا فيه فيؤخذ منه جواز القصد لذلك **ومنها**
حديث معاوية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما الله
أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا قال آلله ما
أجلسكم الا ذلك قالوا والله ما أجلسنا الا ذلك قال أما اني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه
أتاني جبريل فأخبرني ان الله عز وجل يباهي بكم الملائكة **ومنها** حديث أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل
الجمع من أهل الكرم فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله قال أهل مجالس الذكر **ومنها** حديث
أنس بن ملك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله
عز وجل لا يريدون بذلك الا وجه الله الا ناداهم مناد من السماء ان قوموا مغفورا لكم قد بدلت
سيئاتكم حسنات **و**عنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى سيارة من الملائكة
يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى
فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى
الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتي هم الجلساء
لا يشقى بهم جليسهم **قلت** لا يخطر ببالك من ذكر السماء في هذا الحديث شيء من
التجسيم ولا الجهة فان السماء هي محل حفظة الله تعالى وتلقي خطابه ومهبط بركته تعالى الله وتنزه
عن المكان والزمان **ومنها** حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما غنيمة

مجالس

King Saud University

مجالس الذكر قال الغنيمة مجالس الذكر الجنة ومنها حديث جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر
فاغدوا وروحوا في ذكر الله تعالى الحديث ومنها حديث ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وهذا يتناول تارة على الظاهر وتارة بالتزام
في العلم وتارة بذكر الامداد والنعم وكذا التسبيح والتحميد والتمجيد الواقعة في الحديث الاول
فيتناول بالتزام في التوحيد قال الشيخ زروق في قواعده وهذا من ابعد التاويل بل فيه تاويله
غير مقبول القصد عن الاذكار حتى لا يخطر الا بالاخطار وذلك من مقاصد الشارع بغير خبر انتهى ووجه
بعده ان هذه العبارات انما تستعمل عرفا في التكلم بالاذكار المعهودة يقال فلان كبر تكبيرا اذا قال الله
اكبر وسبح تسبيحا اذا قال سبحان الله وكان الظاهر منها ان المراد به قول اهل المجلس سبحان الله والله
اكبر وهذا هو المراد بالاجتماع للذكر ولك ان تقول لان التحميد المذكور ليس عبارة عن ذكر لفظه معلوم
ويبعد ان يراد به قول القايل يا حميد يا مجيد فلم يبق الا ان يراد به التحميد بالمعنى وذلك صادق بذكر لفظ
يدل عليه نحو سبحان الله وبالثناء على الله تعالى فيما كان ومنه ذكر ما يجب في حقه تعالى تعلما وتعليما
ووعظا وتذكيرا ونحو ذلك فلم يتعين حمله على الذكر اللساني بل والمتبادر لتلك الاجتماعات واذا
كان ذلك فيه مجازا ولا بد من التحميد والتسبيح مثله فان ذلك مقتضى القرآن فان قيل لو اريد بالتحميد
مثلا الثناء على ان استعمل الفعل مجرد التحميد قلت هو بمعناه والتفعيل ابلغ وايضا هذا انما هو
في كلام العلماء واما الواقع في الحديث فهو محتمل لذلك كله والحوار ليس والاحاديث الواردة نوعا
المسألة اعني في الاجتماع للذكر من الاذكار اللفظية لاحتمال كل منها للتاويل فان الذكر اعم من هذا كله
في تعريفه فالوجه في المسألة ان يقال ما قاله جمع من اعلام الائمة وعظماء الامة من البدعة المذمومة
ليست هي كل ما لم يفعله السلف وانما البدعة المذمومة ما خالف سنة ثابتة
او امضت الى رفعها ولذا يقسمونها الى الاحكام الخمسة فانما ارادت الى رفع فريضة فهي حرام او الى
رفع مستحب فهي مكروهة واما ما لا رفع فيها وفرقت او ندب وعلى هذا انقول ليست البدعة القبيحة ما لم
يفعله السلف بل ما فعلوا ضده او نهوا عنه او امروا بضده وحينئذ الاجتماع للذكر غاية ما فيه انهم لم
يفعلوه وهم لم ينهوا عنه ولا ادى الى رفع سنة مما ثبت في الدين فان اشرف الاعمال ذكر الله ما يفيد

Copyright © King

به واما ذكرهم بصوت واحد فهو المقصود في هذه المسألة ولا تزال عليه الاحاديث ايضا الا انه قال
الشيخ زروق في القواعد ما نصه فان قيل مجتمعون وكل على ذكره فالجواب ان كان سرا فجائز والا فغير ظاهر
وان كان جهرا وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من اساءة الادب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس
فضلا عن ذكر الله تعالى فلهم جوازه بل ندبه بشرطه انتهى اذا تقرر هذا فنقول الذكر بالجماعة بلسان
واحد فهو واقع في زماننا على ثلاثة انواع **احدها** القراءة العربية وذلك في التجويد وفي قراءة الحزب
مثلا وهو مستحسن عند العلماء لما فيه من تعاهد القرآن واظهار الشعائر والتعلم حفظا وتلاوة
والبركة المرجوة وغير ذلك من الفوائد وهذا حيث لم يحصل فيه محذور كتشويش المصلين او رفع
الصوت في المساجد ونحو ذلك **ثانيها** الوظائف والاحزاب التي وضعها الاشياخ فهم يرونها
ايضا حسنة ما لم يحصل فيها محذور كتشويش المصلي او تشويش قلب الذاكر او نحو ذلك وابن الحاج
في مدخله من المنكرين لهذا وذكر ان الامام الهجلة التونسي كان يعتذر عن قراءة اصحاب الوظيفة
بانهم ان لم يشتغلوا بها مجتمعين بعد صلاة الصبح مثلا وانفرد كل بنفسه فالنعاس يغلبه فيتعطل
وذكر ابن الحاج انه كان ينكر هذا الاعتذار ويقول ان الذكر الخفي يفضل ذكر الجهر بسبعين ضعفا فلو
نعس الفقير ما عسى ان ينقص في ذلك الوقت فانه يحصل له فيما وقع منه من الذكر الخفي فيه وان قل
اكثر مما يحصل له في الجهر والاجتماع مع السلامة من الآفات الواقعة عند الاجتماع والانتقال للوضع
الاجتماع والله اعلم **ثالثها** الذكر في مجالس السماع وهو المعروف عند اهل الوقت بالحضرة
وفي هذا كان كلام المشايخ ونزاعهم اما ما كان منه بالذكر المجرد كالهيللة والصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم ونحو ذلك فهو اقرب الى الجواز واشبه بالاحاديث السابقة ومن احسن
الكيفيات فيه ما ذكر الامام الشاذلي رضي الله عنه وهو ان الفقير اذا اشتغل بالارادة فحقه
ان يقطع العلائق كلها وترك اللذات والراحات وهجر المالوفات ويستعمل العزلة والخلوة وذلك
امر شاق على النفس في الابتداء فانها تشرئب الى ما تالفه من البطالة ولا تانس بالخلوة ويخشى
عليها ان هجم عليها بقطع جميع ذلك على الدوام ان تنفر فوجب ان يجعل حينا بعد حين للاجتماع
ليكون ذلك لها استجماما ولا يكون ذلك على الدوام لبطلان جمع الوظيفة من الالفة بل يكون
ذلك بحسب الحاجة فيجب ان يكون الاجتماع بالبطالة وترك ما هو عليه فانه لابد من مواصلة
الاوراد والدوام على العمل بالمرة فلهم ان يكون الاجتماع على الذكر الذي كان يستعمله المريد في خلوته

بنفسه

ع احدها القراءة الخ

ان الذكر الخفي يفضل ذكر الجهر بسبعين ضعفا

من الكيفية في الذكر

King Saud University

كيفية الاجتماع للذكر

بنفسه حتى كأنه لم يخرج عن خلوته ولم ينتقل عن حالته غير أن ما كان يفعله وحده يفعله مع إخوانه
ليقيد النفس تأنيسا بهم وصفة الاجتماع أن يتفقوا الفقراء ليوم معلوم فيحضرون ويحضرون من الطعام
ما تيسر مع غاية البعد عن التكلف والرياء والتباهي وصفة ذلك أن يأخذ الفقير بأمرهم ما يطرح
فيه ذلك فيجعله في مكان نظيف والبعض هنالك أحد من جاء بشيء وضعه هنالك قليلا أو كثيرا
فلم يدر ما الذي به كل واحد وبالجملة عند الفراغ من الذكر وصفة الذكر أن يجلسوا حلقة ثم يرفعوا
أصواتهم بذكر واحد من الأذكار التي عندهم كالهيللة أو الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
حاضرين وهم غاضين أبصارهم على غاية الوقار والسكينة والخشوع من غير اضطراب ولا حركة
إلا أن ينزل على أحد حالة غالبة تزعجه من غير اختيار وليس لأحد أن يتشبه بذلك ولا أن يتعاطاه
بل يستعيذ بالله من ذلك الوسواس والخواطر الشيطانية **وأما السماع** بالأغاني وإنشاد
الأشعار فهو أدخل في الابتداع وأحرى بالنزاع وهو معشش الوسواس ومع الشيطان مع التخليط والتلبيس
إلا من عصمه الله تعالى وقليل ما هم ولذا كان إنكار السماع من كثير من العلماء وتحذيرهم منه ولا سيما
في حق العوام الباقية نفوسهم القائمة حظوظهم وكذا استعماله لكثرة الغرور وطموح الجهال حتى
ربما أدى من أركان الطريق فيكون ربما تواغلوا فيه حتى يتعاطوه بالآلات الملهية والأصوات الحسنة
من الأصوات الملاح حتى كأنهم في مجالس المنادمة وما أبعد هذا من الدين وأهله وقد يكون الفتى
من أهل البطالة والغواية واللهو والفسوق ثم إنه يتوب على يد بعض مشايخ ويحضر في أمثال هذه المجالس
وهذا الغناء وهذا اللهو فلا تزداد نفسه إلا قوة ولا شهوته إلا طمعا فيما كان قبل التوبة
منكسر القلب معترفا على نفسه بالإساءة متمنيا للخير والصلاح والتحلي بأهله والخير كله في هذا
الوصف وفي الحديث القدسي أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ثم إنه إذا تاب ظن أنه قد استحق
بالصفوة ونجا من العيوب فخرج وجه عن الحالة الأولى إلى الثانية وهذا العجب والاغترار
هو العيب كله والشيطان يكتفي منه بذلك فلا يوسوس له أن يتعاطى تلك المعاصي السابقة
لأن هذا العجب والاغترار أعجب إليه إذ لا يتمنى الانتقال والتوبة عن هذه الحالة أصلا وعدم
الوسوسة بذلك تزيده اغترارا وإعجابا نسأل الله العافية ولهذا قال إمام الطائفة الجنيد
رضي الله عنه إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة وقال الشيخ أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه سألت أستاذي رحمه الله عن السماع فأجابني بقوله تعالى إنهم ألفوا

Copyright © King

في آبائهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون وقال ايضا رضي الله عنه رايت في النوم كان بيدي كتاب الفقيه
ابن عبد السلام واوراقا فيها شعر من حر واذا باستاذي رحمه الله واقفا فتناول كتاب الفقيه بيمينه
وتناول الاوراق بشماله فقال كالمنتهر اتعدلون عن العلوم الزكية واشار بيده اليمنى الى كتاب
الفقيه الى ما تستعار نوات الاهواء الردية واشار بيده الى اوراق الشعر ثم رمى بها الى الارض ثم قال انهن
اكثر من عذب بهن عبد من يكون لهواه اسير شهوته وقد ما له يستفزون بها قلوب الغفلة والنفوس الا
ارادة لهم في فعل الخير والتشبه بالعرفان يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود ولم يخطر احد منهم ببال
حظوظ اهل الشهود ليرى بينه الكلام ليقلب ارضه سماء قال فاخذني حال وجد وبكاء وانا اقول الا ان
النفس ارضية والروح سماوية فقال لي الا اذا كانت الروح بامكان العلوم داركة والنفس باعمال
الصالحات نباتة فقد ثبت الخير كله واذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد وقع الخلط
والجرب وانقلب الامر وجلب الشر كله فعليك بكتاب الله الهادي وكلام رسوله الشافع فليس
في الخير ما زينته وقد اصاب الشيخ عن اعتقاد واهل الجواذ اسمعوا القرا عرضوا عنه واذا اسمعوا
اللهو اقبلوا عليه ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا انتهى وقال الشيخ ابو العباس الحريشي من
كان من فقراء الزمان اذا كان الحال الظلمة موت السماع فعنه في عبودية بالله تعالى يقول سماعون
للكذب اي الحور للسحت فالقول بذكر العشق وما هو بعاشق والوجد وما هو بواجد والمحبة والزهد
وما هو كذلك واصحابه يسمعون ذلك وفي الرسالة عن ابي اسحاق الهاروني قال رايت ابليس في المنام
على بعض سطوح الهاوناس وانا على سطح وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف
فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا فاستفزني طيبه حتى هممت ان اطرح نفسي من السطح
ثم قال ارقصوا فرقصوا اطيب ما يكون فقال لي يا ابا الحارث ما اصبت شيئا ادخل به عليكم الا هذا انتهى
ولما اجتمع ابو عمرو بن نجيد والنصرآباذي رضي الله عنهما قال النصرآباذي انا اقول اذا اجتمع القوم
فواحد يقول ويسكت الباقون خير من ان يغتابوا فقال ابن نجيد لان تغتاب ثلاثين سنة انجى لك
من ان تظهر في السماع ما لست به وسئل ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن السماع فقال ليتنا
تخلصنا منه راسا براس وقال الشيخ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم مستحب لاصحابنا
لحياة قلوبهم انتهى وهذا هو فصل الخطاب والتوسط بين الخطا والصواب ونحوه قول الشبلي رضي

الله

قف من كان من فقراء

الله عنه وقد سئل عن السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد
استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم لا يصح السماع الا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي
فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة واتفقوا انه لا بد للسماع من زمان ومكان
واخوان ولذلك قيل للجنيد رضي الله عنه ما لك لا تسمع فقال ممن وقيل من الله تعالى فقال ابغي من وقالوا
السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو فمن شرطه صاحبه معرفة الاسامي والصفات والا وقع
في الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرطه صاحبه الفناء عن احوال البشرية والتنقي من اثار
الحظوظ بظهور احكام الحقيقة وهذا والله اعلم انما هو في سماع الاشعار المشتملة على الاوصاف
الصالحة لاهل النفوس ولاهل الارواح فقد علم كل اناس مشربهم واما الاشعار الوعظية المشتملة على
التذكير بالله تعالى والترغيب فيما عنده والتنفير عن الدنيا والتحضيض على التقوى فهي صالحة الجناب
تطلع للعوام وللعباد والزهاد وبالجملة السماع ورطة لاهل النفوس والشهوات وهو روضة
لاهل الفهم عن الله تعالى وهؤلاء يسمعون من كل شيء ولا يتوقفون على طيب النغم وفي التنبيه اقسام
ولا ماهية السامعين منفصل شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله وليس ثم سامع واحد
ومن قال انه يسمع بربه فهو نهاية درج يسمع العقل لان للعقل سلطان يسمع من حيث فكرته ويسمع من حيث
الوضع فالذي من حيث الوضع هو الذي قيل عنه يسمع بربه وفيما عند قوله عليه السلام عن ربه كنت سمعه
الذي يسمع به فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا بتقييد وعلامته في ذلك
البهت وخمود البشرية والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع الا النغمات والاصوات الحزينة الشجية
وعلامته ان يتحرك عند السماع بحالة بناء عن الاحساس ومعنى اعتبار المتحرك في السماع فانه مسيرة
للشيطان والذي يقر ويمتنع عن كل شيء فهو صاحب نفس ووقت سلطانها وحاله صحيح جميع الفناء
والحركة في السماع فان اراد عن انه اذا تعلم لم يكن فانيا ولم يكن يسمع بعقله فانه قد تحرك فلم يبق له الا
ان يكون كاذبا فان سماع النفس لا بد ان يعلم البنية وسماع العقل لا تكون معه حركة فمن جمع بين الحركة
والعلم فهو كاذب جاهل لا جاهل بوا انتهى الغرض منه فقصر هذا الكلام على اهل زمانك تر العجب والله
يعصمنا من الزلل وقد بقيت هذه المسألة لا يمكن استيفاؤها في هذا المختصر فلنكتف بهذا القدر

الفصل التاسع في احكام تعرض للذاكر من غير ما تقدم منها

ان كل واحد من الذوات والكيفيات ما سوى الاخلاص انما هي امور يحصل بها الكمال لا مطلوبا في ذاتها

قف يحصل الكمال الخ

Copyright © King

كل من ذكر الله تعالى مخلصا فله الاجر سواء ذكره مشتغلا بالاغيار او حال الصبا او غير ذلك وهو من خصيصى
الذكر وهو انه مطلوب على كل حال وكان صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقال تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الاية وليس للعبد ان يترك الذكر لكونه لم يكن على اكمل
الحالات فان تركه للذكر هو اقبح العيوب واعظم المصيبات فينبغي للعبد ان لا يغفل عن الذكر على اي حال كان
وفي اي وقت قال الشيخ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن خصايص الذكر انه غير موقت بل ما من وقت
من الاوقات الا والعبد مامور بذكر الله تعالى اما فرضا واما نفلا والصلاة وان كانت اشرف العبادات
فقد لا تجوز في بعض الاوقات والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات انتهى نعم ثم احوال لا ينبغي الذكر
فيها كوقت الجماع ووقت قضاء حاجة الانسان وفي حال الخطبة ليسمع قول الخطيب وفي حالة القيام
للصلاة غير القراءة وتحرم القراءة على الجنب ولا باس بقراءة الاذكار من التهليل والتسبيح ونحوهما مع
الجنابة او الحيض او النفاس **ومنها** ان الامام النووي ذكر ان جميع الاذكار المشروعة في الصلاة وغيرها — ـه ومنها الخ
واجبة كانت او مستحبة لا يحتسب بشيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه
اذا كان صحيح السمع انتهى ولهم خلاف في ذكر القلب هل تكتبه الملائكة فقيل تكتبه ويجعل الله لهم
علامة يعرفونه بها وقيل لا يكتبونه لانه لا يطلع عليه غير الله تعالى قيل والمختار انهم يكتبونه وفي كلام
حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم لا يفارق
شعورك وفيه من حيث اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية فيغيب ذكرك
عن شعور الحفظة **ومنها** احوال تعرض للذاكر يستحب او يجب له قطع الذكر بسببها ثم يعود — ف ومنها الخ
اليه بعد زوالها منها اذا سلم عليه رد السلام ثم عاد الى الذكر واذا عطس عنده عاطس شمته
ثم عاد الى الذكر وكذا اذا سمع الخطيب واذا سمع المؤذن فانه يحكيه ثم يعود الى الذكر وكذا اذا راى
منكرا غيره او معروفا امر به او سائلا اجابه او جاهلا علمه ثم عاد الى الذكر وكذا اذا غلبه النعاس
ومن عوارض الذكر الاسراع فيه وذلك يختلف باختلاف الغرض فان كان المطلوب فيه الترتيل والتدبر واما
التهليل فتفخيمه بحسب الحضور وسمعت من بعض اهل هذا الطريق يقولون مما يعين على الحضور
ان يقول لا اله الا الله بقلب حاضر ثم يتمادى مسرعا بلا فترة لئلا يدخل عليه الوسواس وهو كلام
صحيح **ومنها** انه ينبغي لمن كان له ورد في ليل او نهار وفاته ان ياتي به في وقت اخر ولا يضيعه قال
الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا من فاته عمل من الليل فليتداركه

بالنهار

بالنهار وكذا العكس قال صاحب القوت ومن فاته ورد من ادواره فاستحب له ان يعمل مثله
في وقته او قبله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا يقضى الا الفرايض ولكن على سبيل التدارك
ورياضة النفس بذلك ليأخذها بالعزايم كي لا تعتاد الترخص والرخص ولاجل الخبر المأثور احب
الاعمال الى الله عز وجل ادومها وان قل كيف وفي حديث عايشة رضي الله عنها كالوعيد على ترك
العادة من العبادة فروت عن النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله عز وجل عبادة ثم تركها ملالة
مقته الله عز وجل وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او علة مرض لم يقم
في تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة انتهى فقد افاد ان استدراك الورد لفوايد
احدها رياضة النفس فانها اذا سومحت في الترك ايقنته فاخلدت الى الكسل والبطالة وفاتت
المقصود من تعويدها الخير الثاني تدارك الخلل في الورد اذ فاته كالثلمة في صاحبه وكان
مغبونا في يومه بل خاسرا فيجبر ذلك بالزيادة في العمل بعده ليكون يومه خيرا من امسه والله الموفق

الفصل العاشر

في فوايد الذكر وهي مقالتان الاولى في فوايده على
الاجمال الثانية في فوايده على التفصيل بالنظر الى كل ذكر على حدته اما فوايده على الاجمال
فاعلم ان للذكر فوايد جمة قد تقدم كثير منها عند ذكر فضايله وما رتب عليه وهي منها الدينية والدنيوية
وان كان الكل دينيا باعتبار والدينية منها الحالية والمآلية ومرجعها باعتبار الحصر فيما قال
الامام ابن جزي رحمه الله الثمرة في المقصد بالذكر مقامان فمقصد العامة اكتساب الاجور ومقصد
الخاصة القرب والحضور وبين المقامين من بعيد ومشتان بين من يأخذ جزاءه من وراء حجاب وبين من يرقى
حتى يكون من خواص الاحباب انتهى ولا بد ان نذكر شيئا مما ذكره الائمة رضي الله عنهم من ذلك وهو
اشهر الفوايد واسنى الرغايب مجالسة الله تعالى لعبده اذا ذكره ففي الحديث عن الله تعالى انا جليس
من ذكرني ومعنى المجالسة في حقه تعالى الاجتماع بالقرب والعناية والمدد والفيض حيث انه اشرق
في ذكره كانه انوارا واسرارا ونحو ذلك مما هو من المواهب التي تنال بمجالسة الملوك وكيف
بمجالسة ملك الملوك تبارك وذلك ان كل معنى لطيف في جانبه تعالى ان استحال ظاهره فالمراد
لازمه عند من يتأوله ومن ذلك ذكر الله تعالى لمن ذكره قال تعالى فاذكروني اذكركم وفي الحديث عنه تعالى
فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث وناهيك بها من مزية وتخصيص وفضيلة اختص بها الذكر
دون سائر القربات ومعنى ذكر الله تعالى لعبده ذكره بالثواب او بالنعم او غير ذلك عبر العلماء عن هذا المعنى

Copyright © King

بعبارات كثيرة حكى بعض الاشياخ بعد ذلك عشرين قولا فقيل اذكروه بالاخلاص اذكركم
بالاختصاص وقيل اذكروه بالحضور اذكركم بتيسير الامور وقيل اذكروه بالنية اذكركم بجزيل
العطية وقيل اذكروه بالصفا اذكركم بصفاء الجفا وقيل اذكروه بالقلوب اذكركم بغفران
الذنوب وقيل اذكروه بالضمائر اذكركم برفع الضرائر وقيل اذكروه بالاصوات اذكركم بتيسير
الاقوات وقيل اذكروه في الخلوات اذكركم بالرحمة والصلوات وقيل اذكروه بالنسيان
اذكركم بمغفرة العصيان وقيل اذكروه في المساء والصباح اذكركم باللطف والصلاح وقيل
اذكروه في السجود اذكركم بالنعمة والجود وقيل اذكروه بالمعرفة اذكركم بالمغفرة وقيل
اذكروه باداء الفريضة اذكركم بالرحمة العريضة وقيل اذكروه بالاستغفار اذكركم بالعشي
والابكار وقيل اذكروه بالاسحار اذكركم بغفر الاوزار وقيل اذكروه بالايام القلائل اذكركم
بلبس الحلل والغلائل وقيل اذكروه بالصبر على البلا اذكركم بالدرجات العلى وقيل
اذكروه بالشوق والحب اذكركم بالدنو والقرب وقيل اذكروه بالالباب اذكركم برفع الحجاب
وقيل اذكروه على التوالي اذكركم بعطفي ونوالي قلت وهذه عبارات عشرات
مرادفة او مختلفة ومتقاربة متفاوتة وبعضها منتزع من كلام الله تعالى اشمل واوسع وكذلك قال الامام
ابن جزي رحمه الله تعالى وفي اكثر المفسرين لا سيما المتصوفة في هذا الموضع بالفاظ لها معان مخصوصة تفسير
ولا دليل على التخصيص انتهى وهو ظاهر ومن ذلك ذكر الله تعالى مع عبده حين يذكره في
الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي وانا معه حين يذكرني الحديث ومعية الله تعالى لعبده بعلمه
وحفظه ومن ذلك ما ذكره اهل البصائر من ان الذكر يزيل الغفلة ويفتح باب المعرفة ويورث الانابة
والزهد والتوكل والايثار والفتوة والمراقبة والمحبة والقرب ويورث باب الاحسان وغشيان
الرحمة ونزول السكينة وحضور الملائكة وهذه وردت في الاحاديث وتقدمت مع غيرها من
الثمرات ويطرد الشيطان وفي الرسالة ان الذكر [illegible] تلوذ به عن وهم ويفتح
القلب والبدن وقيل ان ابدان الصديقين تغذو بالطعام والشراب وارواحهم بالذكر وينور القلب
والوجه ويجلب الرزق وييسره ومن اعظم الكرامات ما جاء في حديث عن الله تعالى من شغله ذكري عن
مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفي الاخبار ان العبد الذاكر لله تعالى المطيع اذا سأل
الله تعالى قالت الملائكة يا ربنا صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله تعالى اذا

دعا

١٣١

دعاه او سأله قالت الملائكة يا ربنا صوت منكر من عبد منكر وفي الحديث ما عمل ابن آدم عملا انجى له
من عذاب الله من ذكر الله تعالى وفي السبعة الذين يظلهم الله بعرشه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه والذاكرون يغفر لهم ذنوبهم ولا يشقى بهم جليسهم كما مر والذكر دواء القلب كما قيل

اذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر احيانا فننتكس

ومن فوائد الذكر وضع البركة في الطعام ونحوه وجلب ما يحتاج اليه من درهم او غيره وجعله
الله تعالى للذاكر عن تناول الحرام ويكون ذلك بتنبيه الله تعالى له اما بكشف من الله تعالى واما
بعلامة يجدها على الحرام في ظاهره او باطنه فكان منهم من يتحرك له في ظهر عرق اذا مد يده الى الشبهة
كما حكي ذلك عن الحارث المحاسبي رضي الله عنه ومنهم من يختنق به فلا يسيغه ومنهم من يتقيأه
ومنهم من يرى الطعام كأنه دم او كأنه روث او خنزير او تنقبض عنه يده او يسمع خطابا من نفسه
او من غيره الى غير ذلك مما يقع لاولياء الله تعالى ومن فوائد الذكر على الاجمال وكرامة الشيخ وقد
ذكر العلماء من ذلك كثيرا اعرضنا عنه خشية السآمة واما فوائد الاذكار المعينة
بعد تقدم في كل منها ما لابد منه وقال الامام ابن جزي واعلم ان الذكر على انواع كثيرة فمنها التهليل
والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة وذكر كل اسم من اسماء الله تعالى والصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار وغير ذلك ولكل ذكر خاصية وثمرة فاما التهليل
فثمرته التوحيد اعني التوحيد الخاص فان التوحيد العام حاصل لكل مسلم واما التكبير فثمرته
التعظيم والاجلال لذي الجلال واما الحمد والاسماء التي معناها الاحسان والرحمة كالرحمان
والرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها ثلاث مقامات وهي الشكر وقوة الرجاء والمحبة
فان المحسن محبوب لا محالة واما الحوقلة والحسبلة فثمرتها التوكل على الله والتفويض الى الله
والثقة بالله واما الاسماء التي معناها الاطلاع والادراك كالعليم والسميع والبصير والرقيب
وشبه ذلك فثمرتها المراقبة واما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فثمرتها شدة المحبة
فيه والمحافظة على اتباع سنته صلى الله عليه وسلم واما الاستغفار فثمرته الاستقامة
والمحافظة على شروط التوبة مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة ثم ان ثمرات الذكر
جميع الاسماء والصفات مجموعة في الذكر المفرد وهو قولنا الله الله فذلك هو الغاية واليه
المنتهى انتهى وتقدم هذا الكلام في الاسم الاعظم وانه قد جمع معاني الاسماء وان الكلمة المشرفة

صح ومنهم من يحك الطعام الخ

ترجعت هاتف الاذكار ومن لوازمها التصحيح التوحيد وقال بعض الايمة توحيد الخلق على ثلاث درجات
الاولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفوس والاموال في الدنيا وينجي من الخلود في النار والاخرة
وهو نفي الشركاء والانداد والصاحبة والاولاد والاشباه والاضداد الدرجة الثانية
توحيد الخاصة وهو ان يرى الافعال كلها صادرة من الله تعالى وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة
لا بطريق الاستدلال فان معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصلة لكل مومن وانما مقام الخاصة في
التوحيد يفيد في القلب بعلم ضروري لا يحتاج الى دليل وثمرة هذا العلم الانقطاع الى الله تعالى
والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق فلا يرجو الا الله ولا يخاف احدا سواه فيطرح الاسباب
ويتبرا من الارباب والدرجة الثالثة ان لا يرى في الوجود الا الله وحده فيغيب عن النظر الى المخلوقات
حتى كانها عنده معدومة وهذا هو الذي تسميه الصوفية الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى انه
قد يفنى عن نفسه وعن توحيده اي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله تعالى انتهى
قلت واعلم ان الفناء يطلقونه الصوفية بهذه الكيفية ويقابله البقاء فتارة يطلقونه
على الفناء في الاوطان وتارة على الفناء في الاحساس وان شئت فقل تارة على الفناء عن المعدوم
وتارة عن الفناء عن الموجود وتفصيل ذلك على ما ذكروه هو ان المعتبر في هذا الباب من العبد
ثلاثة اشياء وهي الافعال والاخلاق والاحوال فالافعال ما يتصرف به اختيارا من الاكتسابات
وتكون محمودة ومذمومة باعتبار كونها شرعية وغير شرعية والاخلاق وما جبل عليه بالطبع من
الصفات وهي ايضا اما محمودة او مذمومة وهي تقبل التغيير بالمعالجة والرياضة فتغيير
المذموم الى المحمود وكذا العكس والاحوال ما يرد عليه وتكون الاحوال ايضا حسنة بحسب
حسن الافعال والاخلاق وفناء المشتغل المريد بالتوبة وترك الافعال الخسيسة التي هي مناط
الشهوة وتوجه الى الاعمال الصالحة فيقال انه فني عن شهوته وبقي بنيته واذا عالج باطنه
فانه يفنى عن الصفات المذمومة ويبقى بالصفات المحمودة فمتى اتصف بالزهد يقال فني عن
الرغبة واذا اتصف بسلامة الصدر يقال فني عن الحقد والحسد واذا اتصف بالتواضع يقال
فني عن الكبر وهكذا او مثل ذلك في الاحوال وهذا الاعتبار الاول من الفناء واذا غاب عن الكون
كله حتى عن نفسه بشهود ربه فهذا معنى اخر من الفناء وهو الثالث وهذا فناء بحسب
الاحساس لانه لا يحس بالاشياء مع وجودها لعظم ما طرقه من باهر الحقيقة فهو فناء

عن

King Saud University

عن الموجود والثانية المعنى الأول وهو أخص من الأول معنى وبقاء ضرورة مع بقاء أخص منه ضرورة بحسب الأول والثالثة
هو نفي لما عن المعدوم فمن نفى عن أفعال وأخلاق وأحوال غير مرضية باستبدال أضدادها فقد نفى ما هو
معدوم بموجود ويقال له النفي أيضا لأن الله تعالى أبدل المذموم بمحمود ومن نفى عن الأكوان كلها
بأن يفنى ولم يبق من معدوم بل عن موجود وإنما نفى حقيقة به كما نفته صواحب يوسف بشهود جماله
عن أيديهن فقطعنها وعن أنفسهن فلم يجدن ألم القطع والفناء بهذا المعنى الثالث هو حقيقة العلم بكمال
كمال سوى الله تعالى في كلمة الشهادة كما قال لبيد رضي الله عنه: ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وهو أصدق كلمة قالها شاعر كما شهد له الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم واعلم أنما هي أصدق
كلمة في باب الحقيقة لأن ما سوى الله تعالى إذا كان معدوما سابقا ولاحقا فهو الآن معدوم وأما في باب
الشريعة فما أثبته الله تعالى من الأمور الحقيقية فثابت بإثبات الله تعالى لا بنفسه ولا استقلال

الفصل الحادي عشر في أسماء هذه الكلمة المشرفة وهي لا إله إلا الله

اعلم أن لهذه الكلمة أسماء كثيرة وذلك دليل فضلها وسمو محلها فإنه قد اشتهر في أوضاع العربية
كون الشيء تكثر أساميه لكونه مستعظما أو مستحسنا كما يوجد في أسماء الأسد وأسماء السيف
وأسماء الخمر وسبب ذلك في الغالب أن الشيء إذا استعظم أو استحسن صار لذلك إما لكثرة أوصافه
العظيمة أو الحسنة فيوصف بأوصاف كثيرة ويشتهر بها فتصير أسماء له ومن هذا النمط أسماء
الله تعالى وأسماء نبينا صلى الله عليه وسلم وأكثر تلك أوصاف ولذلك لما وقع ذكر السيف
بحضرة أبي علي الفارسي وما له من الأسماء قال أبو علي ما أعرف له إلا اسما واحدا وهو السيف فقال ابن
خالويه وكان في المجلس أين المهند والصارم وجعل يعدد وقال إني أعرف له خمسين اسما فقال
أبو علي تلك أوصاف وكأنه ينكر الترادف وإنما الوصف إذا اشتهر يلحق بالاسم وربما توسع في الاسم
فأريد به ما دل على المسمى سواء وضع له أو أطلق عليه ولهذا الاعتبار كثرت الأسامي فاعلم
أن الكلمة المشرفة بحسب اعتبار أهل اللغة يقال لها كلمة النفي والإثبات لوقوع ذلك فيها
ويقال لها عند الفقهاء وأهل الأصول كلمة الشهادة إذ وقعت فيها الشهادة لله تعالى بالوحدانية
في الألوهية أو لأنها الكلمة التي تقع بها من الإنسان الشهادة بذلك أول الإسلام وهما اعتباران
متقاربان وقد يقال لكلمتي الشهادة بالتثنية أو كلمة الشهادتين يريدون هذه وأختها محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإن الإيمان لا ينتظم إلا بهما معا كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى وقد يقال لها عندهم

Copyright © King

كلمة التوحيد اما التضمنها توحيد الله تعالى بالالوهية وهو صريحها واما المتضمنها جميع مباحث
التوحيد وهي ثلاثة اقسام الاهيات ونبويات وسمعيات اما هي بنصها وتقدم وجه تضمنها
للاولى وسنشير الوجه تضمنها للاخيرين واما هي بضميمة اختها اذ لا تنفك كلمتوا عنه ولا اشكال
واما الفقهاء والصوفية فعبروا عنه والاسماء كثيرة استنبطوها من النصوص
ذكر جملة منها محيي الاسلام وزاد عليه بعض المتاخرين ونحن نذكر مجموع ذلك مع فوائدها على حسب
ما اناولوها وبالله التوفيق فنقول الاسم الاول كلمة التوحيد لما في قوله تعالى والهكم
اله واحد لا اله الا هو الثاني وهو يجمع ثلاثة اشياء كلمة الاسلام كلمة الايمان كلمة الاحسان
من قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وءامنوا
وعملوا الصالحات ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فقوله تعالى اذا ما اتقوا
وءامنوا اي قالوا لا اله الا الله في مقام الاسلام ثم اتقوا وءامنوا اي قالوا لا اله الا الله في مقام
الايمان ثم اتقوا واحسنوا اي قالوا لا اله الا الله في مقام الاحسان وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى قيل الاحسان قول لا اله الا الله الاسم الخامس
كلمة السواء من قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية قيل هو لا اله الا
الله السادس كلمة العهد من قوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قيل هو لا اله الا الله السابع
كلمة العدل من قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وروى ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل قول
لا اله الا الله الثامن كلمة الحق من قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد
بالحق قول لا اله الا الله التاسع كلمة الاخلاص من قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين اي ليوحدوه بلا اله الا الله العاشر كلمة الصدق من قوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به قيل هو لا اله الا الله الحادي عشر كلمة الاستقامة من قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا قيل هو لا اله الا الله الثاني عشر كلمة التقوى من قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
قيل هي لا اله الا الله لانها تقي صاحبها من الكفر او من النار الثالث عشر الكلمة الطيبة من قوله تعالى
ومثل كلمة طيبة قيل لا اله الا الله لانها تطهر من الغلب والكلمة ثابتة فيه وهي المعرفة الرابع عشر
الكلم الطيب من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب قيل هو لا اله الا الله الخامس عشر الكلمة الباقية
من قوله تعالى في قصة ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وجعلها كلمة باقية قيل هي لا اله الا
الله

King Saud University

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

123

الله لانه اشارة الى ارادته مما يعبد من دون الله وقوله الا الذي فطرني فانه سيهدين وذلك مفهوم
لا اله الا الله السادس عشر الكلمة العليا من قوله تعالى وكلمة الله هي العليا قيل لا اله الا الله
السابع عشر القول الثابت من قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة هو لا اله الا الله الثامن عشر القول الطيب من قوله تعالى وهدوا الى الطيب من القول
قيل هو لا اله الا الله التاسع عشر القول الصواب من قوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا اي
ابه بان يكون قال لا اله الا الله العشرون الدين الخالص من قوله تعالى الا لله الدين الخالص اي لا اله
الا الله الحادي والعشرون المثل الاعلى قيل هو لا اله الا الله والمراد به لغة الوصف الاعلى الثاني
والعشرون العروة الوثقى من قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قيل هي لا اله الا الله
الثالث والعشرون دعوة الحق من قوله تعالى له دعوة الحق قيل هي لا اله الا الله الرابع والعشرون
مقاليد السموات والارض من قوله تعالى له مقاليد السموات والارض روي عن ابن عباس انها لا اله الا الله
والمقاليد المفاتيح فهي مفتاح الجنة ومفتاح خزائن الغيب وخزائن السموات والارض واسرار مفاتيح
الاجسام والنفوس والارواح والقلوب والاسرار والعقول والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ولا يخفى ان ما ذكرناه من الآيات اتباعا لمن ذكرها من اهل هذا الشأن منها ما هو جار على مشهور التفسير
ومنها ما ليس كذلك ونعت كلمتها بانواع من الاعتبارات كاخراج جزء من كلي ولازم من ملزوم ومنه اخذ
السبب من المسبب والوسيلة من الغاية واحد المتلازمين والمتصاحبين ونحو ذلك واما معاني تلك
الاسامي فمشهورة في موادها من القواميس فلا نطيل الكتاب بتتبعها والله الموفق

الفصل الثاني عشر في لطائف تعتبر في هذه الكلمة المشرفة ومزايا

لم يجر الحديث بها فيما سلف وجل ذلك مما وقع في كلام اهل التصوف رضي الله عنهم منها ان هذه الكلمة
هي كلام تام مفيد وانما قيل لها كلمة على سبيل التوسع والتجوز من تسمية الشيء باسم جزئه وهذا
الاطلاق مشهور في اللغة ومنه قوله تعالى كلا انها كلمة هو قائلها اي رب ارجعون الخ وقوله صلى الله
عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد والعرب يكثرون من هذا حتى انهم يطلقون الكلمة
على القصيدة كلها فيقولون قال فلان في كلمة له يمدح فلانا او يهجوه ومن ذلك ان هذه الكلمة اولها
نفي وآخرها اثبات فيمر منها لا [illegible] العدل وهو في المنزل الاول وهو التجرد والتخلي وعلى الفصل
عنه والى المنزل الثاني وهو الا بالله وان من وقع في المنزل الاول ولم ينفر عنه ابليس لعنه الله واول

360

Copyright © King

من غير الى المنزل الثاني صورة الله دآدم على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام فابليس
هو اول عالم العدل وراس جريرة الكفر وآدم هو اول عالم الفضل وراس جريرة الايمان وهذا
كلام في التغليب المتفرع على الخير والشر في الجملة فانظر يا ابن آدم هل عبرت الى المنزل الثاني فاتصفت
بالايمان ودخلت في عالم الفضل وارتسمت في جريرة المومنين واتصل نسبك بابيك آدم عليه السلام
ام وقفت في منزل لا اله الا الله فاتصفت بالنسبة الشيطانية وانقطعت نسبتك الادمية
فتعلو ولا الدار التي خلق منه ابوك وتصير الى النار التي خلق منها ابليس وقد ذهب هو الى اصله
وفارقت انت اصلك فتنوع عليك عذاب الحجاب والاغتراب نعوذ بالله من الخذلان وكان
بعض المومنين يصيح فيقول يا امنا حيث لا يغرنكم ابليس فانه يرجع الى داره وانتم يجتمع عليكم
العذاب والغربة او نحو هذا الكلام وهذا بحسب الظاهر والا فلا خير ولا اهون في عذاب الله
نسأل الله العافية منه ثم قد ورد لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي فلا اله وحده
لا يكون حصنا وانما هو بعض الحصن فمتى لم تصله بالا الله لم يتم الحصن وكانك في بعض خرابه
فاذا وصلت الاول بالثاني فقد دخلت في الحصن وكل حصن فله اربعة اركان ولا اله اربع كلمات
فكل كلمة ركن فاذا اتصلت حروفها تم الحصن وكما للكلمة اربعة اركان في الصورة فلها اربعة
اركان في الباطن وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة بني الاسلام على خمس
في هذه الكلمة هي اربع كلمات ومجموعها اثنى عشر حرفا ترجع الى اربعة احرف وهي كتب
اسم الجلالة الواقع فيها لانه هو المقصود واثباته هو المراد وليس في نفي غيره اعدام شيء كان
وانما هو اخبار انه هو الثابت فالاربعة هي الكلمة والكلمة هي الاربعة وهي كتب لا اله الا
الله وهذا العدد اعني الاربعة شانه عجيب فان العناصر اربعة والطبائع اربع والكتب
اربعة والخلفاء اربعة والمذاهب اربعة وعلى التربيع كانت اكثر هذه الموجودات في عالم
الكون فالانسان مربع مستطيل وكذا اكثر الحيوانات والديار مربعة والمنابر مربعة والابواب
مربعة ومجلدات الكتب مربعة والمساجد مربعة حتى انه تكره الصلاة في غير المربع والجهات
اربع والرياح اربع الى غير هذا ومراتب الذكر اربع وهي مراتب التسبيح والتصريف والتهليل
والصالحين واللطائف الانسانية اربع النفس والعقل والقلب والروح ولو ضربتها في نفسها
كانت ستة عشر وهي مجموع السموات السبع والارضين السبع والعرش والكرسي وفي اصطلاح

هذا

هذا العدد وازان معظم الموجودات والاثني عشر حرفا التي هي مبنى الكلمة المشرفة هي عدد
البروج الاثني عشر التي هي مدار تصرفات الاحوال وتقلبات الاكوان باذن الله تعالى وقد اكثر الباحثون
عن غوامض الاعداد واسرار الحروف من هذه الاعتبارات وقال حجة الاسلام كل سلطان وولاية امر
معدود وحد محدود الا سلطان لا اله الا الله فان ولايته ثابتة الابد وباقية السرمد شملت الاولين
والاخرين طائعين وكارهين وعند اهل السموات والارض لكل من في السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا تطوعا وشوقا ومحبة وتعبدا اتى كرها وقسرا ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
فعالم الفضل قالوا بلى طوعا وعالم العدل قالوا بلى كرها اذ خرج من ظهورهم في الدم على هيئة الذر ثم
جعلهم فريقين وجعلهم عالمين وعالم الفضل عن يمينه وعالم العدل عن شماله ثم خلق لهم في الصفة التي لهم
والة السمع وفي الة النطق خاطبهم واشهدهم على انفسهم دراية بان الكل بالوحدانية وادعنوا
بالوحدانية فقالوا بلى فعالم الفضل قالوا بلى طائعين متسارعين وعالم العدل قالوا بلى كارهين
متثاقلين ثم اخذت شهادة كل واحد منهم بما اشهد على نفسه ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين ولما خرجوا من عالم الغيب الى عالم الحكمة ظهر لكل واحد منهم ما كان عليه من توحيد او جحود فعالم
الفضل قالوا بلى اعتقادا بصدق وعزم ابجديه وحافظوا على ميثاقه وعالم العدل قالوا بلى مع اعتقاد
الجحود فخانوا العهد وضيعوا الميثاق فمن نعت عالم الفضل المدح لهم والثناء عليهم فقال الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ومن نعت عالم العدل القدح فيهم والازراء عليهم فقال الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ففي عرصات القيامة اذا بسط بعين سلطان يتجلى على العالمين فيشهد
لعالم الفضل بالامانة لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشهد على عالم العدل
بالخيانة ثم ينصب لكل واحد منهما كتاب اقراره وشهادته على نفسه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا الى حسيبا انتهى وقال ايضا شجرة لا اله الا الله شجرة السعادة فان غرسها في قلبه
التصديق وسقيتها بماء الاخلاص ورعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت
اوراقها واينعت ثمارها وتضاعفت نوتها اكلها كل حين باذن ربها فان قلت ما ثمرة هذه الشجرة
قلت التوبة واليقظة والزهد والورع والتوكل والتفويض والتسليم وكل صفة من
الصفات الباطنة الروحانية وكل خصلة من الخصال الظاهرة الجسمانية تلك الشجرة نوتها اكلها

د شجرة السعادة الخ

Copyright © King

كل حين باذن ربها وهذه الشجرة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها واقل تلك حينها ستة اشهر وهذه حينها كل
لحظة وتعمر ثمرة هذه الشجرة فوق لعالم القلب والارواح وثمرة تلك الشجرة فوق لعالم الاشباح
هذه فوق لعالم المعاني والاسرار وتلك فوق لعالم الصور والاثار وان غرست هذه الشجرة في
بيت التكذيب والشقاء وسقيت بماء الرياء والنفاق وتعاهدت بالاعمال الخبيثة والافعال
القبيحة وراعيتها بنقض العهد وتضييع الامانة هجم عليها عدو الغدر ولحقها لهيب الفجر فتناثرت
ثمارها وانقطعت عروقها وانفسخ ساقها وهبت عليها عواصف الغدر ففرقتها كل ممزق وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا انتهى وقال ايضا من استكمل ذلك هذه الشجرة فهو سعيد
سعادة الابد ومن لم يقم فهو شقي شقاوة الابد من تعلق ببعض من اغصانها رفعته الى اعلا الدرجات
ومن لا فهو واقع في ادنى الدركات وقال ايضا لا اله الا الله هي الكلمة العليا الشريعة العالية
من استمسك بها فهو سالم ومن اعتصم بها فهو عاصم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فان قالوها فقد عصموا هذا توضيح العصمة الدنيوية واما توضيح العصمة الاخروية فقوله لا اله
الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي

الفصل الثالث عشر

كثيرا ما يقع السؤال عن هذه الكلمة المشرفة فيقال ما شروطها وما ركنها او يقال ما اصلها وما
فرعها او ما اسبابها وما ثمراتها ونحو هذا من العبارات فنقول اما شروطها فلفظ يحتمل
انه يطلق على شرط وجودها في اللسان او في القلب وعلى شرط قبولها والاعتداد بها اما
شرط وجودها باعتبار اجزائها الى انتفاء المانع احدهما عقلي وهو انتفاء الاضطرار والشقاوة
الصماء بعدها ان لا من يرد الله تعالى من خزائن معرفتها وان عرفها لم يعترف بها بل يجحد ويكابر الثاني
حسي بالظن وهو شيئان احدهما انتفاء الجهل بها الثاني انتفاء الجحود وهو الانكار مع العلم
وربما تقع مع الجحود في اللسان في القلب وهو النفاق واما شرط قبولها والاعتداد بها
فذلك يختلف اما بالنظر الى الاحكام الدنيوية فشرطه النطق بها [illegible] حتى تسمع او ما
يقوم مقام النطق كالاشارة من الاخرس مثلا والكتابة على ما مر واما بالنظر الى الاخرة فشرطه
في قبالها الاعتقاد والتصديق بمضمونها والاذعان وهو اساس الكلمة باجماع ولا عبرة بقول
الكرامية انه مؤمن بمجرد النطق في الظاهر امتثال المامورات واجتناب المنهيات وهذا عند اهل
الحق شرط كمال فمن اخل [illegible] بفضل الله تعالى فان لم يكن فهو في مشيئة الله تعالى ولا يخلد في النار ان دخله

لانه

١٢٥٠

فانه مومن وان كان عاصيا **واما** فروعها فامتثال ما امر به واجتناب ما نهي عنه وان شئت قلت هي
الافعال والتروك المطلوبة من العباد وذلك هو مجموع الشريعة كلها مما يرجع على الظاهر
كالصلاة والصيام ونحوهما وكترك الزنى وشرب الخمر ونحوهما وما يرجع على الباطن كالتوبة
والانابة والاخلاص والزهد والتوكل والرضى والقناعة والصبر والمراقبة ونحوها وما يثمره
من المشاهدة والفناء والمحادثة ونحو ذلك وكترك الغفلة والحرص والرغبة والحسد والرياء
والعجب ونحو ذلك **واما** اصلها وجه معناها سببها فمثمرها ايضا **امران** غيبي وهو التوفيق
والهداية والسعادة والهام الله تعالى **والثاني** حسي وهو النظر او السماع ومن يكون ذلك مع
الاجتماع بمن يجري بركته كشيخ او ولي او رغبة الى الله تعالى او خصلة حميدة يطبع عليها فيكون
معرفة الخير بها اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للذي سأله عن خصال كان يتحنث بها اسلمت على
ما اسلفت لك من خير على احد التاويلات **واما** ثمرتها من الفروع الذي ذكرناه فانها اما ظاهر واما
باطن **فمن** ثمرة كلام حجة الاسلام عن مباني الاسلام اركانا وذلك صحيح باعتبار القبول والاعتداد
في مقام الكمال **و**من غير ذلك نالها وعلا وذلك باعتبار كونها تابعة للكلمة فان الكلمة المشرفة هي
معرفة كل خير ومفتاح كل بر **و**من يتوقف المطلوب على ارتفاع موانع اخرى كالخوف والعمر مثلا
او وجود سبب اخر كبلوغ الدعوة ونحو ذلك والاعتبارات في هذا الباب كثيرة وانما نبهنا
365 تنبيها والله الموفق بمنه **الفصل الرابع عشر** في ذكر اخت هذه
الكلمة المشرفة **وهي محمد رسول الله** الثانية من كلمتي الشهادة على ما تم التنبيه عليه
وانما تعرضنا لها لتيسير الحاجة اليها من حيث انه لا يتم الايمان والاسلام الا بها فهي من جملة شروط
الاعتداد بهذه الكلمة المشرفة وانما افردناها عن سائر الشروط لاحتياجها الى تفصيل يستدعي
فصلا على حدة **واعلم** ان هاتين الكلمتين اختان متعانقتان لا تقوم احداهما بدون الاخرى شرعا
وعقلا **اما** شرعا فلان الايمان لا يقبل من احد اليوم الا بمجموعهما الا من لم يؤمن بمحمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمجموع كلامه وان اقر بالله تعالى وكذا من لم يؤمن بمجموع كلامه وان امن بالرسول والدليل
هذا الاتفاق ويكتفي بذكر الاولى لكثرة التلازم كمن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ونحو ذلك
واما عقلا فلان الاولى ملزمة للثانية والثانية مفهمة للاولى وبيان ذلك ان الالوهية عنها نشأت
الرسالة والرسالة بها ظهرت الالوهية فكانت الاولى مقتضية للثانية كاقتضاء السبب

ف يكتفي بذكر الاولى ح

Copyright © King

للمسبب والثانية مقتضية لما دل على العكس وهذا مبحث يحتاج الى تدقيق وتحقيق وفي
هذه الاشارة مقنع فلننصرف العنان الى ما هو الغرض من ذكر هذه الكلمة المطهرة وهي قولنا محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتقرر الكلام فيها بعون الله وتوفيقه في مسائل المسئلة
الاولى في اجزاء هذا التركيب وفيه اربعة اجزاء ثلاثة مادية وهي الكلمات الثلاث وواحد
صوري وهو الاضافة الكلمة الاولى لفظ محمد وهو في اللغة علم منقول من اسم مفعول
المضعف للمبالغة تقول حمدت زيدا بكسر الميم فهو محمود وحمدته بالتضعيف فهو محمد كما تقول
رفعته فهو مرفوع ورفعته بالتشديد فهو مرفع وشرفته فهو مشروف وشرفته فهو مشرف
والمراد به هاهنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب
بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهذا هو المتفق عليه من نسبه صلى الله عليه وسلم
ومن تبع بعد ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ومحمد بن عبد الله
هو خاتم الانبياء وخير الخلائق اجمعين البشير النذير المبعوث الى الناس كافة صاحب اللواء
والمقام المحمود والشفاعة الكبرى والمنزلة العليا وهو نبينا ورسولنا معشر هذه الامة الذي
امرنا باتباع اقواله وافعاله وتقاريره صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما وسمي محمدا
على لسان جده عبد المطلب كما قيل تفاؤلا منه ورجاء ان يحمده اهل السماء والارض فحقق الله رجاءه لانه
محمود من الله تعالى بما حلاه به من الصفات الفضيلة والاخلاق الجميلة وما افاضه فيه من حقائق
الخدمة وتمام الطاعة ووفور الادب ومحمود من العباد بذلك كله وبما انالهم به وبواسطته من البركات
والخيرات والرحمة الشاملة فانه صلى الله عليه وسلم جعل رحمة للعالمين فهو محمود على الكمال
مشكور على الدوام وان لم تنفع بذلك الخلق انفسهم لجهل الجحود ان حسادهم انما متعتهم في الدنيا
ولم تعاجل بالنكال على ذلك لشهوده وسمي في كتب الاولين احمد اما بمعنى انه احمد الحامدين
لله تعالى لانه اعرف بالله ولذا قال بعضهم الاحمد الاسم مقدمة لذلك فانه لم يكن محمدا حتى
كان احمد اي حامدا لله تعالى فعظمه الله وبجله فصار محمدا واما بانه احمد المحمودين على بناء اسم
التفضيل من فعل كاشغل وخير ويكون احمد بمعنى محمد الكلمة الثانية لفظ رسول وهو
في اللغة يطلق لمعنيين احدهما بمعنى مرسل تقول ارسلت فلانا الى زيد فهو مرسل ورسول الثاني
ان

قف هنا وتدبر

King Saud University

١٣٦

ان يكون بمعنى رسالة وهو اسم بمعنى الارسال قال الحماسي

الا ابلغ بني خلف رسولا ۝ وخص الرسل الفتى البطاح

والرسول بالمعنى الاول في اللغة كل من وجه بشيء وفي عرف الشرع هو من اوحى الله اليه بشرع
وامره بتبليغه وهو بهذا المعنى يكون من الناس ومن الملائكة قال تعالى فيهما وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك اي من الناس وقال في الثانية جاعل الملائكة رسلا الاية وهذا يخالف النبي فانه 36
وارجح معناه في الملك في جميع الحالات الا ما نسب لما نسب انسان اوحى اليه فان امر مع ذلك بالتبليغ
فهو رسول فالرسول من البشر هو انسان اوحى اليه وامر بالتبليغ ولا يكون رسولا حتى يكون نبيا
ومعنى كونه رسولا انه موجه الى العباد من الله تعالى ومعنى كونه نبيا انه اوحى اليه ويقال بالهمز
وبغير همز فالمهموز اشتقاقه من النبا وهو الخبر فنبي بمعنى منبا اي مخبر عن الله تعالى بالغيب ويجوز
قلب الهمزة ياء بالادغام والتشديد وغير المهموز اشتقاقه من النبو وهو الارتفاع يقال نبا
الشيء ينبو نبوا ونبوة ارتفع وتجافى والنبوة والنباوة المرتفع من الارض والنبي رفيع المنزلة
عن الخلق واما الرسول فقالوا هو ماخوذ من التتابع يقال الهواء تتابع ذرة رسلا ولم ار ابنه يريد
ان ينتقل عن حالته على رسلك اي تابع ما كنت عليه وجاء الناس ارسالا اي متتابعين فكانهم قطعا
انما تكون الخلو امر وابتاعه واما الكون فضل الله تعالى تتابع عليه قالوا وعلى مقتضى هذا المعنى
يصح ان يطلق على النبي غير المرسل انه رسول لتتابع الفضل عليه من الله تعالى لكن اتفقت الامة
على ان الرسول مقصور على من امر بالابلاغ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وهذا الذي ذكرناه من
ان كل رسول نبيا ووقع في كلام القاضي ابي بكر بن العربي في كتابه المتوسط واما الاختلاف في كون النبي اخص
من الرسول او اعم او مباينا فمشهور فلا نطيل به وسنذكر معنى النبوة والرسالة بعد ان شاء
الله تعالى **الكلمة الثالثة** اسم الجلالة وهو الله وقد تقدم الكلام عليه **الجزء الرابع**
الاضافة وهي للاختصاص **المسئلة الثانية** في اعراب هذه الكلمة المطهرة وضبطها ومعناها
اما اعرابها فكلام اذ هي مبتدا وخبر ومضاف اليه ما قبله واما ضبطها فالواجب فيها
ادغام الدال في الراء وتشديد الراء وكثيرا ما يخففه العامة تخفيفا ومن التصحيف فيها اشباع 365
حركة الميم الاولى او الثانية من محمد او اسكان الدال او اشباع ضمة اللام كما يفعله اهل المغرب
وجعل التفسير من رسول صاد وتغيير لامه ونحو ذلك واما معناها فالحكم بالرسالة على محمد

Copyright © King

صلى الله عليه وسلم وان شئت قلت الحكم بكونه رسولا او ثبوت ذلك على ما هو الخلاف في مدلول
الخبر هل هو الحكم بالنسبة ام ثبوتها وذلك كله ظاهر **المسألة الثالثة** في معنى النبوة
والرسالة **اعلم** ان خاصية النبوة التي يمكن ان تسمى بها قد علمت مما مر بانها ان كانت بالهمز فهي من
النبأ اما لكونه مخبرا عن الله تعالى بالغيب والوعد واما لكونه يخبر العباد عن الله تعالى فالنبي بمعنى
مفعل بالفتح او بمعنى مفعل بالكسر وان كانت بغير همز فهي اما من النبوة وهي الارتفاع لارتفاع
رتبته عند الله تعالى واما من النبي الذي هو الطريق لان النبي طريق الى الله تعالى واما حقيقة
النبوة فهي عندنا الاختصاص بسماع وحي من الله تعالى بواسطة ملك او دونه واما حقيقة
الرسالة فهي ذلك بعينه مع زيادة الامر بالتبليغ وقد علم من هذا التعريف ان ذلك وهب من
الله تعالى واختصاص منه كما قال تعالى يختص برحمته من يشاء وليست النبوة ولا الرسالة وصفا
ذاتيا للنبي او الرسول ولا مكتسبة له بتكلف ولا بعلم ولا موقوفة على رياضة ولا استعداد
ذاتي بل ذلك حكم من الله تعالى وكما ان الشيء الحلال او الحرام عندنا ليست حليته من ذاته ولا حرمته
وانما ذلك عارض عليه بتعلق خطاب الله تعالى وحكمه كذلك النبوة والرسالة تعرض على المتصف
بها بخطاب الله تعالى فاذا اختص احد بوحيه كان نبيا واذا قال له ارسلتك الى قوم كذا او الى
الناس جميعا او بلغهم عني او نحو هذا من الكلام كان رسولا والخلاف في هذه المسألة لطائفتان
الاولى الكرامية زعموا انها ذاتية والرد عليهم انها لو كانت ذاتية اي وصفا نفسيا او لازما
من لوازم الماهية لوجب استواء النوع الانساني فيها لوجوب استواء الامثال في الصفات
النفسية ولوازمها فيجب ان يكون كل انسان نبيا ولا خفاء في بطلان هذا ولو زعموا ان النبي خارج عن
النوع الانساني بالحقيقة كان ذلك دعوى مجردة عن الدليل بل سفسطة لا يلتفت اليها
الثانية الفلاسفة زعموا انها مكتسبة وان الانسان اذا اجتهد في الرياضة والتخلية والتحلية
امكن ان يبلغ الى حد من الصفاء والادراك وانكشاف الغيب وكمال النفس بحيث يمكنه ان يسوس
نفسه ويسوس غيره وقالوا ان الذي يكون نبيا هو من اجتمعت فيه ثلاث خواص **الاولى** الاطلاع
على المغيبات قالوا ولا يستنكر ذلك فان النفس مجردة في ذاتها عن المادة ولها مناسبة الى
النفوس السماوية المجردة المنتقشة بصور ما يحدث في عالم الكون والفساد فقد تتصل النفس
الناطقة بتلك المجردات اتصالا معنويا لما بينها وبينها من التناسب فترتسم فيها صور الكائنات

تخص

King Saud University

بحسب صفائها ويؤيد ذلك ما يشاهد في النفوس من التفاوت الكبير جدا فيما بين النفوس
القدسية المدركة للنظريات الصعبة في اسرع لحظة وبين نفوس البلداء التي لا يكاد يعقله فوقا قالوا
وكيف يستنكر ذلك في حق النبي وقد شوهد الاطلاع على الغيب ممن قلت شواغله اما بحسب فطرة
ورياضة واما بمرض عاق النفس عن الاشتغال بالبدن واما بنوم صارف للحواس عن ذلك وقد يظهر
لهؤلاء يقظة ومناما ما لا يظهر لغيرهم ويخبرون به **الثانية** انه يظهر منه الافعال الخارقة
للعادة قالوا وانما يكون ذلك له لكون العنصريات مطيعة له منقادة انقياد بدنه لنفسه قالوا
ولا يستنكر ذلك فان النفوس قد علم تاثيرها في المواد البدنية بارادتها وتصوراتها كما يشاهد من
الاحمرار والاصفرار عند الخجل والوجل ولا يبعد ان تقوى نفس النبي حتى ينفعل لها العالم الخارج عن ذاته
فيحدث فيه بحسب ارادته امور كالزلازل والخسف والغرق وهلاك الظالم ونحو ذلك ويؤيد ذلك
ما يشاهد من اهل الرياضات والاخلاص من الشطحات في كل فن من الخوارق الغريبة **الثالثة**
ان يرى الملائكة في صور محسوسة يخاطبونه بالكلام ووحيا من الله تعالى قالوا ولا يستبعد ان يحصل
له في يقظته ما يحصل للنائم في نومه فانه قد يشاهد اشخاصا يكلمونه بكلام منظوم دال على المعاني
المطابقة وذلك لتجرده عن الشواغل وسهولة انجذابه الى عالم القدس فمهما كان ذلك الانجذاب
ملكة للنبي يحصل له مشاهدة المجردات بادنى توجه قالوا واذا اجتمعت هذه الخصال الثلاث
في الشخص انقادت له النفوس واذعنت اليه الهمم وبذلك يكون قوام ما لابد منه وتقرر الشريعة
التي هي مصلحة الخلق لان الانسان غير مستقل بامور بل محتاج الى غيره لتوقف ابقاء النوع
على التعاون والتعامل والتشارك والتواصل والتناصر والتناكح وغير ذلك وفي ذلك ما يؤدي
الى التجاذب والتخاصم والتعادي والتظالم والتباغض والتزاحم والتهارج والتشاجر فاقتضت
الحكمة الربانية والعناية الالهية ان يقام لهم امام وناظر يسوسهم وينتصف من بعضهم لبعض
ويصلح ذات بينهم ووجب بمقتضى الطبيعة وجود الموصوف بتلك الخواص لما علم من شمول العناية
باعطاء كل حيوان ما يليق به من الالات وما يكون به غذاؤه وان هذا النوع الانساني اشرف الانواع
الحيوانية فوجود الموصوف بذلك فيه من اعظم مصالحه **ووجه الرد عليهم** ان كل ما ذكروا
من الخصال وموجباتها خيالات واوهام لا حاصل لها ولا دليل عليها **اما الاولى** فنقول لهم ان
الاطلاع على جميع الغيبيات لا يكون للنبي باتفاق منا ومنكم ولا تدعونه له ان ذلك من صفات واجب

367

Copyright © King

الوجود تعالى وغير في السير الأنبياء صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير فلم يبق إلا الاطلاع على بعض المغيبات وهذا يشاركه فيه النبي غيره كما جوزتم وقوع ذلك
للمرتاضين والنائم فبأي شيء يتميز النبي عن غيره من أفراد النوع وبأي شيء يستحق أن يطاع فيما ذكرتم
من انتقاش العقول المجردة بصور الكائنات واتصال النفوس الناطقة بها التي أخذ ما قررتم كله
أمر موهوم لا شاهد له ولا دليل عليه وغايته أن يكون أمرا خطابيا لا يفيد ظنا فضلا عن العلم
المطلوب في هذا المقام وأيضا أفراد النوع متساوية في الماهية فما ذكرتم من تفاوت النفوس
المؤدي إلى الاختصاص بالكمال وإسناد الاختلاف إلى اختلاف الأبدان مبني على القول بالموجب الذاتي
وهو باطل **وأما الثانية** فإنا نقول إن ما ذكرتم من إسناد التأثير في الأمور إلى النفوس باطل إذ لا
لا موجد ولا مؤثر إلا الله خالق العالم تبارك وتعالى ولا تأثير لشيء سواه ومشاهدة التغيرات
عند إرادة النفوس وتصور أنها لا تقتضي إيقاعها كما تقرر في جميع الأمور العاديات وغايته
الاقتران بالدوران وهو لا يفيد المطلوب ثم وجود الخوارق غير مختص بالأنبياء كما جوزتم من
وقوع ذلك لأهل الرياضات فبأي شيء يمتاز النبي عن غيره **وأما الثالثة** فنقول إن ما ذكرتم من
رؤية الملائكة وسماع كلامهم إنما هو إيهام منكم وتلبيس منكم بما لا حقيقة له عندكم فإنكم لا تثبتون
ملائكة يرون ويسمع منهم كلام إذ الملائكة عندكم إنما هي نفوس أو عقول مجردة وليس لها كلام
ولا يتصور منها إلا الحروف والأصوات عندكم من الأمور العارضة للهواء المتموج ولا يتصور ذلك
للمجرد وغاية ذلك أن يكون أمرا وهميا خياليا لا حقيقة له تشبه ما يقع للمرتاضين وكيف يكون
هذا نبوة فإن أعرفنا لو قام بأمر الناس ونظام معاشهم عن مقتضى عقله لم يكن نبيا بالاتفاق
فكيف يكون نبيا من أراد أن يأمر وينهى عن خيال لا حاصل له ولا وجود وهذا القدر كاف في الرد عليهم
هو ما ذكره المتكلمون وهو ظاهر غير أنك تعلم منه أن الخلاف والنزاع في هذه المسألة بالمعنى بيننا
وبين الفلاسفة فإن الخلاف إنما يرجع إلى الفرق الموضوع ومعلوم هاهنا أنه غير منكر إذ النبوة
التي يثبتونها ويجعلونها مكتسبة ويجعلون لها غير النبوة التي نثبتها نحن فإن النبوة عندنا
مرجعها إلى كلام الله تعالى وتعلق خطابه واختصاصه من يشاء بمقتضى اختياره على حسب علمه
الأزلي إما بواسطة الملائكة حسا أو مباشرة بسماع كلام الله تعالى وهم لا يثبتون هذا ولا يعرفونه
وإنما يثبتون أمورا ناشئة عن القوى الإنسانية ويسمونها نبوة ولا معنى للنزاع معهم في هذا فإن

التخيلات

King Saud University

التخيلات والانفعالات مما يقع للنفوس بأسباب كالرياضة والنوم ونحو ذلك نعم كل ذلك
عندنا بخلق الفاعل المختار ما شاء لمن شاء وليس شيء من ذلك عن علة ولا طبع والنبوة شيء
فوق ذلك وهو الذي لا يكون للنفوس التوصل إليه بالاكتساب والرياضة والاستعداد فإن قالوا إنا نعني
للنبوة إلا هذا الذي يكتسب ولا نتصور وجود معنى آخر رجع الخلاف معهم إلى تصور هذا لا إلى
كونها مكتسبة ق والجواز الفلاسفة نافون للنبوة ذاتا وسياسة عندهم في جملة المنكرين لها
بحسب ما اقتضته قواعدهم وإن لم يصرحوا بذلك إما لما ذكر وإما لأن الحكمة المقتضية لنصب الشريعة
محصورة غير أن ذلك ليس يمكن في الوجود على الله تعالى ولا يليق به التعليل والإيجاب الذاتي كما
يتوهمون بل فضل من الله تعالى كما سنبينه **المسألة الرابعة** في حكم البعثة **اعلم** أن البعثة جائزة
في نفسها وواقعة من الله تعالى ووقوعها على سبيل الاختيار وهو رحمة للعباد وفضل فهذه أربعة
أحكام **أما** أنها جائزة في نفسها غير واجبة ولا مستحيلة عقلا فلأنها فعل من الأفعال وقد مر في
العقائد أن جميع الأفعال الواقعة بل وجميع الكائنات جائزة لا واجبة ولا مستحيلة ولأنه لا يلزم
على تقدير وجودها ولا تقدير عدمها محال في نفسها وهذا معنى الجائز عقلا وقد مر أنها اختصاص
الله عبدا من عبيده بوحي وأمره بتبليغه ولا شك أن هذا عطاء من الله تعالى وتكليف منه وهو
تعالى جواد من شأنه أن يعطي ومالك من شأنه أن يفعل ما شاء ويأمر بما شاء وهذا أمر واضح
وأما أنها واقعة فبدلالة المعجزات على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى **وأما** أنها باختيار من
الله تعالى لا بوجوب عليه فلأنه تعالى لا يجب عليه شيء ولا مراعاة الصلاح ولا الأصلح إذ هو مختار
373 في كل شيء ولو وجبت عليه مراعاة المصالح لعباده لم تقع عليهم محنة دنيوية ولا أخروية والتالي
باطل **وأما** أنها رحمة للعالمين وفضل مبين فلما اشتملت عليه من الحكم والمصالح الكثيرة فإنها
تبارك وتعالى تفضل منه وامتنانا للعباد من غير وجوب عليه ولا استحقاق وأنت إذا علمت هذا
من أن الله تبارك وتعالى فاعل مختار يفعل ما يشاء فعله ويترك ما يشاء تركه علمت أن الله تعالى
لو شاء أن ينشئ خلقا ولا يبرزهم من العدم كائنا أصلا كان له ذلك وإذ وجد هذا الخلق اختيارا منه
فلو شاء أن لا يجعل فيهم من له استعداد لمعرفته تعالى كان له ذلك وإذ جعل فيهم من استعد لمعرفته
بخلق الحياة والأعضاء والعقل فلو شاء تعالى أن لا يهديهم ولا يعرفهم بوجوده كان له ذلك
وإذ عرفهم وجوده فلو شاء أن يتركهم هملا لا ينصب لهم شريعة ولا عبادة ولا سنة يتبعونها ولا

Copyright © King

عن وذا يعفون عنه ما كان له ذلك ولو شاء مع ذلك ان ينعمهم على ما شاء ويعذبهم على ما شاء
كان له ذلك لانه لا يسئل عما يفعل واذا اختار ان ينصب لهم الشرايع فلو شاء ان يعلمهم ذلك بلا
وسايط من غيره اما بان يكلمهم جهرة او بان يخلق لهم في انفسهم علما ضروريا بما اراده كان له ذلك
ولكن اختار تبارك وتعالى في ازله ان يبعث اليهم الوسايط من عباده وهم الرسل وكان هذا الوجه
ارفق بالعباد وادعى الى الانقياد وانتظام الشمل مما ذكر لان الله تعالى لا تستطيعه قوى جميع
البشر على ما سبق من حكمة الله تعالى في ضعفها وتلونها ولان الامر لو كان الى كل واحد لم يقع
الا التباين ولا اجتماع والانتظام الذي به صلاح الدين والدنيا فكان مقتضى فضل الله تعالى تخصيص
الواحد وبعثه ليكون الرجوع اليه فيه واجتماع الكافة عليه **واما فوائد البعثة**
في الجملة ومصالحها فكثيرة **منها** تاييد العقل فيما يستقل بادراكه مثل وجود الباري تعالى وقدرته 37
وعلمه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **ومنها** ارشاده الى ما لا يستقل به من اوصاف
الله تعالى ككونه سميعا بصيرا متكلما ومن احكامه ككونه يرى في الاخرة من غير جهة ولا مقابلة
وكالمعاد الجسماني وخلق الجنة والنار ونحو ذلك **ومنها** الارشاد الى ما فيه رضى الله تعالى من
الطاعات والتحذير عما فيه سخطه من المعاصي وهذا ايضا مما لا استقلال للعقل به **ومنها** ازالة
الخوف الحاصل عند الاتيان بالطاعات من صفات الله تعالى لكونه تصرفا في البدن المملوك لله
تعالى بغير اذنه لولا الشرع وعند تركها ايضا لكونه تركا **ومنها** الاخبار بتفاصيل الثواب
للمطيع والعقاب للعاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا عن السيئات **ومنها** تكميل النفوس
البشرية وتعليم الاخلاق الفاضلة والتهذيب عن الاخلاق الردية **ومنها** بيان منافع الاغذية
والادوية التي لا تفي بها التجربة الا بعد الادوار مع ما فيها من الاخطار الى غير هذا من مصالح الدين والدنيا
والشفاعة في العقبى وهذا كله امر تفضل به المولى على عبيده من غير وجوب عليه ولا استحقاق
منهم ولله تعالى ان يبعث الرسل من غير مراعاة لذلك كما هو شان جميع افعاله عندنا ولهذا قال
الامام ابو بكر بن العربي رضي الله عنه لا فائدة للرسالة عند اهل الحق الا وقوع المراد ونعوذ بالمغرور
على وجود العلم بحصول الافعال ولذلك قلنا انه لا يجب على الله ارسال الرسل الى الخلق ويجوز اذا ارسله
ان يرسله الى قوم يعلم انهم لا يومنون ابدا انتهى **قلت** والمخالفون في هذه الجملة طوايف
منهم المنكرون ومنهم الموجبون واما المنكرون فطوايف منهم المنكرون لها مكابرة ومنهم المنكرون

للوقوع

King Saud University

١٤٠

١٣٩

للوقوع أمّا المتكرر كالمكان وقصوا بعض منهم من قال ان بعثة الرسل مستحيلة لذاتها وهؤلاء اجهل
من ان يتكلم معهم ومنهم من زعم ان ذلك موقوف على العلم بصفة التأثير بالاختيار لله تعالى وعلمه بالجزئيات
325 ووجود الملك ونزوله من السماء وغير ذلك والرد عليهم بابطال الاصول وذلك مقرر في العقاير
ومنهم من قال البعثة تؤدي الى التكليف لانه عبارة عن الكلفة والتكليف يمتنع اما لكونه تكليفا بما لا يطاق او
لان العبد عندكم لا فعل له أو لأن الفعل اما معلوم الوقوع فهو واجب او معلوم اللاوقوع فهو ممتنع
ولا قدرة على واحد منهما والتكليف مع الجبر قبيح والجواب ان الله مختار لا يقبح منه شيء
اذ لا حاكم عليه وايضا فالعبد مكتسب ومختار في الظاهر وعلى ذلك جاء التكليف واما الكون التكليف
اضرارا بالعبد لانه فعل متعب وان لم يفعل عوقب وذلك اضرار وهو قبيح وايضا التكليف ان كان لا لغرض
بعود الغرض — فهو عبث وان كان لغرض يعود الى الله تعالى فمحال لتعاليه عن الاغراض او الى العبد فهو اما اضرار وهو
ممتنع بالاجماع او جلب منفعة وهو خلاف المعقول لانه بمعزل عن ان يقول حصل المنفعة لنفسك
والا عذبتك ابدا وامثال ذلك ان اعظم المصالح عند ترك التعذيب والجواب ان هذا كله
كان قوله مبني على التحسين والتقبيح العقليين وذلك باطل ولو سلم فلا نمنع ان المصالح الحاصلة من
التكليف دنيا واخرى تزيد على المشقة بكثير وذلك غرض يعود الى العبد واما تعذيبه ابدا فانما
هو للتعاصي عن امر سيده ومولاه لا لعدم تحصيله لمنفعة نفسه واما الكون التكليف
بالفعل ان كان حالة الفعل فهو ممتنع لوجوب الفعل وان كان قبله فهو ممتنع لاستحالة الفعل
قبل الفعل واياما كان فهو تكليف بما لا يطاق وهو باطل وعلى انه جائز فهو غير واقع والجواب
انه تكليف في حال الفعل قولكم تحصيل حاصل قلنا ممنوع وانما ذلك لو كان حاصلا بغير هذا
الايقاع اما به فلا كما ان الحادث لو حصل بغير هذا الاحداث لكان تحصيل حاصل وقبله بمعنى
انه يوجد في ثاني حال لا حالته بعينه وهذا واضح والتشكك فيه مغالطة واما الكون التكليف
بالافعال الشاقة البدنية يشغل القلب عن معرفة الله تعالى والتفكر فيما يجب له ويمتنع عليه
376 وهذا انما هو اباحة من المتصوفة وجوابه ان التفكر المذكور هو اخص مقاصد التكليف بل
هو اشرفها ولبابها ونهاية التكاليف معينة عليه وداعية اليه كما قال تعالى اقم الصلاة لذكري ومنها
ما يعود وسيلة الى اصلاح المعاش المعين على صفاء الاوقات وخلو القلب عن المشوشات
التي هي اقوى صارف للقلب عن التفكر ومنهم من قال البعثة لا حاجة اليها لان العقل مرشد

Copyright © King

عنها وهؤلاء منهم البراهمة والصابئة والتناسخية وعند جميعهم ان ما ادركه العقل حسنا يفعل
وما ادركه قبيحا يترك وما كان غير ذلك ان اضطر اليه او احتيج اليه فعل بقدر الضرورة او الحاجة والا ترك
احتياطا والجواب ان العقل لا حكم له ولو سلم فلا حكم له في الجائزات وبذلك اتضح ان الرسل ومن
البراهمة والصابئة من قال بنبوة نبي واحد فمنهم من قال بآدم ومنهم من قال بابراهيم قيل وبهذا سموا
براهمة ومن الصابئة من قال بنبوة شيث وادريس والرد على هؤلاء كالرد على منكر النسخ وهو ان من
حكمة الله تعالى في خلقه ان تكون شريعة تصلح في زمان وشريعة تصلح في اخر وفي تبدل الشرائع وتلونها
ما يقطع بانها من الله تعالى لا امور عادية مع ما في ذلك من موجب النشاط بالتنقل وموافقة الطبائع
المختلفة في الازمان المختلفة كالطبيب الحاذق يرتب لكل شخص من الادوية وفي كل زمان ما يليق به على
ان الاشكال والحدود لا تنضبط فيها الشرائع بحكم عادة الله تعالى ولكل شيء مدة فيحتاج الناس
الى تجديد رسالة من بعد اخرى لغير هذا من الوجوه وهذا كله مجارات لاصولهم واما نحن فنقول الله
تعالى فاعل مختار له ان يبعث الواحد وله ان يبعث الكثير في ازمان او في زمان واحد لا يسأل عما يفعل
ومنهم من قال الرسالة لا تثبت الا بالمعجزة والمعجزة لا يمكن وجودها اذ خرق العادة
مستحيلة فلا تثبت ابدا والجواب انه مقدور لله تعالى وقد وقع عيانا للانبياء والاولياء فلا ينكره
مكابر ومنهم من سلك مسلك القدح في المعجزة وقال الجمهور الخارق لا يدل على الصدق من وجوه لذلك
بتقييدات كثيرة مرجعها ثلاثة امور وهي ان قالوا من لنا ان الخارق من فعل الله تعالى وفعله من فعل
ذلك المدعي او من فعل ملك او شيطان او وقع باتصال فلكي او غير ذلك سلمنا انه من فعل
الله تعالى ولم قلتم انه فعله لاجل التصديق به اما عندكم معشر الاشاعرة فان افعال الله تعالى
لا تعلل بالاغراض واما عند غيركم فان الغرض لا ينحصر في التصديق ولعله فعله لغرض اخر سلمنا
انه فعله لتصديق المدعي ولم قلتم ان من صدقه الله تعالى يجب ان يكون صادقا فلو انما ذلك لو وجب
صدقه تعالى وهذا لا يلزم عليه والجواب عنها اما اولا فلان الله تعالى لا شريك له في فعل من الافعال فكل
ما برز فهو فعله لا فاعل غيره واما ثانيا فان التصديق بالخارق ليس من الاغراض التي ننزهه
وانما هو من قبيل الحكم التي رعاها الحكيم تعالى في صنعته اختيارا منه وتفضلا لا لجلب مصلحة
ولا لدرء مفسدة وكونه يدل على التصديق امر قطعي ضروري لا يقدح فيه الاحتمال المقطوع
بانتفائه ونسيانه فان هذا لا وجه له في المعجزة واما كون الله تعالى صادقا ومستحيلا عليه

الكذب

الكذب من ايله ان خبره تعالى علم وهو علمه وكل خبر علم وهو العلم لا يكون الا مطابقا للواقع وذلك
هو الصدق ومنهم من قال ان المعجزة لا تفيد العلم الا لمن شاهدها اما الغائب فلا يصل اليه الا من الا
بالتواتر والتواتر لا يفيد العلم لان خبر الواحد لا يفيد العلم فكذلك الكثير اذ هي مجموع الاحاديث
والجواب ان هذا غلط واضح وجهل فاضح فان حكم الكل خلاف حكم الواحد ويلزمهم ان الواحد
اذا لم يحمل الصخرة العظيمة او لم ياكل الرغيف من الطعام فالكثير لا يحملونها ولا ياكلونه وكذا لم
يشبع القليل من الطعام ولم يرو القليل من الماء فالكثير لا يشبع ولا يروي الى غير هذا وهو خروج
عن الحس ومنهم من قال التخصيص بعض الخلق بالرسالة مع مفاضلة بين متساويين وذلك يناقض الحكمة
والجواب ان الله تعالى له الاختيار التام وقد فاضل بينهم في الخلقة والاوصاف والخلق والاحوال والمراتب
المحسوسة **واما المانعون** وقوع البعثة فمنهم من قال انا لا نامن من يدعي الرسالة مكذبا من
وقوعه من يدعيه قوله فعلمنا ان ذلك ليس من عند الله فان الحكمة تقتضي ان لا يرسل الرسول
الذي يكذبه ويرد عليه قوله ويمكن ان تكون هذه الشبهة عند هؤلاء توجب لهم امتناع البعثة
لمناقضتها للحكمة والجواب ان هذا مبني على التحسين العقلي وهو باطل وقد خلق الله
تعالى العبد وهو يعلم انه يكذبه فكما لا يناقض هذا الحكمة لا يناقضها ارساله مع العلم بالتكذيب
ومنهم من قال ان الرسل اتوا بامور تستنكرها العقول وتشمئز منها النفوس علمنا انهم
غير صادقين وان ذلك من عند الله وذلك كالايلام الدواب بالذبح وكايجاب السعي الى بعض البقاع
الخاصة والطواف عليها مع تساوي البقاع كلها وكالخروج عن الهيئة الرجالية مستنكرة
كالانحناء والركوع والسجود الى غير هذا والجواب ان هذا ايضا تحسين وتقبيح بالعقل
بل بمجرد الوهم والله فاعل مختار وقد علمنا ان الله تعالى يبتلي العبد بالالام وبآفات عظيمة فيفقره
ويعميه ويعوره ويشله ويجوعه ويعريه ويسلبه عقله حتى يفعل افعالا شنيعة ويظهر
هيئات شنيعة فلم لا يجوزون في احكامه ما يجوزون في افعاله **قال الشيخ تقي الدين**
المقترح رحمه الله تعالى وهذا اعني استبشاعهم لهيئة الركوع والسجود مما لا يستحق ان يجاب
عنه فانهم في تعظيمهم ملوكهم يتعارفون الانحناء في الخدمة وتمريغ الوجوه على الارض تواضعا
للملوك فكيف يستنكرون مثل ذلك من العبد لرب السموات والارض انتهى وهو واضح والذي
حصر عندي في معظم هذا الباب هو ما في الامور المعتبرة من ظهور العبودية وهو العابد

العظمى في التكاليف على ما شرحنا ذلك قبل في افعال الحج وغيرها ومن هؤلاء من زعم ان نبيا واحدا
يكفي وقد ذكرهم في القسم الاول ومنهم من ظهر انكار البعثة من افواههم وافعالهم كاهل الخلاعة
المصرين على عدم المبالاة بالشرايع وعدم اعتبار التكاليف قال الشيخ سعد الدين
رحمه الله تعالى وهؤلاء احاد او باشر من الطوايف لا طايفة معينة تكون لها ملة ونحلة انتهى
والرد على هؤلاء باثبات البعثة بالمعجزات واضح وحاصله دائر بين انكار الوقوع وانكار الامكان
ولا عبرة بهم على حال واعلم ان كل منكر للنبوة على الاطلاق ومنكر لنبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم خصوصا لان نفي العام ملزوم لنفي الاخص واذا اثبتت نبوة نبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم تسليما وعلم انه رسول الله حقا كان ذلك دليلا على صحة النبوة والرسالة مطلقا
وعلى وجودهما لان الاخص ملزوم للاعم ولان الوقوع دليل الجواز فكان ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم
الرد على طوايف المنكرين كلهم ولهذا لما ذكر في المواقف في المقصد الثالث من الموقف السادس
امكان البعثة قال وجعلناه في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الدال على الامكان دال على
الوقوع بلا اشتباه انتهى وهكذا قال الامدي في لباب الاربعين بعد ان فرغ من نفي دعاوى المنكرين
قال واعلم ان الدال على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دال على صحة اصل النبوة انتهى وسنقيم
الدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان شاء الله تعالى بابين واشهر من الشمس
وتزاح به كل لبس واما الموجبون للبعثة فهم المعتزلة فالواجب على الله تعالى ارسال المعتزلة
الرسل لانه من اللطف المقرب وهو واجب وذكر في المواقف ان بعض المعتزلة فصل فقال اذا علم
الله من امة انهم يؤمنون وجب عليه ارسال النبي اليهم وان علم انهم لا يؤمنون لم يجب ولكن يحسن قطعا
للعذر وقال ابو هاشم الجبائي يمتنع خلو البعثة عن تعريفات شرعيات لا يستقل العقل بها
اذ لا فائدة في الخالية عن ذلك وجوزها ابو علي الجبائي لتقرير الواجبات العقلية وجوزوها
لتقرير شريعة تقدمت وقال بعضهم انما يجوز ذلك اذا اندرست وهذا ما قال ابو بكر بن العربي رحمه
الله تعالى في كتابه المتوسط قال اهل الحق يجوز ان يكون في الرسالة التنبيه على ما ثبت
في العقول وذكر ما يكون معلوما منها من غير ايجاب ولا حظر ولا تغيير حكم ولا الزام نظر في معجزة
فان قيل فاي فائدة في ارسال مثل هذا قلنا لا فائدة اعظم مما قدمنا في الفصل قبله
من وقوع المراد ولا يستنكر قيام الرسالة بوجه المعجزة على صدق هذا الرسل من غير اقتران حكم بها

فانه

فاقت الأدلة العقلية على المدلولات من غير افتقار حكم وتجويز أن يكون وجه الرسالة تأكيد شريعة
سابقة من غير زيادة حكم عليها وقد تقدم وقالت طائفة من الفرقة لو اندرست الشريعة وشغل
الزمان عن قيام بحفظ أركانها وإحياء سننها يجوز انبعاث نبي لإحيائها وأما مع قيام أحكامها وظهور
معالمها فلا قال وهذا مبني على الصلاح والأصلح والقول بالتولد وقد سبق بطلان كل ذلك انتهى
وعلى ذلك فالمعتزلة من جملة المقرين للبعثة إلا أنهم بين إيجابها وإنكارها عملا بالأصلح وتحكيم
من العقول وتحكيم الظنون نسأل الله تعالى العافية منه والرد عليهم في الأمرين معا هو ما
مر من أن الله تعالى فاعل مختار لما يشاء فعله ولا مانع لما يشاء فعله لا يتعاصى عليه ممكن ولا يلجأ إلى أمر
ولا يجب عليه حق وإنما تفضل به من عنده ولا حسن ولا قبح إلا ما حكم تعالى بحسنه أو قبحه تبارك
الذي بيده ملك السموات والأرض وإليه ترجعون ومنهم الفلاسفة قالوا البعثة لازمة عقلا
لأن النظام الأكمل لا يتم إلا بانبعاث نبي يضع قوانين العدل على العموم من احتياج الناس إلى ذلك
في التعامل وأسباب المعاش فعندهم أن الفلاسفة كما ترى يوجبون البعثة وقد عدوا من المقرين
لها ولا تناقض في ذلك لأن الذي ذكره خلاف الذي ذكروه على ما هم بيانه من أن النبوءة على ما نقول
به غير ما تصح عندهم ولا تتصور لنفيهم الاختيار وعدم العلم بالجزئيات وعدم الملائكة وغير ذلك 381
فهي منتفية عندهم قطعا والنبوءة التي يقولون بلزومها بمقتضى الحكمة إنما هي معنى اجتمع في
النبي كما هو في الإنسان الثلاث أعني الإنسانية والحيوانية والحركة وعند ذلك يكون من أمر
شرحه من الاطلاع على المغيبات وسماع كلام من أشباح تخيل وانفعال العنصر بأن يظهر
الخوارق وقد تقدم الكلام في هذا بما أغنى عن إعادته

المسألة الخامسة

في بيان حقيقة المعجزة الدالة على صحة البعثة الشاهدة بصدق المبعوث اعلم أن المعجزة في اللغة مشتقة
من العجز الذي هو ضد القدرة تقول عجز ولا يعجز وعجز فهو عاجز وأعجزه الله تعالى فالله معجز له وإذا
قلت أعجزته ولا تأمله في اللغة الثلاثة معان أولها صيرته عاجزا وهذا المعنى مخصوص بالله تعالى
ولا يكون في غيره إلا مجازا الثاني بمعنى فاتني ولم يدركني قال تعالى وما أنتم بمعجزين في الأرض أي لا تفوتونه
تبارك وتعالى الثالث وجدته عاجزا كما تقول أبخلته وأجبنته إذا وجدته بخيلا وجبانا
إذا علمت هذا فوصف الآية الدالة على الصدق بكونها معجزة مجاز لأن المعجز هو الله تعالى وهي
مظهرة للعجز فسميت معجزة مجازا وهذا على ما اشتهر عند المتكلمين من أن المراد هنا بالعجز عجز

Copyright © King

المتحدي عن المعارضة ولاتيان بالمثل ولو حمل على معنى الفوات وعدم الادراك لكانت معجزة
حقيقة بمعنى انها فاتت الخلق ولم ينالوها ولم يقدروا على الاتيان بها كما تقول نعت الصير
حتى اعجزني ثم المعجز هنا ايضا على راي الشيخ ابي الحسن رحمه الله مجاز والمراد عدم القدرة كان
العجز عنده انما يتعلق بالموجود فالزمن عنده مثلا انما هو عاجز عن قعوده الحاصل له اي لا اختيار
فيه لا عن القيام الذي يحصل ولكن الناس لم يعجزوا عن المعارضة اذ لم تحصل وانما اطلق عليهم العجز
على معنى عدم القدرة على المعارضة مجازا ففي المعجزة عنده تجوزان مجاز الاسناد ومجاز الافراد
ومذهب غيره خلاف هذا لو قدم ذكره ثم المعجزة ان اعتبرت وصفا للاية او القرينة او نحو ذلك فالهاء
للتانيث على الاصل وان اعتبرت وصفا للخارق او للفعل او نحو ذلك فالهاء للمبالغة كعلامة وراوية
او للنقل من الوصفية الى الاسمية كما قيل في لفظ حقيقة و حقيقة المعجزة بعرف الشرع عند
الشيخ فعل الله تعالى او ما يقوم مقامه خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة وانما صرت
بالفعل او ما يقوم مقامه لان غير ذلك لا يتحدى به فانه اما واجب او مستحيل اما الواجب فلا
يصح التحدي به لانه موجود قبل التحدي فيستوي فيه الصادق والكاذب فليس له ان يقول اية صدقي
ان الله عالم قادر واما المستحيل فان تحدى بعدمه فهو من الواجب وان تحدى بوجوده فهو كاذب
اذ لا يوجد ابدا فلا يصح التحدي الا بالممكن فعلا او تركا وهو المراد في الفعل كشق القمر ونبع الماء
وتلو النجم ونحو ذلك والترك وهو ما يقوم مقام الفعل كان يقول المدعي اية صدقي ان لا يقدر
احد من مكانه فاذا لم يقدروا مع توفر الدواعي وسلامة البنية كان معجزة قال تعالى ءايتك
الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا فمنعه من الكلام مع وجود الاستطاعة معجزة وقال تعالى لنبينا
صلى الله عليه وسلم والله يعصمك من الناس فمنع الناس من اذايته مع كثرتهم وقوتهم وتوفر
دواعيهم اية عظيمة ومن يرى القدرة متعلقة بالايجاد والاعدام اقتصر على ذكر الفعل لشموله
جميع ما ذكرناه وذلك بان يكون المعجز عدم القيام مثلا هو القعود المستمر فان هذا
فيما نحن فيه كما لو قال اية صدقي ان يعدم الله هذا الجبل فليس هنا الا عدم استمرار الوجود وهو
قائم مقام الفعل او الاعدام عند من يعتبره واما قيل خارق للعادة تحرزا عن المعتاد كان
يقول اية صدقي ان ينزل المطر غدا او تطلع الشمس فانه يستوي فيه الصادق والكاذب وان كان
بعض المعتاد ربما يقع الصدق لندوره كالمطر او الخصب او موت احد مخصوص او نحو ذلك لكن

ما يفيد القطع نعم ربما يفيده بأمور يعينها كأن يقول اين الخطيب في ساعة كذا او يقع في ساعة كذا
في بقعة كذا خصوصا او على صفة كذا ونحو هذا ثم يصدق جميع ذلك فالعلم يحصل بهذه القضية والمعتبر
ما يحصل به العلم واما قبل معجزة ولا تتقدم اليه الدعوى بان يدعي الرسالة ويقول اية صدقي كذا
لما عدا ان عهد وقع ذلك دون تحد اصلا او تحدى به الا انه لم يقترن بالتحدي اما لكونه تقدم او تأخر اما ما لم
يتحد به اصلا فلا يسمى معجزة ولكنه ان كان من وقع على يديه صالحا فيسمى اية ان كان زمان النبوة كرامة
وعلما من اعلامها وان كان قبل البعثة سمي ارهاصا وستبين الوجوه انما فصاعا واما ما وقع
قبل التحدي ثم تحدى به فلا وقوعه فلا عبرة به اذ لا يستوي هذا الصادق والكاذب نعم ذكر الامام مسئلة
من هذا وهو ما لو قال النبي اية صدقي ان يتكلم الله هذا الحجر والمعجل الكاين او يكون ذلك
الحجر وقد عهدناه فارغا وهو بين ايدينا مدة علمناه فارغا فلما قال تلك المقالة
فحصناه فوجدنا فيه كاينا انما قال فهذا يفيد العلم بصدقه مع جواز ان يكون الكاين قد خلق في الحجر
قبل تحديه به ووجه ان العلم انما حصل من اخباره بالغيب وصدقه وهو مقارن للتحدي امر حدوث الكاين
فانه لو كان قبل ذلك وهو لم يدر واخبر به فهو معجزة كما قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية واما المتأخر عن التحدي فان كان بزمان يسير يعهد مثله فلا
باس وان كان بزمان كثير فقد اختلف فيه العلماء فاذا قال اية صدقي ان يظهر كذا في زمان كذا الزمان
عينه او يقول بعد موتي فمن يشترط المقارنة يقول المعجزة لا اخبار بذلك لا التحدي به ومن لا يشترط
المقارنة فلا اشكال عنده وعلى كل حال صدقه لا يتبين في الحال بل بعد وقوع ذلك اما في حياته
او بعد موته فان الزم التكاليف الان بما يظهر قبل ظهوره لم يصح ذلك الا انه احتمال وان بين
بعثته وجعل التزامها موقوفا على ظهور المعجزة فهذا ايضا لا يصح عند القاضي وهو قول
القدرية وذهب الامام الى صحته واختاره ابن العربي فهذا ان عين الوقت واما ان لم يعين كان
يقول اية صدقي ان ينشق القمر مثلا او يتحرك هذا الجبل ولم يعين لذلك زمانا ثم وقع ذلك
بعد طول من الزمان فقال الامام ابن العربي هذا مما يقع فيه النزاع نصر واقول انه لا يكون
اية لامكان ان يقع ذلك عنه موافقة الا لو قرن ذلك باقترانات وشرطها بشرايط يبعد معها
لا عتياد ان يكون موافقة مثل ان يقول ان يتحرك الجبل الفلاني من حجر كذا الى حجر كذا في حين
كذا او يكون عليه كذا او كذا رجلا ونحو ذلك انتهى وبغير مقارنة التحدي خرج الكرامة والاعانة

Copyright © King

كما يخرج الارهاص في ما سنذكره في هذه الاقسام ان شاء الله تعالى وانما قيل مع عدم المعارضة للاحتراز
عما يعارض كالسحر والشعبذة وانواع التمويهات وهذا على ان المعجز خارق وفي الحواشي انه معتاد لازالة
سببا خفيا لغرابته نادر وخفي على اكثر الناس والمشهور من انواع الخوارق عند العلماء سبعة
الاول ما يكون معجزة وهو المذكور الثاني ما يكون ارهاصا وهو ما يظهر على النبي قبل البعثة
كاظلال الغمام وارتجاج الايوان وخمود النيران وشق الصدر ونحو ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم
وككلام عيسى في المهد على نبينا وعليه الصلاة والسلام وانما يكون ذلك للانبياء تمهيدا
وتاسيسا للنبوءة والارهاص مصدر من قولك ارهصت الحائط اذا جعلت له رهصا بكسر
الراء اي اساسا في الحلو على الرهص وبه يلزم جمع فيقال الارهاصات ويجوز فتح الهمزة فيه على انه
جمع رهص وحينئذ لا يجمع بالالف والتاء. الثالث ما يكون كرامة وهو ما يظهر على يدي عبد
ظاهر الصلاح ليس بنبي في الحال او في المال وبكونه ظاهر الصلاح يخرج ما سياتي من الاهانة
ونحوها وبكونه ليس بنبي في الحال تخرج المعجزة وبكونه ولا في المال تخرج الارهاص وفي هذا
على نحو بوقوع الكرامات للاولياء وهو الحق الذي لا ينبغي ان يشك فيه وهل تنتهي الى مقدار
ما يكون معجزة خلاف والحق ان ما يكون معجزة يجوز ان يكون كرامة والكرامة بالحقيقة معجزة لنبي
ذلك الولي الذي ظهرت على يديه لانها بركة متابعته له بل ولايته نفسها معجزة لنبيه والفرق بين المعجزة
والكرامة ان النبي يتحدى بالمعجزة على كونه رسولا والولي لا يتحدى بذلك ولا يدعي الرسالة
ولا النبوءة ولو ادعى ذلك لم يكن وليا بل دجالا وانما اختلف هل له ان يتحدى بالكرامة على الولاية
ام لا ومن لا يجعل الكرامة تنتهي الى قدر المعجزة فالفرق عنده من الوجهين وبين المعجزة والارهاص
ايضا كذلك لان الارهاص يظهر على من ليس بنبي في الحال بخلاف المعجزة ولان الارهاص لا يكون
معه التحدي وربما ادخل الارهاصات في المعجزات توسعا وتجوزا الرابع ما يكون اعانة وهو
ما يظهر على يد مومن مرحوم لم يبلغ الخصوصية ليتخلص به من محنة لطفا من الله تعالى والفرق بينه
وبين المعجزة ما ذكر في الكرامة الخامس ما يكون اهانة وهو ما يظهر على يد الشقي عكس ما
يريده ومضاده وقد وقع من ذلك لمسيلمة الكذاب كثير روي انه مج في بير عذبة الماء فعاد ماؤها
اجاجا ودعا لاعور ان تصح عينه العوراء فعميت الصحيحة الى غير هذا السادس ما يكون
استدراجا وهو ما يظهر على يد الشقي ليزداد به غرورا وقد كان للمبتدعة والفراعنة قال

تعالى

347

تعالى فهذا مستمر رجعه من حيث لا يعلمون السابع ما يكون ابتلاء وهو ما يظهر على يد من يحصل به فتنة
الخلق واضلالهم كالدجال واعلم ان الفعل المتحدى به للاعجاز شرط بعض الائمة ان يكون
خارجا عن جنس مقدور البشر كاحياء الموتى وشق القمر وجوز الاخرون كونه من جنس المقدور
386 كالطيران في الهواء مثلا بان القدرة عليه بعد كان الاعجاز وليس بمقدور والمراد بعدم المعارضة
المذكور ان لا ياتي احد بمثله اما وقع التحدي به ان كان تحدى بشيء معين وان لم يعين معين كان قال ايتي
صرفا لعجز والله عادته بمعارضته تكون بكل خارق وان لم يماثل ما ظهر على يده على الصحيح ثم
المعارضة القادحة انما هي ممن يطلبها من المكذبين اما الظهور مثل ذلك المعجز على يد نبي اخر او ولي
فلا يضر ثم التحدي يكفي فيه ان يقول آيتي صرف كذا ولا يشترط ان يقول ولا يأتي احد بمثل ذلك لان حالة
تنبي عن ذلك فلا حاجة الى الافصاح واختلفوا في الخارق المتحدى به اذا كذب كان يقول آيتي ان
ان ينطق الله هذا الحجر فينطق بتكذيبه او ان يحيي الله هذا الميت فلما احياه الله تعالى كذبه فقيل
ان ذلك مبطل للتحدي لان المعجزة تصدق وهذه كذبت وقيل لا يضر لان الاعجاز يكون بنطق الحجر مثلا نفسه
وباحياء الميت والتكذيب شيء اخر وقيل ذلك يضر في الحجر لا اختيار له بخلاف الميت فان المعجزة
في احيائه وكلامه بعد ذلك عن اختياره ولعل موته عليه يعني الحديث يموت المرء على ما عاش عليه
ويبعث على ما مات عليه وقيل ان طال زمان حياته لم يضر وان مات لحينه ضر فان اعتبرنا التكذيب
فلا بد من زيادة في التعريف فيزاد اخر فيقال مثلا مع ولا التحدي غير مكذب ولا بد ان تكون المعجزة
موافقة لدعوى المتحدي والا كانت اهانة وان تكون واقعة على يده وبسبب تحديه فان الكاذب
لو تحدى بمعجزة اتت من عاص من الانبياء لم يعتبر ذلك والقيد الاول معلوم من فحوى التعريف لان التحدي
يقتضي ذلك فان معناه طلب الغلبة ولا تكون الغلبة الا بما كان على يده ظاهرا انه بان واضح
دعواه ومن لا يكتفي بهذا الاقتضاء احتاج الى التصريح به في التعريف وفي التصريح بجميع القيود
ما يؤدي الى الطول فلا باس ان يكتفي في تعريف المعجزة برسم مختصر كان يقال مثلا المعجزة الامر
الدال على صدق من ادعى الرسالة بعد دعواه وهذا المفهوم يتحقق بامور ان شئت اعتبرتها اركانا
وان شئت اعتبرتها شروطا كما اعتبرها صاحب المواقف وغيره وزاد بعضهم في القيود ان يكون
387 ذلك في زمان يصح فيه التكليف احترازا من زمان تنخرق فيه العادات ويختل النظام وهو يوم
القيامة وانقراض الدنيا ولا حاجة الى هذا القيد لان الضابط هو حصول العلم كما سبق وليس

Copyright © King

يحصل في ذلك الزمان مع ان الرسالة والنبوءة قد انقطعت اليوم فلا يبقى ما يتميز عنه **المسألة**
السادسة في وجه دلالة المعجزة على صدق الانبياء **اعلم** ان المعجزة ليست من الحقيقة دلالة
ادلة العقول لان العقل ينكر ان يوجد غيرها مرتبط بالتصديق كما يوجد عند قيام الساعة وانما تدل
دلالة ضرورية عادية او وضعية اما معنى العادة فهو ان الله تبارك وتعالى اجرى عادته وطرد
سنته عند خلق المعجزة مجمعة الاركان متوجة الشرائط ان يوجد عندها العلم بصدق الانبياء لمن
شاهدها علما ضروريا لا يشك معه ولا يمتنع ان يحصل العلم لمن غاب عن المجلس بتواتر ذلك اليه
كما هو **ق** واما معنى الوضع فهو ان ظهور المعجزة تنزل منزلة كلام الله تعالى وقوله هذا العبد قد صدق
فيما يبلغه عني **ق** وهذا كما تنزل الاشارة باليد او بالراس مثلا منزلة الكلام والتلفظ بلا او نعم
او غيرهما من الالفاظ وكذلك المعجزة فالاشارة قد تنزلت منزلة الكلام ومعبرة عما يعبر عنه جملة
سواء كان للمشير كلام واستغنى عنه بالاشارة او لم يكن له كالاخرس وكذلك المعجزة فهي
فعل الله تعالى تنزل منزلة الكلام منه تعالى سواء علم ان له كلاما ازليا او لم يعلم فلا يقال ان د
المعجزة لا تدل حتى يعلم الكلام فان هذا وهم باطل **ق** ومما ذكر علماؤنا في هذه المسألة من المثال
المشهور **ق** وهو انه مثلا ولله المثل الاعلى لو ان ملكا من الملوك اتى الناس فاجتمعوا بين يديه
ثم قام انسان ممن حضر فقال يا ايها الناس ان الملك ارسلني اليكم فكذبوا والملك يسمع ثم التفت
الى الملك فقال ايها الملك ان كنت صادقا عنك فافعل كذا كان يقوم ويقعد او يضطجع او غير
ذلك مما علم انه لا يفعله الا وليس من عادته فعله لولا هذا السبب ثم ان الملك فعل ذلك وان كل
من رأى هذا يعلم ان الملك قد صدق ذلك الرجل يصلح في المعنيين اي العادة والوضع لان ذلك
الفعل معبر للتصديق ومنزل منزلة النطق ثم المثال لم يتصور دليلا حتى يرد عليه انه قياس الغائب على
الشاهد بل توضيحا للمسألة وتفهيما للعوام **فان قلت** الملك في المثال مشهود
والله جل اسمه غير مشهود **قلت** بل مشهود بالقلوب فان القطع في المعجزات انما يكون
بعد معرفة وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ومشيئته وان الفعل فعله **المسألة السابعة**
في اثبات بعثة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم **اعلم** ان المقصود في هذا الباب مطلبان
الاول نبوة الانبياء على الاطلاق **والثاني** اثبات نبوة نبينا على الخصوص والواجب في المطلب
الاول الاعتقاد فيه بعقد انا نؤمن بانبياء الله تعالى وانهم موجودون ولا يجب علينا تمييزهم ولا معرفة

اعيانهم

اعيانهم اذ لا يتعلق بذلك غرض الشرع الا من وصل الينا علمه بعينه فيجب الايمان به لتصديق النبي والواجب
في الثاني الاعتقاد والعمل فعلينا ان نؤمن بنبينا صلى الله عليه وسلم ونعمل بما اتى به فلا جرم كان
المطلب الاول يكفي فيه الاجمال على ما ذكرنا فنؤمن بجميع رسل الله عليهم السلام لا نفرق بين احد
من رسله والمطلب الثاني لا يكفي فيه الاجمال بان نقول ان لنا نبيا ونحن مؤمنون به بل لا بد من تعيينه
لنتبع ما جاء به الينا وقد قررنا امكان البعثة في الجملة ثم ذكرنا ايضا انها واقعة في الجملة
ودليل الوقوع المعجزات الواقعة للانبياء كما وقع لنوح ولابراهيم ولموسى وعيسى ونبينا
صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اردنا الان ان نتكلم
على نبينا خصوصا وهو محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في ثلاث مباحث الاول في كونه نبيا اي
مختصا بالوحي من الله تعالى ودليله دليل الرسالة لان ثبوت الاخص يقتضي ثبوت الاعم قطعا
الثاني في كونه رسولا من الله تعالى ودليله ان نقول محمد صلى الله عليه وسلم ادعى الرسالة
وظهرت المعجزة على يديه فهو رسول فينتج من الشكل الاول من ضروب الشكل الاول محمد صلى الله عليه
وسلم رسول الله اما الصغرى فثابتة بالتواتر لان كونه صلى الله عليه وسلم ادعى الرسالة
امر مشهور معلوم ينقله الموافق والمخالف وكذا كونه ظهرت المعجزات على يديه فيكفي
في معجزاته الخاصة العظمى وهي القرآن وهو باق الى اليوم على حاله وسنفسر الجملة من
معجزاته صلى الله عليه وسلم واما الكبرى وهي ان من ادعى انه رسول الله وظهرت المعجزة على
يده صادق فلان المعجزة دالة على صدق الانبياء ووجه دلالتها على ذلك تقدم البحث الثالث
انه صلى الله عليه وسلم رسول الى الناس كافة ودليله هو المعجزة فان المعجزة دالة على صدق
الانبياء في دعواه خاصة او عامة ولا شك ان دعوى نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما
عامة لانه قال بعثت الى الاحمر والاسود وقد قام المعجز على ذلك فهو صادق والمسألة الثامنة
في ذكر جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم على طريق الاجمال اذ لا سبيل الى حصرها واعلم
اولا ان المعجزة في الاصطلاح هي الخارق المقرون به على الوجه السابق ولنبينا صلى الله عليه وسلم
خوارق كثيرة تظاهرت بصدقه منها ما قارنه التحدي وهو المعجزة ومنها ما لم يقارنه التحدي ويقال له الاية
لانه اية اي علامة على صدقه صلى الله عليه وسلم فالاية اعم من المعجزة اصطلاحا لانهم يتوسعون
في هذا الباب فيعدون الايات كلها معجزات لان الثمرة حاصلة في الجميع من غير فرق بين ما وقع التحدي به

Copyright © King

وما يقع به غيرها حصل في زمان البعثة او حصل قبلها لرهاصا مع ان التحقيق ان الكلام عام لكل ما

وقع في زمان البعثة واعلم ايضا ان معجزة واحدة كافية في صدق الرسول لانه به وما زاد على ذلك

انما هو استظهار وتنويه واعلم ايضا انه قد تثبت الرسالة من غير وجود خارق دالا على انه رسول

وذلك الدليل واخبار من تثبت عصمته من الانبياء برسالته فيكفي ذلك اذا تقرر هذا فاعلم

ان نبينا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم معجزات قواطع وايات سواطع تعيي العقول عن

احصائها وتكل الحساب عن استقصائها فقد الف في تعداد بعضها ائمة الدين المئات التي من

باسمه وخص واعتنى الادباء بها نظما ونثرا من مقل ومكثر وقد رأينا ان نرسم فيها كلاما جمليا يكون

ان شاء الله ضابطا لافرادها من غير تصد لاستيفاء الجزئيات فنقول ان المعجزات والايات التي

ظهرت شاهدة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اما ان تكون متصلة بذاته الكريمة او منفصلة

عنها والمتصلة اما ان تكون اختيارية او غيرها والاختيارية اما اقوال واما افعال وغير الاختيارية

اما جبلات واما افعال والجبلات اما حسية واما معنوية والمنفصلة اما افعال واما اقوال

والقول اما قول المعصوم او قول غيره والمعصوم يعني به من لا يجوز الكذب في خبره وهو

اما الله تعالى واما غيره كالانبياء والملائكة وغير المعصوم اما الانس واما الجن واما الحيوانات

العجماوات واما الجمادات فجميع ذلك اثنى عشر قسما اما اقواله صلى الله عليه وسلم فكاخباره

بالغيب وذلك على وجهين لانه اما اخبار عن شيء كائن في الوقت لو عن شيء سيكون في المستقبل

الاول كخبره لعمه العباس رضي الله عنه بما دفنه من المال عند ام الفضل وذكره لعمير ما تعاقد

عليه هو وصفوان ومجيئه بالراحلة في العتق وبكاء ذلك بسبب اهلها واخباره بموت جعفر واصحابه

وبموت اصحمة النجاشي وغير ذلك وهو كثير الثاني كاخباره انه يفتح الله خيبر على يد رجل

يحب الله ورسوله وهو علي وكان كذلك واخباره ان كسرى يقتل في يوم كذا فقتل واخباره

ان كنوز كسرى تغنم وان الظعينة تسير من صنعاء الى حضرموت او الى مكة لا تخاف الا الله وان

الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وان عمارا تقتله الفئة الباغية وان ابا ذر

يعيش وحده ويموت وحده واخباره بالخوارج وبقتال علي وانه يخضب هذه من هذه

الى غير هذا مما لا يحصى وكان كل ذلك كما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وكنطقه

بالحكم البالغة التي تعيي الحكماء عن بعضها من غير تعلم ولا ممارسة ولا مطالعة ديوان واتيانه

بالحكم

King Saud University

بالكلم الجوامع في ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا
كما أخبر بذلك عن نفسه صلى الله عليه وسلم وكفصاحته صلى الله عليه وسلم التي ظهرت على كل
فصاحة تعجز البشر وبهرت عقول الصحابة وهم أفصح الناس وكانوا يقولون له في المواطن يا
رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك فيقول صلى الله عليه وسلم وما يمنعني وإنما أنزل القرآن
على لساني لسان عربي مبين وألف الناس في كلماته الجوامع البوالغ التي لم يسبقوا إلى مثلها
ومن هذا الباب الذي أن العظيم أجمعنا على أنه من لفظه صلى الله عليه وسلم وأنه نزل عليه المعنى
فخلقت له العبارة وهو قول في المسألة والمشهور خلافه على ما سيأتي إن شاء الله تعالى ودعاؤه
صلى الله عليه وسلم المستجاب وهذا باب واسع وفي سفر جامع فقد دعا صلى الله عليه وسلم
لأمته أن لا يهلكهم الله بسنة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سواهم ودعا لخادمه أنس بن مالك
أن يكثر الله ماله وولده ولأبي طلحة رضي الله عنه أن يبارك له ولزوجته في ليلتهما ولعبد الرحمن
بن عوف ولعبد الله بن جعفر وعروة بن الجعد بالبركة في الكسب وللمقداد بن عمرو بالبركة في دنانير
أصابها ولعلي رضي الله عنه أن لا يشتكي حرا ولا بردا ولفاطمة رضي الله عنها أن لا تشتكي ألم الجوع
ولمعاوية رضي الله عنه أن يحكم في البلاد ولأن لا يشبع بطنه ولابن عباس رضي الله عنه بالفقه في
الدين فكان كذلك كما دعا به صلى الله عليه وسلم وكذا دعا أن يعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب
أو بأبي الحكم بن هشام فاستجيب له في عمر ودعا لعمرو بن الطفيل أن ينور الله فسطع نور بين
عينيه ثم قال اللهم يكون مثلة فتحول إلى رأس سوطه وقال النابغة الجعدي لا يفضض الله فاك
فما انقضى شعره عاش عشرين ومائة سنة وما سقطت له سن وفي رواية وكان إذا سقطت 391
له سن نبتت أخرى مكانها ودعا لسعد أن يكون مستجاب الدعوة ودعا بالغيث وسقيت البلاد ثم
شكوا إليه انقطاع السبل بالمطر فدعا ورفع ودعا لجرير أن يثبت على الخيل إلى غير هذا مما لا يحصر ودعا
صلى الله عليه وسلم على مضر فقحطوا وعلى عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه
فافترسه الأسد ودعا على الحكم في شيء فما صلى بعد ودعا على صبي قطع عليه الصلاة فأقعد
ودعا على كسرى أن يمزق ملكه فتمزق ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع ولفظته الأرض ودعا
على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عنده صلى الله عليه وسلم أن يكون كذلك فلم يزل
كذلك ودعا على عامر بن الطفيل فمات بغدة كغدة البعير وعلى أبي عامر الراهب فمات غريبا طريدا

وغيرا الرغيف هذا مما يكثر واما افعاله صلى الله عليه وسلم الاختيارية فكم عن ركانة
اقوى اهل زمانه وكرميه الجيش بالحصا واصابت اعينهم جميعا وفي هذه معجزات بحسب عدد الجيش
المصاب ومعجزة امتداد الحصا اليهم وتفرقه عليهم واصابة كل واحد لواحد وغير ذلك وكم به البركة
في الخندق بالعود وصارت كتيبا اصيلا وغير ذلك ومن هذا الباب باعتبار لمسه صلى الله عليه وسلم
براحته الكريمة المصاب فيبرا والطعام فيبارك فيه وغير ذلك واما كونه صلى الله عليه وسلم
يطول من ماشاه ولا يطوله احد فيحتمل انه منه بان جعل له الاختيار في من قامته او فهم قامة غيره
وذلك من اغرب الايات ويحتمل انه من القسم الاخر وهو على كل حال اية عظيمة ومن هذا ايضا مسكه
صلى الله عليه وسلم بيده حجرا ولم كهيئة الراحة وافاله على ثدي حليمة الايمن واعراضه عن الايسر
لشريكه واما الصفات الحسية فالمراد بها ما جبلت عليه ذاته الكريمة من الخلقة الظاهرة المشتملة
على المحاسن الباهرة التي لم يخلو على مثلها غيره واعترف الحكماء انها اعدل الخلق قال ابن العربي
في التدبيرات الالهية حيث تكلم على الفراسة الحكمية اعلم يا اخي وفقنا الله واياك ان الحس
الهيئات واعدل النشئات من ليس بالقصير ولا بالطويل البائن الى اخر كلامه ثم قال هذا قالت الحكماء
اعدل الخلقة واحكمها وبها خلق سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صح له الكمال
ظاهرا وباطنا انتهى واعلم ان النظر في خلقته الكريمة صلى الله عليه وسلم يكون من ثلاثة اوجه
الاول انها رايقة في نفسها وبالغة في جنسها كما هي في كلام التدبيرات انها اعدل واكمل وفي الشمائل
يقول ناعته صلى الله عليه وسلم ما رايت قبله ولا بعده مثله وكما ان الحبشي بعضا حتى كذلك
فانهم بصباحته صلى الله عليه وسلم الثاني انها ملائمة للطباع ومستحسنات العقول اما
عند العامة فلحسنها الظاهر واما عند الحكماء فلذلك مع ما تدل عليه من حسن الاخلاق والكمال
المعنوي وكما جاء صلى الله عليه وسلم بشريعة مطابقة للعقل ومستحسن الطبع ومتممة
لمكارم الاخلاق كذلك ظهر في صورة مستحسنة ملائمة دالة على مكارم الاخلاق الثالث
ان تلك الخلقة الحسنة دالة على الحسن المعنوي ومقتضية لمكارم الاخلاق وان حسن الخلق
دال على حسن الخلق وللحكماء في هذا تفصيل مذكور في الفراسة الحكمية واهل هذا الفن
يستدلون بكل عضو عضو من البدن على صفة ما من الصفات ويحكمون بان اعضاء بدنه الظاهر
المشرف صلى الله عليه وسلم هي احسن الاعضاء واكملها دالة على احسن الاخلاق واكملها

١٤

392
50

[margin note:] ... ويستدل صلى الله عليه وسلم ... حجر ولا كهيئة ... الراحة الخ

King Saud University

١٤٣٦

كما هو في كلام التدبيرات وقد ذكرنا من هذه اللطيفة الدالة لغير أهل هذا العلم ما اتضح منها واستبان
ولذلك أسلم أبو ذر رضي الله عنه عند رؤيته صلى الله عليه وسلم وقال لما رأيت وجهه علمت
أن وجهه ليس بوجه كذاب وقال ابن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر

وأما الجبلة المعنوية فهي ما اتصف به من الأوصاف الكريمة والأخلاق العظيمة كالكرم
والحياء والعفة والحلم والشجاعة والأمانة وغيرها من الأخلاق التي شاهدها من عاصره واشتهرت
عن غيره ووصف بها في الكتب القديمة وفي القرآن منها كثير قال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وهذه
شهادة من الحق قاطعة لكل ريب وموجبة لنهاية الحجر وقد أغلظ الكتابي القول عليه صلى الله
عليه وسلم في تقاضي الدين فلم يزده صلى الله عليه وسلم إلا حلما وقصد بذلك الاختبار على
صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته لأنه بذلك وصف في كتابهم أنه لا يزداد مع الجهل إلا حلما
صلى الله عليه وسلم وأما الأفعال الواقعة في ذاته غير الاختيارية له صلى الله عليه
وسلم فمنها ما لا يعرف سببه كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم على أكثر
الوجهين وككونه يطول من ماشاه ويحتمل ذلك أنه كسبي ومنها ما هو كسبي لغيره كمشق
الملائكة صدره صلى الله عليه وسلم وأما كونه ولد مختونا مسرورا فيحتمل أن يكون من هذا
ويحتمل أن يكون خلقة ومن هذا الباب أصبح دهينا كحيلا صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك
وأما الأفعال المنفصلة عن ذاته صلى الله عليه وسلم فكشق القمر وسجود الشجر ونبع الطعم
وإيناع الثمر وغير ذلك ومن هذا النوع معظم المعجزات والآيات وما يكاد يحصر وأما الأقوال
المنفصلة فمنها قول الله جل اسمه في كتبه المنزلة على أنبيائه وفي القرآن المنزل عليه صلى الله
عليه وسلم تسليما أخبر بذلك في القرآن قوله تبارك وتعالى محمد رسول الله وهذه شهادة واضحة
وقوله تعالى وما محمد إلا رسول وقوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا الآية وقوله تعالى وأرسلناك
للناس رسولا إلى غير ذلك مما يكثر ووقع من ذلك أيضا في الكتب المتقدمة ما فيه الشفاء
والغنية كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبيء الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والإنجيل فهذه شهادة من الله تعالى في كتابه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه
وسلم مذكور في التوراة والإنجيل وقد ذكر علماء أمته صلى الله عليه وسلم ذلك كما أخبر الله به

قف وأما الأفعال إلخ

Copyright © King

تعلمون جميعه ومن ذلك في التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام اني اقيم لبني اسرائيل
من اخوتهم نبيا مثلك اجعل كلامي على لسانه من عصاه انتقمت منه ومعلوم ان هذا النبي الموعود
به لا يكون من بني اسرائيل لان بعضهم حتى يتوهم انه يوشع او غيره بل من اخوتهم واخوتهم انما هم العرب
او الروم ولم يعرف منهم نبي الا ايوب عليه السلام وهو قبل موسى فعلم ان المراد العرب وقد انتقم الله
ممن عصاه من يهود وغيرهم كقريظة والنضير وغيرهم وفي التوراة ايضا جاء الله من طور سيناء
واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وهي مكة باتفاق الناس والمراد بمجيئه واشراقه واستعلانه
مجيء شرعه واشراقه واستعلانه على ايدي الانبياء المنسوبين الى تلك المواضع وهم موسى وعيسى فـ والمراد بمجيئه الخ
ونبينا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وفي التوراة ايضا ان مولده بمكة ومسكنه بطيبة
وامته الحمادون الى غير هذا مما جلب العلماء وهو كثير وفي الانجيل من كلام عيسى عليه السلام
يخاطب الحواريين انا ذاهب عنكم وسيأتيكم البارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول لما يقال
له وهذا هو الذي وصف الله به نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى والبارقليط هو نبينا صلى الله عليه وسلم بلسانهم وقد قال الله تعالى في حق عيسى
مخبرا انه بشر بنبينا صلى الله عليه وسلم على الافصاح واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ومن
ذلك ما ذكر كعب الاحبار انه وجد في الورقتين اللتين ختمهما ابوه والقصة مشهورة في سبب قـ
اسلامه قال فلما استخرجت الورقتين اذا فيهما محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده
بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله على كل
نشز وعلى كل حال وتذلل السنتهم بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناواه يغسلون وجوههم
بالماء ويأتزرون على اوساطهم واناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون
عليها وتراحمهم بينهم تراحم بني الام والاب وهم اول من يدخلون الجنة يوم القيامة من الامم وهم فـ وهم اول من يدخل الجنة.
السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم وهذا غاية البيان والتصريح وذلك كان سبب
اسلام كعب واما كلام الانبياء في هذا المعنى فهو ايضا منه بعض ما تقدم ولا خفاء انهم قد بشروا
به قومهم بل وامروا به وقد روي ان ادم عليه السلام توسل به الى ربه حين زلته مكتوبا

على

على باب الجنة وتحت ساق العرش وروي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال أوحى الله تعالى إلى
موسى عليه السلام في كلام كثير قال فيه يا موسى لا حرج إذ مننت عليك مع كلامي إياك بأماني
بأحمد وقوم تقبل أعمالهم بأحمد ما جاء ورضي في دار أن تبعث في عقب يا موسى جميع المرسلين آمنوا
بأحمد وصدقوه واشتاقوا إليه وكذلك من جاء من المرسلين بعدك انتهى وكفى بهذه الجملة
والأخبار في مثل هذا تضيق عن جمعها الدواوين وأما كلام الملائكة فيكفي فيه كلام الأمين جبريل
عليه السلام وهو الذي زائر وخادم وناصر وأزيد هذا من باب زيادة التأييد وأما سادة الكلام فلا يخفى
كون ذلك ثبت بأخباره صلى الله عليه وسلم أن صدقه صلى الله عليه وسلم ثبت بمعجزات أخر وأما
كلام غير المعصوم فيه كلام الأنس ككلام شق وسطيح وسيف بن ذي يزن وتبع وغيرهم وقصصهم
في ذلك مشهورة فلا نطيل بها ثم منهم من استند في ذلك إلى الأحبار أو إلى من استند إليهم ومنهم من
استند إلى الكتب القديمة وأما كلام الجن فكثير كرئي سواد بن قارب وخنافر وخطر وصاحب
ضمار العباس بن مرداس وغيرهم ووقائعهم مشهورة أيضا والجن منهم من استند إلى الملائكة
في استراق السمع ومنهم من استند إلى الأنبياء في جمع الأمم كلما أتى كلام الأنبياء وكلام الملائكة
عن الله تعالى وهو حق وأما كلام العجماوات والجمادات فكثير أيضا ككلام الضب وكلام
الذيب وكلام الجمل وكلام الحمار وغير ذلك وقصصها مشهورة أيضا وككلام الذراع وتسبيح
الطعام والحصا وتسليم الحجر وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت حيث دعا صلى الله
عليه وسلم بآله وقول ثبير اهبط يا رسول الله عني فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله
وقول حراء ادعن لك يا رسول الله على التي غير هذا مما يكثر وكلا هذين النوعين أعني
نطق العجماوات ونطق الجمادات دال على الصدق سواء وقع فيه التصريح بالشهادة بالرسالة
أو بأنه خارق وقع على يديه كوقوع الانشقاق والقمر وإقبال الشجر تسعى ونحو ذلك غير أن من
ذلك ما وقع التصريح فيه صريحا ومنه ما لم يقع فيه إلا بلسان الحال وبليغ هذا المحل ما كان من
نطق العجماوات بلسان الحال وهو أيضا من قسم الأفعال الآتي ذكره وذلك كسجود الغنم
له صلى الله عليه وسلم حيث دخل حائط الأنصار فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
نحن أحق بالسجود لك منها فلا تسجد لها في معنى التحية وكالجمل فإنه كان في الحائط صعب
لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه فلما دخل صلى الله عليه وسلم وضع مشفره بالأرض وبرك

قف وأما كلام العجماوات
ا ح

بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله وكحديث الاسد
بسفينة رضي الله عنه حيث ذكر له اني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهمهم وتنحى عن
الطريق وفي رواية فكان يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق الى غير هذا مما يكثر ذكره والدواوين
مشحونة به فهذه اثنا عشر قسما كل قسم يحتوي على الوف من المعجزات والآيات لا تكاد تنحصر ولو
بسطناها لم يسعها الا ديوان مفرد وفيما ذكرناه كفاية في الغرض من هذا الموضوع والله الموفق
والمعين **المسألة التاسعة** في اعجاز القرآن ولا شك انه داخل في جملة ما مر من انواع المعجزات
غير انا خصصناه بالذكر لانه معجزته الخاصة به صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك انه جرت سنة
الله تعالى بان يبعث كل نبي بالمعجزة من جنس ما غلب على اهل زمانه ليكون عجزهم عن معارضتها اوضح
في الدلالة على الصدق فكان موسى عليه السلام غلب على اهل زمانه علم السحر وقلب الاعيان
فجعل الله له اليد بيضاء والعصا ثعبانا والمسيح عليه السلام غلب على اهل زمانه علم الطب
فجعله الله يبرئ الاكمه والابرص ونبينا صلى الله عليه وسلم غلب على اهل زمانه الفصاحة
والبراعة فجاءه الله بالقرآن البالغ اعلى درجات الفصاحة فكان معجزته الخاصة التي تحدى بها
العرب فعجزوا عن ان يعارضوه ومن اختلف الائمة في وجه عجزهم عنه بعد الاتفاق على انهم عجزوا فقيل
من بلاغته وفصاحته وقيل من نظمه الغريب الخارج عما عليه العرب في خطبها ورسائلها واشعارها
وقيل من اشتماله على دقائق العلوم وحقائق الحكم والمصالح وقيل من اخباره بالمغيبات
وقيل من سلامته عن الاختلاف والتناقض قال الصحيح الاول وهو مذهب المحققين من العلماء ان
البلاغة هي وشي العرب وحرفتهم التي بها يتبارون وفي ميدانها يتجارون فيها يحسن التحدي ويطلب
الاعجاز كما هو وجه اعجاز القرآن هو كونه في الطبقة العليا من البلاغة والنهاية القصوى
من الفصاحة على ما يعرفه العرب ويعترفون به بمقتضى السليقة ويعرفه غيرهم ممن تسنى له
اخبارهم وتفقه في محاسن الاشعار وتمرن في تلك الحقائق وتعرف ما لها من طرائق والجمهور
ان ذلك خارج عن طوق العرب كما خرج انقلاب اليد بيضاء والعصا ثعبانا عن تلك الحالة
عن طوق السحرة في عهد موسى عليه السلام وخرج ابراء الاكمه والابرص من غير معالجة
عن طوق الاطباء في عهد عيسى عليه السلام وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى من
الشيعة الى ان الاعجاز كان بالصرفة بمعنى ان العرب صرفوا عن معارضته مع قدرتهم عليها

اما

Saud University

اما سلب قدرتهم او سلب دواعيهم او سلب العلوم التي لابد منها في الاتيان بمثل القرءان يعني انها لم تكن
حاصلة اولا ثم كانت حاصلة فازالها الله واعترض هذا القول اعني القول بالصرفة بان العرب انما كانوا
يتعجبون من حسن نظمه وحلاوته ورقته وفصاحته ويدهشهم عند سماع نحو وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي لعلوه عن افهامهم وبعده عن اتيانهم لا لعدم تلك المعارضة مع سهولتها وبان
الاعجاز لو قصد بالصرفة لكان لا ينبغي ترك المبالغة في البلاغة لانه كلما كان انزل في البلاغة واضعف
في باب الفصاحة وادنى الى الركاكة كان العجز عنه ابلغ في خرق العادة وادل على الصدق واعلم
ان القرءان مع كونه معجزا بالبلاغة فكما ذكرنا ايضا من اشتماله على الحكم والمصالح والاخبار
بالمغيبات وغير ذلك فهو اية عظيمة فالقرءان معجز من جهات شتى وان كانت البلاغة هي الوجه
الاخص وقد ذكر ابن سينا ان العرب لما كانت علومها ثلاثة الاول الفصاحة الثاني الكهانة والعيافة
الثالث القصص والاخبار جاء القرءان العظيم بما بهر هذه الثلاثة فاشتمل على الفصاحة التي
خرجت عن طوق المصاقع اللسن فاصبحوا عندها كالعاجز الابكم واشتمل على الاخبار عن
المغيبات وما يجيء من شيء فانما جاء كفلق الصبح واشتمل على القصص والاخبار الصحيحة الرافعة
لالتزامات الاعراب ورد خرافاتها التي يفترونها تقربا في اسمارها والبحث في هذه المسئلة يطول
بنا وفيما ذكرناه كفاية. المسئلة العاشرة فيما يجب للانبياء من العصمة اعلم ان الانبياء
معصومون كلهم ومعنى العصمة ان الله تعالى لا يخلق لهم القدرة على المعصية اصلا فلا تقع
منهم مخالفة في قول ولا فعل ولا اعتقاد اما الكذب في الوحي فمنفي عنهم عقلا بدلالة المعجزة الدالة
على صدقهم واما غير ذلك من المخالفات فمنفي عنهم بالاجماع ولانهم لو صدرت منهم مخالفة لتبعوا فيها
فتكون للتابع طاعة وللمتبوع اتيانها مخالفة وهذا خلف ولهذا ذهب المحققون الى انه لا يجوز
عليهم الصغائر كما لا يجوز عليهم الكبائر لا عمدا ولا سهوا الذام ووكل ما نسب الى الانبياء مما
يوهم ذلك مؤول وهذا كله مذهب اهل السنة خلافا لاهل الاهواء وقد علم من وجوب العصمة
لهم انهم لا يصدر منهم كذب ولا تبديل الشرائع ولا كتمان لشيء مما امروا بتبليغه ولا تبليغ شيء
مما نهوا عن تبليغه لان ذلك كله محرم فهو معصية واذا علم هذا في حق الانبياء جملة علم
ثبوته في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الانبياء فهو صلى الله عليه وسلم يستحيل
عليه الكذب ويستحيل عليه ان يكتم شيئا مما امر بتبليغه وان يقر احدا على منكر لان السكوت

على منكر رضى به ويستحيل عليه ان يقع منه شيء من المخالفات اصلا وفي الاشتغال بهذه المسئلة
ما يطيل ايضا فلنكتف بهذا القدر وقد بقي من مسائل النبوءات الكلام في السمعيات فان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا علم صدقه بتصديق الله له بالمعجزات كان من علم ان كل ما اخبر به فهو حق لاستحالة
الكذب عليه صلى الله عليه وسلم وينقسم ذلك قسمين الاول ما يعلم صدقه بالعقل ايضا كما
لو اخبر بوجود الله تعالى وكونه عالما قادرا ونحو ذلك وبكونه تعالى قادرا ان ينعم على عباده وان
يعذبهم وان يعيدهم كما ابداهم وان ذلك ونحوه جائز لا يتعاصى على قدرته سبحانه وتعالى ان اراد ان
يفعله فلا شك ان هذا القسم يصدق فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى المعجزة فقط وقد
شهدت له البراهين النظرية فقد تطابق فيه العقل والنقل ومن هذا القسم ما تتوقف المعجزة على
حصوله للناظر فيها كوجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحياته فلا بد من النظر العقلي فيه وحيث
ثبت عند الناظر ثم ثبت صدق الرسول فما اخبر بذلك فلا اشكال في تصديقه لانه قد اخبر بما علم كونه حقا
مصدوقا و القسم الثاني ما لا يعرف الا من قبل الرسول لكونه لا مجال للعقل فيه فيجب تصديقه
ايضا فيه لدلالة المعجزة على صدقه في كل الاخبار وذلك مثل وقوع شيء من الجائز المذكور في القسم
الاول كوقوع فتنة القبر وقيام الساعة وبعث الناس من القبور وحشرهم والعرض والميزان
والصراط والحوض والجنة والنار والشفاعة فان هذه الامور ونحوها لا مجال للعقل في اثباتها
فان منتهى النظر فيها جواز الوقوع كما مر في القسم الاول اما تعين الوقوع ومعرفة اعيانها
وتفاصيلها فلا يعرف الا من السمع وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك يعبر عن هذا النوع
بالسمعيات والكلام فيها طويل الذيل وقد نذكر ان شاء الله تعالى بعض ذلك في جامعة تكون خاتمة
لهذا المجموع مشتملة على فوائد هي تكملة لهذا الموضوع

خاتمة

وفيها مطلبان الاول اعلم ان اركان الدين ثلاثة الايمان والاسلام والاحسان علما وقع تفسيرها في
حديث جبريل عليه السلام وتقدم ذكر الايمان والاسلام في اول النصف الاول من الكتاب ولا بد ها هنا
من استيفاء ما بقي من الكلام عليها على وجه الايجاز والاقتصار على المهم دون التعرض لكثير من المباحث
المذكورة في المطولات فنقول اما الايمان فهو في اللغة التصديق كما مر واما في الشرع فهو تصديق
خاص عند جمهور المحققين والمراد به التصديق بما علم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به ضرورة
اجمالا فيما يكتفى فيه الاجمال وتفصيلا فيما يطلب فيه التفصيل بمعنى انه لا بد من التصديق بان كل
ما

المطلب

... الايمان ... سلام الخ

اما

ما جاء به الرسول على الجملة هو ومن انكر هذا فهو كافر ومنه وقع الخوض في جزئية بعينها مما
جاء به الرسول فكابر من التصريح بها بعينها ايضا ومن انكرها فهو كافر ان كانت مما علم مجيء الرسول
به ضرورة وان كانت غير مقطوع بها او كانت في محل الاجتهاد واختلاف التاويل فلا يحكم منكرها
واعترض هذا التعريف بان المستخف بالشريعة والملقي المصحف في القذر والمتزيي بزي الكفار
كشد الزنار ونحو ذلك اختيارا كافر اتفاقا وان كان مصدقا للرسول في كل ما جاء به فيبطل عكس التعريف
وان جعلت هذه الامور علامة للتكذيب لكونها منافية للتصديق وجب ان تكون المعاصي كلها كذلك
فيكون اهلها كفارا او بان صاحب التاويل في الاصول لا بد ان يجعل من المكذبين فيلزم تكفير اهل القبلة
من اهل الاهواء ومن اهل الحق فيما يختلفون فيه من الاصول لان كلا يجعل مكذبا فلزم ان يعذر كل متاول
فلا يكفر من قال بقدم العالم وبعدم حشر الاجساد وبعدم علم البارئ تعالى بالجزئيات ونحو ذلك مما
هو كفر باتفاق واجيب عن الاول بانه بعد تسليم وجود ضد التصديق المعتبر في الايمان
مع وجود ارتكاب الامور التي هي كفر بالاتفاق يجوز ان يجعل الشارع بعض المحظورات علامة
على التكذيب فيحكم بكفر مرتكبها كالاستهزاء بالشريعة وشد الزنار وبعضها غير علامة كالزنى
وشرب الخمر ومن المحظورات ما يكون بعض ذلك متفقا على انه من اعلام التكفير وبعضه مختلفا فيه
فيختلف في التكفير بحسبه وتفصيل ذلك موكول الى كتب الاحكام وعن الثاني بانه كذلك
ايضا التاويل يختلف فرب نص يعلم انه مراد به ظاهره عند الشارع قطعا فتاويله تكذيب
ورب نص لا يكون كذلك فلا يكون تاويله تكذيبا ورب نص يختلف فيه ولهذا اختلف العلماء في
اهل التاويل من اهل الاهواء والذي عليه المحققون من اعلام الائمة ترك القول بتكفير المتاولين
من اهل القبلة تحاديا عن ركوب الخطر بالحكم على الناس بامر عظيم بغير برهان نير ولان جميعهم قد
شهدوا شهادة الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها الحديث فالعصمة متيقنة والخروج عنها
مشكوك فيه حتى قال القاضي ابو بكر الباقلاني رضي الله عنه على ما حكي عنه القول عندنا
ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده وربما قال هو الجحود بالله والايمان بالله هو العلم بوجوده ولا
يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع
المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر لا لمكان قوله او فعله

Copyright © King

لا كل ما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا بأحد ثلاثة امور **أحدها** الجهل بالله تعالى **والثاني**
ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنانير وزي اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل
لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله هما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
انتهى **قلت** ولعل ان شاء الله تعالى هو مذهب هؤلاء الائمة الاربعة رضوان الله عليهم ولعمري ان
الاحتياط في مثل هذا الامر هو الاهم فقد ورد النهي وبالغ في الاعلان **و**في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله **و**في صحيح البخاري ايضا عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما **و**فيه ايضا
عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل قال لاخيه كافر فقد باء
به احدهما **و**قد حمله البخاري رضي الله عنه على ظاهره من ان القائل يكفر اذا لم يصدق **و**قد تمسك
الامام المازري رضي الله عنه في هذا المطلب وهو اختيار انه لا يكفر احد من اهل القبلة بانه لو توقف
صحة الايمان على اعتقاد الحق في تلك الاصول لكان النبي ومن بعده يطالبون بها من امن ويفتشون عن
عقائدهم فيها وينبهونهم على ما هو الحق منها واللازم منتف قطعا **قال سعد الدين** التفتازاني
رحمه الله ولقائل ان يجيب عن تمسك الامام بمنع الملازمة بان التصديق بما جاء به النبي اجمالا كاف
في صحة الايمان وانما يحتاج الى بيان الحق في التفاصيل عند ملاحظتها وان كانت مما لا خلاف في تكفير
المخالف فيها كحدوث العالم فكم من مؤمن لم يعلم معنى الحدوث والحادث والقديم اصلا ولم يخطر بباله
حديث حشر الاجساد قطعا لكن اذا لاحظ ذلك فلو لم يصدق كان كافرا انتهى **قلت** وفي
اعتراض السعد بحث وهو ان يقال المذكور الاسلام والتصديق الاجمالي بالنطق بالشهادتين كافيا
انما هو لكونه امارة على الايمان المقبول ولا يكون امارة الا مع الجهل بما وراءه او العلم بوجود المطلوب
من الايمان اي كثير من اسلم اذ ذاك قد علم من حاله علما يقينيا او ظنا قريبا من اليقين انه غير عارف
بكثير من تلك التفاصيل المذكورة في علم العقائد واذا لم يعرفها لم يعتقد الحق فيها الا اعتقاد مع
التصور ولو كان الايمان موقوفا على اعتقاد الحق في هذه الجزئيات لكان من الواجب على النبي صلى
الله عليه وسلم او من بعده تنبيه من علم من الناس بل ومن شك فيه ايضا ان الاصل عدم الاعتقاد
وعدم المعرفة فان الجهل اصل الانسان ولا يجوز ان يقال يترك كما ترك المنافقون مع العلم بكفرهم

الباطن

...ف تعد الكفر
...له الخ

بان التصديق
...ما جاء به النبي الخ

ح
من حاله هذا

الباطن ان الجنة وفيهم معاذرون ولا معنى لتعليمهم وايمانهم يفضلوا اذ ذاك للمصطفى الذي اشار اليها صلى
الله عليه وسلم حيث قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه بخلاف غيرهم ممن لم يعاشر بل جاء
مسلما لطالب الدين من بين الشيخ حصنا شرا الى الحق وبالواجب تعليمه والنصيحة له كما يعلم الفرايض
من صلاة وما يتعلق به من الطهارة وغير ذلك فالايمان الذي هو الاساس اولى واحق لدينه ولا عبادة ولا نجاة
دونه ان يعتنى بتعليمه وتعليم ما لا يتم الا به وحيث لم يعلموهم ذلك علم انه لم يرد اخلاء الايمان
ولا الايمان موقوفا عليه وهو المطلوب وجواب بان تكفير اهل التاويل عند من كفرهم انما هو لما وقع
لهم في هذه الجزئيات من النزاع والانكار وهؤلاء الذين اسلموا واكتفى منهم بالتصديق اجمالا لم
يعلم ان احدا منهم وقع له نزاع في جزئية من تلك التفاصيل وغاية ما يقع لهم الجهل بها وليس
الجاهل كالمنكر وهذا هو المفهوم من كلام الاشعري اولا وهو صريح كلامه اخرا وكان هذا الامر
لا نزاع فيه ولذلك صح له ان يعتذر به على الامام وكذلك ذكر هو وغيره في تعريف الايمان حيث
قالوا التصديق اجمالا فيما يطلب فيه الاجمال وتفصيلا فيما يطلب فيه التفصيل وحاصله
ان الذي لابد منه في ايمان العبد هو ان يصدق بكل ما جاء به الرسول عن الله تعالى ويعتقد انه حق
على العموم ثم كلما بلغته مسئلة من هذا المجموع وجب عليه ان يصدق بها بعينها لانها من جملة
ما صدق به اولا واما ما لم يبلغه ولا عثر عليه منها فلا يكون جهله به قادحا في ايمانه لانه لم ينكره
بل هو داخل في ضمن ما صدق به اجمالا ولا يلزمه ما تصديقه على التعيين الا ما اطلع عليه اللهم
الا ان تتوقف صحة المعجزة عليه من وجود الله تعالى وكونه عالما قادرا حيا مريدا ونحو ذلك
وهذا امر بين واضح وقد نجم في زماننا قوم من اهل سجلماسة حسبوا انفسهم قد تمكنوا في العلم
والمعرفة وهم انما نبغوا في الجهل والجلافة تصدروا بزعمهم لتعليم الناس عقائد التوحيد فجعلوا
يلقون الى العامة الحقائق التي يخوض فيها المتكلمون ويطالبونهم بالمعرفة بالدلائل التي يحار في بعضها
النظار ثم جعلوا يسألون العامة عما يعتقدون فاذا وجدوا واحدا منهم جاهلا ببعض ما يعتقد ن ثم جعلوا يسألون العامة الخ
ظلموه وشنعوا عليه وربما رموه بالكفر وان كان غير منازع ولا منكر ما علم من الدين ضرورة وحكموا
على غيره من العامة بذلك على ضرب من القياس فاشاعوا ان جل العامة كفار او كلهم واشاعوا ان
من لم يعرف التوحيد او من لم يقرا التوحيد فهو كافر ومن لم يعرف معنى لا اله الا الله فهو كافر اتباعا
لما وقع من فتوى علماء بجاية فدخل على العامة من ذلك هول عظيم وصاروا في فــتنهم

Copyright © King

معنى

من يعتقد أن قراءة التوحيد هو درس الكتب المؤلفة فيه على صفة طلبة العلم وأن من لم يحسن ذلك فهو
كافر وإن كان مظهرا للغلبة بالإيمان ملتزم الصبر بالعمل ومنهم من يعتقد أن معرفة معنى لا إله
إلا الله هو أن يفهم معناها من عبارتها بقانون التعبير اللغوي وأن من لم يعرف ذلك فهو كافر وإن كان
يعرف أن الله واحد لا شريك له وأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهم من فهم ذلك فتوهم
أن التوحيد الواجب غير هذا التوحيد المعروف فجعل يقول هل يكفيني أعرف وربما قال لمانع فيه هل هو
صحيح أم لا فيشكك ويكفر عباد الله بعد أن كان مؤمنا وهذه كلها أمور بشيعة شنيعة أدى
إليها اقتحام الأمور بلا بصيرة ثم بنوا على هذا الأصل أحكام الفروع فجعلوا يحكمون بفسخ أنكحة الناس
وبإراقة ذبائحهم لا تؤكل لكونهم كفارا حتى بلغني أن رجلا من جملة من يتشيع لهم ورد على بعض
الأشراف فجيء بالطعام وعليه اللحم وفي المجلس جماعة من خيار الأشراف وأعيانهم فنفروا يأكلون
ودعوا الرجل للأكل فامتنع فقالوا له لم تمتنع فقال إن الطعام الذي فيه هذه الشاة ذكاها أو تعلمه كافرا
لا يعرف التوحيد فقالوا له ما العشيرة نحوها وإنما ذبحها فلان أحد الأشراف فقال وإذا كان أيضا فامتنع
من الأكل وبات طاويا وبلغني أن قوم الرجل المذكور وهم قوم أجلاف يدورون على شيخ هذه الطائفة
المبتكر لهذه الفتنة وقد مات اليوم فعفا الله عنا وعنه إن مات على الإسلام فيحضرون مجلسه
فإذا رجعوا إلى قومهم جعلوا يلقون الأسئلة على من يليهم من العوام فيقولون أين كان الله وأين
هو وأين يفعل وكيف هو الطويل أم القصير ونحو هذا من العبارات البشيعة الشنيعة الموهمة
التجسيم مع ما فيها من الوقاحة وسوء الأدب على الجناب العظيم وعلى هذا النمط كان سؤال هذه
الطائفة للعوام فيما يلقنهم فيقولون للعامة أالله داخل العالم أم خارجه أو متصل به أم
منفصل ونحو ذلك فيتردد ويتزلزل من هاهنا فإذا سمع العامي ذلك منهم ظن أنه ليس فيه إلا
عن الإمام فيرمي به اختاروا حرا منهم ما جاء به فعند ذلك يصيحون عليه ويضللونه أو يكفرونه
وهؤلاء هم الشياطين حقا ولما أن انتهكوا حرمة عوام المسلمين ابتلاهم الله بانتهاك حرمة الخاصة
فوقعوا في العلماء ووضعوا ألسنة القدح على أئمة زمانهم وكل من اشتغل بغلبتهم حتى بلغني
أنهم يختمون مجالسهم ويختمونه بلعن الفقهاء المعروفين بالعلم والدين المتصدرين لإرشاد المسلمين
على منهج السنة وعلى منبر أهل الفضل من علماء الملة وربما بلغنا عنهم أو عمن يشايعهم من
السفهاء أنهم يكفرونهم إما لكونهم رضوا بكفر العامة أو لكونهم لم يكفروا العامة ونحو هذا

المعنى

قف

قف وهؤلاء هم

١٥١

المعنى على منوال الكيفية من الروافض حيث كفروا جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الا من
تقدم علينا رضي الله عنه ثم كفروا عليا حيث لم يتقدم لطلب حقه في التقدم وكما ورد عن الجبائي انه قال ف
الجميع كافر ومن شك في كفرهم فهو كافر ومن شك في من شك في كفرهم فهو كافر نسأل الله العصمة من كل
اتباع الهوى وقد تقدم لنا في اخر المقصد الثاني وفي هذا ما يتعلق بالكلام على هؤلاء ولا يستوفيه
هذا المقدار وانما غرضنا التنبيه فقط ولعلنا ان نفصل في الاجل بعد لذلك تاليفا جامعا دار ارشاد
الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل واذا تصورت معنى الايمان فلا بد من معرفة ما يجب
الايمان به شرعا وهي اشياء مذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الكريم ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره الحديث فهي
ستة اقسام الاول الايمان بالله تعالى ويدخل فيه الايمان بوجوده تعالى متنزها عما لا يليق به
من الحدوث والفناء ومشابهة الحوادث ومتصفا بالصفات الكاملة العليا والاسماء الحسنى
كما تقدم ذكرها في المقصد الاول ومن ذلك كونه واحدا في ملكه وكون الافعال جميعا صنعه وان له
الاقتدار التام والاختيار العام فيجب له على عبيده ما اوجب عليهم ولا يجب عليه لعبيده شيء الا ما
تفضل به عليهم وله ان يثيب المطيع ويعاقب العاصي وله ان يكشف عن ابصار اوليائه فيروه على ما
يليق بجلاله وله ان يبعث الرسل الى عباده ليبلغوهم امره ونهيه ولا حصر ولا قبيح عنده الا ما حسنه
او قبحه الى غير هذا من العقائد الثاني الايمان بالملائكة وهم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم مخلوقون من نور وفي كون النوع الانساني افضل منهم وهو المختار
عند بعضهم او العكس قولان ثالثها الوقف الثالث الايمان بكتب الله تعالى المنزلة على انبيائه
وفي الحديث انها مائة كتاب واربعة كتب وافضلها القرءان العظيم وهل يجوز تفضيل بعض القرءان
على بعض قولان والاول ابين لحديث هو الله تعالى ثلث القرءان وقلب القرءان اية الكرسي وغير ذلك
الرابع الايمان بالرسل وفي حديث ابي ذر قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف وعشرون
الفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا انتهى وفي حديث اخر وخمسة
عشر وهل الرسالة افضل من النبوة وهو المشهور او النبوة افضل قولان وفي تفضيل بعض
الانبياء على بعض قولان الخامس الايمان باليوم الاخير واوله من قيام الموتى وما دون ذلك من
حين الموت فهو البرزخ وهو ملتبس به وللبرزخ زمان ومكان وحال اما البرزخ بحسب الزمان فمن

ف ويدل انه يثيب المطيع ال

8

ف وهو النوع الانساني افضل م

فل

Copyright © King

ما بين موت الانسان وبين ان يبعث للحشر كما ذكرنا ويختلف لكونه بخلاف الناس واطول الناس برزخا
اولهم موتا في الدنيا واقصرهم اخرهم موتا واما بحسب المكان فمن القبر الذي عليه فهو اهل
السعادة ومن القبر الذي يحبس فيه اهل الشقاوة واما بحسب الحال فاما منعمة واما معذبة
بحسب السعادة والشقاوة ويجب الايمان بتوفي الملائكة قبض الارواح على ما اجرى الله تعالى
عادته وبان الارواح تعاد الى اجسادها بعد الموت وان الميت يسال يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما
يشاء وهذا القدر هو الذي لا بد منه لكونه قطعيا واما ما زاد على هذا من الكيفيات ككون الميت
هل يعاد الروح الى جميع جسده او الى بعضه وهل يكون ذلك حيا حقيقة او شبه
النائم وهل يستلزم ذلك اوصاف تجزء اكله ونحو مما تضطرب فيه الانظار وتختلف فيه الاخبار
من لم يصح شيء يجب منه وجب عليه الايمان به ومن لم يصح عنده شيء من ذلك فليؤمن به اجمالا
وليكل ذلك الكيفيات والتفاصيل الى الله تعالى ويجب ايضا الايمان ببعث الاجساد الى الموقف
اما باحيائها بعد العدم المحض واما بجمعها بعد تفرق اجزائها والله على كل شيء قدير ويجب
الايمان بالحشر وهو ان يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد بحيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
والايمان بما يقع فيه من الحساب ووزن الاعمال بميزان محسوس نحن لا نعتبره وبالصراط وهو جسر
على متن جهنم يعبره العابرون ويزل عنه اهل الكفر وفي هذه كيفيات واحوال اختلف فيها
مفصلة في كتب الائمة ينبغي علمها والايمان بجملتها بالعقيدة وبحوض النبي صلى الله عليه وسلم
وهل هو قبل الصراط او بعده او هما حوضان احدهما قبل والاخر بعد خلاف وبشفاعته صلى
الله عليه وسلم وله شفاعات منها الشفاعة الكبرى في الموقف لتعجيل الحساب وهي عامة
ومنها الشفاعة في المجتبين باخراج من يعذب فيه الوعيد من النار وغير ذلك والايمان بالجنة
والنار وانهما مخلوقتان اليوم لدلالة الظواهر الكثيرة على ذلك ورؤية الله تعالى في الدار
الاخرة على ما يليق بجلاله من غير تكييف وبالخلود في الدارين فالمومنون مخلدون في الجنة ومن
دخل النار منهم ابتداء فماله الى الجنة خالدا فيها ولا يخلد المومن في النار ولو كان فاسقا خلافا
للمعتزلة والكفار يخلدون في النار وهذا كله داخل في الايمان باليوم الاخر وادلتها مفصلة في الكتاب
والسنة لا حاجة الى التطويل بها السادس الايمان بالقدر خيره وشره فيعلم ان الكائنات

كلها

هنا كمل داخل
الايمان باليوم الاخر

Saud University

كلها واقعة بقدر الله تعالى وخالق الكل ومن الكل غير انه يتأدب عند التفصيل فيقال انه
تعالى خالق كل شيء وخالق السموات والارض والملك ولا نقدر ان يقال خالق القردة والخنازير
على وجه الادب وان كان الكل بخلقه تعالى وارادته وخالفت المعتزلة في الشرور والقبائح فنسبوها
الى غيره تعالى فقالوا انه تعالى يريد من الكافر الايمان وان لم يقع ولا يريد منه الكفر وان وقع ويريد
من العاصي الطاعة وان لم تقع ولا يريد منه الفسق وان وقع فعندهم ان اكثر ما يقع من العباد خلاف
مراده قال الشيخ سعد الدين رحمه الله تعالى والظاهر انه لا يصح على هذا ان يصرف به من
عباده انتهى ويحكى انه دخل القاضي عبد الجبار منهم دار الصاحب بن عباد فرأى الاستاذ
ابا اسحاق الاسفرايني فقال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور
سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ويروى انه قال له القاضي ايضا ارأيت ان منعني سبيل الهدى
وسلك بي سبيل الردى أحسن الي ام أساء فقال الاستاذ رضي الله عنه ان منعك ما هو
لك فقد أساء وان منعك ما هو له فهو يفعل في ملكه ما يشاء والرد على المعتزلة بالعقل
والنقل اما العقل فما تقرر من وجوب عموم ارادته تعالى للكائنات كما عمت قدرته وبيان ذلك
تقدم في المقصد الاول واما النقل فالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقال تعالى ذو العرش المجيد فعال لما يريد وقال تعالى انا
كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها الى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة واما السنة فحديث الايمان كما مر
تفسيره وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقال صلى الله
عليه وسلم يا ابا هريرة جف القلم بما انت لاق الى غير ذلك واجمع المسلمون قبل ظهور البدع
على ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وتفصيل شبههم وبيان الانفصال عنها لا يفي به هذا
الموضوع واما الاحكام فهو الاستحكام والاتقان لامر الله تعالى على ما هو الكائن في حقيقة
ويكون بخمسة اشياء وهي المذكورة في الحديث شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وهذه مشروحة في
كتب الفروع فلا معنى للتطويل بها هنا واما الاحسان فقد مر في الحديث بانه يرجع الى
المراقبة والاخلاص فقال صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فانه يراك وهذا

نخ ويحكى الخ

نخ حتى العجز والكيس

Copyright © King

اللفظ الكريم يتضمن جميع الصفات المحمودة التي تقدم لنا شرحها ويحتوي على جميع مقامات المعرفة
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها بمنه ويمنه **المطلب الثاني** في فوائد تناسب باب التهليل
فيه **الأولى** قد علم أنه تقدم أن الكلمة المشرفة وهي لا إله إلا الله تتضمن جميع العقائد بدلالة ماهية
نوع اقتضاء وتقدم بيان ذلك فاعلم أن هذه الكلمة المجيدة وهي محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقتضي أيضا جميع النبويات وما يلتحق بها من السمعيات نوع اقتضاء وبيانه أن محمدا صلى
الله عليه وسلم إذا علم أنه رسول علم أنه معصوم بما هو من الشأن ويدخل في ذلك صدقه في أقواله
وتبليغه ما أمر به وامتناع ارتكابه شيئا مما نهي عنه ثم تقول إن عصمته إنما هي لكونه رسولا
لا لذاته ولا لنفسه فيعلم أن كل رسول معصوم كذلك سواء كان بشرا أو ملكا ثم إذا علم أن كونه
رسولا يقتضي أن يكون صادقا فإذا أخبر أن يعلم أنه أخبر بالصدق ومن يتعلق فيعلم أنه صادق في كل ما أخبر
به ومن ذلك الشريعة وما فيها من أمر الموت التي استقر أن الخلود الأبدي على ما أمر ومن ذلك
وجود الأنبياء والرسل والشرائع المتنوعة والكتب السماوية ووجود الملائكة إلى غير ذلك
الثانية هذه الكلمة المجيدة تتضمن وجود الألوهية المفهوم من الكلمة الأولى لكن أن الرسالة
أمر نسبي يقتضي مرسلا وهو الله تعالى كما وقعت الإضافة لفظا تقتضي اختصاص المضاف بالمضاف
إليه كما تقول عبد زيد ودار زيد وصاحبه ومكتوبه ولا شريك في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم هو
رسول الله لا غير وكل ما اقترنه من عبادة وغيرها فلله لا لغيره لأنه لا معبود إلا هو تعالى كما
علم من الكلمة الأولى وقد تقدم ذكر ما بين الكلمتين من التلازم **الثالثة** قد علم في البلاغة
أن المضاف يكتسب التعريف من المضاف إليه وذلك حاصل هاهنا والشأن هاهنا أمر وهي لعظمة
الرسول التي للإضافة إليه بل أعظم وهو الله تعالى ملك الملوك الذي لا إله غيره فينبغي لذاكرها
أن يستحضر هذا المعنى ليعلم أن فيه غاية التبجيل والتعظيم لهذا النبي الكريم والله ذو الفضل
العظيم **الرابعة** الجملة الأولى أربع كلمات والثانية ثلاث لانتقاص رتبة العبد عن الرب
وشفعية الأولى في مقابلة الثانية ووترية الثانية في مقابلة الأولى إشارة إلى التلازم ولولا
وحدانية الرب ما وجدت شفعية المخلوق لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولولا شفعية
المخلوق ما علمت وحدانية الرب لأن الاستدلال وقع وفي أنفسكم أفلا تبصرون وثم الشفعية
منسوبة إلى الله تعالى بإضافة وسره والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين

[illegible]

والعبودية ثابتة لرسوله صلى الله عليه وسلم في الاصطفاء التام والحظوة الخاصة من دون جميع
الكون وفي مجموع الكلمتين سبع وبهن كملت الشريعة وانتظمت مصالح الدارين والسموات سبع
والارضون سبع والايام سبع وغير ذلك **الخامسة** تقدم ذكرها في تفضيل الهيللة
على الحمدلة والعكس والاشارة الى توجيه كلام القولين وانه فيما اخبر عن الفقيه ابي الوليد
ابن رشد رضي الله عنه انه سئل عن ذلك وافتى بتفضيل الهيللة على الحمدلة وانه بلغ
جوابه الى الفقيه ميمون بن صعد فكتب الى ابن رشد

اعن نظر فيما كتبت وما تكن * بغير سهام للنضال مسارعا *
فحظك تسليم العلوم لاهلها * وحسبك منها ان تكون متابعا *

فاجابه ابن رشد

اخلت ابن رشد كالذين عهدتهم * ومن دونه تلقى الحزين الراجعا *
رويدك ما انهمت منهن بابها * ودونك فاسمعها اذا كنت سامعا *
ولو انك سلمت العلوم لاهلها * لما كنت فيما ترتضيه منازعا *
وان ضمنا عند التنازع مجلس * سقيناك فيه السم ان كنت نافعا *

السادسة وقع في بعض الاخبار الاسرائيلية ذكر لهاتين الكلمتين المشرفتين قرايت
ان اخرج الكتاب به وان كان غريبا لما فيه من التنويه بهما وحاصله عن عبد الملك بن هشام
ان رجلا من بني اسرائيل كان ابوه ملكا وكان ازال اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من
التورية بغيا وحسدا فلما هلك ونشا ابنه وهو الرجل المذكور عثر على ذلك في موضع كان طرح
فيه من التورية ثم ان الرجل المذكور قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم فخرج يطلب
اثره في الارض فوقع الى جزيرة في البحر فيها حيات هائلة تقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فقال الرجل مثل ذلك فقالت له الحيات من انت قال رجل من بني اسرائيل فقالت له ما نعرف اسرائيل فقال
من بني ادم فقالت ما نعرف ادم ولا ولده فقال ومن انتن فقالت حيات جهنم نزعج العالم مرتين
فتلقيناها هذا التسبيح من هناك ثم ان الرجل وقع الى جزيرة اخرى فيها حيات اعظم من الاولى وهن
يسبحن بالشهادتين وقلن له كالاولى انا نفر من حيات جهنم وفيهن حية صغيرة حتى
ملكتهن فسالته تلك الملكة ان يقرا سلامها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الرجل

Copyright © King

في الربع المغرب وصادف فيه شيخا عالما اسمه عفان فذكر له مطلبه فقال له ليس هذا اوانه
بعد بينك وبينه زمان طويل ثم اتفقا على الجولان فلقيا الروضة في البحر فيها جثة سليمان عليه السلام
وخاتمه في اصبعه وثعبانين يحرسانه فاراد عفان اخذ الخاتم ومنعه الرجل فهم على فصده فنزل
جبريل عليه السلام باهلاكه فهلك وصعد الرجل فلما افاق اعلمه جبريل عليه السلام انه انما
انجاه الله ببركة محبته لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الرجل ضل عن الطريق فوقع الى البحر السابع
في جزيرة بامرة الحسن فرأى فيها فرسانا يشهرون بشهادة الحق لا اله الا الله محمد رسول الله
فسالوه من انت فقص لهم واخبروه بمطلبه فعجبوا من وصوله اليهم وسالهم فقالوا
نحن من مؤمني الجن نسكن هذه الجزيرة فقال كيف الجن وسالهم كيف تعرفون محمدا عليه السلام
فقالوا امرنا ان نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنحن نعرفه بها وانهم اركبوه فرسا
وامروه ان يدفعه حيث يقف لها بهم هنالك فكان بين الهواء وقطع به في نصف يوم مسيرة
مائة وعشرين سنة حتى وقع على شيخ عالم ودفعه اليه وعرفه باسمه ثم ان الرجل وقع الى ملك
احد يديه في المشرق والاخرى في المغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فساله من انت
فعرفه الرجل بحاله ومطلبه واخبره الملك انه ملك الليل والنهار وكل بهما ان يصحب احدهما
بالاخر ثم ان الرجل وقع الى ملك احد يديه في السماء والاخرى في البحر فتمسا بالفاه ابه ملك
الريح وهو يشهد بشهادة الحق ثم ان الرجل وقع الى ملائكة اربعة ملتقى الصور واما الصنة
وان كل واحد منهم يقولون في كلامه اللهم اجعلني في شفاعة محمد يوم القيامة ثم انه وقع الى
ملك عظيم على جبل قاف وهو الموكل به وبالارض وهو يشهد بشهادة الحق لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له ان من وراء جبل قاف اربعين دنيا وفيها امة من
نور لم يعصوا الله قط وكلهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ثم انه انتهى الى ملكين
في اخر عظيمين وهما يشهدان بشهادة الحق وانهم قبل ادم وذريته وانما يشهدان بالرسالة
لمحمد صلى الله عليه وسلم لانهما علما بذلك انتهى الغرض من حديثه ملخصا مما ذكره المؤرخون
وصلى الله وسلم ومجد وكرم على سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن
ذكره الغافلون ورضي الله تعالى عن اصحاب رسول الله اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم
الدين والحمد لله رب العالمين ه

ه

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه وصلى الله
على محمد نبيه وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما والحمد لله رب العالمين
ه

King Saud University
جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات

King Saud University
Copyright © Kin